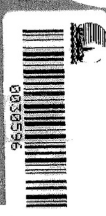
طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

أحمد عادل كمال

النقط فوق الحروف

الإخوان المسلمون والنظام الخاص



الزهراء للإعلام العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهراء للإعلام العربى
قســـم النشـــر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر – القاهرة – تلغرافياً : زاهراتيف – تليفون ٦٠١٩٨٨ – ٢٦١١١٠٦ – تلكس ٩٤٠٢١ رائف يوإن فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله
وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾

صدق الله العظيم
فصلت / ٣٣

الطبعة الثانية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الجمع التصويرى والتجهيز
بالزهراء للإعلام العربى

تصميم الغلاف : عصمت داوستاشى
إخراج فنى : السيد المغربى



طبعة جديدة مزيدة ومنقحة
أحمد عادل كمال
النقط فوق الحروف
الإخوان المسلمون
والنظام الخاص
الزهراء للإعلام العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى المؤلف والكتاب

بقلم : أحمد رائف

المؤلف هو الأستاذ أحمد عادل كمال مؤرخ الفتوحات العسكرية الإسلامية *والكتاب هو النقط فوق الحروف (الإخوان المسلمون والنظام الخاص) .

ويمكن لنا أن نترك الكلمات السابقة كما هى فيكون التقديم بليغا موجزا ، فالمؤلف معروف للمشتغلين بالحقل الإسلامى ، وهو من المهتمين بأمور المسلمين فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وبدأت صلته بالحركة الإسلامية شابا يافعا ممتلئا بالحماس والتعقل ، شديد الغيرة على دينه ، عظيم الحزن على حال المسلمين وماانتهوا إليه فى كل البلاد ، وفى مصر وطنه بشكل خاص .

وكان ممن تشكل منهم « النظام الخاص » الذى نسب إليه أعداء الإخوان الجرائم والتجاوزات ، ولم يكن أحد ليعلم بحقيقة مانسب إلى هذا التشكيل من أعمال ومبالغات ومغالطات .

فقد كان الكلام من جانب واحد ، هو جانب الأعداء ، وليس من العدل أن نحكم على قوم بكلام خصومهم فيهم ، ولم تكن هناك فرصة لنسمع صوت أحد هؤلاء الذين اتهموا فصمتوا وصبروا صبر المضطر وليس صبر المختار .

* صدر للأستاذ أحمد عادل كمال مجموعة المؤلفات التالية فى الفتوحات العسكرية الإسلامية :
١ – الطريق إلى المدائن .
٢ – القادسية .
٣ – سقوط المدائن .
٤ – الطريق إلى دمشق .

كانت الظروف فى مصر صعبة وحرجة للمسلمين والأحرار وسائر الشعب ، فالبلد يحكم حكما عسكريا دكتاتوريا بالغ العنف والسطوة ، ولايسمح بصوت يرتفع إلا بالتسبيح بحمد النظام وسدنته ، وانتهى بهم الحال إلى مانرى اليوم فى بلدنا وفى البلاد المجاورة من مصائب وويلات .

واستمر الإعلام مكثفا طيلة الأربعين عاما الماضية يصم الإخوان المسلمين بالإرهاب والتجاوز ، ولايستطيع واحد منهم أن يرفع صوته دفاعا وصدا لاتهام . ومن كثرة مارددته الأبواق المعادية ، ومن شدة البطش والإرهاب الذى أوقعته العسكرية الدكتاتورية بالإخوان ، وجدنا منهم من صدَّق وقام معتذرا عما فعله « النظام الخاص » .

واختلط الحابل بالنابل وحجبت الرؤية ، ولم يعد أحد يملك الحكم الصحيح على الحوادث التى جرت . وصار تاريخ الإخوان المسلمين لغزا من الألغاز ولم يتطوع أحد ممن اشتركوا فى الأحداث بالتأريخ وكتابة المذكرات حتى تفهم الحقائق على وجهها الصحيح . وحتى يمكن أن يكتب التاريخ .

وقد كنت واحدا ممن قدر لهم أن يطلعوا على بعض الحقائق عن تاريخ الإخوان المسلمين ، وكان ذلك فى الزنازين المغلقة ، والأحاديث الهامسة فى غفلة عن الرقباء ، ورجال فؤاد علام وأمثاله .

وكنت أتعجب وأتساءل :

هل يأتى اليوم الذى يعرف فيه الناس حقيقة الإخوان المسلمين والنظام الخاص ؟

وكنت أيامها – رغم ظلام السجن وشدة وطأته – على يقين من دورة التاريخ وأن يوما سيأتى تظهر فيه الحقائق ويعاقب المسىء .

● ● ●

وقد قدر لى أن أرافق الأستاذ أحمد عادل كمال مؤلف الكتاب فى سجون مصر المختلفة ، العسكرية منها والمدنية ، وكنت فى جواره أعواما سمعت منه الكثير عن تاريخ الإخوان المسلمين .

وكنت أسأله عن الواقعة المشوشة المضطربة فى ذهنى من كثرة ماإعتورتها الألسنة بالتحريف والتبديل ، فيجيبنى بذاكرة حاضرة وذهن صاف ، ويذكرها مسلمة لاشية فيها ، ولم يكن يحاول أن يدعى البطولة فيما شاهده وشارك فيه من أحداث ، بل كان يذكر الواقعة ببساطة وشجاعة ويذكر ما له فيها وما عليه ، إن كان فيها ما عليه ، بشجاعة وصدق ووضوح .

وكان فى كثير من الأحيان يعتذر عن الحديث فى واقعة من الوقائع ويقول :

– هذه لم يأت أوانها بعد ونحن فى سجن أم تراك نسيت ؟

وكان الرجل يفهم التاريخ ويعيه ويذاكره ، وقد شغل نفسه به فقد كنا نعيش زمن الأزمات والملمات .

وجعل الرجل مهمته الأساسية أن يحاول تفسير التاريخ الإسلامى بشكل يخضع لمنطق العلوم الحديثة ، ونجح فى هذا بعد جهد أخذ منه سنوات وسنوات . ولعلنا نقول غير مبالغين إنه أول من فسر تاريخ الفتوحات الإسلامية فى هذا العصر ، بعد أن كانت طلسما تختلف التفسيرات فيه وتتباين الآراء . وفى صبر وجلد استطاع الأستاذ أحمد عادل كمال بعد دراسة متأنية طويلة أن يضع كل لبنة فى مكانها من البناء ، وكان يصبر الليالى الطويلة فى القراءة والفحص ليضع اللبنة المناسبة فى مكانها ، وقرأ كتب الأولين والآخرين بالعربية وغير العربية ، وقرأ فى الجغرافيا والفلك والعلوم وفى أبواب قد تبدو لأول وهلة ألا علاقة لها بتاريخ الإسلام والمعارك ، ثم يأتى أحمد عادل كمال فيؤكد لك ضرورتها عندما يكتمل البناء .

وكثيرا مارأيته يراجع أحوال الطقس والفلك فى أيام معينة منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، فيطلع على المراجع القديمة ، ويتصل بدور النشر العالمية ، ويسأل العلماء . وكل هذا ليفهم كيف تحرك خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على سبيل المثال ، فلابد له أن يحيط إحاطة تامة بظروف الحدث .

وكنت أقول له أحيانا :

– عليك أن ترجح رواية على أخرى فالبدائل أمامك كثيرة .

وكان يرد علىَّ فى هدوء :

– عندما يكون الأمر له علاقة وصلة بالتاريخ فالنزاهة والعدل ضروريان . فنحن نحقق حوادث قد حدثت منذ عشرات المئات من السنين أو يزيد . وقد نجد من بين أسلافنا العظام من يعاتبنا أمام الله سبحانه وتعالى لإهمال أو تقصير . هذا بالإضافة إلى واجبنا تجاه من يقرأ لنا .

وفى هذه العبارة التى قالها لى الأستاذ أحمد عادل كمال يكمن منهجه فى كتابة التاريخ .

منهج يتسم بالصدق والأصالة وتحرى الحقيقة والتعب فى الوصول إليها . وهذا يطمئن من يقرأ له ، فهو مؤرخ صادق يتحرى الصدق فيما يقول ويكتب ، ويشتد على نفسه إذا كان الأمر له صلة بالأموات ، فما بالنا بالأحياء .

لهذا لاتفاجأ أيها الأخ العزيز وأنت تقرأ كتابه هذا إن وجدت فيه حادثة تدينه ، أو تلومه عليها ، فالرجل كما قلت لك يكتب بتجرد وصدق ، ويستوى أن تكون النتيجة له أو عليه .

ولانستطيع أن نمضى فى الحديث الطويل عن المؤلف ويكفينا الإشارة إلى منهجه فى الكتابة والتفكير .

ثم ننتقل إلى الحديث عن الكتاب الذى بين يديك أيها الأخ العزيز .

● ● ●

النقط فوق الحروف (الإخوان المسلمون والنظام الخاص) ، هذا الكتاب حافل بالأسرار الهامة المندرجة تحت هذا العنوان الذى قرأت ، وهى تنشر لأول مرة عن تاريخ الإخوان المسلمين والنظام الخاص . وقد طال انتظارنا لهذا الكتاب النادر فى موضوعه ، لأن كاتبه شاهد على ماحدث ، وشارك فى كثير من الأحداث التى جرت .

وهو يتكلم هنا عن موتى وأحياء ، وهناك الكثير ممن شهدوا معه هذه الأحداث وشاركوا فى صنعها ، فهو لايكتب عن وقائع قد غاب شهودها ، بل يحكى عن أمور يعرفها من شاركه فيها ويستطيعون الرد لو كان فيها مايستدعى ذلك .

فالكتاب وثيقة هامة نادرة ، وهى شهادة حى على أحياء وأموات .

وتأتى أهمية الكتاب أن صاحبه رجل غير عادى فى هذا الباب ، فهو مؤرخ كما قلنا ، وكما يعرفه سائر المشتغلين بالحركة الإسلامية وعلوم المسلمين . وهو يحكى فيه كيف تكون « النظام الخاص » ذلك السر الذى ظل غامضا حتى خرج هذا الكتاب إلى النور . ولعله أغضب فى نشره هذا أخوة له أعزاء ، كان من رأيهم أن كتابه قد يثير فتنة ، فقال قولة الفيلسوف اليونانى :

– « أفلاطون حبيب إلىّ ولكن الحقيقة أحب إلىّ من أفلاطون » .

ومن رأيه أننا إن لم نكتب تاريخنا فمن يكتبه عنا ؟

هل نترك هذا للأجانب والمستشرقين ؟

أم ينبغى علينا أن نكتب ما لنا وما علينا ، وندع الحكم على كل هذا لله سبحانه وتعالى المطلع على الأسرار ، التى يكشف عنها أحمد عادل كمال فيما يتصل بهذا الموضوع .

وتأتى أهمية الكتاب كذلك من أن مؤلفه يضع « النقط فوق الحروف » فى أمور كثر فيها الجدل ، وتعددت حولها الآراء ، وهو أحد صناعها وشهودها .

معاصر ممارس يعبر عن المنظور الذى رآه ، ولكنه يجامل أحيانا . وأحيانا أخر لايفعل ، فيذكر الواقعة كالسيف الصارم فى هدوء وبرود .

وهو رغم اشتراكه فى الأحداث محايد وصادق ونزيه ، وهى أهمية أخرى تضاف إلى الكتاب .

● ● ●

كتاب أحمد عادل كمال الذى بين يديك أيها الأخ العزيز كتاب مهم جدير بالقراءة المتأنية ، رغم سهولته وطرافته فى كثير من المواضع .

وقد لاحظت أنه لم يتعرض للفتنة التى حدثت فى صفوف الإخوان فى مطلع حكم العسكريين إلا فى أضيق نطاق ، وهو فى سرد وقائعها وتفاصيلها يدعو إلى الاتحاد والحب فى الله ، الأساس الأعظم الذى قامت عليه جماعة الإخوان المسلمين ، وهو يحذر من الفرقة والخلاف فى نسج رائع آخاذ . وقد وجدته كتب ردودا موجزة حذرة عن بعض مانشر ورآه خطأ فى هذا الباب .

تحية من عند الله مباركة طيبة لجماعة الإخوان المسلمين التى بدأت تنفض النوم عنها ، والتى أنجبت مثل أحمد عادل كمال ، ونذكر القارىء العزيز أن هذه هى الطبعة الأولى ، وفى الطبعة الثانية أعرب لى المؤلف عن استعداده لنشر كل الردود والتصويبات والتعقيبات ، وأنا معه فى هذا وأمام الله سبحانه وتعالى العهد على ذلك . وأترككم للكتاب المثير العجيب الذى طال انتظارنا له .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أحمد رائف

القاهرة فى ٢٤ / ١٢ / ١٩٨٦ م

نقط أخرى على الحروف

من الظواهر المحيرة والتى يعجب لها ويتعجب فيها الكثيرون ذلك التعلق والارتباط الشديد بدعوة الإخوان المسلمين لدى جميع من عمل فيها ، أو انتسب إليها أو حتى مسه طائف منها .. ظاهرة مؤكدة مطردة لا تكاد تتخلف ، وهى بالفعل ظاهرة محيرة ، تدعو إلى التساؤل والاستفسار والتنقيب .. تُرى هل يمكن أن يرد ذلك إلى إخلاص الرواد الأوائل الذين قادوا التبليغ بها وتجميع الناس حولها ؟

أو أنه يرد إلى طبيعتها من حيث كونها دعوة تجدد تراث محمد ﷺ وتنفى عنه الأوهام والبدع ، وتعيد إليه بريقه الأخاذ يوم أن كان وحيا يتلى وسنة تتبع ؟

أم أنه يرد إلى أسلوبها الذى كان يزرع الحب بالبسمة الرقيقة ويبنى اليقين بالإقناع الهادىء ؟ أم أنه يرد إلى منهجها الذى كان يقوم على تقديم الأهم على المهم وتجاوز الخلافات ورفض الجدل ، وربط الناس بالجوهر لا بالمظهر ورفض التزهيد فى الدنيا وهجرها ، وتعليم أبنائها معايشة الأحداث ، والانفعال بها والسباحة فى أعتى اللجج ؟

أم أنه يرد إلى طريقة التربية فيها والتى كانت تجمع بين الدنيا : تعليما وتثقيفا وتدريبا ، وبين الآخرة : رجاء وتقوى وإعداداً للقاء الله ؟

على كل الأحوال .. فأياً كان المصدر الذى ترد إليه ظاهرة الحب الشديد من اتباع الدعوة لها ، فإنها بكل أو ببعض ما سبق من تميز استطاعت أن تستقطب أجيالا عاشوها إلى حد التوحد معها والذوبان فيها .
وكان من الطَّبِعِىّ أن يكون لهذه الأجيال تاريخ صنعوا بعضه بالكامل وشاركوا فى صنع بعضه الآخر .
ويكون من الطَّبِعِىّ والحال كذلك أن يحتاج هذا التاريخ إلى من يرصده ويسجله وينشره ويجليه .

ومن بين الكتب التى بدأ صدورها حول هذا التاريخ كتاب « حصاد العمر » للأستاذ صلاح شادى ثم هذا الكتاب الذى بين يديك « النقط على الحروف » ولقد أثار كتاب النقط فوق الحروف عند صدوره ما يشبه الزوبعة بين البقية الباقية من صفوف الحرس القديم من جماعة الإخوان المسلمين ، وبين غيرهم من المشتغلين عموما بالحركة الإسلامية .

لقد تفاوت استقبال الكتاب تفاوتا عظيما بين القبول الراضى بل والمتحمس ،وبين النعى على الكتاب إلى حد رفض فكرة إصداره .
وأحسب أن المعترضين على فكرة إصدار الكتاب والناعين على نشر ما جاء فيه من معلومات وأخبار إنما يصدرون عن منطلق استراتيجى يتلخص فى أنه قد يكون كشفا عن أسرار أو أوراق مازالت مغطاة أو مجهولة بمقدار أو بآخر .

وهنا يعن للمرء أن يسأل نفسه : هل كتب الأستاذ أحمد عادل كمال شيئاً جديداً لم يكن معروفاً من قبل لدى العارفين وهم كثير ؟ .. والإجابة التى لايختلف فيها المخضرمون الأحياء المعاصرون أن جل ما كتبه المؤلف ؛ إما أنه قد سبق نشره فى صحف الفترة المعاصرة للأحداث ، أو أنه قد تم جمعه وعرضه بل وتحليله ومناقشته فى كتب صدرت منذ أمد بالعربية وغير العربية ، لعل من بينها كتاب إسحق موسى الحسينى « الإخوان المسلمون .. كبرى الحركات

الإسلامية » الصادر فى بداية الخمسينيات من هذا القرن ، أو أنه قد اشتملت عليه وتضمنه أوراق وملفات التحقيق فى القضايا التى عرضه لها الكتاب وتناولها ، وهذه يقينا فى أرشيف السلطة . وعند هذه النقطة بالذات قد يطيب لى أن أشير بأن المؤلف كان غالبا ما يستشهد على الأحداث ويسند الرواية إلى نصوص وردت فى أوراق تحقيق القضايا أو الحوادث .

الجديد حقا الذى تميز به الكتاب ووفق فيه توفيقا كبيرا لم يكن المعلومات أو الأخبار أو الأسرار ، وإنما كان الربط بين الأحداث وبين ظروفها ودواعيها ، والربط بينها وبين المناخ السياسى العام والتداعى التاريخى ، ثم ، وهو الاهم ، تقديم التفسير الذى ينشده الباحث عن الحقيقة – عن الكيفية التى تمت بها صناعة وصياغة أولئك الرجال « أبطال الحوادث » الذين انفعلوا بإيجابية .. ففعلوا ما فعلوا وذلك فى تقدير الكثيرين هو أهم ما قدمه كتاب النقط فوق الحروف »،حيث استطاع أن يرد الأفعال لا إلى المناخ أو الظروف البيئية المعاصرة لتلك الأحداث فحسب ، وإنما إلى طريقة من التربية وأسلوب من الصياغة ونمط من الإعداد .. جعلهم يرفضون الواقع الذليل ، ويعملون على تغييره ، ويسترخصون الحياة ، ويقبلون على الموت ، إيماناً بما رأوه واجباً دينياً ووطنياً .

لهذا ، فإن ما كتبه أحمد عادل كمال بالشجاعة التى كتب بها والتى يستغربها ويحسد عليها من عملوا فى تنظيمات خاصة ويعرفون طبيعتها ، إنما يقدم تفسيراً موضوعياً ، أدنى ثماره ونتائجه أنه يفتح الباب لتصحيح النظر ، والتقويم للأحداث التى أوردها .

يضاف إلى ذلك أن الكتاب يقص أحداثاً ، ويقص هنا معناها أنه يتتبع وقائع وأفعالاً ، إن لم يقصها هو الآن وهو حى يرزق ، فسوف يقصها-يقيناً وبالضرورة ـ غيره والفرق بين الحالين هو الفرق بين شاهد العيان وبين الراوى

عن وعن ... والفرق أيضاً فى جرعة الاطمئنان التى يستطيع القارىء أن يتأكد منها فى ثنايا الكتاب من طهارة المؤلف وعفة لسانه وتجرده وشجاعته ، الأمر الذى يدعو مرة أخرى إلى التقدير والإعجاب إلى « المدرسة الخاصة » التى تعهدته وأشرفت على تربيته ، فصنعت منه هذا النموذج الفذ .

تحية للمؤلف .. ولـ « المدرسة الخاصة »

وبعد أن قرأت الكتاب أجد أنه من الواجب على – كمتابع للحركة الإسلامية – أن أشير بأمرين :

الأول : أمانة المؤلف فيما روى شاهدا أو مشاركا ، وعفة لسانه فيما كان موضع خلاف أو اختلاف فى وجهات النظر ، وشجاعته فيما كتب ، وشجاعته فى نقد نفسه أحيانا أو فى التعليق على الأحداث . ثم قبل ذلك كله وفاؤه للموتى وللأحياء الذين زاملوه أو تعهدوه بالإعداد والصياغة

الثانى : تواضعه الشديد ، وهو يقدم التحية للنظام الخاص ، بالدرجة التى لاتتكافأ أبداً مع الصفحات المشرقة التى قدمها لأبناء تلك « المدرسة » الذين لايجحد منصف دورهم فى فتح الطريق » للثورة وللتغييرات التى أحدثتها .

ربما خجل الرجل من أن يحيى مدرسته التحية الواجبة التى تستحقها لأنه كان من بين طلاعها ونظارها أحيانا ، ومن ثم فقد أشفق من أن يوصف بأنه « مادح نفسه » .. ولكنه فى هذا ظلم نفسه وظلم مدرسته التى تميزت فى أقل القليل بأنها :

– خطّت الأصول بل والفصول للعمل الوطنى المنفعل بالهموم الحقيقية والمصالح العليا للوطن الإسلامى فى عمومه .

– ترجمت الشعارات والأقوال والخطب والندوات بالواقع ، وبذلك فتحت الطريق ومهدته للتغيير الذى حدث .

– حفظت للحركة الإسلامية استمرارها وأبقت على وجودها فكرة شابة متجددة

– فرّخت نماذج مازال من بقى منها حيا قدوة ومنارا حالت دون اغتيال الحركة الإسلامية – برغم ماواجهته من عنت وملاحقة – وأبقت لها القدرة على التحرك فى زحفها إلى مكانها الطَّبَعِىّ

– أنجبت تلك الكتيبة التى مازلنا نرى بعضها من رهبان الليل وفرسان النهار .

– خطت منهجا جديراً بالدراسة والتحليل فى انتقاء الخامات والعناصر التى تستطيع عمل الرسالة وتحقيق الآمال الكبيرة .

وهى قبل ذلك كله وبعده ، لم يثبت على أحد من عمدائها المؤسسين بالذات أنه كان طالب دنيا أو صاحب غرض شخصى .

أما مايمكن أن ينسب إلى تلك المدرسة من أخطاء معدودة محدودة فقد ناقشه مؤلف الكتاب فى سياقه التاريخى الذى إن لم يؤد إلى الغفران ، فإنه يؤدى دون شك إلى تأكيد التقدير والإنصاف « لنظام خاص » ملأ الدنيا وشغل الناس وفتح الطريق للتغيير ولم تتعد تجاوزاته خطأين أو ثلاثة ؛ ولعله يجوز لنا فى هذا الصدد أن نذكر أنه من الوارد ، أن تقع أخطاء فردية خلال التطبيق العملى وقد حدث فى الصدر الأول أن قتل زيد بن حارثة رجلاً كان قد نطق بكلمة التوحيد ، فظنه زيد قالها نفاقا .. وقد غضب رسول الله ﷺ أشد الغضب لما حدث ولام زيدا حتى أحرجه ..

وتحميل الإسلام أو دعوته مسئولية الخطأ الفردى ظلم عظيم ، وأخذ الفكرة أو النظام بالتجاوزات الفردية خطأ شديد .. ومن هنا كان الأمر الذى أدعو إليه بكل شدة هو أن يأخذ المسلمون أنفسهم بمزيد من العلم ومزيد من البصيرة ومزيد من المراجعة لكل مايقدمون عليه حتى لا يحمل الناس الإسلام بما يتورطون فيه .

وأخيرا تحية للمؤلف وتحية للمدرسة التى تربى فيها والله نسأل أن يتقبل عنده الضحايا والشهداء ، وأن يصلح للأحياء دينهم ودنياهم وآخرتهم .

والله ولى التوفيق

الدكتور محمود الأنصارى

الأمين العام المساعد
للاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شهداء الإسلام .. والمعذبين فيه ..
السابقين منهم واللاحقين.

الذين باعوا أنفسهم لله.

الذين يريدون وجه الله.

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه،
ولا يخشون أحداً إلا الله.

"التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والحافظون لحدود الله"

رضي الله عنهم ورضوا عنه.

تقديم الطبعة الثانية

« النقط فوق الحروف » ظهرت طبعته الأولى فى المعرض الدولى للكتاب بالقاهرة فى أواخر يناير (١٩٨٧) ، فكان رد فعله إيجابيا فوق ما تصورت بصورة أثلجت صدرى ، وكأنما كان تعبيرا عن أنفاس مكبوتة عشرات من السنين ، فهو يضع أمام أبصار الحاضر والمستقبل صورة الماضى على حقيقتها ، بعد أن حاول خصوم الفكرة تشويهها أربعين عاما يتيهون فى الأرض .

ولم تكن ردود الفعل الإيجابية هى ما يهمنى ، قدر ما كان يهمنى ما عسى أن يوجه من نقد ، أو يستوفى من نقص أو يصحح من وقائع . فكان من الإخوان من رأى أن « النقط فوق الحروف » سابق لأوانه ، يكشف أمورا لم يحن الوقت بعد للكشف عنها ، وهو رأى لا أتفق معه ؛ إذ إنه من المسلم به أن لكل سر أجلا ، فلا وجاهة لاستمرار حبس حقائق مضت عليها تلك السنون فى وجه انتقادات غير متفهمة ومغالطات مقصودة .

ورأى بعضهم حدة فى تصويب بعض الوقائع التى ذكرت على غير حقيقتها فى كتابات أخرى ، فى حين رأى آخرون أن أسلوب النقط فوق الحروف كان عفا ومقنعا ، وذهب رأى ثالث إلى أنه كان من الواجب أن يكون الأسلوب أكثر حدة ! وما رأيت هو ما يجده القارئ هنا .

وانتقد فريق قصور الكتاب عن الإحاطة بكل ما يجب ، وهو اعتبار أقره وقد أشرت إليه فى مقدمة الطبعة الأولى ، وأزيد الأمر وضوحا ، فأضيف أن ما بين هاتين الدفتين هو نصف كتاب ، أما النصف الآخر فقد ضاع ولا طاقة لى على استعادته ، ولا قدرة لذاكرتى تعيننى على إعادة كتابته ، بل ولا أستطيع أن أتذكر على سبيل الحصر العناصر المفقودة ، وإن كنت أذكر بعضها . كان من بينها تطور النظام الخاص من مراحله الأولى حتى عام (١٩٤٨) حين جرت إعادة تنظيمه وتوسيعه ، ليمتد خارج مصر ويتصل ويتعاون مع الهيئة العربية العليا ؛ لإنقاذ فلسطين ومع تنظيمات أخرى فى العالم الإسلامى : فى تركيا ، وبعض دول المغرب ، والسودان وغيرها ، تستهدف ذات الأهداف ، كما كانت تعد للنظام صحافته وإذاعاته ووسائل إعلامه ، التى تنطق عنه ووسائله التنفيذية والتصنيعية .

فقد كذلك بعض السرد لقضايا الإخوان فى أواخر الأربعينيات ، مثل قضية الأوكار وحامد جودة ، وإخفاء محمد مالك، وإخفاء يوسف على يوسف وعديد من القضايا الأخرى .

وفقد أيضا أعمال النظام الخاص فى مصر كقاعدة لمتطوعى الإخوان المسلمين فى فلسطين ، مثل جلب السلاح والذخيرة ، ولوازم الجهاد وإصلاحه وصيانته وإرساله إلى الميدان ، والتدريب والإعلام فى الوطن وراء الجبهة ، وغير ذلك من الأنشطة المتعلقة بفلسطين .

فقد كذلك ما كان عن معتقلات النقراشى وإبراهيم عبدالهادى فى الهايكستيب والطور وغيرهما .

كذلك كان مما ضاع دور النظام الخاص فى القنال والشرقية عام (١٩٥١) فى أعقاب إلغاء معاهدة (١٩٣٦) ، ووقوف الاخوان المسلمون فى الإسماعيلية وعلى رأسهم الشيخ

محمد فرغلى ويوسف طلعت ، إلى جانب الشرطة وإمدادها بالذخيرة من مخازن الإخوان فى معركتها الباسلة أمام الجيش الإنجليزى .

أتذكر أيضا متفرقات مثل مشروع مبكر لم يتم تنفيذه لتهريب المجاهد المسلم عبدالكريم الخطابى من منفاه ، وغير ذلك مما عسى أن يقوم بتسجيله أصحاب الذكرى والتذكرة .

ومما جاءنى من ملاحظات والطبعة الأولى بالمطبعة على وشك الصدور من الأستاذ (مصطفى مشهور) بأسلوبه الرقيق فيما يشبه العتاب ، أنه لم يطلع على « النقط فوق الحروف » قبل إخراجه عسى أن يكون له رأى فيه . وقد قبلت حقه فى العتاب مع حفظ حقى فى الدفاع .

تصدر وزارات التعليم كتابا فى كل مادة يعتبر هو المادة التعليمية المقررة رسميا ، يعرف بأنه « كتاب الوزارة » ، ويظهر إلى جوار ذلك عديد من الكتب التى يؤلفها أساتذة كل مادة يعرضها كل منهم بأسلوبه وطريقته . وجماعة « الإخوان المسلمون » لم تصدر « كتاب الوزارة » ، ولم أقصد « بالنقط فوق الحروف » أن يكون كتاب الوزارة أو كتاب الجماعة ، وإنما هو رؤية كاتبه ووجهة نظرة الخاصة فيما مر به من أحداث ، وما أحاط بها من ظروف وملابسات ، وفرق بين الكتابتين ، فالفرد قد ينحاز إلى وجهة نظره وهذا حقه - ولو أنى حاولت ألا أفعل - والفرد قد يسمح لقلمه أن يتحرر من بعض القيود،أو حتى ينفلت بما قد لا تفعله الجماعة ، وعلى سبيل المثال الذى قد لا يغطى جميع المعنى انتقد بعضهم احتواء « النقط فوق الحروف » على صور بعض النساء مثل ، ليدى لمبسون حرم السفير البريطانى والممثلة اليهودية كاميليا فى حين أرى أن جميع القراء وبدون استثناء فيما أحسب ، يرون أكثر منها آلاف المرات فى الصحف والمجلات يتصفحونها وينظرون إليها كما يرون

النساء ذواتهن فى التلفزيون وفى الطرقات والمواصلات ، فلم يعد « النقط فوق الحروف » هو كتاب التبرج من أجل الصورتين وكان الأهم عندى أن أضع صور الأحداث أمام القارىء ، وربما كان « النقط فوق الحروف » هو الكتاب الوحيد فى موضوعه المزود بالصور حتى تاريخ صدوره ، ولكن لو كنت أنا الذى أضع كتاب الجماعة لاستبعدت مثل هاتين الصورتين .

ولما تضمنه « النقط فوق الحروف » من تصويبات وملاحظات على حصاد العمر ، فقد ظن بعض الإخوة السوء بين الأخ صلاح شادى وبينى ، وأبادر فأنفى ذلك نفيا قاطعا ، فليس فى قلبى إلا كل الحب لجميع الإخوان مهما كانت آراؤهم ، ويكفينى أن عينى رأسى قد شاهدتا صلاح شادى فى السجن الحربى فى أكتوبر (١٩٥٤) ينال من عذاب صديقه القديم جمال عبد الناصر النصيب الأوفى حتى انحنى ظهره ، وكان انحناء الظهر يحدث لمن تجاوز تعذيبه حدودا تقترب به من الموت ، وكنت فى حبس انفرادى فى إحدى زنازين الشفخانة وقد انحنى ظهرى أيضا حين جاء لى صلاح شادى بتفاحة وقطعة من الشيكولاته ، وصلت إليه بشكل أو بآخر وسط ذلك العذاب فآثرنى بها ولعله رشا بعض الجنود حتى تصل إلىّ ، فما كان لى أبدا أن يتغير قلبى نحو أخى .

ولكنه تناول أمورا لعلى أدرى بها منه ، وقد بلغ من خطورة ما كتب أن تناقلها عنه حتى كبار الإخوان فمن شأنها أن تدخل التاريخ من تلك الأبواب ، وهى أمور خاصة بالنظام الخاص الذى كان تنظيما سريا لايعرفونه ولا يعرفها من كان خارجه ، فما إن كتبها الأخ صلاح حتى تلقفها من وجدها على أنها تاريخ صحيح ، وساعد على تقبله ما كان من اختلاف بين عبد الرحمن السندى والأستاذ الهضيبى ، ثم فصل السندى من الجماعة ، فإن مجرد الاختلاف أو حتى تعديه إلى الفصل ، لا يبيح عرض المسلم بغير

الحق ، ولقد أعلن الأستاذ الهضيبي ذاته فى حينه أن قرار فصل الأربعة ليس من أسبابه ما يمس دينهم ، فبأى مسوغ نمس الآن دينهم ! ووجدت نفسى بين أن أسير مع التيار على علاته ، أو أن أؤدى الشهادة ، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ، ولقد انتظرت سبع سنين دأبا بعد صدور حصاد العمر ، أن يفعل ذلك غيرى أو يصوبه فلم يحدث ، وصار لزاما علىّ أن أفعل .

واتصل بى الأخ محمد مهدى عاكف ، بشأن ذكر اسمه فيمن ذهب إلى بيت الأستاذ الهضيبى بمناسبة قرار فصل الأربعة ونفى أنه كان معهم ، بطبيعة الحال هو أدرى بنفسه،وحين أعتمد على ذاكرتى فى شأن كهذا فينفيه صاحب الشأن ، فهو أعلم به وأدرى وأصدق ، وأشكره لهذا التصويب .

وقال أستاذ كبير فاضل « هل نفهم من هذا الكتاب أنك تدعو إلى إعادة تكوين النظام الخاص الآن ؟ » قلت : « بالطبع لا » . قال:« فإن الأمر يحتاج إلى إيضاح » . لقد أنشئ النظام الخاص فى ظروف غير التى نحياها اليوم ، فكان مناسبا بل لازما فى زمنه بل رأينا فيه فريضة ، وأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . كنا فى مصر وفى جميع بلاد المسلمين نعيش تحت احتلال أجنبى واستعمار غير مسلم يفرض علينا ديننا التحرر منه ولو بحمل السلاح ، وهو أمر مشروع على الصعيد الشرعى والفقهى والأخلاق والمعنوى ، مشروع بجميع الاعتبارات لا ينكره إلا ذليل ولا يجرمه إلا قانون استعمارى . ثم صارت الحكومات الآن فى بلادنا لا يحكمها احتلال،وإنما تخضع لمفاهيمها وأفكارها وما جنته أيديها وسياساتها ، فإذا لم تكن هذه الحكومات ذات اتجاهات إسلامية ومفاهيم ملتزمة ، فإنه يكون من المناسب هنا أن يكون السبيل شعبيا جماهيريا ، بنشر الدعوة وازدياد الأنصار وحسن السياسة ، ومهما كان للسلطة من مواقف معارضة ، فلا بديل لها فى النهاية عن نزولها على رأى الأمة ، وهذا يقتضى من العمل الإسلامى أن

يأخذ بالعلانية إلى أقصى أبعادها ، ولا مجال للسرية والتستر . فإن عاد استعمار أو احتلال لأرض المسلمين وجبت العودة إلى أساليب التحرير .

فى هذه الطبعة الثانية من « النقط فوق الحروف » بعض الإضافات ومزيد من الصور ، وكما ذكرنا فإن تاريخ « الإخوان المسلمون » لا ولن يجمعه كتاب ، فلا بأس أن يكون بكتابنا هذا نقص وأراه أمرا مقبولا فالكمال لله وحده .

ربيع الآخر ١٤٠٩
ديسمبر ١٩٨٨

أحمد عادل كمال

مقدمة الطبعة الأولى

تحس الجماهير المسلمة التى تتابع العمل الإسلامى ، ويهمها الوقوف على حقيقة نشاط الحركة الإسلامية ، بحاجتها إلى نشر ماكان من نشاط حركة الإخوان المسلمين فى القرن العشرين ، ويزداد هذا الإحساس لدى أولئك الذين يرغبون فى أن يكون لهم نصيبهم فى هذا النشاط ابتغاء رضاء الله وحسن مثوبته .

وقبل أن أسطر حرفاً فى الموضوع أحب أن أقول لإخوانى المسلمين – وكل المسلمين إخوانى – إنهم لن يجدوا تاريخ الإخوان المسلمين فى كتاب ، فما كان لنشاط كالذى قامت به هذه الجماعة فى تشعبه وتنوعه وأصالته وعمقه وإخلاصه وجهاده وانتمائه لعقيدة الإسلام أن يتضمنه كتاب . وليس بين الإخوان جميعا من يحيط علمه بكل أنشطة الجماعة ، بل وربما لم نجد من بين الإخوان جميعا من يحيط بجانب كامل من جوانب ذلك النشاط ، فإذا خرجنا عن دائرة أعضاء الجماعة وجدنا أن الجهل أشمل وأعم . لقد كتب بعضهم عن الإخوان فما وفوا . ولست أزعم أنى أقدم هنا تاريخ الإخوان المسلمين ولا تاريخ جانب كامل منه ، ولكنها مقتطفات أو صفحات منه . لقد حرصت أكثر من مرة على تدوين هذه الأوراق ، وكان مصدر هذه الرغبة إحساسى أن ماأكتب سوف يسقط من التسجيل ويذهب فى بطون النسيان إذا لم أكتبه ، وحسبى أن أحدا لم يكتبه حتى الآن .

لقد كان للإخوان قضايا كثيرة قدمت إلى محاكمات عن أحداث نسبت إليهم ، كان صالح الدفاع غالبا فى إنكارها ونفى صلتها بالمتهم موضوع القضية حتى لا يحكم عليه . كما كان بعض من يقع تحت تعذيب وضغوط تفوق طاقته يجعله يلقى الاتهام جزافا . وفى هذا وذاك تضيع الحقيقة وتنطمس العبرة .

كان لنا نشاط أتينا فى ثناياه أفعالا بدوافعها ودواعيها ومبرراتها ، ومع ذلك فقد تبرأنا منها فى حينها . وأحداث أخطأنا بها وتقتضى العبرة بيانها . وأحداث لم يكن لنا يد فيها ، نسبت إلينا وألصقت بنا ، وهذه أيضا ينبغى إيضاح ذلك بشأنها .

وليست هذه هى المرة الأولى التى أحاول فيها الكتابة فى الموضوع بل لعلها تكون الثالثة أو الرابعة ... وغفر الله لوالدى ، دأب على حرقها كلما وجدها رغم الجهد المضنى الذى كنت أبذله فيها ، ذلك الجهد الذى يعتمد على الرجوع بالذاكرة إلى الأحداث فى أزمانها ، وعلى الرجوع إلى من عاصر تلك الأحداث ، ثم الرجوع إلى الصحف التى لم تكن تنشر من الإيضاح إلا قليلا يتمثل غالبا فى رأى حكومات الاستبداد فى عهود مظلمة وشرح وجهات نظرها وإلصاق التهم بالباطل مع تعليقات وفيرة كل غايتها التشنيع والتشهير . ورغم ذلك فلم أستطع فى المحاولة الثانية أن أكتب أكثر من مائتى صفحة فى أكثر من عام ونصف عام . ولقد تناولتها بطريقة الموضوعات لا بطريقة اليوميات أو الحوليات .

واليوم أجد الجهد أشق وأضنى ، فالعهد أبعد والذاكرة أضعف والمعاصرون أقل لوفاة من توفاه الله وتفرق كثير من الأحياء فى الأمصار والأقطار . ومع ذلك فقد استعنت الله وأمسكت القلم بعد أسبوع من مغادرتى المعتقل عام ١٩٥٦ . وحتى هذا الذى كتبت تعرض لمحنة أخرى ، فقد استولت عليه قوات الشرطة العسكرية فى غارة شعواء لها على منزلى بمناسبة اعتقالى عام ١٩٦٥ وفقدته سبع سنوات قبل أن ألتقى به مرة أخرى وقد ضاع حوالى نصفه . ولكن مابقى كان حافزا أن أحاول نشره على أى صورة .، لايحب الإخوان اللواء فؤاد توفيق علام لما كان

بين مباحث أمن الدولة والإخوان ، ولكنى أشكره - ولايسعنى إلا أن أشكره - لأنه أعاننى على استردادها ، أو على الأصح من موقع مسئوليته بمباحث أمن الدولة أعادها لى حين طلبتها . هى التى يجدها القارىء بين هاتين الدفتين مع لمسات طفيفة .

○ ○ ○

قالوا لى : سوف تغضب الجميع بما تكتب .

السلطة تراك تؤرخ لجماعة تقرر حلها ومازالت تصر على ذلك الحل . وبعض الإخوان على الأقل لن يغفروا لك رأيك .

وأبعد من هذا وذاك .. بعضهم يقول لى أكتب كذا ولا تكتب كيت . وأعتذر فأقول ما كان من ذكريات فهو ذكرياتى ، وماكان من رأى فهو رأيى ، وفى هذا ماكان صوابا فهو صوابى وماكان خطأ فهو خطئى ، ولكنى لا أستهدف به غير الحق وغير وجه الله ، أصبت فى ذلك أم أخطأت .

هذه صفحات ينتظرها كثيرون دأبوا على طلبها . وأملى الآن - وهى بين أيديهم - ألا تصدمهم ، فقد يجدونها أقل حجما مما كانوا يتوقعون ، وكما ذكرت فقد ضاع منها الكثير ممالا طاقة لى على إعادة كتابته ، كما لن يجد بعضهم التصدى المطول لبعض مانشر عن النظام الخاص ورائده عبد الرحمن السندى رحمه الله وعديد من كرام الإخوان لما كان بين بعضهم وبعض فيما لابس الجماعة من فتنة ، ولكنى ضمنت هذه الصفحات وجهة نظرى ولم أضمنها كل ماأعلم وإذا أمد الله فى العمر فقد أضيف فى طبعات أخرى فى المستقبل ، وأرجو أن يكون على هذه الصورة مقبولا عند الله وعند الناس وأن يضيف جديدا إلى ماسبق أن نشر السابقون أو يصوبه ، وأسأل الله أن يوفقنى فيما أكتب .

١٣ ربيع الأول ١٤٠٧ هـ

١٥ نوفمبر ١٩٨٦ م

أحمد عادل كمال

الفصل الأول

انتماء

تقديم

قبل أن أدخل إلى صلب الموضوع أستميح القارىء أن أقدم كاتب هذه السطور بأسطر قليلة على طريقة الإخوان فى التعارف فيما بينهم فى لقاءاتهم .

فقد ولدت عام ١٩٢٦ بحى السيدة زينب بمدينة القاهرة لأبوين من أواسط الطبقة المتوسطة . كان أبى موظفا حكوميا بمصلحة الطرق والكبارى ، وكنت باكورة إنجابهما ثم أنجبا بعدى أخا ثم أختا ثم أخا بين الواحد منا وأخيه نحو من سنتين .

لم اختلط بأقرانى ومن هم فى مثل سنى ، ولكنى انطويت فى المنزل أعكف على هوايات أستطيع مزاولتها بين الجدران . هويت جمع طوابع البريد وقطع العملة الأجنبية والرسم ولعب الشطرنج مع والدى وأخى الأصغر . وبقيت على هذا حتى أخرجنى عن هذه العزلة اتصالى بجماعة الإخوان المسلمين . وإنى لأعجب الآن كيف ينقلب فتى على تلك الصورة بين عشية وضحاها حتى يغشى ذلك المجتمع الصاخب بكل مافيه من نشاط روحى وثقافى ورياضى وسياسى وحركى علنى وسرى فيسلك سبيله فيه قدما باندفاع شديد فى جميع هذه النواحى . رحم الله إمامنا ومرشدنا ورضى عنه أوسع الرضوان .. إنى مدين له وللدعوة التى هداه الله إلى أن يدعو بها ، بكل خير نلته فى حياتى وبكل ماأرجو يوم ألقاه رحمه الله أوسع الرحمة وجزاه خير الجزاء فلم يكن مثله أحد استطاع توجيه طاقة الشباب نحو الهدى والتجرد والعمل للإسلام والفداء . ومدين فوق ذلك لخالق كريم ورب أعلى خلق فسوى وقدر فهدى .

كان والدى كبير العناية بتعليمى وتعليم إخوتى . ولقد كانت أسرتنا أسرة تهتم بالتعليم . فكان الوالد يقضى معنا ساعات الليل والنهار الواحد تلو الآخر فى مذاكرة لدروس مدراسنا ، واستمر معى على ذلك حتى نلت الشهادة الثانوية (التوجيهية) عام ١٩٤٢ ثم دخلت كلية التجارة بجامعة فؤاد الأول فتخرجت فيها عام ١٩٤٦ فى سن العشرين دون أن أفقد عاما واحدا من سنى دراستى .

خلال ذلك اتصلت بدعوة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٢ ، وتخرجت فى الكلية عام ١٩٤٦ ، وعملت بالبنك الأهلى المصرى بعد تخرجى ، ثم قبض على فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ لاتهامى فى قضية السيارة الجيب ، وبقيت بالسجن إلى مارس ١٩٥١ ، ثم اعتقلت عام ١٩٥٤ وبقيت بالمعتقل حتى ١٧ يونية ١٩٥٦ .. ثم أعيد اعتقالى فى سبتمبر ١٩٦٥ ضمن من شملهم قرار الرئيس جمال عبد الناصر باعتقال كل من سبق اعتقاله ! وبقيت بالمعتقل حتى فبراير ١٩٧١ بعد مثوله صاغرا بين يدى الديان بنحو من أربعة أشهر .

لا أعنى بذلك الكتابة عن شخصى .. فهو أمر لا يهم القارىء .. وإنما أعنى تبيان أثر هذه الدعوة المباركة على يافع عاش فى ذلك الزمن ، وكيف كانت تقترب من خارجه حتى توغل إلى شغاف قلبه .

خواجات

كانت مصر تمتلىء بالأجانب من كل صنف . منهم الإنجليز الذين كانوا يعملون بالسفارة الإنجليزية والشركات الكبرى مثل شركة شل وغيرها ، فضلا عن جنود الاحتلال الذين كانوا يروحون ويجيئون فى كل شارع من شوارع مصر حتى شارع قدسى من حدائق القبة الذى كنا نعيش به كنا نراهم فيه . فى ذلك الوقت من الأربعينيات لم يكن الإنجليز موظفين بالحكومة ، كان المصريون هم موظفو الحكومة . وكان هناك أجانب من جنسيات أخرى كثيرة أقل مرتبة من الإنجليز ، بلغار ويوغوسلاف وإيطاليون وكان أكثرهم من الأرمن والقبارصة واليونانيين .

هؤلاء كانوا موظفين بالشركات ، لاسيما المساهمة ، يملئون وظائفها ويعملون باللغة الإنجليزية أو الفرنسية ، ولم يكن المصريون يجيدون غير العربية ، فكانت

تلك الوظائف تكاد تقتصر على تلك النوعية من الأجانب ، وكانت لهم مدارسهم : الفرير والخرنفش والسيكركير .. الخ ، هذه الوظائف لم يكن يقربها من المصريين إلا المتفرنجون واليهود . كذلك انتشر هؤلاء الخواجات فى محال البيع مثل شيكوريل وأركو وبلاتشى ، وغيرها . وكان لبعضهم محالهم المملوكة لهم ، وكثر اليهود بين هؤلاء . كما انتشر الأرمن واليونانيون خاصة حتى أعماق ريف مصر يفتحون أكشاك أو محال الآيس كريم والجبن والبيض والبسطرمة والخمور .

أول الخيط

وقفت أمام واجهة محل « الخواجة » المصور أنظر إلى طوابع البريد التى كان يتاجر فيها إلى جوار تجارته فى الأفلام والصور وآلات التصوير . وفاجأنى الشاب الواقف إلى جوارى بقوله :

– ألست القاطن فى حدائق القبة ؟ ... بشارع قدسى ؟

– ... بلى

– هل تهوى جمع طوابع البريد ؟

– ... نعَـم

– وأنا كذلك !

– .....

– هل تحب أن ترى مجموعة طوابعى ؟

– ... لا يهم .

– ولكنى أحب أن أرى مجموعتك . إنى أسكن إلى جوارك .. فى نفس الشارع .

– .....

ضايقنى أن يقتحم إنسان علّى نفسى كما فعل هذا واستثقلته . ولكنه أمعن فى الثقل فأصر على أن يحملنى خلفه على دراجته إلى منزله ليرينى مجموعة طوابعه . كما أصر بعد ذلك على أن يحضر إلى منزلى ليشاهد مجموعة طوابعى .

ذلك الذى استثقلته هو حسين محمد عبد السميع (دكتور الاقتصاد الزراعى فيما بعد) كان طالبا بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالعباسية ، عرفته ثم كان صديقى الأثير نحو سبع سنوات ، نكاد لا نفترق .

وجاءت أحداث عام ١٩٤٢ المتصلة بالحرب العالمية الثانية . وقامت مدرسة فاروق الأول الثانوية بالعباسية - التى كنت طالبا بها - بإضراب لا أذكر أهدافه ، كان ذلك فى صبيحة اليوم المشهود الذى حاصرت دبابات الإنجليز سراى عابدين فى ليلته السابقة وأرغمت الملك فاروق أن يسند الوزارة إلى مصطفى النحاس باشا كان ذلك يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ . كنت فى السادسة عشرة ، واستخفتنى المظاهرة فسرت معها إلى ميدان عابدين ، وهناك كانت كثير من المدارس تفد إلى الميدان ، ومنها كانت جارتنا مدرسة فؤاد الأول . وعثرت وسط زحام ذلك اليوم على حسين عبد السميع فتشابكت يدانا حتى انفضت المظاهرة . وفى هذه المظاهرة طرقت أذنى للمرة الأولى هتافات ...

الله أكبر ولله الحمد
الله غايتنا
الرسول زعيمنا
القرآن دستورنا
الجهاد سبيلنا
الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا .

ومأأحسب أن كان للإخوان صلة بمظاهرات ذلك اليوم ، وأغلب ظنى أن أحدهم هتف بها فى ذلك الصخب . سمعت الهتافات فلم أفهمها ... إن هتافات « يحيا فلان باشا » أو « يسقط الاستعمار » أو « يعيش جلالة الملك » أو مثل ذلك كانت واضحة المعانى ، أما « الله أكبر ولله الحمد » أو « القرآن دستورنا » فهو مالم أدركه . وسألت حسينا .

- ماهذا ياحسين ؟

- هذه جمعية فى السكاكينى .

ولم يزد . ذلك أن أباه الاستاذ محمد عبد السميع الغنيمى كان من الإخوان ، وكان ذا نشاط فى شعبة الظاهر بالسكاكينى ، فكان أحيانا يأخذه معه إلى تلك الدار فيسمع بها تلك الهتافات .

وبعد أن انتهت المظاهرة واتجهنا إلى الانصراف ظهر شخص لست أذكره – صديق لحسين ولعله عرفه فى شعبة الظاهر – سار معنا ، أو سرنا معه ، من عابدين إلى الحلمية الجديدة ، حتى وصلنا إلى دار المركز العام للإخوان المسلمين الذى كان يشغل الدار رقم ١٣ شارع أحمد بك عمر ، وكان يطل على ميدان الحلمية ، فوجدناه محاطا بالبوليس وقد أغلقت أبوابه بالشمع الأحمر . فى الحقيقة لقد كنت متورطا فى السير مع حسين وصديقه إلى مالا أدرى غير أن إلحاحهما وتشبثهما بى منعانى أن أتركهما وأعود بمفردى .

اتجهنا بعد ذلك إلى بيت الاستاذ المرشد العام قريبا من دار المركز العام . وهناك لم نجده ، وإنما كان عدد من الإخوان يزيد على الأربعين ، ملئوا غرفة المكتبة وقد افترشوا أرضها ، ووقف الاستاذ عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الجماعة خطيبا فيهم . وأذكر من كلامه يومذاك أن الحالة لا تدعو إلى القلق وأن فضيلة الأستاذ المرشد يعالج الأمر مع السلطات بحكمته ، وأن دور الإخوان لا تلبث أن تفتح وأن يعود نشاطها من جديد . انتهى ذلك اليوم ورجعت إلى بيتى بأول فكرة عن الإخوان المسلمين ، لم تكن واضحة بطبيعة الحال ، ولا تركت فى نفسى أى انطباع .

ماذا كان فى مصر ؟

قد لا يكون خارجا عن الموضوع أن أعود إلى الظروف والمناخ العام الذى ساد مصر فى ذلك الوقت . وكثير من تفاصيل هذه الظروف بل أكثرها لم تكن معلومة لرجل الشارع ولم تكن معلومة لنا ، ولكن انعكاساتها جميعا كنا نعيش فيها . ولقد وجدت أن أفضل مصدر لذلك هو مذكرات لورد كيلرن ، الذى كان اسمه فيما سبق سير مايلز لمبسون ، فقد كان أكثر الناس اطلاعا على كل شىء مما يورد ذكره ، وكان كعبة جميع أطراف اللعبة ، ثم كان رجلا متعجرفا لايستَحْيى أن يذكر كل تجاوزاته وتجاوزات دولته على أنها حقوق له ولها . تلك المذكرات ظهرت بعد هذه الأحداث بأكثر من ثلاثين عاما ، وأقصد هنا الكتاب العربى « دبابات حول القصر » عن مذكرات اللورد .... ولن أطيل .

ففى مارس ١٩٤١ جاءت قوات ألمانية إلى ليبيا ، وقام روميل بهجومه البعيد الذى أوصله إلى العلمين . وتأزم الموقف بين حسين سرى باشا والملك .

وقبل أن يقدم حسين سرى استقالته إلى الملك من رئاسة الوزارة فى فبراير ١٩٤٢ ، أخبر السفير البريطانى بذلك – وكأنما يستأذنه أو يقدم الاستقالة إليه – فطلب إليه السفير أن يؤجل ذلك حتى يوم الثلاثاء الساعة ١٢ ظهرا ، ثم يقوم لمبسون بمقابلة الملك الساعة الواحدة [بعدها بساعة] . يقول لمبسون عن حسين سرى « أنا فى منتهى الإعجاب بإخلاصه وصداقته » . وكان حسين سرى هو الذى أوحى إلى مايلزلمبسون أن يطلب النحاس باشا للوزارة .

ثم اتصل حسين سرى بلمبسون ، وهو يتناول إفطاره يوم الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٢ ، وأخبره أنه لا يستطيع الانتظار حتى اليوم التالى وأنه سيقدم استقالته إلى الملك الثانية عشرة والنصف ظهرا .

فقام السفير بالاتصال بأحمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك وفرض على الملك أن يقابله الساعة الواحدة . وتمت المقابلة فأخبر السفير الملك بالآتى :

١ – أنه يجب أن تكون فى مصر حكومة مخلصة لمعاهدة ١٩٣٦ قادرة على تنفيذها نصا وروحا .
٢ – أن تكون حكومة قوية وقادرة على الحكم ولها سند شعبى كاف .
٣ – وهذا يعنى حتما تكليف النحاس باشا بتأليف الوزارة ، ويجب طلبه فورا للتشاور معه فى تأليف الوزارة .
٤ – يتعين أن يتم ذلك قبل ظهر اليوم التالى الثلاثاء ٣ فبراير ١٩٤٢ .
٥ – إن الملك مسئول شخصيا عن أى اضطرابات قد تحدث أثناء ذلك .

وفى صبيحة ٣ فبراير ١٩٤٢ قابل أمين عثمان السفير الإنجليزى وأبلغه أن النحاس مستعد لتولى الحكم إذا ساندته السفارة ، وأن الوفد سيتعاون مع السفارة حتى لولم تكن هناك معاهدة ، وطلب إلى السفير تعليماته بشأن مقابلة النحاس للملك بعد الظهر ، فوجهه السفير أن يرفض النحاس فكرة حكومة قومية مؤقتة وأن يقبل الوفد ترك بعض الدوائر الانتخابية للأحزاب الأخرى .



« النحاس » باشا والسفير البريطانى سير « ميلز لامبسون »



هتلر وموسولينى

وقرر مجلس الحرب فى مصر ، بحضور السفير ، تسليم الإنذار التالى عن طريق أحمد حسنين باشا « إذا لم أسمع حتى السادسة مساء اليوم أن النحاس باشا قد كلف بتشكيل الحكومة فعلى جلالة الملك فاروق أن يتحمل عواقب ذلك التصرف » . وذهب لمبسون إلى أبعد من ذلك فأعد وثيقة للتنازل عن العرش ليجبر فاروقاً على توقيعها .

وفى السادسة والربع جاء أحمد حسنين إلى السفارة يحمل رسالة : إن الملك بعد أن تسلم الإنذار البريطانى عقد اجتماعا ضم زعماء الأحزاب وأصدروا القرار التالى « فى رأى الزعماء المصريين أن الإنذار البريطانى يعتبر انتهاكا خطيرا للمعاهدة المصرية البريطانية ولاستقلال البلاد . ومن أجل هذا السبب وبعد استشارة الزعماء فإن الملك عملا بنصيحتهم يرى أنه لايمكن الموافقة على عمل يعتبر خرقا للمعاهدة وتعديا على استقلال مصر » .

وأجاب لمبسون أنه سوف يحضر لمقابلة الملك الساعة التاسعة . وقبل الموعد بعشرين دقيقة كان لمبسون والجنرال ستون وعدد مهيب من الضباط الإنجليز المسلحون حتى أسنانهم بالقصر ، وكانت طوابير الدبابات والمصفحات وناقلات الجنود تأخذ مواقعها حول قصر عابدين . واقتحم لمبسون وستون على الملك حجرته ... وبدون إطالة ... خضع الملك . وساءت سمعة الوفد بسبب هذا الحادث ثم بسبب انشقاق مكرم عبيد وإصدار الكتاب الأسود بفضائح الوزارة فى أوائل ١٩٤٣ .

وكانت صور السفير الإنجليزى مع النحاس باشا أو معه وحرمه تظهر بالصحف المصرية تنطق بالصداقة بينهما ، وقد درج السفير أن يتأبط أحدهما أو يتوسطهما . والأعجب من ذلك أن تظهر صورة حرم السفير تضع يدها فى ذراع فاروق !

كان الإنجليز يمنون بهزائم أمام المحور ، وكان وجودهم فى مصر يتعرض للخطر ، فبعد ذلك بقليل فى مايو ١٩٤٢ استولى روميل على طبرق وكانت قلعة حصينة للإنجليز ، ثم اندفع شرقا نحو مصر والجيش الإنجليزى الثامن يفر أمامه فرار أرنب أمام ثعلب .



« فاروق » والليدى « لامبسون » زوجة السفير
البريطانى فى القاهرة ، أثناء إحدى الحفلات ..

خيط آخر

بعد أيام كنت عائدا إلى منزلي فصادفت ثلاثة من شبان حيّنا ، طاهر عماد الدين ومحمد هاشم يلحان على عبد المعز عبدالله أن يذهب بهما إلى السينما على نفقته لمناسبة سارة تخصه ، كأن كان قد نجح فى امتحان أو التحق بعمل لست أذكر . ووافق عبد المعز فعادا يطالبانه أن يكون دخولهم السينما فى لوج . وكان اعتراضه أنهم ثلاثة واللوج يكون لأكثر ، فلما صادفتهم ألحوا علىّ أن أكون معهم .

وفى طريقنا مررنا بشارع السكاكينى فسمعنا أذان المغرب ينبعث من أحد بيوت الشارع .. كان المؤذن يرتدى البذلة ولم يكن شيخا وكان يؤذن من الشرفة . وقال عبد المعز إنه لهذه المناسبة – موضوع الدعوة – عزم على الصلاة فاستأذننا دقائق ريثما يؤدى صلاة المغرب ويعود . وانتظرناه بالخارج ولكنه غاب فى المنزل ، وطال بنا الانتظار دون أن يخرج حتى أصابنا الضجر ، ثم خرج لنا شاب لم نكن نعرفه – عرفناه فيما بعد الأخ بسيونى – فقال « تفضلوا ياإخوان » وألح علينا فى الدخول . قلنا إننا فى انتظار صديق دخل يصلى ولا يلبث أن يخرج فأجاب بأن صديقنا ينتظرنا بالداخل .

كان المكان بيتا ذا طابقين . الأرضى فقط هو الذى كان شعبة الإخوان المسلمين بالظاهر . كانت عبارة عن صالة وثلاث غرف وفناء كبير به بعض الملاعب لكرة السلة والملاكمة والمصارعة ومكان للجوالة ومكان آخر للصلاة . كما كان به تكعيبة عنب بها مصباح كهربائى تصلح للجلوس وعقد الاجتماعات تحتها . وكان عبد المعز جالسا على دكة من الخشب فى ركن من أركان الصالة وقد جلس معه أحد « الإخوان » يلقى عليه درسا أو موعظة ! ، ولفت أنظارنا ماعلق على الجدران من لافتات عليها بعض عبارات أو مبادىء الجماعة وصورة لفضيلة الأستاذ حسن البنا ، رضى الله عنه وأرضاه . وذهبنا ننظر ونتطلع إلى تلك المعلقات دون أن ندرك حتى وقتها أن الإخوان حين دعونا للدخول إلى شعبتهم إنما أدخلونا إلى الطريق التى أمسكت بنا لنصبح بعد ذلك « إخوانا مسلمين » .

من تلك المعلقات أذكر على سبيل المثال إطارا من الخشب احتوى هذه النشرة .

عقيدتنا

١ - **أعتقد** أن الأمر كله لله ، وأن سيدنا محمدا ﷺ خاتم رسله للناس كافة . وأن الجزاء حق ، وأن القرآن كتاب الله ، وأن الإسلام قانون شامل لنظام الدنيا والآخرة .
وأتعهد بأن أرتب على نفسي حزبا من القرآن الكريم ، وأن أتمسك بالسنة المطهرة ، وأن أدرس السيرة النبوية وتاريخ الصحابة الكرام .

٢ - **أعتقد** أن الاستقامة والفضيلة والعلم من أركان الإسلام .
وأتعهد بأن أكون مستقيما أؤدى العبادات وأبتعد عن المنكرات ، فاضلا أتحلى بالأخلاق الحسنة وأتخلى عن الأخلاق السيئة وأتحرى العادات الإسلامية ماستطعت ، وأوثر المحبة والود على التحاكم والتقاضى ، فلا ألجأ إلى القضاء إلا مضطرا ، وأعتز بشعائر الإسلام ولغته ، وأعمل على بث العلوم والمعارف النافعة فى طبقات الأمة .

٣ - **أعتقد** أن المسلم مطالب بالعمل والتكسب ، وأن فى ماله الذى يكسبه حقا مفروضا للسائل والمحروم .
وأتعهد بأن أعمل لكسب عيشى ، وأقتصد لمستقبلى ، وأؤدى زكاة مالى ، وأخصص من إيرادى لأعمال البر والخير ، وأشجع كل مشروع اقتصادى إسلامى نافع ، وأقدم منتجات بلادى وبنى دينى ووطنى ، ولا أتعامل بالربا فى شأن من شئونى ، ولا أتورط فى الكماليات فوق طاقتى .

٤ - **أعتقد** أن المسلم مسئول عن أسرته ، وأن من واجبه أن يحافظ على صحتها وعقائدها وأخلاقها .
وأتعهد بأن أعمل لذلك جهدى ، وأن أبث تعاليم الإسلام فى أفراد أسرتى ، ولا أدخل أبنائى أية مدرسة لا تحفظ عقائدهم وأخلاقهم ، وأقاطع كل الصحف والنشرات والكتب والهيئات والفرق والأندية التى تناوىء تعاليم الإسلام .

٥ - **أعتقد** أن من واجب المسلم إحياء مجد الإسلام بإنهاض شعوبه وإعادة تشريعه ، وأن راية الإسلام يجب أن تسود البشر ، وأن من مهمة كل مسلم تربية العالم على قواعد الإسلام .
وأتعهد بأن أجاهد فى سبيل هذه الرسالة ماحييت ، وأضحى - فى سبيلها بكل ما أملك .

٦ - **أعتقد** أن المسلمين جميعا أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية ، وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعا .
وأتعهد بأن أبذل جهدى فى توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم .

٧ - **أعتقد** أن السر فى تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم ، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه ، وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون ، وأن فكرة الإخوان المسلمين تحقق هذه الغاية .
وأتعهد بالثبات على مبادئها والإخلاص لكل من عمل لها ، وأن أظل جنديا فى خدمتها أو أموت فى سبيلها . أ . هـ .

لم يشأ الإخوان أن يتركونا نشاهد ماعلى الجدران ثم ننصرف ... فأعدوا لنا على عجل بعض المقاعد أتوا بها من الغرف ووضعوها إلى جوار عبد المعز ، ثم دعانا الأخ بسيونى إلى الجلوس معهم . وماأن جلسنا حتى أخذ يخبرنا عن اسمه وعمله وعنوانه - كما فعلت فى التقديم السابق - ثم سأل كلا منا عن مثل ذلك فأخبرناه . وراح يسترسل فى شرح دعوة الإخوان ... ماهيتها وفكرتها وغايتها ووسيلتها ... الخ . وكنت أقول لنفسى طوال حديثه ومالنا وكل هذا ؟ أنا ماخرجت من بيتى لأسمع هذا الحديث . ولاحتى لأذهب إلى السينما ، فلا أنا ذهبت إلى السينما ولا أنا مكثت فى بيتى . ماذا يريد هؤلاء الناس ؟ الإخوان المسلمون !؟ يتحدث أخونا عن الإسلام وإعادة مجد الإسلام والاتصال بالله وتطهير النفوس ... فماذا يريدون منى ؟

كان الأخ بسيونى كلما أحس أنه سرح بنا فى الحديث يسألنا عما إذا كان حديثه معقولا وعما إذا كنا نوافق عليه ؟ وكان كل همنا أن ننتهى لننصرف ، فكنا

كلما سألنا وافقنا وأجبنا بالإيجاب . وأخيرا قال لنا :

« إذن مادمتم توافقون على فكرتنا وتتجاوبون مع مبادئنا فأنتم منا ونحن إخوانكم ! »

قلنا « كيف » ؟

قال « أنتم الآن من الإخوان المسلمين ، لأن الإخوان المسلمين هم الذين يؤمنون بما آمنتم به الآن » .

قلت « هل تريدون اشتراكا ؟ وكم مبلغ الإشتراك ؟ »

قال « لا ، لا ، إن المال لا يهمنا ، كل مايهمنا هو ذلك الإخاء الذى يرضى الله به عنا ، ولا يهمنا إلا هذا الاتفاق ثم أن نراكم بعد ذلك كثيرا ...

سرَّنا أن نصل إلى شىء ما ... إلى أى شىء نخرج به من هذه الشعبة . غير أنه قبل أن يختم حديثه دعا أحد إخوانه وطلب إليه أن يحضر لنا استمارات انضمام فملأها لنا ، وكانت تتضمن بيانات عن أسمائنا وأعمارنا وأعمالنا وعناوين بيوتنا . ووقعنا عليها ، وظننا أننا نستطيع أن نذهب .

ولما وقفنا لننصرف قالوا لنا إن عندهم محاضرة يسرهم جدا أن نسمعها وأن نحضرها معهم ، والتفوا حولنا كل يحبذ لنا حضور المحاضرة ويحسّنها لنا ويدعونا إليها ويكاد يدفعنا بيديه للدخول إليها . ومرة أخرى دخلنا غرفة المحاضرة . كانت فصلا من مدرسة رصت به القمطرات . وكان محاضر الليلة الشيخ محمد جبر التميمى . وحضر معنا تلك الليلة الأستاذ عبد السميع الغنيمى وكان معه نجله حسين .

مازلت أذكر تلك المحاضرة ، موضوعها وألفاظها . ولقد كانت مادة للتهكم بعد انصرافنا ، وقد أدار دفة التهكم زميلانا محمد هاشم وطاهر إذ كانا يتميزان بالفكاهة والمرح . وظلا طوال الطريق إلى منازلنا يضحكان على السينما التى أردناها فانقلبت إلى محاضرة فى السمع والطاعة ودرس فى المواعظ والاعتبار . لقد صرنا جميعا بعد ذلك إخوانا مسلمين ما خلا الزميل هاشم الذى لم يمكث بالإخوان إلا قليلا . أما تلك الليلة بالذات فقد ذهبنا وليس فى عزمنا أن نعود . إننا لم نؤمن بشىء ، وكل ماسمعنا فى ليلتنا تلك لم نأخذه بمأخذ الجد .

إصرار

ومضت أيام . ثم زارنى حسين فى منزلى ومعه خطاب لى من شعبة الظاهر يقولون إنى التقيت بهم وارتبطت معهم على هذه الفكرة ثم غبت عنهم وقد شغلهم غيابى (!) فإذا لم أزرهم فى وقت قريب فسيكون من واجب لجنة الزيارات بالشعبة أن تزورنى للاطمئنان علىّ .

غاظتنى فكرة أن تزورنى تلك اللجنة وأنا حتى ذلك اليوم لا أكاد أزور أو أزار . وبهذا الدافع وحده راودتنى نفسى أن أزور الشعبة مرة أخرى حتى لايزورنى أحد . لم أكن أكره الإخوان ولم أكن منكرا لدعوتهم ، غير أنهم كانوا يعاملوننى بخلاف ماألفت ، فاتفقت مع حسين على موعد نذهب فيه معاً إلى شعبة الظاهر بالسكاكينى .

وفى الموعد كنا هناك . صلينا المغرب ثم مدت لنا الحصر تحت تكعيبة العنب فجلسنا ، وكنا نحوا من أربعين طالبا أترابا فى السن ، أقرانا فى الدراسة ، أشباها فى كيف الحضور . ومازلت أذكر من تلك المجموعة من دخل معى الجماعة وسرنا معا بعد ذلك فى صفوف الإخوان . كان محاضر الليلة الأستاذ محمد الخضرى وكان نائب الشعبة – يعنى رئيسها بلغة الإخوان – كان الخضرى دفاقا بالحماس ، فياضا بالمعانى الروحية ، غزير المادة ، مؤثرا إلى حد كبير فى سامعيه . وكان حَديث الليلة يدور حول الأمل والاطمئنان إلى نصر الله ، وأننا لسنا يائسين مع سوء حال المسلمين وانصرافهم عن شريعتهم من أن نعيد مجد الإسلام وأن نرشد المسلمين إلى أنوار دينهم وأضواء إسلامهم ومنهل ربهم ، وأننا لسنا صغارا كما قد نظن بأنفسنا بل إننا كبار وكبار جدا . فلئن كنا صغار السن فإننا كبار القلوب والله تبارك وتعالى يقول فى حديثه القدسى الذى يرويه عنه نبيه صلوات الله وسلامه عليه « ماوسعتنى أرضى ولاسمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن . » فنحن كبار برضاء الله عنا ، ونحن كبار باتصالنا بهذه الدعوة التى كتب الله النصر والعزة لأصحابها « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون . » « إنا لننصر رُسُلَنَا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . » « ومالنصر إلا من عند الله » . فمفتاح النصر بأيدينا « إن تنصروا الله

ينصركم ويثبت أقدامكم » . وإنه من التفريط فى حق هذه النفوس الكبيرة أن تستصغر شأنها ، ومن الإسفاف فى جنب أنفسنا أن نستهين بها ، أو أن نقبل العيش على هامش الحياة غثاء كغثاء السيل ، أو زبدا يذهب جفاء ، بينما يتصدر للتصرف فى البلاد والعباد ألواث الناس وأحطهم وكل أبتر من هدى الله .

وعيت كل كلمة قالها الخضرى فغاصت إلى أغوار قلبى وأعماق نفسى ، حتى أنى أعتبر تلك الليلة بل هذه اللحظات بالذات هى موضع التحول الحقيقى فى اتجاهى كله . لقد كان يحدثنا بآيات الله وأحاديث رسوله وحاشا لله سبحانه وتعالى أن يرسل رسوله بإفك من القول وكذب من الحديث ولغو باطل من الوعود .

وقبل أن ننصرف من ذلك الدرس الموفق حقا وزعت علينا قصاصات من الورق ليكتب كل منا خواطره أو مابدا له أو أى اعتراض أو اقتراح أو استفهام وليس بلازم أن يكتب اسمه ، وأفهمونا أن ملاحظاتنا سوف تكون محل اهتمام واعتبار . وكنت قد أتعبنى طول الجلوس على الحصيرة أكثر من ساعة ونصف فآلمتنى الجلسة التى لم أعتدها ، وكانت هذه هى خاطرتى التى سطرتها ولم أوقع باسمى . وبعد نحو من عام — وكنت قد صرت من صميم الإخوان — علمت أن هذه القصاصة قد نوقشت فى مجلس إدارة الشعبة وانقسم المجلس بشأنها ، ففريق رأى أن الجماعة لاتستجدى الهداية للناس فمن شاء أن يحضر ويجلس على الحصير فبها ، ومن ترفع وتكبر وطغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى (!) ولا حاجة بالشعبة إليه . بينما رأى فريق آخر أنه يلزم لا نتشار الدعوة اجتذاب الناس بالحسنى والحكمة والقول اللين ، فإذا كان بعضهم يتعبه الجلوس على الأرض فلا ضير من أن يجلس على الكراسى وهى متوافرة بالشعبة . جلست بعد عام مع جمع من الإخوان نتذاكر لقاءاتنا الأولى فذكرت أمر القصاصة ، فهب واحد منهم يقول « أنت صاحب القصاصة ؟ » قلت « نعم » قال « لقد كان من أمرها كذا وكذا ، وكنت حينذاك من المتمسكين بفكرة الحصر ، ولكنى الآن أؤمن بالكراسى ، إذ لولاها لربما كنا قد فقدناك » . أما فى حينها فقد جمع الإخوان بين الرأيين ، وفى الليالى التالية فرشوا الحصر ورصوا الكراسى والدكك من حولها ، فمن شاء أن يفترش الحصر فعل ، ومن شاء القعود على المقاعد جلس دون كلفة .

أردت بهذه القصة أن أُبين عن نوعى التفكير والعقلية اللذين كانا بالإخوان فى حينها بل وربما فى كل أحيانها بعد ذلك ، النوع اللين المرن والنوع الصلب المتمسك .

وتوالت الليالى وتعاقبت أتردد على دار شعبة الظاهر للإخوان المسلمين بالسكاكينى ، وكانت تبعد عن منزلنا نحو نصف ساعة سيرا على الأقدام . وبدأنا نتلقن معانى الدعوة ونتذوقها معنى بعد معنى من محاضرات الخضرى المستمرة كل ليلة تقريبا ، فإذا غاب الخضرى لسبب أو لآخر ناب عنه أى من إخوان الشعبة وكان منهم من يجيد الحديث ومنهم من لا يجيده ، وهذا الصنف الأخير كان يعتمد على كتاب من الكتب أذكر منها رياض الصالحين وإحياء علوم الدين . وكانت أحاديث الليالى هذه تتناول الإسلام كفكرة ربانية ورسالة من الله لمن خلق على سطح الأرض ، وعن الجهاد فى سبيل الله ، وعن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعن الحب فى الله والتآخى عليه والتزاور فيه ، وعن مجالس الذكر والعلم وفضلها وأدبها ، وعن البذل لله ، وعن التمسك بشرع الله وأخذ الأنفس بسنة نبيه ، وعن قيام الليل وإتقان الصلاة وصيام النهار ، وعن غضِّ البصر وحفظ الفرج ... وعن ... وعن ... محصول ضخم من معانى الإسلام الرحب الفسيح الذى أحاط بكل شىء وتناول كل نواحى الحياة ، وصدق الله العظيم « مافرطنا فى الكتاب من شىء » .

مع الدعوة

أين كنا من كل هذا ؟ وكيف غفلت الأمة هذه القرون الطوال عن رسالتها التى ختم الله بها الرسالات جميعا ؟ أخذت أسترجع ذلك كله – كلما رجعت من الشعبة – طوال الليالى حتى مطالع الصبح ، أتأمل تلك الأهداف التى حددها الإخوان فى اختصار جامع وتركيز دسم ...

تكوين جيل مسلم من الناس يفهم الإسلام فهما صحيحا ويطبقه على نفسه ...
تحرير الوطن الإسلامى العام من كل سلطان أجنبى ...

إقامة دولة مسلمة فى هذا الوطن الإسلامى تطبق أحكام الله وسنة نبيه ﷺ .

هذه هى الأهداف الثلاثة التى ينتظمها جميعا مبدأ من كلمتين :

« الله غايتنا »

عرفنا الإسلام نظاما شاملا للحياة جميعا فهو دعوة ودولة ، عبادة وقيادة ، مصحف وسيف ، جيش وفكرة ، وهو عقيدة صادقة وثقافة وقانون ، ومادة وثروة ، ورحمة وعدالة ،. .

سبحان الله .. شتان مابين حقيقة الإسلام ولبه ، ومازحم الطرقات من مواكب الصوفية ودجل أهل البدع . لقد كانت أذهاننا قبل ذلك تخلط خلطا غير صادق وهو أبعد مايكون عن الواقع والحق — بين الإسلام كرسالة وعقيدة وبين التمائم والرقى ، فعرفنا أن ليس فى الإسلام تمائم ولارمل ولاودع وليس فيه رجال للدين وآخرون للدنيا ، وإنما كل المسلمين أمام الله سواء ، وكل المسلمين رجال دين وكلهم رجال دنيا ، فالمسلم مطالب أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غدا . ورسول الله ﷺ يعلّم أمته فيقول « ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه ولكن من أخذ من هذه وهذه . » وكتاب الله تبارك وتعالى ينطق بالحق فيقول ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض .** ﴾ فالإسلام ينكر أشد الإنكار انقطاع قوم للعبادة والصلاة فى الخلوات والتكايا ، وانطلاق الآخرين للعربدة والتسكع والاغتراف من ملذات الدنيا ومباهجها . فلا يقرب العبد من ربه غير عمله ، فلا وساطة من علماء ولامن صالحين ، سواء كانوا أحياءً أو أمواتا ، فالتوسل بغير الله جهل وضرب من الشرك ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى .** ﴾ فكلنا رجال دنيا وكلنا أيضا رجال دين .

عرفنا أن لب الإسلام عقيدة التوحيد فلا يقبل الشرك من أى نوع أو لون . ولقد كان الرسول ﷺ كثيرا مايدعو « اللهم إنى أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه . » فلا عبادة أوثان ولا عبودية لأشخاص ولا انصياع لهوى . فالاستخذاء للكبراء والانحناء للحكام ليس من الإسلام ، يقول ﷺ « لاتقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا . » ونهى عن تشييد الأضرحة والصلاة إليها ولو كان المدفون بها نبيا من أنبياء الله ، وقال « لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وحرّم صناعة التماثيل للسبب ذاته . كما اعتبر الإسلام

اتباع الهوى خلافا لشرع الله نوعا من الشرك فقال ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة** ﴾ .

كانت الشعبة مدرسة غاية فى البساطة ، ولكنها كانت تُلقى من الدروس أجلها وأعظمها . ولقد عرفنا أيضا أن الدين يؤخذ من نصوصه ، وأن كل محدثة بدعة وأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . وفى النص القرآنى ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ . فمن آمن بهذه الدعوة ورضى العمل لها فليكن مستعدا للبذل والتضحية .. التضحية بماله وبنفسه ودمه وروحه وبراحة باله وطمأنينة حاله ، وبحاجة آله ووالديه وعياله ... عليه أن ينظر إلى هذه الدنيا كشجرة استظل بها ثم تركها ومضى ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** ﴾ .

فاروق

أجلت فكرى فى هذا .. فوجدت أن الغاية العليا والمثل الأسمى لعامة الناس الذين يعملون لغاياتهم « باستقامة » هى لقمة العيش . وهى نفس الغاية التى لا تتعداها أذهان الأنعام وقلوبها . لقد كنا فى طريقنا إلى السينما حينما سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا . وأدركنا أن سابق أيامنا كانت ضياعا يأباه الله على عباده ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبماكنتم تدرسون** ﴾ .

عرفنا أن ستقف فى وجوهنا طواغيت الأرض جميعا ، كما وقف من قبل فرعون وهامان والنمرود وطغاة قريش لرسالة الحق والهدى . واليو م ماأكثر الطغاة وماأكثر الطواغيت . هذه قوى الاستعمار والصهيونية والصليبية والخيانة والجهالة ممن يزعم الإسلام .. كل ذلك سوف يلبس لنا أردية الإباحية والإلحادية والنفاق والاستبداد والاضطهاد وسيف المعز وذهبه ... وليس معنى ذلك أن ستقف تلك القوى فى سبيل الدعوة بعيدا عنا ، فقد صرنا نحن الدعوة والدعوة نحن ، وإن تحطيم الجماعة يستلزم تحطيمنا بأشخاصنا وأجسادنا .. كل ذلك ذكره لنا أساتذتنا من

الإخوان فاستخففنا به واستهنا ، وقبلنا أن نواجه كل أولئك بما ندرى ومالا ندرى مما سوف يجيئوننا به ، وعلى وجوهنا بسمة الرضا ، وملء قلوبنا حرارة الإيمان وبرد اليقين ، فلئن كانت تلك القوى فى أعين الناس كبيرة فالله أكبر وأجل .

ولم لا ؟ وماذا علينا وقد آمنا ؟ وأى ضر ينتظرنا ؟ القتل شهادة ، والسجن خلوة ، والنفى سياحة ، والتشريد هجرة ، فماذا ؟! كل عذاب بأجره وكل ثبات بثوابه فمرحبا بالآلام .. وبالابتسام .

كنا نعيش فى بلد يجثم على أنفاسه الاحتلال الإنجليزى ويتولى أموره ملك فاسد وحكومات هزيلة ضعيفة بعدت عن الإسلام كل بعد .

أمـل

كانت آمالنا لاحدود لها ، فكنا نؤمل كل شيء . نؤمن أن دعوتنا ستنتصر وأننا سوف نهزم جميع أعدائنا وخصومنا وكل من تحدثه نفسه أن يقف فى سبيلنا المقدس .

قرأ بعض الإخوان خبرا من جريدة يومية أن طائرات الألمان شنت غارة على لندن وأنها أصابت البرج الشهير لساعة بج بن Big Ben بقنابلها ... وكان يجلس الشيخ عبد اللطيف الشعشاعى – وكان رجلا ضريرا من كرام الإخوان – فبان عليه الحزن الحقيقى والأسى . فعجبنا ، وسأله سائلنا عما به وعما يهمه من أمر بج بن ؟ فقال بلهجة كلها الجد « كنت أريد أن أؤذن من فوق ذلك البرج يوم فتح لندن ! » قلنا بمرح ودعابة « فأذّن من فوق غيره ! » قال فى إصرار « كنت أريد أن أؤذن من فوق هذا » . ضحكنا .. غير أن أعماقنا كانت تقول « ربما .. فمن يدرى ! » لعلنا فى يوم نفتح لندن !!

هذا الأمل الواسع العريض كان مستمدا من الثقة بالله . وامتلأت قلوبنا بأن القوة لله جميعا ، وأن جميع قوى الأرض تهون أمامنا إن حاولت أن تنال من عقيدتنا ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ ومادمنا ننصر الله فالله ناصرنا . ولقد كان الاستاذ

المرشد عليه رحمة الله يستشهد بالتاريخ على تعبيره الجميل « أحلام الأمس حقائق اليوم وأحلام اليوم حقائق الغد » .

كنا نحيا بعقيدتنا ونأمل الخير فيها وندعو الله أن نموت عليها ، ونحس فيها بكل متعة وجمال وسعادة ، ونأسى لإخواننا المسلمين الذين لم يروا مارأينا ولم يؤمنوا بمثل ماآمنا به ، وكنا نقول لمن يريد أن يثبط فينا هذا الأمل :

منى إن تحققت تكن أعذب المنى وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا .

هذه مهمتنا

لقد ذكر الاستاذ المرشد آية من كتاب الله وصفها فى رسالة « إلى أى شىء ندعو الناس » بأن الله لخص فيها مهمة المسلم فى الحياة ﴿ **يَأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وماجعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل . وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس . فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير** ﴾ . ثم عقّب على الآية فقال « هذا كلام بيّن لا لبس فيه ولا غموض . ووالله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لواضح كالصبح ظاهر كالنور ، يملأ الآذان ، ويدخل على القلوب بغير استئذان ، فهل لم يسمعه المسلمون قبل الآن ؟ أم سمعوه ولكن على قلوب أقفالها فهى لا تعى ولاتتدبر ؟! » . ثم يقول « أيها المسلمون ، عبادة ربكم والجهاد فى سبيل التمكين لدينكم وإعزاز شريعتكم هى مهمتكم فى الحياة . فإن أديتموها حق الأداء فأنتم الفائزون وإن أديتم بعضها أو أهملتموها جميعا فإليكم أسوق قول الله تبارك وتعالى ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق** ﴾ .

ولهذا كان من أوصاف صحابة الرسول ﷺ « رهبان بالليل فرسان بالنهار » يقوم ليله فى محرابه يقول : يادنيا غرى غيرى ، فإذا دوى نفير الجهاد رأيته على صهوة جواده يصول ويجول ويفلق الهام .



الأستاذ حسن البنا

ويستمر الاستاذ فى شرح فكرته فيقول : إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادىء تحتاج من الأمة التى تحاول هذا أو من الفئة التى تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور

إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف

ووفاء ثابت لايعدو عليه تلون ولا غدر

وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل

ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره .

على هذه الأركان الأولية التى هى من خصائص النفوس وحدها ، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادىء وتتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حُرموا الحياة زمنا طويلا .

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربع ، أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الإصلاح فيه ، فهو شعب عابث مسكين لايصل إلى خير ولا يحقق أملا . وحسبه أن يعيش فى جو من الأحلام والظنون والأوهام « إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » ، هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴿ **إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم** ﴾ .

هكذا كان يهزنا ذلك الأستاذ المربى العملاق ليوقظنا من سبات هذه الأمة العميق . إنه لاينكر أهمية الإعداد المادى من المال والعتاد وآلات الحرب والقتال – وهو قد أعد منها مااستطاع – ولكنه يرى ، ورأيه الصواب ، أن أهم منه وألزم القوة الروحية من الخلق الفاضل والنفس النبيلة والإيمان بالحقوق ومعرفتها والإرادة الماضية والتضحية فى سبيل الواجب والوفاء الذى تنبنى عليه الثقة والوحدة ، وعنهما تكون القوة .

الانسان روحا وخلقا هو البداية وهو النهاية . ومازالت أزمتنا فى النصف الثانى من الثمانينيات أزمة أخلاق . ليس خروجا أن أعبر أحد عشر عاما ... حين استتب الأمر للثورة وتسلطن جمال عبد الناصر ، راح يسأل رؤساء أحزاب مصر عن رأيهم

فى الإصلاح من أين يبدأ ؟. ووجه هذا السؤال إلى الأستاذ حسن الهضيبى مرشد الإخوان ، فأجابه أن الإصلاح لابد أن يبدأ بالأخلاق . وكانت هذه الإجابة الصحيحة الواعية صدمة لجمال .

قال : لا ... هذا طريق طويل لاننتظره .

قال الأستاذ الهضيبى : فماذا تريد ؟

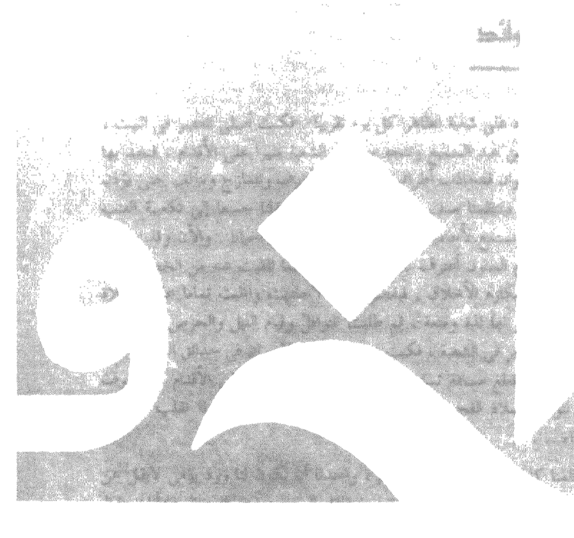
قال جمال : أريد أن أضغط على زر فيحدث ماأريد !

ويمضى الزمن خمسة عشر عاما وتأتى الهزيمة المنكرة عام ١٩٦٧ ويقف جمال خطيبا وقد نسى ماقال من قبل فيقول : ماذا أصنع ؟ لا أستطيع أن أضغط على زر فيحدث ماأريد .

هذا الذى جهله جمال رئيسا تعلمناه صغارا على مائدة الإخوان . لم ننسه وأرجو ألا ننساه وأرجو كل من يتصدر لدعوة الإسلام أن يأخذ نفسه به .

معان كثيرة كثيرة .. كلها كانت جديدة على عقولنا وأذهاننا . لم تتفتح لها قلوبنا قبل أن يبصرنا بها الإخوان . وإنها لمعان ضخمة وجليلة ، لو ذهبنا نتحدث عنها لاتسعت أمامنا الصفحات ولخرجنا بهذه السطور عن مقصودها . وهى وفيرة فى رسائل الإخوان التى كتبها الاستاذ المرشد رحمه الله وفى خطاباته ، نجدها فى رسائل « التعاليم » و « بين الأمس واليوم » و « تحت راية القرآن » و « دعوتنا فى طور جديد » و « رسالة المؤتمر الخامس » و « المؤتمر الدورى السادس » و « مشكلاتنا فى ضوء الإسلام » و « الجهاد » و « دعوتنا » و « إلى أى شىء ندعو الناس » و « نحو النور » و « إلى الشباب » وفى كل ماكتبه أو كتبته له جريدة الإخوان اليومية أو مجلتهم الأسبوعية التى كانت تصدر إلى عام ١٩٤٨ . كما تابعت جريدة « الدعوة » الأسبوعية نشر كلماته وكتاباته منذ بدء صدورها فى عام ١٩٥١ بعد محنة الإخوان الأولى واستشهاده رضوان الله عليه حتى عام ١٩٥٤ .





الفصل الثاني

في شعبة الظاهر

علوم وفوائد

صرت أتردد على شعبة الظاهر كل يوم تقريبا . فكنت أصلى العصر فى البيت ، ثم ألتقى وحسين عبد السميع ونتجه معا إلى الشعبة سيرا على الأقدام ، فنجد بها أقراننا من الإخوان فنتجاذب أطراف الحديث ونتعارف ونتمازج ونتآلف حتى يؤذن مؤذن المغرب فينتظمنا صف الصلاة . فإذا فرغنا انتقلنا جميعا إلى تكعيبة العنب فجلسنا تحتها نستمع لأحاديث الخضرى غالبا أو غيره أحيانا . والآن وقد مضت على تلك الأيام السنون أعترف للأستاذ الخضرى بما تلقيت عنه من الخصال التى ترضينى ومن مكارم الأخلاق . فبفضل تلك الأحاديث واظبت تماما على الصلاة وبدأت استشعر لها لذة ومتعة ، ثم طلبت النوافل وقيام الليل والحرص والمداومة على صلاة الفجر فى الشعبة ، فكنت ومن معى من الإخوان فى حدائق القبة نواظب كل يوم على قطع مسافة تستغرق منا نصف ساعة سيرا على الأقدام فى جوف الليل لنؤدى صلاة الفجر مع إخواننا فى الشعبة . وسيان عندنا تقلب الصيف والشتاء . . .

تعلمنا كذلك تلاوة القرآن الكريم ، واعتدنا أن يكون لنا ورد يومى لايقل عن جزء — وكثيرا ماكان يزيد — ثم تعدينا ذلك إلى ورد آخر للحفظ فبدأنا نحفظ من جزء عم ومن سورة الأنفال ، ثم استمر الحفظ من شتى سور الكتاب الكريم .

وأحسبنى تعلمت أيضا من الخضرى شجاعة الرأى وصراحة القول والاعتراف بالخطأ عن طيب نفس ، والدأب والمداومة على العمل والإخلاص لله والصدق فى القول والحب والإخاء فى الله . كان فى نحو الأربعين وكنت فى نحو السادسة عشرة ، وكنت أتوق إلى المُثُل وأتعلق بما أراه منها وأعشق السمو وأصبو إليه . ذهبت يوما إليه فى منزله ، وكنت قد اعتدت أن يفتح لى غرفة الضيوف فأدلف

إليها ، فلما هممت بالدخول هذه المرة اعترضنى بجسمه وقال : « معذرة ! لاأريد أن تدخل ... ليس بها نساء ، بل هنا إخوان ولكن لاأريد أن تراهم » قال تعالى ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ » لم تصدمنى هذه المقابلة ولم أجد بها أى إساءة بل سرنى مافيها من صراحة وصدق واعتبرته درسا أضيفه إلى محصولى . كنت اعتبر نفسى تلميذا أطلب العلم والأدب ، ثم راق لى أن أمضى حياتى على هذه الوتيرة .. أطلب العلم وأنشد الأدب . وتصارحنى نفسى من داخلى أنى قد توقفت بأحاسيسى ومشاعرى وشبابى وفتوتى عند ذلك العمر .

غنمت كذلك الإخاء الكريم الذى نشأ بينى وبين إخوانى بالشعبة . أحببتهم كثيرا وأحبونى ، وكنا كثيرا مانتزاور فى البيوت . وقد خرجت بهذا عن عزلتى إلى الروح الاجتماعية ، وتحولت من شخص انطوائى إلى شخصية اختلاطية ، وإن كان ذلك الاختلاط ظل حبيسا فى محيط الإخوان . وللإخوان طابع خاص تميز به مجتمعهم ، فهم ذوو خلق قويم ، لاتسمع بينهم الكلمات الخارجة ولا الألفاظ النابية ، وكانوا جميعا متعاونين على البر والتقوى ، فإذا حل وقت الصلاة قاموا جميعهم إلى صلاتهم ، فإذا كان بأحدهم حاجة إلى تجديد وضوئه لم يكن ثمة ضجر ولاحرج أن يحضر له صاحب الدار القبقاب ويخلى له الطريق إلى دورة المياه . وهم متصارحون فكلٌ يذكر لإخوانه ظروفه الخاصة . وهم متكافلون على أعباء الحياة ، يحمل بعضهم كَلَّ بعض . وهم متحابون يستشعرون لإخائهم ثوابا وجزاء . وهم سواسية كأسنان المشط رغم تفاوت مستوياتهم وأعمارهم ، يجلسون جميعا متجاورين ، ويتحادثون بغير كلفة ، لا فارق بين الطبيب وبائع الخبز والمهندس وصانع الأحذية والطالب والموظف ومجند الجيش .

لكل هذا تميز مجتمع الإخوان عن غيره من المجتمعات . وكان هذا هو المجتمع الذى صرت شخصية اجتماعية فيه . أما غيره من المجتمعات فربما كنت لاأقوى على الاندماج فيها . هذا المجتمع دخل طرفا ثالثا فى حياتى بين البيت والمدرسة ، بل لقد كان هو الطرف الأول . ولم تطل فترة المدرسة . فقد أنهيت تعليمى الثانوى والتحقت بكلية التجارة بجامعة فؤاد الأول بالجيزة عام ١٩٤٢ فاتصلت بالإخوان بها أيضا .

معذرة لهذه السطور ، وقد كان بودى لو أغفلتها ، غير أنى حرصت على ألا أسقط من هذا التسجيل أهم وأبرز خصائص دعوة الإخوان المسلمين ، وهى أثرها فى جيل الشباب في عهدها . فحين أذكر هذه الآثار على نفسى إنما أقدم نموذجا واحدا من عشرات الألوف . هذه الروح الدفاقة التى بعثتها الدعوة فى قلوب الشباب والرجال كانت هى سر الإخوان المسلمين الأكبر الذى كمن وراء كل شىء آخر يتصل بالإخوان وبنشاط الإخوان . هذا السر هو الذى انفرد به – بدون شك – الإخوان عن أى تكوين معاصر آخر حزبى أو شيوعى أو غير ذلك .

ارتباط وعمل

هذا المجتمع الحلو الجميل لم أعد أحتمل البعد عنه ، فقد وجدت فيه عذوبة ومتعة ، ووجدت فيه إخواناهم أحب إلى نفسى من نفسى ، ثم هم وسيلتى إلى الله يوم تدنو الشمس من الرءوس فنستظل بظل الله يوم لاظل إلا ظله . ففى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله بظله يوم لاظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » . [متفق عليه]

أدركت ماتتطلبه الدعوة من عمل وكد فكنت لها عاملا من اليوم الأول . وكان العمل الأول موجها إلى شخصى فدأبت عليها أروضها وأزودها بحاجتها من التحصيل ، وكان لهذا التحصيل شُعَبٌ ثلاث : المحاضرات والقراءة والحفظ ، وكانت أكثرها الأولى كما كانت أقلها الثانية فى الأعوام الأولى ثم مازالت تنمو ملكة القراءة والاطلاع بمرور الزمن .

فى الجوالة

واتجهت عناية الجماعة إلى الجوالة ، وجاءت أوامر المركز العام بأن كل أخ يستطيع أن يكون جوالا فليكن . كنت أرى طوابير الجوالة واجتماعاتهم بالشعبة فلم تكن تعجبنى ولم يكن يروقنى مابها من أمر ونهى « وعسكرية » ، وكنت أرى

فى هذا جفافا وجفاء . ولقد دعيت مرارا إلى الانخراط فى سلكها فأبيت حتى إذا كانت المسألة تعليمات دخلت فيها . وتكونت لنا عشيرة من عشرة من الإخوان الطلاب سميناها عشيرة خالد بن الوليد . وكان كبيرها يلقب رفيق العشيرة ، بينما كانت مجموع العشائر كلها فى الشعبة تكون الرهط ، وكبير الرهط المسئول عنه يلقب زعيم الرهط . واختارونى أمينا لصندوق العشيرة . مازلت أذكر ذلك الصندوق الذى كنت أمينه .. كان صفيحة دواء صغيرة وكان به يوم تسلمته خمسة وعشرون مليما . فبدأت مهمتى بفتح باب التبرع لتدعيم مالية العشيرة وارتفع رصيد الصندوق إلى أحد عشر قرشا . ثم اتفقنا أن يكون الاشتراك الشهرى للجوالة قرشين ، يأخذ الرهط منه نصف قرش ويبقى قرش ونصف للعشيرة .

مع هذه الجوالة خرجت فى بعض الرحلات وسرت فى بعض طوابير الاستعراضات فى المناسبات المختلفة ، كما اشتركت فى بعض المعسكرات وتلقيت بعض الدروس الكشفية . والواقع أن جوالة الإخوان كانت قليلة العناية بهذه الدروس بسيطة الخبرة فيها ، وكان جل همها من هذه الناحية ينصرف إلى المظهر ، ولقد كان هذا مقصودا ، فقد أصبحت الجوالة من أبرز وأهم أساليب الدعاية للجماعة .

كنا ندفع اشتراك الرهط وكنا ندفع غيره اشتراك الشعبة . وكان غالبا فى حدود خمسة قروش ، وقد بدأنا سداد ذلك الاشتراك من تلقاء أنفسنا دون أن يطالبنا به أحد بعد أن شعرنا أن دعوتنا يعوزها المال وأن لامورد لها إلا جيوبنا . ومن باب ذكر الحق .. ماشعرنا أبدا أن المال عقبة قامت فى سبيلنا فى ذلك الوقت ، فأى مبلغ كنا نحتاج إليه لأى وجه من وجوه النشاط أو لشراء شيء من لوازم الشعبة كان يتم جمعه فى أى جلسة من الجلسات تطوعا من الحاضرين فى تسابق وعن طيب نفس .. فقط يذكر الأخ المسئول أن الشعبة فى حاجة إلى مبلغ كذا فيدفع كل حسب مقدرته .

ولنعد إلى ذكر الجوالة ، فمازلت أذكر تلك الطوابير ، الإستعراضية الضخمة التى كان يتراوح عدد المشتركين فيها بين الستة آلاف والعشرة آلاف جوال ... كنا ننتهز الفرص لإجراء هذه الاستعراضات فى الشوارع . لم تكن تلك المناسبات مقصودة لذاتها دائما ، وإنما كانت ذريعة ، وكان بيت القصيد إظهار قوة الجماعة

انتقدت إحدى الجمعيات
الإسلامية الجوالة على أساس
أن أفرادها يرتـدون
البنطلون القصير الذى
يكشف عن الركبة ،
فنشرت هذه الصورة
للأستاذ حسن البنا





أحمد عادل كمال ١٩٤٢

ومظهرها العسكرى ولفت النظر إلى أن الجوالة بالذات هى القوة العسكرية للجماعة ، وفى هذا صرف للنظر عن التشكيل الجدى الذى أعد سرا وفى كتمان تام بعيدا عن مظهريات الجماعة وهو « النظام الخاص » وسوف نعرض له إن شاء الله .

أصيب الملك فاروق فى حادث تصادم بين سيارته الخاصة وإحدى سيارات الجيش البريطانى بالقرب من قرية القصاصين بمديرية الشرقية ، ولزم فاروق المستشفى هناك للعلاج فترة ، ثم رجع إلى القاهرة فى احتفالات عامة ، وكانت فرصة يستعرض الإخوان فيها جوالتهم . وزار الملك عبد العزيز آل سعود مصر فكانت مناسبة أخرى لاستعراض آخر بدأ من شعبة الظاهر بالسكاكينى إلى سراى الزعفران – قصر الضيافة فى حينه – فاستعرضها من شرفة القصر ، وكان يقف إلى جواره الأستاذ أحمد السكرى الوكيل العام للإخوان حينذاك ، بينما اندس الاستاذ المرشد بين زحام جماهير الناس التى ملأت الطرقات يشاهد الاستعراض معهم ! ثم رجعت الطوابير سيراً على الأقدام وينظم خطوها دق الطبول إلى سراى عابدين فالمركز العام بالحلمية الجديدة حيث انصرف الإخوان الجوالة . اشترك فى هذا العرض عشرة آلاف جوال كانوا يسيرون سداسيات ، كل رهط يتقدمه علم الإخوان الأخضر ذو المصحف الأحمر والسيفين وعليه اسم الرهط ، وكانوا يحملون المشاعل إذ كان استعراضا مسائيا أدركه الليل . وكان الطابور الضخم يتحرك بأوامر تلقى من ميكروفون محمول على سيارة . وكان يشرف على قيادة هذه الطوابير غالبا الأخوان سعد الدين الوليلى وعبد الغنى عابدين .

وأذكر عرضا آخر اتجه من المركز العام إلى السفارة السورية فى الزمالك ثم رجع إلى المركز العام ، بمناسبة عيد استقلال سورية كان ذلك فى ١٧ أبريل ١٩٤٦ وشهد العرض فضيلة المرشد العام مع جميل مردم سفير سوريا فى مصر آنذاك . كذلك كانت تجرى أمثال هذه الاستعراضات فى بعض المناسبات التى اعتاد الإخوان الاحتفال بها ، مثل ذكرى المولد النبوى الشريف أو عيد الهجرة أو الإسراء والمعراج ، كما كانت تحدث أحيانا – كما ذكرنا – فى مناسبات كعيد ميلاد الملك أو عيد جلوسه أو ما شاكل ذلك .

وكانت الاستعراضات تحدث أيضا بمناسبات عقد المؤتمرات الدورية العامة أو الشَّعبية للإخوان . وأحيانا كانت تقام استعراضات محلية لمنطقة من المناطق في حى من الأحياء ، دعاية للفكرة به ، أو بمناسبة افتتاح شعبة جديدة ، أو لاحتفال الشعبة بذكرى غزوة بدر مثلا .

وكنا فى استعراضاتنا هذه يحين علينا وقت الصلاة فنميل إلى مسجد قريب نؤدى فيه الفريضة ثم نعود كل إلى مكانه من الصف بنظام دقيق وسرعة عجيبة ، فإذا أدركنا الوقت بعيدا عن أى مسجد كنا نأخذ جانبا من الطريق أو أرض فضاء فنقيم فيها الصلاة .

فى الكتيبة

كان النظام التشكيلى للإخوان الذى وجدتهم عليه حين عرفتهم يقوم على الاجتماعات اليومية غير محدودة العدد فى الشعبة أو المركز العام . كما كان يقوم على نظام الكتائب .

والكتيبة عند الإخوان اجتماع مجموعة مختارة من الإخوان يبلغون الأربعين عددا فى دار من دور الإخوان (شعبة أو المركز العام أو بيت مناسب من بيوت الإخوان) وكان يحضره الاستاذ المرشد العام . وهو نظام تربوى بدأ عام ١٩٣٧ قبل اتصالى بالإخوان بسنوات خمس .

وكتب الأستاذ لنظام الكتائب رسالة « المنهج » ، حدد فيها مراحل العمل وتكوين الكتائب . وأتذكر من مراحلها أن يصل أفرادها إلى اثنى عشر ألفا « ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة » ويؤسفنى أن ليس تحت يدى الآن نسخة من هذه الرسالة ، إذ إن النسخة الوحيدة التى كنت أملكها قد استولت عليها النيابة العامة فى تحقيقات قضية السيارة الجيب ولم يتيسر لى غيرها ، فإن ذلك المنهج لم يقدر له أن يأخذ طريقه العملى ، ويبدو أنه كان عنيفا إلى حد ما ، فسحبت قيادة الإخوان هذه الرسالة من أيديهم ، وقد كانت رسالة خاصة لأتُباع .

ثم كتب الأستاذ رسالة أخرى هى رسالة التعاليم ، وكان العنوان الذى على

غلاف طبعتها الأولى « التعاليم ، منى إلى إخوان الكتائب » . كتبها ليوحد بها أفهام الإخوان على ضوابط معينة ومعلومة ، وقد صدرها بقوله :

أما بعد .

« فهذه رسالتى إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسية فكرتهم وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها ، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة ، وهى ليست دروسا تحفظ لكنها تعليمات تنفذ ، فإلى العمل أيها الإخوة الصادقون وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . »

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات وكتب ومقالات ومظاهر وإداريات ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ، وكلا وعد الله الحسنى .

ثم قال :

« أيها الإخوان الصادقون . أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها : الفهم ، والإخلاص ، والعمل ، والجهاد ، والتضحية ، والطاعة ، والثبات ، والتجرد ، والأخوة ، والثقة » .

ثم شرع يشرح كل ركن من هذه الأركان فطلب إلى الإخوان أن يفهموا الإسلام فى حدود عشرين أصلا موجزة كل الإيجاز ، مضمونها أن الإسلام نظام شامل فهو جيش وفكرة وحكومة ومسجد وعبادة وقيادة ، وأن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم يفهمهما طبقا لقواعد اللغة العربية ، وينكر الإلهام والكشف كمصادر للتشريع ويعتبر التمائم والكهانة منكرا يجب محاربته ... وهكذا استطرد حتى أكمل عشرين أصلا هى إيجاز الإسلام كله .

ثم تناول الركن الثانى فتكلم عن الإخلاص وأبان أن الأخ المسلم يقصد من عمله كله ابتغاء وجه الله دون نظر إلى تقدم أو تأخر أو مغنم .

وذكر أن مراتب العمل المطلوبة من الأخ أن يصلح نفسه ، وأن يكون البيت

المسلم بحمل أهله على احترام فكرته ، وإرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه ، ثم تحرير الوطن الإسلامى من أى سلطان غير مسلم ، وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق فإذا قصرت فالنصح والإرشاد ثم الخلع والإبعاد ولاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وبعد ذلك إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه .

وانتقل إلى ركن الجهاد فذكر أن أول مراتبه إنكار القلب وأعلاها القتل فى سبيل الله .

وشرح التضحية بأنها بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شىء فى سبيل الغاية ، ولاتضيع فى سبيل فكرتنا تضحية ،من قعد عن التضحية معنا فهو آثم .

ثم ذكر مقصوده بالطاعة فقال إنها امتثال الأمر وإنفاذه تواً فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وقال إن الطاعة غير لازمة لمن كان فى مرحلة التعريف بالدعوة بقدر مايلزم احترام المبادىء العامة للجماعة ، ولكنه ألزمها على من كان فى مرحلة التكوين ، كما جعل « كمال الطاعة » من كفالات النجاح فى مرحلة التنفيذ ، حيث حدد مراحل العمل بالتعريف والتكوين والتنفيذ .

وأراد بالثبات أن يظل الأخ مجاهدا فى سبيل غايته مهما تطاولت السنون حتى يلقى الله وهو على ذلك .

ثم ذكر التجرد فقال : أن تتخلص لفكرتك من كل ماسواها من المبادىء والأشخاص ، لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .

وأراد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة ، فإن أقل الحب سلامة الصدر وأعلاه مرتبةً الإيثار .

ثم فسر الثقة بأنها اطمئنان الجندى إلى القائد فى كفاءته وإخلاصه اطمئنانا عميقا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة وأبان عن وسيلة ذلك .

وأخيرا ختم الرسالة بذكر واجبات روحية وثقافية وصحية وخلقية ومظهرية وعملية واجتماعية ومالية بلغت فى مجموعها تسعة وثلاثين واجبا ، وفى بعض

الطبعات وجدتها أربعين وهى معروفة بين الإخوان بأنها « واجبات الأخ العامل » .

ولم يكن جميع الإخوان إخوانا عاملين ، وإن كان كثير منهم بل اكثرهم كان كذلك ، فمنهم من غلّب ظروفه الخاصة التى لم تكن تسمح بذلك ومنهم من وقف على حافة الجماعة . وكان للدكتور عبد العزيز كامل فكاهة طريفة إذ قال : عندنا إخوان عاملون وعاملون إخوان .

كان اجتماع الكتيبة يبدأ عادة بصلاة العشاء بعد أول وقتها وبعد تناول طعام العشاء معا ، ذلك العشاء كان يتم خلاله التعارف بين إخوان الكتيبة وبعد الصلاة يجلس الأستاذ فى مواجهة الإخوان ويجلسون أمامه وحوله على الأرض . وأحيانا كان يرتفع فى جلسته على مقعد ، لاترفعا ولاتكبرا ولكن حتى يرى الجميع ويراه الجميع . ثم يبدأ بالتعرف إلى إخوانه واحدا واحدا ويتفرس فيهم ، فإذا وجد بينهم من لايعرف سأله برقة بالغة وأدب جم عن اسمه وعمله وبلده ثم لا ينسى ذلك بعد أبدا .

ثم كان يبدأ حديثه بذكر إخائنا وهذا الحب الذى بيننا فى الله ومايضفيه علينا من متعة وإيناس فى الدنيا وثواب وعطاء فى الآخرة . وبعد ذلك يفيض فى معان روحية دفاقة ، ويغوص فى كتاب الله تبارك وتعالى يستخرج منه المعانى كما يستخرج الغواص اللؤلؤ من أعماق البحر ، فيسمو بقلوبنا إلى آفاق علا ونحس بها تتصل بالله اتصالا نشعر معه أنه معنا ناظر إلينا وأن ملائكته تحف بنا فى جلستنا بأجنحتها إلى السماء ... فى هذه الحالة أظن أن لم يكن بيننا من لا يحس بذنبه ويندم عليه ويعزم على ألا يعود . وكان حديث الأستاذ يستطرد نحوا من ساعتين . وقبل أن يختمه يميل إلى معنى التوبة والإخلاص ونجدد العهد والبيعة عليهما ، ثم يقوم لينام ، وينام كل منا . وكنا نستعد لذلك فيحضر كل منا ثياب نومه وغطاءه .

وقبل الفجر بساعة كان يتم إيقاظنا فنتوضأ ونتهجد ثم نؤذن للفجر ونصليه يؤمنا فيه أخونا الأكبر ومرشدنا الأستاذ ، ثم يجلس بيننا فنتلو المأثورات جماعة وهى مجموعة من الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ . سمعت إخوانا بعد ذلك بسنوات ينكرون تلاوة المأثورات جماعة ويقولون إنها مخالفة للسنة وإن الأستاذ الإمام لم يكن يقرؤها معنا فى جماعة .. ولكنى أشهد أننا كنا نفعل ذلك وهو

معنا . ولقد حضرت معه فيما بين عامى ١٩٤٣ و ١٩٤٦ حوالى ثلاثين كتيبة أظن أننا ماتركنا تلاوة المأثورات جماعة فى واحدة منها .

وبعد الفراغ من المأثورات كان يحدثنا حديثا غالبا ماكان فى السياسة فيصارحنا بما لم يكن يصارح به فى المحاضرات العامة . فكان يذكر لنا رأيه الصريح فى رجالات مصر وغير مصر وفى كل هيئة من الهيئات ، ويحدثنا عن اتصالاته بهم وأحاديثهم معه وأنواع عقلياتهم وأنماط تفكيرهم ، كذلك كان يحدثنا عن نياته بالنسبة لكل موقف من المواقف أو قضية من القضايا ، ويظل يجيب عن أسئلتنا حتى تطلع الشمس ويحين موعد انصرافنا إلى أعمالنا .

كان رحمه الله كيّسا فطنا لبقا فى أحاديثه وإجاباته . سأله أحد الإخوان ليلة عن رأيه فى فاروق . فقال : فاروق من ؟ فال : الملك . قال : رضى الله عنه ! وأدركنا السخرية فضحكنا . وسأله آخر عن السبب فى أننا لانرى فى كتائبنا غيره فأين معاونوه ؟ أين الوكيل العام والسكرتير العام والمراقب العام .. أين أحمد السكرى وأين عبد الحكيم عابدين وأين عبد الرحمن الساعاتى .. الخ .. ولماذا لايحضرون معنا الكتائب ؟! فأجاب فى ظرف ودهاء : وهل لا أكفيك أنا ؟! فضحكنا وضحك رحمه الله . إلا أن أسئلتنا بصفة عامة كانت تجاب بصراحة وصدق ووضوح .

نظام الكتائب هذا هو النظام التربوى والإدارى الذى وجدته فى الإخوان حين اتصلت بالجماعة ، وقد استمر فيها إلى النهاية ، غير أنه جدت عليه أنظمة أخرى احتلت من تشكيلات الجماعة ومن عنايتها مركز الصدارة فتأخر نظام الكتائب عن مكانه الأول . لم يكن تعديل النظم أو إضافة نظم جديدة مجرد وقوف عند مظاهر إدارية ، وإنما كانت مرونة تتطلبها مطالب العقيدة ودواعى الدعوة إليها .

فى الأسرة

ثم جاء عام ١٩٤٣ . كنت قد ألفت الشعبة وألفت إخوانها وألفونى . وذات يوم فتحت أحد أدراج مكاتبها فوجدت به بعض الصفحات مطبوعة بالرونيو طبعا غير أنيق ولانظيف ، وشرعت أقرؤها فوجدتها تنظيما جديدا يقضى بتشكيل الإخوان فى أسر تكافلية وتعاونية ، كل أسرة من عشرة . وقد كان لهذا التشكيل الجديد مناسبة وقصة .

كان أول ظهور للإخوان على مسرح السياسة ، حين حملوا فى مصر عبء قضية فلسطين إبان ماعرف بالثورة العربية هناك . فأمدوا أبطال الثورة من مجاهدى فلسطين بالمال والسلاح وطبعوا النشرات والمنشورات شرحا لقضيتها وإيقاظا للهمم لنجدتها والذود عنها بالنفس والمال ، وأذكر من هذه النشرات كتاب « النار والدمار » الذى قام الإخوان بتوزيعه رغم أنه كان مصادرا . كما قام الإخوان بعدة مظاهرات تأييدا لكفاح العرب من أجل فلسطين . ومن العجيب أن كل هذا لم يلفت أنظار الحكومات المصرية ولكنه لم يغب عن نظر المستعمرين الإنجليز — كان ذلك عام ١٩٣٨ .

وبإيعاز من الإنجليز بدأ اضطهاد الحكومة فى مصر للإخوان ، فنقلت وزارة حسين سرى — ولم يكن حزبيا وإن كان مثل غيره عميلا مستترا للإنجليز — نقلت الأستاذ المرشد العام فى فبراير ١٩٤١ إلى قنا ، وقد كان مدرسا بوزارة المعارف العمومية . ثم ألغى هذا النقل بعد انتهاء العام الدراسى بسبب ضجة أثيرت حوله فى البرلمان .

وفى أكتوبر ١٩٤١ هاجم الأستاذ المرشد العام الإنجليز والسياسة البريطانية هجوما شديدا وسافرا فى دمنهور ، فأصدر رئيس الوزراء حسين سرى باشا أمرا باعتقاله هو والأستاذ أحمد السكرى الوكيل العام للجماعة والاستاذ عبد الحكيم عابدين السكرتير العام لها ،فاعتقلوا فى ١٣ اكتوبر ١٩٤١ وأودعوا معتقل الزيتون ، وحرم على الصحف ذكر كلمة « إخوان » . ولم يدم ذلك الاعتقال طويلا .

ووقع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ المشهور — كما ذكرت من قبل — وحاصرت دبابات الإنجليز سراى عابدين . وسقط حسين سرى واعتلى كرسى الوزارة مصطفى النحاس باشا وأجرى انتخابات جديدة رشح الأستاذ المرشد نفسه فيها لأول مرة فى دائرة الإسماعيلية — وأظن ذلك كان على مبادىء الإخوان المسلمين — ولكن الإنجليز اليقظين طلبوا إلى النحاس باشا — وكان مازال غافلا عن الإخوان لايعرف عنهم شيئا — أن يحول دون وصول حسن البنا إلى البرلمان ... واستدعى النحاس باشا الأستاذ المرشد وصارحه بالأمر ، وأفهمه أنه بناء على رغبة الإنجليز هذه سيحال بينه وبين النجاح فى هذه الانتخابات بأى وسيلة . ولم يشأ الأستاذ البنا أن يجعلها معركة بين مصريين ومصريين لصالح

الإنجليز فوافق على التنازل عن ترشيح نفسه فى مقابل اغتنام بعض الفوائد لدعوته بأسلوب المساومة ، فسمح للإخوان بإصدار جريدتهم الأسبوعية تحمل اسمهم « الإخوان المسلمون » وسمح لهم بالاجتماعات والمحاضرات داخل دورهم .

ثم حاول الإنجليز عن طريق مستر وولتر سمارت المستشار الصحفى بالسفارة البريطانية بالقاهرة رشوة الإخوان بالمال . فازدراها الأستاذ ورفضها بكل إباء . وعلى الأثر صدر أمر النحاس باشا بإغلاق جميع شعب الإخوان بالقطر المصرى وبمراقبة دار المركز العام وأشخاص الإخوان ..

وفى ١٩٤٣ كان هناك خوف من نفى الأستاذ حسن البنا من مصر . كان الفصل صيفا وكان الأستاذ مازال مدرسا بالوزارة ، وكان عليه المراقبة فى إحدى لجان الامتحانات ، ووصل فضيلته متأخرا بضع دقائق فوجد سواه قد حل محله فى المراقبة ، وأصر هذا الآخر أن يقوم عن فضيلته بالمراقبة . ورجع الأستاذ إلى غرفة المدرسين وكتب بها رسالة « النبى الأمين » فى زمن الامتحان . هذه الرسالة أعاد الإخوان طبعها بعد محنة ١٩٤٨ تحت عنوان « بين الأمس واليوم » ثم أعادوا طبعها مرة أخرى مع رسالة « التعاليم » وكانتا معا تحت عنوان « من تطورات الفكرة الإسلامية ، وأهدافها » . هذه الرسالة كانت كأنها رسالة مودع ، ويظهر هذا بجلاء ووضوح فى كلماتها . هذه الرسالة « النبى الأمين » هى التى وجدت طبعتها الأولى بالرونيو فى درج المكتب بالشعبة .

فى هذه الرسالة عرض الأستاذ حسن البنا لقيام الدعوة الإسلامية وللقواعد الأساسية للإصلاح الاجتماعى الذى قامت عليه دعوة الإسلام ، وأبان عن الشعائر العملية لهذا النظام . ثم سار مع قيام الدولة الإسلامية الأولى حتى تسللت إليها عوامل التحلل فعملت عملها حتى حدث الصراع بين الاستعمار والعالم الإسلامى ، ووصف تمزق سلطان المسلمين حتى قال « ... وهكذا أيها الإخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات وأن يشرق نور دعوتكم فى ثنايا هذا الظلام وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

ثم أوضح للإخوان أهدافهم العامة والخاصة ، وذكر لهم وسائلهم العامة والخاصة ، وبصرهم بالعقبات فى طريقهم ، ومنحهم الأمل بذكر عوامل النجاح ، ثم أوصى الإخوان وصية أردفها بما عليهم من واجبات الاعتزاز بمعرفة الله والتخلق بالفضائل والإقبال على القرآن والسيرة والتحاب فيما بينهم والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره .

وكان مع هذه الرسالة لائحة تنظيمية عنونت « لائحة النظام التعاونى » تناولت التنظيم الإدارى وواجبات إخوان الأسر الشخصية والاجتماعية والمالية . وكان من مقتضى نظام الأسر أن تكون اجتماعاتها فى بيوت الإخوان لافى شعبهم ، وذلك لاعتبارين .. الأول : أن يعتاد الإخوان ذلك فلا ينفرط عقدهم إذا أغلقت الشُعَب ، والثانى : توثيق عرى الإخاء بين الإخوان وزيادة أواصر الحب والصداقة بينهم نتيجة لهذا التزاور ومايتبعه من ازدياد فى التعارف والتآلف .

كذلك كان مع الرسالة واللائحة خطاب توجيهى للإخوان يحثهم على التعارف والتآلف والتكافل ويرشدهم إلى كيفية شغل وقت اجتماع الأسرة .

شرعت أطالع هذه الصفحات حينما دخل علىّ محمود اللبان من إخواننا العاملين بالشعبة . فغضب منى وانتهرنى وقال إنه ليس من حقى أن أفتح الأدراج ولا أن أقرأ الأوراق . ولم أقتنع بوجهة نظره فقد كنت تشبعت قبل ذلك بأنى واحد من الإخوان لى مالهم وعلىّ ماعليهم ، فشكوته إلى الأستاذ الخضرى . وأمام الخضرى قال إنها رسالة سرية خاصة بالموظفين والعمال وأنها ليست خاصة بالطلبة . وأجابه الخضرى بأنه كان من واجبه بصفته سكرتيرا للشعبة ومادام يعتبر الرسالة خاصة ولها صفة السرية أن يحافظ عليها فلا يدعها فى درج مفتوح يطرقه من يشاء . ثم قال إن الرسالة ليست سرية وإنى لم أكن مخطئا . وعلى ذلك أصررت على أن أتم إطلاعى على الرسالة . وعاد اللبان يعترض بأن نسخ الرسالة قليلة وأن المركز العام لم يطبع للقطر كله سوى مائتى نسخة وأن هذه النسخة وحدها هى نصيب شعبة الظاهر . وحكم الخضرى أن يعطينى اللبان الرسالة لأجل نتفق عليه ، فأمهلنى ثلاثة أيام .

أخذت الرسالة وأسرعت بها إلى صديق مرءوس لوالدى كاتب على الآلة

الكاتبة . واتفقت معه أن يكتب لنا على آلته نسختين من هذه الرسالة بالكربون الزفر . وشرعت أملى عليه وهو يكتب فأتممنا الرسالة وملحقاتها فى يومين أو ثلاثة ، وأعدت الأصل إلى اللبان فى موعده . وكان بالشعبة « حوض بالوظة » للطبع ، أخذته إلى منزلى واستحصلت على كمية من الورق فطبعت أربعين نسخة من الرسالة ، كانت أنظف كثيرا من طبعة المركز العام وأوضح وأكثر أناقة .

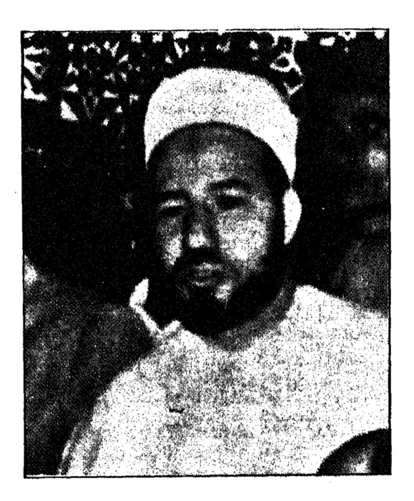
أعجبنى نظام الأسرة كما قرأته وأحببت أن تكون لنا نحن الطلاب أسرة ، وفاتحت فى ذلك بعض من أبادله الثقة والمحبة من إخوانى الطلاب بالشعبة وأطلعتهم على الرسالة . واتفقنا على تكوين الأسر واخترنا أفرادها معا من بيننا ، فكنا نفس أعضاء عشيرة خالد بن الوليد فى رهط الجوالة ، وأعطينا كل عضو نسخة من الرسالة ثم أعدت حوض البالوظة إلى الشعبة ومعه ثلاثين نسخة من الرسالة سلمتها إلى اللبان ، ثم أخطرنا الشعبة أننا انتظمنا فى أسرة للطلاب . ووقف مجلس إدارة الشعبة بين موافق ومعترض . فمن وافق فعلى أساس أنه عمل يسير فى الاتجاه العام للجماعة وأنه يفيد هذه المجموعة تربويا ، ومن اعترض فعلى أساس أن نظام الأسر تعاونى وتكافلى فيه التزامات مالية وهو موضوع لغير الطلاب . وتمسكنا بأسرتنا فانتهى الأمر بالموافقة على تكوين الأسرة مع إعفائها من الالتزامات المالية . واعتبرنى إخوان الأسرة سكرتيرا لها .

نجحت هذه الأسرة ، بل لقد كانت أنجح أسرة فى الشعبة ولاحظ الآخرون هذا النجاح فوكلوا إلينا إنشاء أسر أخرى للطلاب فشرعنا ننشئها أسرة إثر أخرى . ومااانقضى عامان حتى كان نظام الأسر يعم طلاب الإخوان المسلمين فى مصر بأسرها . كنا نذكر إنشاء أسرتنا بعد ذلك فنتندر بقولنا إنها كانت أول أسرة للطلاب فى العالم ، وكنا صادقين .

كنا إخوان هذه الأسرة نأخذ أمورنا كلها بمأخذ جدى ، تعارفنا حتى كان أحدنا يعرف كل شىء عن أخيه وعن ظروفه فى المدرسة وفى البيت وعن حالته المالية والاجتماعية . وتآخينا حتى كان حب كل منا لأخيه يفوق حبه لنفسه ويؤثره بكل خير . وتصارحنا حتى لم يكن أحدنا يجد حرجا فى الاعتذار عن عدم حضور اجتماع الأسرة بأن والدته تلد أخا له وأنه مشغول بالخدمة فى البيت . ثم شرعنا

نتدارس دراسات إسلامية وسياسية ونحفظ معا أورادا من كتاب الله وحديث رسوله ﷺ . لقد أنشأت هذه الأسرة فيما بيننا من الحب والعاطفة مالازلت أحسه حتى الآن ، وبعد أن انقضى على ذلك قرابة خمسة وثلاثين عاما ... ولو أقسم أحدهم علىّ بذلك الإخاء لأبررته .

استمر اتصالى بهذه الأسرة حتى انتقلتُ إلى شعبة حدائق القبة عام ١٩٤٤ ، فبكى بعضهم لانتقالى من بينهم ، كان حبا أمره عجيب قال عنه الاستاذ المرشد إنه لاينال بحيله ولايُشترى بمال . هو من عند الله يقذفه فى قلوب من يشاء من عباده .



الشيخ حسن البنا

الفصل الثالث

إلى المركز العام

في يوم من الأيام الأولى لترددى على شعبة الظاهر ذهبت إلى دار الشعبة كالمعتاد فلم أجد بها أحدا ، وانتظرت طويلا دون جدوى ثم انصرفت . وفى اليوم التالى سألت عن ذلك فعرفت أن الأمس كان الثلاثاء وفى هذا اليوم من كل أسبوع يلتقى الجميع بالمركز العام حيث يلقى عليهم الأستاذ المرشد حديثا . وحتى ذلك الوقت لم أكن رأيت الأستاذ حسن البنا ، وكنت معجبا بالأستاذ الخضرى . قلت يكفينى الخضرى ولاداعى لحضور حسن البنا أيضا . قالوا إن الخضرى نفسه يتتلمذ على دروس الأستاذ المرشد وإن مايذكره لنا فى الشعبة ماهو إلا شذرات من ذلك الفيض الأعم . واتفقت مع حسين أن نذهب معاً ، الثلاثاء التالى .. وذهبنا . كان المركز العام حينذاك هو البيت الصغير رقم ١٣ شارع أحمد بك عمر بميدان الحلمية الجديدة . وهو الآن قد هدم وزرع مكانه حديقة صغيرة للناس .

دخلنا من باب الدار ، وفى غرفة إلى يمين الداخل جلس بعض الإخوان بينما وقف جمع آخر يتحادثون ، بعضهم ملتح وبعضهم حليق . وأشار حسين وقال هذا هو حسن البنا . ولم أتبين المقصود بإشارته فلم يكن من بينهم جميعا من يتميز عليهم فى مظهره أو فى جلسته أو فى أى شىء . فقلت : أيهم ياحسين ؟ قال : هذا . وأشار بيده مرة أخرى وقال ذو اللحية . قلت : أصحاب اللحى كثيرون ، قال الجالس على الأريكة وكان على الأريكة أكثر من ملتح ، فسكتّ .

وطاف حسين بى غرف المركز العام - غرفة للسكرتارية جلس فيها محمد الطوبجى ، وغرفة لقسم الطلاب ، وغرفة للمكتبة اختفى بين أكداس كتبها علوى عبد الهادى أمين المكتبة حينذاك ، وغرف أخرى كان بها أحمد السكرى وعبد الرحمن الساعاتى وعبد الحكيم عابدين وصالح عشماوى وصلاح عبد الحافظ وعبد الحفيظ الصيفى ، عرفتهم جميعا فى ذلك اليوم . هؤلاء كانوا رجال المركز العام .

حديث الثلاثاء

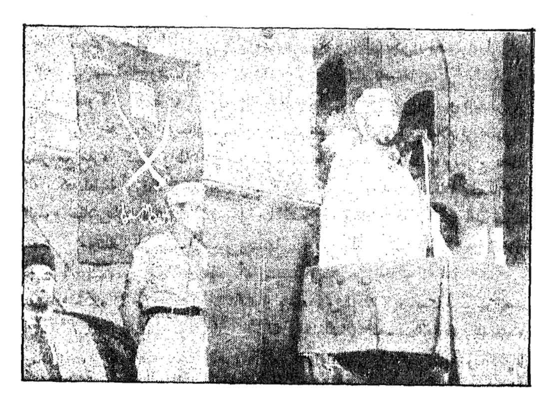
بدأ حديث الثلاثاء فى صالة الدار رغم أنه كان للدار فناء ، غير أن عدد الحاضرين كان قليلا لايملأ الفناء ، كما كان الفصل شتاء [من عام ١٩٤٢] . وازدحمت الصالة فوقفنا أمام أبوابها فى الشرفة المطلة على الفناء ، وكان الأستاذ المرشد يتحدث بدون ميكروفون .

لم يكن رضى الله عنه بالطويل ولا بالقصير وإن كان إلى القصر أقرب . ولم يكن بالرفيع ولابالسمين وإن كان ممتلئا رَبْعا ، ولم يكن أبيض ناصع البياض ولا أسمر بيّن السمرة ولكنه كان سواء بين ذلك ، وكان رحمه الله كث اللحية أصلع الرأس لم يدب الشيب إلى شعره ، حاد النظرات واسع العينين وإن كانت عينه اليمنى تبدو للناظر المدقق أضيق قليلا من اليسرى وربما كان سبب ذلك ماذكره فى « مذكرات الدعوة والداعية » من أن طالبا منافسا - حين كان طالبا - سكب على وجهه مادة كاوية . لم يكن يستلفت النظر بحركاته بيد أنه كان يأسر التفات الحاضرين بشخصه وذاته .

لم يكن فيه أى شىء غير عادى ... ولكنه وبكل تأكيد كان فيه سر غير عادى ليس من السهل أن تدرى ماهو .. وأعتقد أنه كان الإخلاص . كان يلبس جلبابا أبيض عليه عباءة بنية اللون من الوبر وعمامة مزركشة من لباس علماء اليمن - كانت هدية إليه من بعضهم - وكان يقف على الأرض خلف منضدة صغيرة بدون منبر ولامنصة ولا ارتفاع عن الأرض .

لا أذكر الآن موضوع المحاضرة ، ولكنه كان لا يقرأ من ورقة .. كان يتدفق ارتجالا بدون صخب الصاخبين ولازمجرة المهرجين . لم يكن يخطب إنما كان يتحدث .. ببساطة ودون كلفة . كان حديثه عربيا فصيحا يمتاز بالسلاسة المتناهية ، وكان يخلط به أحيانا بعض العبارات أو الألفاظ العامية . وكان يرتفع إلى سماوات عُلا من الروحانية ، ويقدم الدسم المفيد من ثقافة الإسلام فى سهولة ويسر مع معرفة كبيرة واطلاع واسع بعلوم الدنيا ومعارف الغرب ، ويمزج ذلك كله بنكته لطيفة أو فكاهة مهذبة . ولم يكن حديثه مع دسامته واتخامه بالمعارف والعلوم ثقيلا على الذهن . كان كل منا يشعر أنه يخاطبه هو . كان السامعون جمعا من مختلف البيئات والأعمار والثقافات ، ومع ذلك فقد كان هذا هو شعور كل فرد فيهم ، وكل منهم يحس أنه يستفيد وينهل من حديثه . ولعل السر فى ذلك أن حديثه لم يكن موجها إلى العقول وحدها وإنما كان يخاطب القلوب أيضا بل أولا ، فلئن اختلفت مستويات عقولنا ومداركنا ، فليست القلوب كذلك ، وكان رحمه الله داعية يدعو بدعوة ، ومن أوليات لوازم الداعية أن يكون عارفا بالنفوس خبيرا بها . وكان رضى الله عنه حاضر البديهة ، متمكنا من علمه ، تسعفه الآيات يزفها يؤيد بها مايذهب إليه فنسمعها غضة طرية كأنما يتنزل بها الوحى ، ويزجيها استشهادا لرأيه فتجدها تماما فى مواضعها ذات حلاوة وطلاوة وثمر مغدق ، انظر إلى نمط من أسلوبه نسوقه من رسالة التعاليم يتحدث فيه عن الأخوة :

« وأريد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة ، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها ، والأخوة أخ الإيمان ، والتفرق أخ الكفر ، وأول القوة قوة الوحدة ، ولاوحدة بغير حب ، وأقل الحب سلامة الصدر وأعلاه مرتبة الإيثار ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه ، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية و « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾ وهكذا يجب أن نكون » . أ . هـ هذا نموذج من كتاباته ... وأيضا من أحاديثه .



الأستاذ حسن البنا فى عاطفة الثلاثاء

وهذا نموذج آخر اقتطفناه من حديث الثلاثاء الذى ألقاه فى ٤ أبريل ١٩٣٩ « فى هذا الصخب الداوى من صدى الحوادث الكثيرة المريرة التى تلدها الليالى الحبالى فى هذا الزمان ، وفى هذا التيار الجارف المتدفق الفياض من الدعوات التى تهتف بها أرجاء الكون وتسرى بها أمواج الأثير فى أنحاء المعمورة مجهزة بكل مايغرى ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر ، نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين ، هادئة ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة ، متواضعة ولكنها أعز من الشم الرواسى ، محدودة ولكنها أوسع من حدود أقطار هذه الأرض جميعا ، خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب ولكنها محفوفة بجلال الحق وروعة الوحى ورعاية الله ، مجردة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين فى العمل لها السيادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة .

اسمعوها صريحة داوية يجلجل بها صوت الداعى الأول من بعد كما جلجل بها من قبل ﴿ **يأأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر** ﴾ ويدوى معها سر قوله تعالى : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾ ويهتف بها لسان الوحى مخاطبا الناس أجمعين ﴿ **يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ ... الخ » .

حسن البنا

جاء ذكر الأستاذ البنا فيما مضى من صفحات ، وسوف يتكرر ذكره كثيرا فيما بقى ، فليس مقبولا إذن أن نستمر دون أن نذكر شيئا عن الرجل ، فإذا كان القارىء من الإخوان فإن تكرار الحديث عنه لن يمله ، وإن لم يكن منهم فلربما كان فى حاجة إلى أن يقرأ شيئا عنه .

ولد الأستاذ حسن البنا بقرية المحمودية مديرية البحيرة بمصر ، وكانت الأسرة أصلا من إحدى قرى مركز فوة . ثم نشأ فى القاهرة وتزوج من الإسماعيلية من أسرة الصولى ، فموطن أصهاره الأصلى بلدة صول من أعمال مركز الصف من مديرية الجيزة . وتلقى الأستاذ دروسه الأولى فى كتاب القرية ثم فى المدرسة الإعدادية بالمحمودية [وكان للمدارس الإعدادية حينذاك مفهوم آخر خلاف المفهوم الحالى عنها] ثم فى مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور ثم فى دار العلوم بالقاهرة . وقد تميز فى كل هذه المراحل بأنه كان دائما أول الناجحين مما جعله موضع فخر أساتذته ورعايتهم وصلته بهم صلة خاصة ، وكان من هؤلاء الأساتذة الأستاذ عبد العزيز عطية عضو الهيئة التأسيسية للإخوان بعد ذلك . وقد اعتكف الأستاذ فى الأزهر الشريف أسبوعا يستذكر مواد الامتحان فيما بين الكشف الطبى وامتحان القبول لدار العلوم عام ١٩٢٣ .

وكان من المتوقع أن ترسله وزارة المعارف العمومية فى بعثة دراسية إلى انجلترا أو فرنسا على عادتها فى إيفاد أوائل الحاصلين على دبلوم دار العلوم لولا ظروف خاصة جعلت الوزارة تخرج عن ذلك التقليد .

وكان الأستاذ البنا يحسن صناعتين : إصلاح الساعات وتجليد الكتب . فكان يفتخر بأنه عامل ، وكثيرا ماكان يداعب الإخوان ويهددهم بأنه سيتركهم ويفتح محلا ويقول مبتسما « صنعة فى اليد أمان من الفقر » . وكان الأستاذ يقرض الشعر وهو فى الثالثة عشرة من عمره فى المناسبات الوطنية ولكن دعوته شغلته بعد ذلك عن إقراض الشعر وإن لم تشغله عن تذوق الأدب فقد كان أديبا ممتازا وليس أدل على ذلك من كتاباته وخطاباته .



الأستاذ حسن البنا

حصل الأستاذ على دبلوم دار العلوم ولم يبلغ الحادية والعشرين من عمره ، فتم تعيينه مدرسا بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الأميرية فى الدرجة السادسة بمرتب شهرى قدره خمسة عشر جنيها مصريا وتسلم عمله فى ٢٠ سبتمبر ١٩٢٧ ، واستمر بعد ذلك مدرسا فى المدارس الابتدائية تسع عشرة سنة لم ينل فيها الدرجة الخامسة إلا بحكم قانون الموظفين المنسيين . وقد عرض عليه عبد الحميد عبد الحق باشا وزير الأوقاف أن ينتدبه إلى مكتبه بالوزارة ليعاونه فى إصلاح المساجد على أنه يمنحه الدرجة الثالثة أو الثانية بصفة استثنائية ويتقاضى مرتبها ، ولكنه رحمه الله رفض العرض وقبل أن يكون عضوا فى لجنة إصلاح المساجد بدون مقابل على أن يظل فى وظيفته مدرسا بنفس درجته وراتبه .

وفى مايو ١٩٤٦ استقال الأستاذ من وظيفته بوزارة المعارف بمناسبة إنشاء الجريدة اليومية للإخوان المسلمين ، وهو لا يملك مرتب شهر واحد ، فقرر له مجلس إدارة الجريدة مرتبا شهريا قدره مائة جنيه ولكنه رفض أن يتسلم مليما واحدا ، فقد كانت الجريدة أيضا تعانى ضائقة مالية ، واستمر يشارك فى إدارتها وتحريرها ويبذل جهده المضنى دون مقابل حتى بلغ مااقترضه خلال عامى ١٩٤٦ - ١٩٤٧ لينفق منه خمسمائة جنيه ، حتى أنشأ مجلة الشهاب الشهرية ففرض لنفسه من إيرادها ما يوازى راتبه الحكومى حين استقال وهو أربعون جنيها مصريا ، فكان ينفق منها على نفسه وبيته وأسرته وأولاده ، ويقدم منها مايفرض عليه للدعوة من التزامات مالية شأن جميع الإخوان . وقد أسهم الأستاذ خمسة أسهم لشركة المعاملات الإسلامية وأربعة فى شركة الإخوان للصحافة وثلاثة فى شركة الإخوان للطباعة لم يسدد بعض الأقساط المستحقة من قيمتها ، وقد تنازل عنها جميعا للمركز العام للإخوان المسلمين على أن يسدد مابقى من ثمنها .

وكان الأستاذ المرشد يشارك الإخوان فى كل المناسبات الفردية والاجتماعية والدينية ، فكان يخطب الجمعة والعيدين ويصلى التراويح بهم فى رمضان يختم فيها القرآن الكريم ، وكان كثيرا مايجرى بينهم صيغة عقد الزواج بنفسه ويدعو لأطفالهم بالدعاء المأثور حين يولدون ، وكان يشيع جنائزهم ويصلى عليها ، كما كان يقيم معهم فى معسكراتهم ويوجههم فى حياتهم العامة والخاصة ويخلص لهم الحب والمودة وكانوا يبادلونه العاطفة من أعماق قلوبهم .

وكان يسكن فى مسكن متواضع ، رقم ١٥ شارع سنجر الخازن بالحلمية الجديدة قريبا من دار المركز العام بإيجار قدره جنيهان مصريان ، زيدا فى أيام الحرب العالمية الثانية إلى ٢١٦ قرشا بحكم قانون المساكن وقد عاشت فيه أسرته فترة بعد استشهاده .

ولقد تعرض الأستاذ فى صغره للموت أكثر من مرة ، فقد كان يلعب مع أخيه عبد الرحمن وهما صبيان حينما انهار فوقهم منزل ، ولكن السقف استند على درابزين السلم وهما من تحته حتى رفعت الأنقاض . ووقع من فوق سطح يرتفع عن الأرض اكثر من ثمانية أمتار فجاء وقوعه فى « ملطم مونة » فلم يصب بمكروه . وسقط مرة فى إحدى الترع زمن الفيضان بفعل كلب عقور وهاب الرجال أن ينجدوه فأنقذته امرأة خلعت جلبابها بسرعة وألقت بنفسها إلى الماء . وركب فرسا فجمحت به واعترضه حاجز قوى لسور خشبى يحاذى الرقبة كان من شأنه أن يطيح برأسه لو اصطدم به ، ولكنه استلقى على ظهره بسرعة على السرج حتى مر من تحت الحاجز بسلام .

وقد استشهد رحمه الله فى ١٢ فبراير ١٩٤٩ ، اغتالته الدولة أمام جمعية الشبان المسلمين بشارع « الملكة نازلى » – رمسيس حاليا – بمدينة القاهرة . وقد ترك من الذرية أحمد سيف الإسلام ووفاء وسناء ورجاء وهالة ثم ولدت استشهاد بعد استشهاده .

لقد كان حسن البنا طاقة بشرية ضخمة ، لو قدر عمر الإنسان بطاقته البشرية وبإنتاجه لتجاوز عمر الرجل الأربعين عاما ببضع مئات من السنين لقد آمن بنظرية تطبيق القرآن فى المجتمع ، وكان صاحب تجربة الفرد المسلم وتفاعله فى المجتمع ، وكان عملاقا تساوى فى الإعجاب به من أيدوه فاتبعوه ومن عارضوه فقتلوه . ولايستطيع أحد أن يزعم أن استشهاد الأستاذ فى سبيل دعوته هزيمة ، فكما يقول الأستاذ محمد الغزالى « ليس قتل الصديقين والصالحين فى هذه الدنيا بالأمر الصعب ! »

وكان ذلك دأب بنى إسرائيل حتى مع أنبيائهم ﴿ **أفكلما جاءكم رسول بمالا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** ﴾ .

عاطفة الثلاثاء

أعجبنى الرجل وملك قلبى . ولم يكن ذلك لجمال فى صورته ، فلم يكن ممن يبهر الناس جماله وإن لم يكن به مايعيب صورته ، ولا لعذوبة فى صوته فقد كان فى صوته بحة خشنة وإن كانت بحة لطيفة مقبولة ، ولا لبهاء فى هندامه فقد كان يرتدى من الثياب أبسطها وأنظفها متواضعا فى ذلك جد التواضع ، لكنه كان جليلا مهيبا فيه جلال العابد ومهابة العالم ، ثم كان فوق ذلك كله – ولعل هذا هو السر – مخلصا أشد الإخلاص متفانيا فى فكرته متجردا لها ، فإذا ماتحدث خرج الحديث من قلبه ، وماخرج من القلب فهو يصل إلى القلب ، وكان يقدم من نفسه نموذجا ساميا ومثلا عاليا للرجل الربانى دون أن يذكر حرفا عن نفسه ، فيصغر الواحد منا فى نفسه كثيرا ويحس أنه لاشىء أمام عملاق ضخم صنعه الله على عينه واصطنعه لدعوته ، فلا يجد أحدنا حرجا ولا غضاضة أن يقر أنه فى حاجة إلى هذا الرجل ليرشده . ليس فى الإسلام واسطة بين العبد وربه وليس فيه كهنوتية ، وليس عندنا رجال للدين يغفرون للمذنبين ويبيعون فدادين الجنة للصالحين ، ولكننا إزاء « إمام » قل نظيره بين أئمة الهدى النادرين فى أرض مات أحياؤها وضل أصحابها ، والمعنى ليس غريبا على الإسلام ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾ فهو ولى من أولياء الله الذين عناهم بقوله ﴿ **ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ كما قال سبحانه :﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ . ولقد كان موفقا يوم اختار لنفسه لقب « المرشد العام للإخوان المسلمين » فلقد كان حقا يهدى إلى الرشد .

انتهت محاضرة تلك الليلة فوجدتنى عازما عزما أكيدا على المواظبة عليها كل أسبوع . وكان من نهجه أن يبدأ حديثه بذكر عاطفة الأخوة والحب الذى جمعنا فى الله وعلى طاعة الله ، وكان قديرا فى تأكيد هذا المعنى بين جماهير الإخوان ، حتى صار أحدنا يلقى أخاه فى الطريق أو فى مركبة الترام لا يعرفه ولا يدله عليه إلا شارة الإخوان يضعها فى عروة سترته فيقبل عليه يضمه ويعرفه بنفسه ويسأله عن اسمه وعمله وبلده وشعبته .. ثم يواعده ليلقاه فى حديث الثلاثاء !



المركز العام

بعد ذكر معنى الحب والإخاء كان الأستاذ ينتقل إلى التذكير بفضل مجالس العلم والذكر - كعاطفة الثلاثاء هذه - فكان يستشهد بحديث أبى هريرة المتفق عليه عن رسول الله ﷺ « إن لله تعالى ملائكة يطوفون الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . فيسألهم ربهم وهو أعلم : مايقول عبادى ؟ يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . فيقول : هل رأونى ؟ فيقولون : لا والله مارأوك . فيقول : كيف لورأونى ؟ يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا . فيقول : فماذا يسألون ؟ يقولون : يسألونك الجنة . يقول : وهل رأوها ؟ يقولون : لا والله يارب مارأوها . يقول : فكيف لو رأوها ؟ يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ يقولون : يتعوذون من النار . فيقول : وهل رأوها ؟ يقولون : لا والله مارأوها . فيقول : كيف لورأوها ؟

يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة . فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم . يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لايشقى بهم جليسهم » .

وكثيرا ماكان يذكر مارواه مسلم عن رسول الله ﷺ « لايقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » . بهذا وبمثله كان يقر فى نفوسنا احترام الدرس وحبنا له وحرصنا عليه واعتزازنا به .

وكان الأستاذ يكره أن يسميه « محاضرة » ويقول : إنها ليست محاضرة ولكنها عاطفة فقولوا عاطفة الثلاثاء ولاتقولوا محاضرة الثلاثاء ولادرس الثلاثاء .

استمر عدد رواد عاطفة الثلاثاء يزداد باطراد حتى لم تعد تتسع لهم صالة الدار فانتقلت إلى الفناء ، ثم ازداد المقبلون عليها حتى ازدحم الفناء بدوره فكان يمتلىء الشارع أمام الدار بالوقوف يقفون طوال المحاضرة التى كانت تمتد إلى ساعتين أو ثلاث . وهنا كان يستعان بالميكروفون . ثم اتسع المكان اتساعا جديدا بشراء الدار الجديدة للمركز العام بميدان الحلمية الجديدة فى مواجهة الدار القديمة وتشغل الناصية المكونة من سكة راتب باشا وميدان الحلمية [أطلق عليه بعد ذلك ميدان حسن البنا] وشارع أحمد عمر . وهو حاليا قسم الدرب الأحمر للشرطة بعد أن استولت عليه حكومة جمال عبد الناصر . ثم انتقلت المحاضرة بعد ذلك إلى الفناء الأوسع بأرض دار شركة المعاملات الإسلامية التابعة للمركز العام بشارع محمد على أمام مسجد قيسون ، فكانت تمتلىء بهم أيضا ويقفون فى الشارع أمام الدار .

وكان الأستاذ يتخير لأحاديثه سلاسل مفيدة لدراسة الكتاب الكريم والسنة المطهرة والتاريخ الإسلامى بطريقة جديدة من ابتكاره . فبدأ سلسلة « نظرات فى كتاب الله » وكان يجعل لكل محاضرة موضوعا قائما بذاته من هذه السلسلة . وكان يقول إنه لايقصد بهذه النظرات أن يحصى حقائق علمية ومذاهب خلافية أو أن يعرض لكثير من وجوه التفسير ولكنه قصد إلى أن يمهد سبيل الفهم لكتاب الله بين يدى من يقرؤه وذلك بأن يعرض للمعانى الكلية .

وأذكر أنه بدأ سلسلة نظرات فى كتاب الله بالحلقة الأولى « الإنسان فى القرآن » ثم « الكون المنظور فى القرآن » ثم « الكون غير المنظور فى القرآن » ثم « الله فى القرآن – أو حقوق الألوهية فى كتاب الله » ثم « الجزاء فى القرآن » وهكذا . ولن أستطيع أن أدون هنا أحاديث الثلاثاء فقد كان الواحد منها يمتد إلى ساعات ثلاث ، ولكنى أعرض نماذج مختصرة غاية الاختصار كل غايتى منها أن يدرك من لم يدرك حسن البنا كيف كانت أحاديثه ، ولنأخذ لذلك مثالا « الإنسان فى القرآن » .

قال : « إن من واجبنا كأناس أن نعرف الوضع الذى وضعنا الله فيه لنقوم بحق أنفسنا ، ثم نعلم تبعا لذلك حق الله علينا . وكان الأساس الذى دار عليه القرآن فى عرض هذا الموضوع هو قصة آدم ، وقد ذكرت فى مواضع كثيرة من القرآن ... فى سورة البقرة وفى الأعراف والحجر والإسراء وطه وص والرحمن . ذكرت مجملة فى بعض المواضع وعرضت بشىء من التفصيل فى مواضع أخرى .

« فبينت الأعراف أن سبب ضلالة الشيطان هو الكبر ، وأن سبب زلة آدم هو الاغترار به . وبينت الحجر أن إبليس اعترف بربوبية الله وأن هناك فريقا ليس لإبليس سلطان عليهم . وتبين الإسراء أيضا شيئا من ناحية طريقة استيلاء إبليس على الناس وبيان أكاذيب وعوده . وتشير طه كذلك إلى أن الإنسان ضعيف مالم يدركه الله بقوته ، وأن الإنسان من طبيعته النسيان فنسى وطمع . وعرضت سورة ص لتفسير الصلصال والحمأ المسنون بأنه كان طينا وأن الله أكرم الإنسان لأنه خلقه بيده ، ثم إقرار من إبليس بعزة الله وأن اللعنة التى نزلت عليه لعنة ربانية .

وألمت القصة بعنصر الإنسان المادى وأنه من طينة هذه الأرض وجوهرها . ثم القصة بظاهرها تدل على أن الإنسان المادى خلق على غير مثال سبق ، فهو ليس متسلسلا من غيره كما يفترض بعض علماء الحيوان . ولم يبين القرآن ولاعرضت السنة لكيفية الخلق .

« وكما بينت القصة أن التكوين المادى للإنسان طينى عرضت كذلك للتكوين الروحى ﴿ **ونفخت فيه من روحى** ﴾ فبينت أنك أيها الإنسان لست هذا الغلاف الطينى ولست هذا الغلاف اللحمى ولكنك من روح الله ، فأنت قبله لم تكن إلا

قبضة من طين ، ثم أنت بعده صرت بشرا سويا ، فأنت كائن من كائنات الملأ الأعلى لأن إنسانيتك لم تتكون وتتشكل إلا بعد أن نفخ الله فيك من روحه . لا شأن لك بحقيقة هذه الروح ، إنما يكفى أن تعلم أنك عنصر ربانى وكل مااتصل بالله فهو فوق تفكير الإنسان .

« وعرضت القصة كذلك لناحية ثالثة هى نسبة الإنسان إلى الملائكة . فذكرت أن الله أسجد له الملائكة بعد أن أمده بروحه ، فهو بهذا أعظم عند الله من الملائكة ، فلو حقق الإنسان إنسانيته لكان أسمى من الملائكة ، أما لو نسى لحق بالشيطان ، وقد ثبت أن الملائكة سيكونون فى خدمة الصالحين يوم القيامة . كما تبين القصة أن تجلى الحق تبارك وتعالى على الملائكة هو تجلٍّ من ناحية واحدة ، ناحية الطاعة . أما تجليه على الإنسان فهو أعظم لأن فيه ناحية الاختيار .

« وعرضت القصة رابعا لصلة الإنسان بالشيطان فبينت أن بينهما خصومة عنيفة وأن الحياة ليست إلا صراعا بينهما .

والمعنى الخامس فى القصة هو أن الإنسان مخلوق من الكائنات العلوية ، موطنه الأصلى الملأ الأعلى وفيه نشأ ، ثم أهبط اختيارا ، ثم هو يعود إلى هذا الوطن إن عرف طريق الرجوع .

« كذلك تناولت القصة نسبة الإنسان إلى الكون كله فإذا به كائن علوى بين الكائنات وله منها مكان الخلافة ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ ، ﴿ **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** ﴾ فالإنسان مسلط والكون كله مسخر له .

« ولم يهمل القرآن نسبة الإنسان إلى الإنسان فإذا به ينادى ﴿ **بعضكم من بعض** ﴾ ﴿ **يٰأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ﴾ فالإنسان أخ الإنسان .

وثامنا بيّن نسبة الإنسان إلى الله فأجملها فى قوله : ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

ثم دعا القرآن الإنسان إلى التسامى بروحه بالأعمال الصالحة وتطهيرها بمعرفة الله وتزكيتها بالإقبال على الخير » .

ولنأخذ مثالا ثانيا لتناوله موضوع « الكون المنظور فى القرآن » . قال : « تناول القرآن كثيرا من ظواهر الكون وعرض لها فى آيات كثيرة جاء فيها ذكر السماء والأرض والشمس والقمر والمطر والنبات والبحار والأنهار والجبال .. كل هذه المظاهر الكونية تكلم عنها القرآن فى بدء خلقها وفى عوارض وجودها وتكلم عن بعضها فى نهاياتها . وقد عرض لهذه النواحى لاليعالج أمرها علاجاً فنياً تحليلياً فيكون كتاب فلك أو كتاب جغرافيا أو حيوان أو نبات ، ولكن عرض لها لأنها دلائل قدرة الله وعلائم الصنع الدقيق الحكيم ومظاهر التصرف البارع البالغ . عرض لها لتكون نبراسا يهدى الناس لمعرفة الله . ثم إنه لم يتناولها من ناحيتها الفنية لأن العقل الإنسانى يتدرج ، فلابد أن تترك له الحرية لإدراك هذه الكائنات وإدراك أسرارها بحسب تدرجه فى قوته واكتماله . وماذكره القرآن عن هذه الكائنات لم يتعارض مع ماذكرته النظريات العلمية الصحيحة لافى قليل ولافى كثير – لافى بدء خلقها ولافى عوارض وجودها ولا فى نهايتها المحتومة . والعبرة العملية هى أن نقبل على النظر فى الكون ونتخذ من هذه الوسيلة الصحيحة لتقوية الإيمان » .

كان الإخوان يستمعون بإنصات وشغف الساعات الطوال دون كلل أو ملل . بل لقد كان شعورى بعد أن أقف طويلا أرتشف من ذلك المنهل العذب أن أحس بالحسرة على انتهاء الحديث ، ولو مكث الليل يتحدث لوقفت استمع حتى تطلع الشمس . وكان إذا ماانتهى من حديثه اندفعت إليه جموع الإخوان يصافحونه ويقبلون يده . كان لايحب أن يقبل أحد يده ، ولكنه ماكان يستطيع أن يقاوم عواطف ألوف الإخوان الذين كانوا يهجمون عليه بعد الحديث لتقبيل يده .

وفى أثناء حديثه كثيرا ماكان يرى أخا من إخوان الأقاليم وسط الجموع أو يلمح أحدهم داخلا الدار أثناء المحاضرة فيقطعها برهة ريثما يرحب به ويقدمه إلى الألوف الشاهدة فيقول « هذا أخونا فلان من بلدة كذا جاء يشاركنا عاطفتنا ... كيف أنت ياأخانا فلان ؟ وكيف حال شعبتكم ؟ .. وكيف تركت الشيخ فلانا ؟ وكيف حال ولدك ؟ هل شفاه الله ؟ » ثم يسأل الإخوان أن يدعوا لولد أخيهم بالشفاء ، ويتحدث قليلا عن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب . ولربما كان الأخ محل هذه الحفاوة مغمورا فى الناس لايكاد يعرفه أحد ، مطمورا لايكاد يحس بوجوده إنسان ، فلا هو من علية القوم ولاهو من أصحاب الجاه والسلطان ...

ولكنه أخ من الإخوان من النوع الذى كان يصفه بالتعبير البليغ « قوم إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا » ثم يعود يستطرد فى موضوعه الأصلى من جديد .

كان حديث الثلاثاء تجاوبا بين الإخوان ومرشدهم ، وكثيرا ماكان يتفق معهم فيه على حفظ آية وحديث فى موضوع معين ثم يأتى فى الثلاثاء التالى ويسألهم - وهم ألوف - « هل حفظتم الآية والحديث ؟ » فيقولون « نعم » فيقول « قل لنا ياأخ فلان آية عن الصدق » فيقول ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم ، يٰأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ . جميل ، وقل لنا ياأخ فلان حديثا عن الصدق ... الخ .

وكان الإخوان يوجهون إلى مرشدهم الأسئلة فى مختلف الشئون ، يكتبونها فى قصاصات من الورق ، ويناول كلٌ قصاصته للذى يجلس أمامه حتى تصل إلى الجالسين فى الصف الأول فيضعوها على المنضدة أمام الأستاذ ، ويستمر سيل القصاصات يصل طوال المحاضرة ليجيب عنها فى آخرها . كانت تشمل أسئلة فقهية وإسلامية وأسئلة سياسية وأسئلة فى أمور الجماعة وأسئلة حول شخصه ، كما كانت تتضمن فكرة أو اقتراحا . وكان يجيب عن جميع هذه الأسئلة لايغفل منها شيئا ولايحرجه منها سؤال . وكان بعض مايمس شخصه مقبولا نوعا ، كمن سأله عن مصدر رزقه ، وكان بعضها سخيفا كمن سأله عن راتبه . وكتب إليه أحدهم يوما «إنك إذا وقفت تصلى رأيناك تهتز أماما وخلفا ، فلماذا ؟ » فكان جوابه « أكرمك الله ياأخى ، لقد لفت نظرى لشىء سوف يشغلنى ، إنى أصلى لاألتفت لما تذكر ولاأحس به ، ولكنى بعد الآن سيشغلنى ذلك كلما وقفت للصلاة ، فالأمر كرجل ملتح كان ينام مرتاح البال حتى سأله أحدهم عن لحيته هل يضعها تحت الغطاء أو فوقه إذا نام ، فصار وضعها يتعبه بعد ذلك إن وضعها فوق الغطاء شعر بالبرد وإن وضعها تحته أتعبته » .

كان يتحدث فى حفل أقيم فى سرادق بالمنصورة أقيم فى إحدى المناسبات الإسلامية ، فوصلته قصاصة بها « إنكم تنادون بقيام الدولة الإسلامية وعودة الخلافة الضائعة ، فمن يكون الخليفة المرشح وفق برامج الإخوان ومناهجهم ؟ » لقد كان السؤال دقيقا محرجا ، إذا قال الملك فاروق فقد اشتهر فسقه وذاع وعم فساده كل البقاع ، وإذا قال غيره تكون إجابته - كيفما كانت - دعوة لإسقاط الحاكم

وقلب نظام الحكم فى مصر . ولكن الرجل الذى تمكن من فكرته وتمكنت منه عقيدته قرأ السؤال فى الميكروفون .. فأنصت الجميع .. ثم قال :

– من كاتب هذا السؤال ؟

وبعد تردد قليل وقف شاب معروف بأنه حزبى من حزب الوفد ، وكان الوفد يخاصم الإخوان حينذاك . فقال له الأستاذ :

– هل تقرأ القرآن ؟

– نعم .

– هل قرأت سورة القصص ؟

– لا أذكر .

إذن فعد إلى قراءتها ياأخى . تجد فى أولها ﴿ **إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين** ﴾ هذا تصوير لحال أمة . ثم قال ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون** ﴾ حينما أراد الله لهذه الأمة المستضعفة هذه الإرادة التى يرثون بها الأرض والتى تجعلهم أئمة قد تمكّن دينهم ... حينما أراد الله لهذه الأمة هذه الإرادة ، أين كان القائد الذى يحقق الله به هذه الإرادة ؟

– لا أدرى .

– تجده فى الآية التالية ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ ! أرأيت ياأخى ؟ كان قائد تلك المعجزة رضيعا مطاردا يلقى فى اليم من الخوف . ياأخى نحن مطالبون بأداء رسالة وحمل أمانة ولانبحث عن من يتصدر ويترأس ، ولكننا دعوة ، وحين يحين الحين لتصبح الدعوة دولة سوف يصنع الله لها قائدها الذى يتزعمها ، فهذا شأن الله يصنع على عينه من يشاء والله أعلم حيث يجعل رسالته .

مع قسم الطلاب

لم تكن محاضرة الثلاثاء والأحفال العامة هى صلتى الوحيدة بالمركز العام . فتلك صلة عامة . وإنما كان هناك صلة أخرى أعمق وأوثق ، فمنذ بدأت دراستى بكلية التجارة عام ١٩٤٢ اتصلت بالإخوان فى الكلية . وكان الاتصال فى الكلية يغاير نمط الاتصال بالشعبة ، فلم يكن بالكلية أسر ولاجوالة للإخوان وإنما كان لكل سنة دراسية من سنى الكلية الأربع مندوب ، ثم كان هناك مندوب للكلية جميعها . وكانت مهمة كل مندوب أن يتعرف على الإخوان الذين فى سنته الدراسية ، وهو مسئول عن تعارفهم ببعض . وكنا نعقد لذلك الاجتماعات تارة لسنة دراسية بعينها وتارة لإخوان الكلية فى مصلى الكلية أو فى المركز العام . وكانت جريدة « الإخوان المسلمون » الأسبوعية تباع لنا فى هذه الاجتماعات .

وكثيرا ماكنا نحتفل فى الكلية بالمناسبات الإسلامية ، فندعو طلاب الكلية وأساتذتها إلى أكبر مدرجاتها حيث يبدأ الحفل بتلاوة القرآن الكريم ، ثم يتوالى الخطباء من طلاب الكلية وأساتذتها ، وأيضا من إخوان من غير الكلية ، وكثيرا ماكان يحضر هذه الاحتفالات ويخطب فيها مصطفى مؤمن وكان طالبا بكلية الهندسة وسعيد رمضان وكان طالبا بكلية الحقوق . وحين كنا نقيم حفلات للتعارف بالمركز العام كنا ندعو إليها نخبة من أساتذة الكلية وطلابها ، وأحيانا كان يشاركنا هذه الحفلات إخوان كليات أخرى ، وكان يشهدها معنا أستاذنا المرشد ، فكان ينتهز هذه الفرصة ليشرح لضيوفنا دعوة الإخوان وغايتها وأهدافها ووسائلها وخطوات سيرها ، كما كان يجيب على أسئلتهم ويستمع لكلماتهم وانتقاداتهم . وأذكر حفلا من هذه الأحفال فوق سطح دار المركز العام على إفطار فى يوم من أيام شهر رمضان المبارك ، وكان بين المدعوين إليه بعض الزملاء المسيحيين وبعض ذوى الاتجاهات اليسارية . فكانوا يسألون عن موقف الإخوان من المسيحيين والأقليات المسيحية فى مصر وفى العالم الإسلامى ، بينما ذهب اليساريون يقولون إن دعوة الإخوان يسيرها فرد واحد هو « حسن البنا » فهى تقوم على أسس ديكتاتورية فاشية مناقضة لمبادىء الديموقراطية الحديثة التى آمن بها العالم واتجه إلى الأخذ بها ، كما قالوا إن الإسلام فكرة نظرية لايمكن تطبيقها ،

أما يساريتهم فهى أحدث ماوصل إليه فكر العالم وهى مطبقة فعلا . وكان الأستاذ يجيب فى هدوء وسماحة وسعة صدر وفى منطق وإفحام وأناة .

تربية

كان أكثر ماأفدت من قسم الطلاب هو اجتماعات « الكتيبة » التى كنت أدعى إليها . ولقد حضرت مع الأستاذ المرشد نحوا من ثلاثين كتيبة ، سبع منها فقط كان عن طريق الشعبة ، والباقى كله كانت دعوتى إليه عن طريق قسم الطلاب بالمركز العام . كنا نتكتم هذه الاجتماعات لسببين : أولهما ترويض أنفسنا على الكتمان ، وثانيهما حتى لايحضرها غير من دعى إليها . وكان المفروض أن يكون عدد المدعوين إلى اجتماع الكتيبة فى حدود الأربعين غير أنها كثيرا ماكانت تصل إلى ستين وكان الاستاذ يتغاضى عادة عن ذلك ، ولكنها بلغت الثمانين مرة فبان الامتعاض عليه ولفت نظر المسئولين عن دعوة الكتيبة إلى ذلك ، وكان يرى أن العدد إذا زاد فقد الغرض من اللقاء وهو التعارف والتآلف ثم الاستفادة .

وكان اجتماع الكتيبة بقسم الطلاب إذا عقد صيفا عقدناه فوق سطح المركز العام ، وإذا كان شتاء عقدناه فى بعض الغرف المتسعة . وعن طريق هذه اللقاءات عرفت نخبة من إخوان الجامعة ، وبعضهم يشغل الآن أوضاعا وأكثرهم من المبرزين فى أعمالهم . وكان يشهد هذه الاجتماعات أيضا بعض الإخوان من طلاب كلية البوليس وطلاب المدارس الثانوية . عن طريق هذه اللقاءات الخاصة أخذنا كثيرا من فقه الدعوة .

حركات

وكان لقسم الطلاب نشاط آخر هو الحركات التى كنا نقوم بها فى الجامعة وفى المدارس الثانوية . تلك الحركات كانت ظاهرة هامة من أوجه نشاط الاخوان ومن أبرز علامات الحركة الوطنية بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها عام ١٩٤٥ . وكان قائد هذه الحركات واحدا من أبرز الإخوان فى هذه الحقبة

ومن أقواهم شخصية وأوسعهم إطلاعا هو الأخ مصطفى مؤمن من طلاب كلية الهندسة . ولقد كان خطيبا مفوها لايبارى ، يأخذ بالألباب ، وذا قدرة فذة على إثارة الحماس ، كما كان عقلية حركية تتفتق كل يوم عن جديد . كان بعض تلك الحركات يخدم القضية الوطنية المصرية وكان بعضها يؤيد القضايا الإسلامية والعربية خارج مصر . فمن الصنف الأول لاينكر إلا جاحد أن الفضل يرجع إلى الإخوان فى تحديد أهداف مصر أو ماأسميناه الأمانى الوطنية ، وأعلناها وجمعنا الناس عليها وحملنا الحكومات الهزيلة على الاعتراف بها داخليا والمطالبة بها خارجيا ، وفى الواقع لم يتم ذلك بإقناع تلك الحكومات وإنما كان بتوريطها أمام الرأى العام المتزايد الذى أمكن بلورته على ذلك . كان الإخوان هم الذين ضغطوا هذه الأهداف فى كلمتين « الجلاء والسودان » . من ذلك أيضا دعوة الأحزاب والزعماء والمتزعمين والوزراء والمستوزرين إلى الوحدة لمواجهة المستعمر صفًا واحدا . فلما غلبت على هؤلاء حزبيتهم وتهافتهم على كراسى الوزارة وتناحرهم على ذلك ، حمل الإخوان لواء نبذ الحزبية قاطبة ونجحوا فى هذا إلى حد بعيد ، حتى صار محرما فى الجامعة نتيجة لذلك الهتاف بأن يعيش فلان باشا أو بأن يسقط فلان باشا وصار أى حزبى لايجرؤ على هتاف من هذا النوع ، وارتفع بدلا من ذلك « كفران بالحزبية ، إيمان بالوطنية » . من ذلك أيضا رفض الأحلاف والمعاهدات التى كان من شأنها ربط مصر بعجلة « الإمبراطورية البريطانية العجوز » – وربما كان الأستاذ المرشد هو صاحب هذا التعبير – وإحباط كل مشروع من هذا القبيل . لقد كان قسم الطلاب وتحريكه للجموع الطلابية فى هذه الاتجاهات من أبرز ماظهر من الصور عن حركة الإخوان فى الأربعينيات ، وكان هو اللسان الناطق عن حركة الإخوان .

هذه الحركات اتخذت شكل عقد المؤتمرات لطلاب الجامعة فى حرم الجامعة [جامعة فؤاد الأول – جامعة القاهرة الآن] أو فى قاعة الاحتفالات أو فى مدرجات الكليات المختلفة ، وكذلك اتخذت شكل الخروج فى مظاهرات خارج أسوار الجامعة بعضها اصطدم بالبوليس وسقط فيها من الضحايا من الطرفين من سقط ، والشهادة لله لقد كان الأستاذ البنا يكره ذلك أشد الكره . كذلك كان يقبض على بعض الإخوان فى هذه المظاهرات ، وتم تقديم بعضهم إلى المحاكمات بتهمة التظاهر وتعطيل الدراسة .

كذلك عقدنا مؤتمرات جامعية عديدة لنصرة قضايا فلسطين وسوريا ولبنان وباكستان وأندونيسيا . ولقد كان ذلك من صميم عقائد الإخوان المسلمين ، غير أن القوى الحزبية والشيوعية كانت تناوىء ذلك وتحاول نشر منطق « مصر للمصريين » وألا شأن لنا بفلسطين وسوريا وكل ما هو خارج حدودنا ، ولقد عانينا من هؤلاء الكثير فى محاولاتهم لعرقلة تقدم الحركة التحررية التى سرنا بها حينذاك .

إن هذه المرحلة فى حاجة إلى تأريخ مسهب لبيان أهميتها ودور الإخوان الواضح فى توجيه الحركة الوطنية فى مصر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وفى رأينا أن المهندس مصطفى مؤمن هو خير من يقوم بهذا العمل ، فهو الذى قاد هذه الحركة بضع سنين . لقد تزعم الإخوان النشاط الوطنى فى مصر وأشعلوه وبلوروه وقادوه وتقدموا الصفوف ودفعوا الثمن والحمد لله .

استقلال مصر !!

فى تلك الأيام كانت الحرب العالمية الثانية دائرة الرحى منذ ١٩٣٩ . وكان هناك ضغط مستمر من جانب السفير الإنجليزى سير مايلزلمبسون لتدخل مصر الحرب إلى جانب انجلترا . عاملان منعا ذلك لفترة طويلة . أولهما شعب مصر الذى كان يمقت الإنجليز بسبب الاحتلال الذى طال قرابة سبعين عاما حتى حينذاك ونتج عنه تعاطف واضح مع الطرف الآخر فكنا نفرح إذا انتصر الألمان ونشمت فى الإنجليز الذين كنا نكتئب إذا كسبوا .

والثانى الملك الذى كان بينه وبين الإنجليز تنازع سلطة ونوع من لعبة القط والفأر . كذلك كانت هزائم الإنجليز لا تشجع على إعلان الحرب إلى جانبهم .

كنا نرى جنود الجيش الثامن الإنجليزى فى القاهرة وغيرها من مدن مصر ، أكثرهم من الهنود . ماشأن الهند بألمانيا وإيطاليا ، ينتزع الشاب الهندى من أبيه وأمه وزوجته وهم أشد مايكونون حاجة إليه لتروى دماؤه رمال الصحراء وغير الصحراء ؟! شأنها أنها كانت مربوطة بعجلة بريطانيا [العظمى] ، وفى مصر لم



الملك فؤاد



اللورد كيلرن ينظر في غطرسة ..

نكن نحب أن نرتبط بهذا الرباط الذى لاشأن لنا به ولاناقة لنا فيه ولاجمل ، فضلا عن بغضنا لهؤلاء الناس الذين يحتلون بلادنا وينعمون بخيراتها ويتدخلون فى شئونها .

قد لايدرك شباب هذ الجيل ، جيل الثمانينيات ومايأتى بعدها معنى الاحتلال والتدخل ، ولذلك فليس خروجا عن الموضوع أن نحكى طرفا من ذلك . قد يظن أحد أن الأمر اختلف بعد معاهدة ١٩٣٦ عما كان قبلها ... أبدا . سيان قبلها وبعدها . قليلا من الصبر لتقرأ هذه الأسطر .

فى عام ١٩٣٤ طلب ملك الإنجليز أن يسافر ولى العهد فاروق إلى انجلترا ليتعلم هناك . وأبدى أبوه الملك فؤاد رغبته أن يتعلم اللغة التركية أولا . واقترح المندوب السامى مايلز لمبسون أن يدرس فاروق فى كلية ايتون بإنجلترا مع إحضار مدرس خصوصى ليعلمه اللغة التركية . ووافق الملك فؤاد على أن يؤجل ذلك إلى أن يبلغ فاروق السادسة عشرة من عمره [وكان لايزال فى الرابعة عشرة] . يقول مايلز لمبسون « وقد عارضت هذه الفكرة بشدة وطلبت أن يسافر الأمير فى أسرع وقت » . (!)

ماشأن مايلز لمبسون وتعليم وتربية ولى العهد فى دولة مستقلة حتى ينتزع حق أبيه فى اختيار منهج تعليمه وتربيته ؟ من الواضح أنه كان الرغبة فى أن يصنع الإنجليز ملك المستقبل على أعينهم .. نوع من غسيل المخ كما صنعوا ملوكا آخرين ظهروا فى المنطقة . المهم ، وافق الملك فؤاد على ذلك[1] يقول مايلزلمبسون عن الملك فؤاد « كنا نستطيع أن نجعله يتصرف كما نريد فى النهاية وأى تصرف كنا نريده كان من الممكن أن يتم عن طريقه »[2] .

ويحكى ذلك المندوب السامى مايلزلمبسون عن حفل استقبال أقامه فى السفارة البريطانية بالقاهرة ودعا إليه جميع رؤساء الأحزاب ويذكر ملاحظاته عنهم وأنه كم كان مسليا لرجال السفارة أن يراقبوا كيف يتصرف هؤلاء الناس ! كأنما كانوا يتفرجون على قرود أو نسانيس .

---

(١) الدبابات حول القصر ١٧

(٢) الدبابات حول القصر ٢٧ و ٢٨

« النحاس باشا كان منظره يبدو عجيبا وعندما كان يصعد سلم السفارة كان ذيل البالطو الأسود الذى ارتداه خصيصا لهذا الحفل يهتز يمينا ويسارا ، وكان يتعمد أن ينفخ صدره وهو يقترب منى ... الخ .

... وبدا لى أن كلا من صدقى ومحمد محمود على درجة كبيرة من الذكاء وأنه من السهل أن يخضعا عند الضرورة لتعليمات السفارة . [ص ١٨] .. الخ .

حتى الأمير محمد على تحدث معه فى جنازة الملك فؤاد [توفى ٢٨ أبريل ١٩٣٦] عن أحقيته فى الوصاية على العرش فأعطاه الانطباع أن طلبه سوف يتحقق .[ص ٢٧]

مربية الملك فاروق حتى عاد ملكا من انجلترا مسزتايلور ، انجليزية .

صيدلى الملك تيتر نجتون ، انجليزى .

مدرسات الأميرات ، انجليزيات .



النحاس

وحتى بعد أن عاد فاروق من انجلترا اختار له السفير مدرسا انجليزيا اسمه فورد . وكان فاروق يزوغ من مدرسه هذا فأعطاه السفير الإنجليزى درسا عن عدم انتظامه مع مدرسه واعترف فاروق بذلك ووعد بالانتظام . كانت معاهدة « الشرف والاستقلال » فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ . ولكن السفير يذكر فى مذكراته أنه فى ٢٤ ديسمبر ١٩٣٦ ذكر لفاروق أن حكومة بريطانيا تؤيد أسرته المالكة ولكن هذا التأييد سيتأثر حتما بتصرفاته . [ص ٣٥] واعتذر الملك ووعد باصطحاب مدرسه فورد معه فى رحلته إلى الصعيد وأنه سيكون ولدا أحسن كثيرا مما مضى .

وحين أخرج الملك وزارة النحاس باشا عام ١٩٣٧ قال السفير الإنجليزى لعلى ماهر « إن لندن قلقة للغاية من إقدام الملك على طرد النحاس ، وإن مثل هذه التصرفات قد تؤدى إلى دمار الملك وربما الأسرة المالكة أيضا ... فرجاه على ماهر ألا يكون قاسيا على فاروق عند مقابلته بعد ظهر ذلك اليوم « فإن فاروق مازال غلاما » .

ومع ذلك يقول لمبسون فى برقية بعث بها إلى لندن كما جاءت بصفحة ٤٢ من مذكراته « ... أبلغته [فاروق] بنفسى أن حكومة صاحب الجلالة قلقة من مسار الأحداث فى مصر وأنه قد يكون ماضيا فى الطريق الخاطىء ، وأننا لا نستطيع أن نعفيه من الخطأ ، كما أن تأييد بريطانيا له سوف يتأثر إذا استمر فى هذا الخطأ . وقد حذرته مرارا من النتائج الخطيرة التى قد تترتب على قراره بطرد النحاس باشا من الحكم رغم أنه يتمتع بأغلبية كبرى فى البرلمان ، وقلت له إن هذا خطر على عرشه . وطلبت منه أن يتفق مع النحاس باشا وأن الأوامر الصادرة إلىّ من لندن أن اتحدث إليه [فاروق] بلهجة شديدة .

.... وبعد ذلك تلوت عليه التعليمات التى بعثتموها إلىّ من لندن . وقال الملك إنه يفهم ماتريدونه تماما » .

ذلك كان الاستقلال الذى جاءت به معاهدة الشرف والاستقلال ... استقلالاً غنيا عن أى تعليق . ومع هذا التسلط من الإنجليز على مقدرات مصر و « رجالات » مصر – وقد تكون كلمة رجالات هنا فى محلها إذا حملناها على أنها جمع مؤنث سالم – قد يكون من المفيد أن ننقل ماذكره مايلزلمبسون [لورد

كيلرن] عن أسلوب حاييم وايزمان زعيم الحركة الصهيونية حين قابله فى ٧ فبراير ١٩٣٨ ، فقد ذكر له مهددا أن اليهود قد يصبحون مصدر متاعب لبريطانيا إذا لم يحصلوا على مايريدونه فى فلسطين . الانجليز يتسلطون على مصر واليهود يتسلطون على الإنجليز .

وفى أوائل فبراير ١٩٤٠ حضر انتونى إيدن إلى مصر لتحية القوات الإسترالية والنيوزيلندية والهندية التى جىء بها للقتال ، وصحبه السفير مايلزلمبسون لزيارة ولى العهد الأمير محمد على توفيق فشكا لهما من فاروق وذكر لهما أن رئيس الوزراء على ماهر هو السبب ، وأنه لايوثق به بالمرة ، وأن شقيقه أحمد ماهر هو الذى قال له ذلك . [ص ٥١] وطلب إلى إيدن ان يعامل المصريين بحزم لأن معاملتهم بلطف تخرج الأمور من أيديهم (!) . هذا محمد على بن الخديو توفيق ومن شابه أباه فما ظلم . كان مازال يتكلم بلغة أبيه حين قال لعرابى قبل ستين عاما « أنتم عبيد إحساناتنا » .

وفى ١٧ يونية ١٩٤٠ بعد توقيع معاهدة الشرف والاستقلال بأربع سنوات قابل السفير الإنجليزى مايلزلمبسون قابل الملك فاروق فى الأسكندرية وطلب إليه خروج على ماهر من رئاسة الوزارة بشرط ألا يعود إلى القصر رئيسا للديوان ، وحذر الملك أن يلعب بالنار ، وأخبره أن الجنرال ويفل [قائد الجيش الإنجليزى] ينتظره ليعرف منه قرار الملك [وفى ذلك تهديد باستخدام القوة] . كما طلب إليه أن يعود إلى القاهرة . ورفض السفير رجاءً من أحمد حسنين باشا أن يمنح على ماهر فرصة أخرى .

وفى أواخر يونية ١٩٤٠ وافق لمبسون على تعيين حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة باعتباره الرجل الذى ترضى عنه بريطانيا . [ص ٥٣]

كانت فرنسا قد انهارت أمام ألمانيا وحدثت كارثة دنكرك واجتاح هتلر الدانمرك والنرويج . وفى أغسطس ١٩٤٠ اشتدت الغارات الجوية على المدن المصرية ثم عبرت القوات الإيطالية حدود مصر فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٠ وفى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠ غزت إيطاليا اليونان . وتناقش لمبسون مع وزير المالية المصرية عن نقل الغطاء الذهب للبنكنوت المصرى إلى جنوب أفريقيا خوفا من تقدم الغزو الإيطالى . إلا أنه مع ديسمبر ١٩٤٠ استطاع الإنجليز أن يردوا الإيطاليين وراء حدود مصر .

ماهر بعد النحاس

بقى مصطفى النحاس باشا فى الحكم من ٤ فبراير ١٩٤٢ حتى أقاله الملك فاروق إقالة مهينة فى سبتمبر ١٩٤٤ ووجه إليه خطابا جاء فيه إنه عجز عن توفير الغذاء والكساء لشعبه وأنه لذلك قرر إقالته لتشكيل وزارة تكفل للشعب غذاءه وكساءه .

كانت الوزارة قد استنفدت أغراضها فسمح الإنجليز للملك بإقالتها . وكان الوفد قد فقد تقدير الطبقة المثقفة وتعاطفها باعتباره قبل علانية العمالة مع الإنجليز . ولم يجده فتيلا دفاعه عن نفسه بأنه قبل الوزارة إنقاذا للعرش . لقد عم الفساد الاحزاب كلها وحمل حزب الوفد كثيرا من ذلك واستطاعت الشيوعية ان تنفذ إلى بعض أجنحته لمقابلة النفوذ الشعبى المتزايد فى سرعة فائقة للإخوان المسلمين فى الريف والحضر ، بين الفلاحين والعمال والطلاب والموظفين والعلماء وغيرهم على السواء .

حين يختلف الوفد مع الإخوان فما أسهل على أبواقه وصحافته أن تزعم أن جماعة الإخوان تسترضى الملك، والشيوعيون معهم بعضهم لبعض ظهير . أما حين يصطاف الملك فى كابرى ويخطب النحاس باشا زعيم الوفد فيقول « إن أبصارنا لترنوا إلى تلك البقعة المباركة من أرض كابرى » .. قلنا لعلها تهكم وسخرية ، ولكن يعود جلالته من كابرى فيستقبله الباشا مقبلا يده ... هذا كله لم يكن استرضاءً للملك !!

نعى بعض الكتاب الشيوعيين فى كتب هزيلة حقا على الإخوان المسلمين أنهم حطموا اللجنة الوطنية وآثروا السير منفردين فى محاولة لتصويرهم إلى جانب الملك حينا أو إلى جانب الإنجليز حينا آخر . وليس أعرق فى الكذب المتعمد والبهتان من هذه المزاعم ، ويكفى لدحضها ماتعرض له الإخوان من محن لم يتعرض لمثلها أحد على أيدى حكومات الملك والإنجليز . وبالرغم من أنه ليس لهذه الكتب وزن فى علم التاريخ إلا أن المتأخرين حين يدرسون حركة الإخوان فإنهم يجمعون من كل حدب وصوب ماكتب عنهم ، ولااعتراض على ذلك ، إنما الاعتراض أن يحدث دون تمييز بين الغث والسمين . فليس كل من كتب صادق فيما كتب ،

لاسيما اذا كان شيوعيا اجتمعت لديه الخصومة والعداوة مع الانحلال واللا أخلاق . إن إصدار كتاب لايحتاج إلى أكثر من كاتب يكتب وجهة تموّل وتوزع ، وليس فى ذلك مايؤهله لأن يصير مرجعا ومصدر للمعلومات .

وحين نطالع كتاب « الإخوان المسلمين » وهو الدراسة التى حصل بها ريتشارد ب ميتشل على درجة الدكتوراه من جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية نجده زاخرا بالأخذ عن تلك الهلاهيل المفتراة بما يبعدها فى كثير من أجزائها عن مستوى الدراسة التى تستحق درجة الدكتوراة .

يتعين لاعتماد أى مصدر أن يكون كاتبه معروفا موثوقا به فى صدقه وأمانته أو على الأقل معروف الهوية والاتجاه . فإذا أخذ ميتشل عن مصدر اسمه « الإخوان فى الميزان » للمدعو محمد حسن أحمد – أن طلاب الإخوان قد انسحبوا فى شهر اكتوبر ١٩٤٥ من اللجنة الوطنية فحصلت هذه اللجنة على تفويض من الطلاب وغيرت اسمها إلى اللجنة التنفيذية بما يعنى أن الحركة الطلابية واصلت مسيرتها دون الإخوان ، فإنما هو مجرد إدعاء . لا كانت هناك لجنة وطنية ولا لجنة تنفيذية ! وأى معاصر يعلم علم اليقين أن كل ذلك كان أسماء بلا مسميات .

لقد تزعم اليهودى الايطالى المليونير هنرى كورييل الحزب الشيوعى المصرى . فإذا تصدى هؤلاء ليتزعموا المسار الوطنى فسحقهم الإخوان صار الإخوان خونة ؟! بكل وضوح .. لقد تزعم الإخوان المسلمون جهاد الطلاب دون منازع فى تلك الفترة . وكان الشيوعيون يعارضون الإخوان على طول الخط ، وقد تابعوا موسكو فى الاعتراف بإسرائيل عام ١٩٤٨ ، وأعلنوا أنه لاشأن لنا بفلسطين وأن قضيتنا هى مصر . وكذلك فعل الوفد حين أعلن الإخوان فى ابريل ١٩٤٦ عن احتفالهم فى الجامعة بعيد استقلال سوريا تصدوا للإخوان لمنع الاحتفال بدعوى أننا فى مصر ولسنا فى سوريا ووقع اشتباك بين الطرفين أوضح لمن كانت الأغلبية .

كان الإخوان مسلمين ، مسلمين فى مشاعرهم ، مسلمين فى عواطفهم ، مسلمين فى اتجاهاتهم ، مسلمين فى سياستهم . وحين رفضوا أن يضعوا يدهم النظيفة فى أيد ملوثة بالشيوعية فهذا أمر طبيعى . كانوا مسلمين يرفضون ماليس إسلاميا فرفضوا الذيلولة لموسكو . وفى ذلك يتمثل الأستاذ حسن البنا بقول الشاعر :

ونحن أناس لاتوسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر .

انتخابات مزورة

أقال الملك وزارة النحاس وحل مجلس النواب الوفدى وأجريت انتخابات جديدة قاطعها الوفد . وفى هذه الانتخابات رشح الإخوان :

الأستاذ حسن البنا عن دائرة الإسماعيلية .
الأستاذ أحمد السكرى عن دائرة المحمودية – بحيرة
الأستاذ صالح عشماوى عن دائرة مصر القديمة .
الأستاذ عبد الحكيم عابدين عن دائرة فدمين – الفيوم
الأستاذ محمد حامد أبو النصر عن دائرة منفلوط .

كما رشح الأستاذ أحمد حسن الباقورى نفسه عن دائرة الخليفة . لم يكن من مرشحى الإخوان وقد أعطاه الإخوان أصواتهم .

لم يكن أحمد ماهر رئيس الوزراء بعد النحاس فى صراحة النحاس . فقد ترك المرشحين يدخلون الانتخابات ثم زوّرها بحيث لاينجح منهم أحد وكان التزوير أظهر ماكان فى دائرة الإسماعيلية . كان المرشح المضاد مقاول ممن يتعاونون مع الجيش الإنجليزى ويستفيد منه اسمه سليمان عيد ، فكانت سيارات الجيش الإنجليزى تنقل عمال الجيش إلى لجان الانتخابات ببطاقات انتخابية مصنوعة ... ثم أعلن فوز سليمان عيد وفرح أحمد ماهر .

وقد أراد الأستاذ البنا أن يضرب المثل فى سماحة الإسلام وآن الإخوان لايفهمون دينهم على أنه تعصب فكان وكيله فى لجنة الطور يونانى متمصر مسيحى يدعى الخواجه باولو خريستو ، وكانت تلك اللفتة الذكية محل تعليق وسخرية من ماهر والنقراشى فى لقائهما مع سعيد رمضان ولم يكن قد بلغ العشرين ولكنه استطاع أن يفحمهما .



صالح عشماوى



عبد الحكيم عابدين





محمد حامد أبوالنصر

وفى شهر نوفمبر ١٩٤٤ أجريت مراسم افتتاح ذلك البرلمان وخرج الملك فاروق الأول [والأخير] فى عربة ملكية حمراء اللون زاهية مذهبة تجرها الجياد وسط فرسان الحرس الملكى ، وكان يجلس عن يساره ذلك المزور الذى صار رئيسا للوزارة أحمد ماهر باشا ، خرجا من سراى عابدين ليلقى ماهر خطاب العرش على أعضاء البرلمان عن لسان الملك . وفى ميدان الأزهار بباب اللوق اتخذنا مواقفنا نهتف بحياة « جلالة الملك » ، فما أن أهل بطلعته – وكان يبتسم لشعبه وإلى جواره رئيس وزرائه يبتسم أيضا حتى رفعنا لافتات كنا نخفيها بسقوط الانتخابات المزورة وارتفعت هتافاتنا عدائية بسقوط تلك الإنتخابات وسقوط ماهر مزور الانتخابات . وعلى أمتار قليلة منى رأيت ابتسامة الملك تزول لتكسو وجهه سحابة واضحة من الكآبة فى حين استمر المزور الجالس إلى يساره يبتسم .



أحمد ماهر

كنت أردد الهتاف وأنا أقف خلف مأمور قسم شرطة عابدين . واستدار الرجل بكل غيظ وأمسك بتلابيبى وآخرين إلى جوارى ، واستعان فى ذلك بجنوده ، ثم استوقف سيارة أجرة وفتح بابها ودفعنى داخلها ودفع ورائى الآخرين فأسرعت

بفتح الباب الآخر وذهبت منه فى الزحام ، أما الآخرون فقد احتجزوا يوما بقسم عابدين قبل أن يفرج عنهم بجهود بعض المحامين ، أذكر منهم محمود الشربينى .

ولعلها مناسبة لمناقشة من يزعمون أن الإخوان سلكوا أساليب غير قانونية ، وكان أحرى بهم أن يكونوا ديموقراطيين وأن يصلوا إلى أهدافهم عن طريق التقدم إلى المجالس النيابية دون اللجوء إلى مايصفونه « بالعنف » . نقول انه حدث مرة أيام النحاس باشا وحكم الوفد ومرة أخرى أيام احمد ماهر فزوّرها كما سبق بيانه . نعم هذا هو الاسلوب الديموقراطى ولكن الحاكم والملك والأحزاب والاحتلال هى التى لم تكن ديموقراطية وهى التى كانت تسلك السبيل غير القانونى وغير الشرعى وكانت لاتستحيى أن تزور . فإذا أجرت الانتخابات وزارة وفدية جاء البرلمان وفديا . وإذا أجرتها وزارة سعدية جاء البرلمان سعديا فإذا ذهب الإخوان مذاهب أخرى فقد كان لهم كل العذر بل كل الحق فيما ذهبوا إليه .

وفى ميزانى الخاص أن الحكومة التى تزور الانتخابات تفقد شرعيتها إن كانت لها شرعية من بادىء الأمر

وحيل بين الإخوان المسلمين وبين المجالس النيابية فى الانتخابات المتعاقبة بدءا من انتخابات ١٩٤٢ فما بعدها بشتى الوسائل ، بالمنع عسفا من الترشيح أو التزوير ، أو بحل الجماعة ، أو بالعزل السياسى ، أو بحياكة قوانين سيئة السمعة تستهدف عدم دخولهم هذه المجالس، كأن يقتصر الترشيح للمجلس على الأحزاب فى حين يمتنع قيام الأحزاب على أسس طائفية ويعد الإسلام من الطائفية ! ... الخ ، فلم يتسن للإخوان أن يكون لهم أى تمثيل نيابى فى مصر قبل انتخابات ١٩٨٤ ، ودخل أفراد معدودون على قائمة حزب الوفد ، ثم فى انتخابات ١٩٨٧ على قائمة حزب العمل . حدث ذلك بعد أن دخل مجلس الشعب بسنوات طويلة العمال والفلاحون والنساء والفئات ... وصفات مبتكرة .



الشيخ سيد سابق

الإخوان المسلمون والإخوة الأقباط

فى الدعايات الحزبية لانتخابات مجلس الشعب فى مصر عام (١٩٨٧) ردد حزب الحكومة الحزب الوطنى الديموقراطى أن دعوة الإخوان إلى الأخذ بشريعة الإسلام ، هى دعوة إلى الفتنة الطائفية بين عنصرى الأمة : المسلمين والأقباط ، واشتعلت النار فى مسجد بصعيد مصر ، ثم أحرقت كنيسة وراحت الإذاعة والتلفزيون تركز على الوقوف فى وجه الفتنة الطائفية ، ومن وراء الإذاعة صارت الصحافة لاسيما القومية منها – الأهرام والأخبار والجمهورية – تركز على هذا المعنى ، وتزيد بأن تنسب أمورا إلى الجماعات الدينية المتطرفة ، وتجاوز بعضها أكثر فنسب تلك الجماعات إلى الإخوان ، وأنها جميعا تخرج من معين واحد ، وتمادى بعضهم أكثر وأكثر فاجترأ على التاريخ الإسلامى بجلاله ، وزعم أنه لم تكن عدالة وإنصاف لأهل الذمة إلا فى عهد عمر بن الخطاب ، وأنها كانت فلتة غير قابلة للتكرار .

ولم يكن شيء أبعد عن الصدق من هذا ، ورغم أن دعاة الإخوان ومسئوليهم ظلوا يرددون فى خطاباتهم وفى كتاباتهم نفى ذلك عن الإخوان وعن الإسلام ، فقد ظلت تلك الدعايات الحزبية تلعب بالنار ، وآثرت الاستمرار فى منهجها تحسبا أن ذلك يخدمها فى انتخاباتها التى أرعبها أيما رعب أن يخوضها الإخوان . من أجل ذلك أضفنا فى الطبعة الثانية من « النقط فوق الحروف » هذا الفصل عن فكر « الإخوان المسلمين » نحو الإخوة الأقباط .

فى رسالة « نحو النور » للأستاذ حسن البنا ، جاء تحت عنوان « الإسلام يحمى الأقليات ويصون حقوق الأجانب » ما يأتى :

« يظن الناس التمسك بالإسلام وجعله أساسا لنظام الحياة ينافى وجود أقليات غير مسلمة فى الأمة المسلمة ، وينافى الوحدة بين عناصر الأمة ، وهى دعامة قوية من دعائم النهوض فى هذا العصر . ولكن الحق غير ذلك تماما ، فإن الإسلام الذى وضعه الحكيم الخبير الذى يعلم ماضى الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذللها من قبل ، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذى لا يحتمل لبسا ولا غموضا فى حماية الأقليات ،

وهل يريد الناس أصرح من هذا النص ؟ ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ .

فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط ، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم ، وإن الإسلام الذى قدس الوحدة الإنسانية العامة فى قوله تعالى: ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ﴾ ، ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك ، فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعا فى قوله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم * صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ .

ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة فى غير صلف ولا عدوان ، فقال تبارك وتعالى: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾

هذا الإسلام الذى بنى على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ ، لايمكن أن يكون أتباعه سببا فى تمزيق وحدة متصلة ، بل بالعكس ، إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية ، بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدنى فقط .

وقد حدد الإسلام تحديدا دقيقا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم ، فقال تعالى بعد الآية السابقة :

﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾

وليس فى الدنيا منصف واحد يُكرِه أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلا فيها وفسادا كبيرا بين أبنائها،ونقضا لنظام شئونها .

ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة ، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه ، وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا ، فإن

فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله :

﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينّا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ .

وبذلك يكون الإسلام قد عالج هذه النواحى جميعا أدق علاج وأنجعه وأصفاه . أ . هـ .

هذا ما ذكره مرشد الإخوان فى رسالة من رسائله التى كان الإخوان يتدارسونها ويحفظونها ويعملون بها ، وتلك تعاليمه التى كان يلقنها لنا فى محاضراته العامة ، وفى لقاءاته الخاصة على السواء ، وكان له بين رءوس الأقباط ومطارنتهم وقساوستهم صداقات ومودات ، كان كثير الأسفار فى تجواله على شُعَب الإخوان ، فكان يزور أصدقاءه الأقباط فى كل مكان ويودهم ، وكانوا يستقبلونه ويودونه ويخطبون على منابر الإخوان .

وفى جهاد الإخوان وحركتهم حدثت احتكاكات ونسبت إليهم العمليات ضد الانجليز أو اليهود أو عملائهم أو غيرهم بالحق أو بالباطل ... ليس فيها حدث واحد كان ضد الأقباط منذ بدأت حركة الإخوان عام (١٩٢٨) ، حتى كتابة هذا عام (١٩٨٨) .

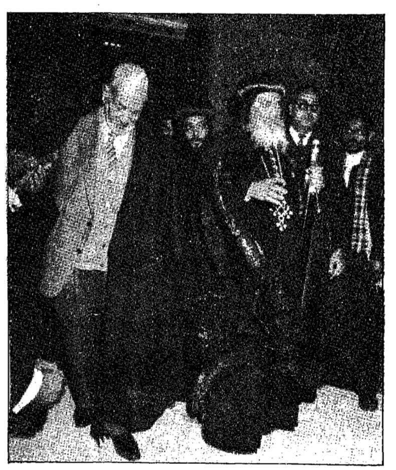


أنور السادات



البابا شنودة

ولقد نسبت إلى الإخوة الأقباط أمور عام (١٩٨١) نسبها إليهم الرئيس أنور وأجهزة حكمه ، ويعرف الجميع مكان الإخوان من ذلك ! كان مكانهم فى المعتقلات مع الأقباط وبأعداد كثيرة . رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى أنور السادات هو الذى أوقف سلطات البابا شنودة بطرك الأقباط ، وحدد إقامته فى دير بوادى هبيب [وادى النطرون] عام (١٩٨١) . لم يكن مرشد الإخوان ولا نظامهم الخاص بل كان رئيس الجمهورية ورئيس الحزب الوطنى الديمقراطى ، هو الذى اعتقل طائفة من القبط ومن الإخوان وكان بينهم مرشدهم « عمر التلمسانى » رحمه الله ، فما كان بينهم وراء الأسوار - وخارجها - إلا كل تفهم ومودة ثم تزاور بعد الإفراج عنهم . وقبل ذلك فى أواخر الأربعينيات شكل الاستاذ حسن البنا لجنة سياسية لجماعة « الإخوان المسلمون » ضمت أربعة من السياسيين الأقباط ، أتذكر منهم « لويس فانوس ووهيب دوس » .



شنوده والأستاذ عمر التلمسانى فى لقائهما بالمقر البابوى

فى جريدة الأهرام ١٦ /٤ /١٩٨٧ كتب المستشار ميلاد تادرس يقول :
« إخوان ... فى السراء والضراء .

« أود أن أسرد واقعة عايشتها بنفسى وكنت أحد شهودها ، وتتعلق بالشهيد « حسن البنا » زعيم ومؤسس « الإخوان المسلمون » ، ففى الأربعينيات أرادت الجمعية الخيرية القبطية بدمنهور إقامة كنيسة للأرثوذكس ، وكنت وقتها محاميا بدمنهور وعضوا بالجمعية ، واشترينا قطعة أرض تجاور مسجد « جمعية المحافظة على القرآن الكريم »، ولم تعترض جمعية المحافظة على القرآن الكريم على إقامة الكنيسة بالقرب من المسجد ، ولكن المعارضة كانت بشدة وبقوة من فرع «الإخوان المسلمون » بدمنهور ، وهكذا تعثر بناء الكنيسة حتى فكر رئيس الجمعية الخيرية القبطية وهو المرحوم الدكتور فهمى مسعد فى مقابلة الشهيد حسن البنا ، وفعلا سافرنا إلى القاهرة وتوجهنا إلى مقر الجمعية ، وطلبنا مقابلته وتمت المقابلة فعلا وشرحنا له الموقف . فاتصل المرحوم « حسن البنا » تليفونيا أمامنا بالسيد رئيس الفرع بدمنهور ، وقال : إنه لا يود أن يسمع أن الإخوان يقفون ضد بناء الكنيسة بل عليهم أن يساعدوا فى البناء .

« وعدنا إلى دمنهور بعد أن طيب الشهيد « حسن البنا » خاطرنا وطمأننا وأقيمت الكنيسة ومازالت الواقعة فى أذهاننا ، وإن دلت هذه الواقعة على شىء فإنها تدل على خلق الشهيد حسن البنا وتفهمه سماحة الإسلام وصدق رسالته من إخاء ومحبة بين البشر ، وأن رسالة الإخوان المسلمين لاتقوم على التفرقة بين أديـان الله ، بل تربطهم جميعا عبادة الواحد ، بل تدل هذه الواقعة على مدى وطنية الشهيد « حسن البنا » واعتباره أن جميع المصريين — مسلمين وأقباطا — هم أمة واحدة ، تربطهم مع بعض مصالح الوطن وتقاليده وعاداته ، انتصاراته وأفراحه وكذا أحزانه ، وأننا إخوان فى السراء والضراء عشنا معا قرونا طويلة لا يعكر صفوها إلا بعض السحب التى لا تلبث حتى تنقشع ، ويبدو سماء الوطنية صافيا سليما ، يطل على أرض نعيش فيها معا نرويها بسواعدنا وبدمائنا » .أ هـ.

وفى أحد اجتماعات الكتائب مع الأستاذ البنا عام (١٩٤٦) — وهى اجتماعات خاصة — ذكر الدكتور حسان حتحوت أنه سيجعل من رسالته فى الحياة بيان المودة بين المسلمين والأقباط ، وما يحمله الدينان من هذه المعانى ، فى ذلك

الاجتماع سمعت من حسان حتحوت تعاليم الإنجيل : أحبوا مبغضيكم ، باركوا لاعنيكم ، وصلّوا من أجل الذين يسيئون إليكم ... من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن سخرك ميلا فسر معه ميلين ومن نازعك الرداء فأعطه الإزار أيضا . تعليمات تغرس السماحة فى نفوس المؤمنين بها . وقد بارك الأستاذ البنا ما قال الدكتور حسان . وأتذكر مقالا نشره الدكتور حسان فى مجلة الدعوة بعنوان « أخى جرجس » .

سوف أذهب إلى أبعد من هذا ، وليحتملنى القارىء مسلما كان أو قبطيا ، ولندخل إلى عمق الموضوع لنضع النقط على الحروف . لقد أثبت الإسلام النبوة والرسالة للمسيح عليه السلام ، والطهارة لأمه وفضلها على نساء العالمين ، بمن فى ذلك أم النبى ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين وبناته ، ولكنه لم يقبل أن يكون المسيح هو الله أو ابن الله ، ومن هذا المنطلق صار المسلمون مؤمنين بنبوة المسيح كافرين بألوهيته ، وليس هذا هو الإيمان من وجهة النظر القبطية .

كما أن القبط رغم تقدير كثير من باحثيهم وكتابهم لشريعة الإسلام وحضارته ونبيه ﷺ ، لا يؤمنون بنبوة محمد ورسالته ، فهم لم يؤمنوا من وجهة النظر الإسلامية .

هذا هو واقع الحال وتقدير موقف صادق لا مجاملة فيه ، فما حكم الشريعة الإسلامية فى ذلك ؟

حكم واضح واضح واضح ، وآيات القرآن الكريم صريحة لا لبس فيها :

﴿ أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾

﴿ أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾

﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ .

﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ .

والنتيجة قالها عمر بن الخطاب « لكم مالنا وعليكم ماعلينا » .

فإذا ضربنا فى جذور الماضى وجدنا هاجر امرأة خليل الله أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام مصرية ، وهى أم اسماعيل عليه السلام أصل الفرع الذى منه محمد ﷺ ، ووجدنا مارية زوج نبينا ﷺ مصرية قبطية من أنصنا من أعمال أسيوط ،

وحتى بعد أن أسلمت وتزوجها النبى ﷺ وولدت له ابنه ابراهيم وإلى أن ماتت رضى الله عنها ظلت تعرف بأنها مارية القبطية .

وكان للمسلمين الأوائل الذين فتحوا مصر موقفا سجله تاريخ الفتح حين كان الحكام الروم يحرقون قبط مصر بالنار ويقطعون أوصالهم ويغرقونهم فى البحر ويقتلونهم ويعذبونهم بكل وسيلة لتحويلهم عن مذهبهم إلى مذهب بيزنطة ، حتى فتن كثير منهم ومن قساوستهم وأساقفتهم ... وجاء عمرو بن العاص فرفع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم وخلصهم مما كانوا فيه من البلاء ، فلولا عمرو ابن العاص لقد كاد دين القبط أن يزول .

كان الخلاف المذهبى بين الكنيسة المصرية والكنيسة البيزنطية أن قبط مصر هم الذين قالوا إن الله هو المسيح عيسى بن مريم ، فى حين ذهب الروم إلى أن للمسيح أقنوما إلهيا وأقنوما بشرياً واتحد فيه اللاهوت بالناسوت ... إلى آخر مالا شأن لنا به هنا ، ولكن يتبين منه أن مذهب قبط مصر كان أبعد عن عقيدة المسلمين من مذهب بيزنطة ، ومع ذلك فقد نصر عمرو بن العاص والمسلمون الفاتحون قبط مصر فى مواجهة الروم ولم يضعوا أى قيد من أى نوع على عقائد القبط وأعلن عمرو الأمان للأب بنيامين الذى كان البطرك الثامن والثلاثين للقبط وكان هاربا من حكم الإعدام يطلبه الروم لإنفاذه . ولم يكن عمرو فى هذا ينصر مذهبا على مذهب فهذا مما لا شأن له به ، ولكنه كان ينصر حرية الاعتقاد التى كفلها الاسلام لجميع الناس ، ولم يكن عمرو — والمسلمون معه — ممتنا على القبط ولا متسامحا معهم من عنده وإنما كان مسلما يحكم بما أنزل الله وما سن رسول الله .

وإن ذلك الأمان الذى أعلنه عمرو ونشره فى ربوع مصر للبطرك بنيامين لهو مفخرة للمسلمين فى جميع العصور يلزمهم التمسك به مدى الدهر :

« أينما كان بطرك القبط بنيامين نعده الحماية والأمان وعهد الله ، فليأت البطرك إلى ههنا فى أمان واطمئنان لِيَلَى أمر ديانته ويرعى أهل ملته » .

وعاد البطرك بنيامين فأمر عمرو أن يقابل بما يليق به من الترحاب والتكريم ، واستقبله عمرو ثم قال لأصحابه « لم أر يوما فى بلد من البلاد التى فتحها الله علينا رجلا مثل هذا بين رجال الدين » . وجعله عمرو أميرا على قومه لا يدافع فيهم أمره

وجعل له ولاية أمر دينهم . ثم ذهب بنيامين من الإسكندرية إلى أديرة وكنائس وادى النطرون وخطب يبارك كنيسة هناك فقال :

« كنت فى بلدى الاسكندرية فوجدت بها أمنا من الخوف واطمئنانا بعد البلاء ، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم » . ووصف قومه بأنهم فرحوا بعودته كما تفرح الأسخال [العجول » إذا ما حلت لها قيودها وأطلقت لترتشف من لبان أمهاتها .

وكتب حنا النقيوسى بعد الفتح بخمسين عاما وهو الذى لم يتورع أن يصف الاسلام والمسلمين بأشنع الصفات كتب يقول عن عمرو « ولكنه لم يضع يده على شيء من ملك الكنائس ولم يرتكب شيئا من النهب أو الغصب ، بل إنه حفظ الكنائس وحماها إلى آخر مدة حياته » .

بقى أمران ، أحدهما من جانب بعض المسلمين – وليس كلهم – والآخر من جانب بعض الأقباط – وليس كلهم .

الأول يتعلق بالجزية باعتبارها شرطاً من شروط عقد الذمة ، فيذهبون إلى أنه مادام الأقباط لا يؤدون الجزية فقد انتقض عهد الذمة . وأحسب هؤلاء لم يأخذوا فى اعتبارهم شروط عقد الذمة كلها ثم المتغيرات كلها . كانت الجزية ضريبة دفاع تؤخذ من غير المسلمين مقابل إعفائهم من الخدمة العسكرية ، وكانت الحروب حينذاك دينية وكانت حروب المسلمين جهادا فى سبيل الله لفتح باب الدعوة إلى الإسلام وبيانه للناس ، فلم يكن من المناسب أن يلزم غير المسلم ببذل روحه ودمه من أجل ما لايعتقد ، من أجل ذلك أعفى غير المسلمين من الجهاد ، وفرضت عليهم الجزية التى كانت أشبه بالبدلية التى عرفناها فى مصر إلى منتصف القرن العشرين .

أما اليوم فإن الأقباط والمسلمين ينخرطون معا فى الخدمة العسكرية ، فضلا عن أنها برمتها قد برئت من العقيدة وصارت أغراضها سياسية بحتة لا شأن لها بالدين فنجد أن مصر فى الخمسينات والستينات قد ساعدت القبارصة اليونانيين بالسلاح ضد القبارصة المسلمين الأتراك لانتزاع قبرص

منهم ، كما زجت بجيشها فى حرب لا شأن لنا بها فى الكونغو ، ولم تعد إعلاء كلمة الله هى هدفها . صرنا إلى أوضاع يرحب فيها كثير من المسلمين أن يؤدوا البدلية مقابل إعفائهم من مثل هذه الحروب ، ومع ذلك ففى عهد الفتوح الأولى زمن عمر بن الخطاب أعفى غير المسلمين من الجزية إذا شاركوا فى الفتح أو الدفاع عن الأرض بعد فتحها .

الأمر الثانى : يتعلق بمخاوف لدى بعض الأقباط يستقونها من بعض كتب التاريخ ، تحكى سوابق اضطهاد من الحكام المسلمين . وأول ذلك ما نسبه مؤرخ قبطى - بكل أسف - إلى عمرو بن العاص وهو حنا النقيوسى ، أن المسلمين استولوا على أغنام المصريين فى طريقهم إلى الفيوم ، ثم أجبروا أهل الفيوم ، على فتح أبوابها ووضعوا السيف فى جميع من استسلم ، بمن فيهم الشيوخ والنساء والأطفال ، وأن عمرو بن العاص قارف من العنف ما يفوق الحصر وأحرق المحاصيل عند دمياط ... الخ .

وحنا فى هذا يخالف روايات المؤرخين المسلمين .

ويخالف ما جاء بكتاب ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين من حسن معاملة المسلمين وأمانتهم مع قبط مصر وبطركهم .

ويخالف تعاليم الاسلام التى كان المسلمون الأوائل يتمسكون بها .

ويخالف سياسة المسلمين فى الأقطار المفتوحة ، لم يفعلوا ذلك فى العراق والجزيرة وإمبراطورية الفرس والشام .

ويخالف أحاديث النبى ﷺ التى تتنبأ بفتح مصر وتوصى المسلمين بقبطها ، وقد ذكر ابن عبد الحكم عشرة أحاديث فى هذا كما أورد الامام مسلم بعضها فى صحيحه .

وأخيرا قد نكون مضطرين إلى أن نذكر أن ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين ذكر عن حنا أنه زوّر انتخاب البطرك ؛ ليفوز بها جرجة بدلا من إسحق الذى استحقها بعد وفاة البطرك يوحنا ، وأن عبدالعزيز بن مروان والى مصر قد اكتشف ذلك فأعاد الأمور إلى نصابها ، وفى هذا يلقى ساويرس الضوء على أمانة

العرض التاريخي لدى حنا أسقف نقيوس ، كما ذكر ساويرس أن القبط عزلوا حنا النقيوسى من منصبه ؛ لإدانته فى تعذيب راهب حتى الموت ، وآخرين أخرجوا عذراء من ديرها واغتصبوها فى وادى هبيب .

والذى أحب أن يعرفه الاخوة الاقباط أن النقيوسى قد كتب تاريخه فى ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر ، وفى عهده وقعت فتنة قمعها عبد العزيز بشدة ، ونذهب إلى أنها هى التى أثرت فى شعور حنا نحو المسلمين ، فقاس عمرو بن العاص على عبد العزيز بن مروان ، وخالف جميع ما ذكرنا .

فإذا عبرنا مراحل التاريخ المختلفة بعد ذلك لا نكاد نجد حاكما أوقع بالقبط إلا وأوقع بالمسلمين أيضا ، وأقرب ذلك ما كان من الرئيس أنور عام (١٩٨١) .

إذا كان ذلك هو فكر الإخوان وفهمهم وسياستهم المستمد من القرآن الكريم والسنة ، والثابت فى رسائلهم وتاريخهم وممارساتهم ، وإذا كانوا يعلنون جهارا نهارا أن ليس بينهم وبين المواطنين الأقباط إلا كل مودة وبر وقسط ، فلماذا التقول عليهم بغير الحق ؟ ، ولماذا رميهم بل ورمى الشريعة كلها بأنها تحدث الفتنة ؟ ! إن المطالبة بتطبيق الشريعة لا يتجزأ عن إيمان المسلم بإسلامه ، وهى فريضة على المسلم ، ولا أتصور أن يعترض الأقباط على أن يتمسك المسلمون بإسلامهم ، كما لا يصدر عن المسلمين أى ضغط على الأقباط ليخالفوا دينهم والقرآن الكريم هو الذى يقول ﴿ **وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾ .

أمشى خلال مدينة القاهرة أو غيرها من مدن مصر فتصادفنى الكنائس بقبابها وأبراجها ، وقد ارتفعت فوقها الصلبان فأشعر بالزهو ، لأن هذا هو الإسلام ... هذه هى حرية العقيدة والأديان ، أن يعيش الأقباط فى أمان مع المسلمين ، تمتزج بيوتهم فيتعارفون ويتزاورون ويتوادون ويتراحمون فيما بينهم ﴿ **أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ .

أرجو بهذا أن أكون قد وضعت النقط فوق الحروف .



الفصل الرابع

صحافة الإخوان

وقبل أن نمضى مع الأحداث نقف وقفة قصيرة نعرض فيها موجزا عن صحافة الإخوان فقد كان للإخوان المسلمين صحافتهم على مراحل دعوتهم المتدرجة . تلك الصحافة لاقت من النجاح ومن نقيضه ماهو جدير بالتسجيل ، ولقد كان أول ماظهر للإخوان فى هذا الشأن مجلة كانت تحمل اسمهم ، وكان صاحب امتيازها العالم الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والد الأستاذ المرشد . وكانت ذات طابع ثقافى بحت تتناول شرح الأحاديث النبوية الشريفة وتفسير القرآن الكريم وبعض أبواب الفقه والخطب المنبرية وماشاكل ذلك . ولربما كان ذلك مناسبا لنشاط الجماعة وماكانت عليه حين صدور هذه المجلة .

النذير

بعد ذلك أصدر الإخوان مجلة النذير فى عام ١٩٣٨ . كان صاحب امتيازها محمود أبو زيد المحامى ، وقد صدر حينذاك قانون يحتم أن يكون رئيس تحرير أى صحيفة من حملة المؤهلات العليا ، فكلف المرشد العام الأستاذ صالح عشماوى أن يتولى رئاسة تحريرها باعتباره حاصلا على بكالوريوس التجارة العليا .. ورحب الأستاذ صالح بذلك باعتباره عملا للدين والدنيا .

كانت النذير جريدة أسبوعية ، ولعلها كانت أول مجلة إسلامية سياسية تنقد الأوضاع فى حماس وجرأة . كان محمد محمود باشا رئيس وزراء مصر حينذاك وقد اشتعلت الثورة العربية فى فلسطين فى مقاومة الحركة الصهيونية التى ظهر نشاطها هناك ، وكان اتجاه الإخوان مساندة عرب فلسطين فى حين كان الاتجاه العام للدولة فى مصر غافلا غير مهتم . وإذا بذلك الرجل محمد محمود باشا يقول إنه رئيس وزراء مصر وليس رئيس وزراء فلسطين . فكتب صالح عشماوى ينال من الرجل بما هو أهل له . وعاد يكتب مطالبا بتعديل الدستور بأسلوب فيه عنف حققت معه فيه النيابة . فكانت النذير طرازا جديدا من المجلات الإسلامية وكان لها فضل كبير فى تنوير الأذهان وشرح الإسلام كدين ودولة .

كانت النذير توزع داخليا عن طريق شُعَب الإخوان ، وكان توزيعها ناجحا يصل إلى خمسة آلاف نسخة فى العدد ، وكانت منتشرة إلى درجة أن أعداء الدعوة كانوا يرسلون خطابات السباب ردا على ماتنشر . واستمرت النذير تنطق باسم الإخوان حتى عام ١٩٤٠ . فى ذلك العام حدثت فتنة شباب محمد ، فانشق عن الإخوان الأستاذ محمد على المغلاوى ، والدكتور على النشار ، والأستاذ محمود أبو زيد المحامى صاحب امتيار النذير ، وانضم إليهم آخرون من خارج الجماعة ، وكان اتجاه شباب محمد حماسيا اندفاعيا بصورة لم يقبلها الإخوان . حينئذ صار الإخوان بلا جريدة فاستأجروا مجلة اسمها التعارف .

مجلة الإخوان المسلمين

فى ٤ فبراير ١٩٤٢ أرغم الإنجليز الملك فاروق على إسناد الوزارة إلى مصطفى النحاس باشا ، فبدأ بإجراء انتخابات فى البلاد تقدم إليها الأستاذ حسن البنا فى دائرة مدينة الإسماعيلية . ولكن النحاس استدعاه وصارحه بأن الإنجليز قد طلبوا إليه عدم دخول حسن البنا البرلمان ، وكان حديثا بين الرجلين خرج به الأستاذ البنا بتنازله عن ترشيح نفسه مقابل تيسيرات قدمها الباشا ... السماح للإخوان بمزاولة نشاطهم داخل شعبهم والتصريح لهم بمجلة « الإخوان المسلمون » .

استمرت هذه المجلة تصدر حتى صودرت فى عام ١٩٤٨ بحل جماعة الإخوان . وكان رئيس المجلة صالح عشماوى ، وكانت ثقافية سياسية توزع داخل شعب الإخوان شأن مجلة النذير .

الجريدة اليومية

كانت الجرائد اليومية السائرة تقاطع كلمة « إخوان » فلا تذكرها أبدا . وكان لكل حزب سياسى جريدته التى تنطق باسمه ، أما جماعة كبرى مثل الإخوان فلم يكن لها . ومع الإحساس بالحاجة إلى ذلك فقد أنشأ الإخوان شركتين مساهمتين هما شركة الإخوان للطباعة وشركة الإخوان للصحافة وكان رأسمالاهما معا ٧٠

ألف جنيه مصرى . وتم شراء مطبعة كانت من قبل مطبعة جريدة الجهاد ، ولم تكن مناسبة بحال ، فقد كانت بطيئة لاتفى بالحاجة وكانت تطبع ثلاثة آلاف نسخة فى الساعة ، وكان المطلوب طبع عشرين ألفا فى اليوم ، ومعنى هذا أن تعمل المطبعة سبع ساعات لإتمام العدد ، وبذلك يفوتها قطار الصعيد وقطار الصحافة والنزول إلى الشارع مع سائر الصحف ، وقد كان الحاج محمد حلمى المنياوى هو وسيط شرائها ولقد بدأت الجريدة ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد السكرى فلما انشق عن الجماعة تولى رئاسة تحريرها الأستاذ صالح عشماوى .

ووقعت الجريدة فى عديد من الأخطاء سببت لها المتاعب ، فبالإضافة إلى عدم مناسبة المطبعة ، حدث أن استعانت ببعض الصحفيين من خارج الإخوان لم يكونوا خبراء صحافة على المستوى المناسب . وكانت تمنح رواتب كبيرة بالنسبة لما كان يجرى حينئذ وبالنسبة لإمكاناتها . وقد استنفدت تلك الأخطاء جانبا من رأسمالها .

من المعلوم أن أى جريدة لاتغطى نفقاتها من عائد التوزيع ، ولكن لابد لها من موارد أخرى ، ومن أهم تلك الموارد المصاريف السرية التى تمنحها الحكومات لصحافتها ، وهذه لم يكن للإخوان منها أى نصيب ، ومن أهمها أيضا عائد الإعلانات ، وهذه كان لها مع صحافة الإخوان عامة وجريدتهم اليومية شأن . فلم يكن لجريدة الإخوان أن تنشر أى إعلان بل كان عليها أن تتحرى وأن تدقق فلم يكن لمثلها أن تنشر إعلانا لايجوز أو يكون فيه شبهة ، من ذلك إعلانات السينما والملاهى والخمور والسجاير والدخان وملابس السيدات لاسيما إذا صاحبها رسم أو مصور . وكانت الجريدة تتعرض للنقد الشديد بمناسبة وبغير مناسبة فى هذا الشأن . إعلان عن شفرات الحلاقة قالوا إن اللحية من السنة وإن حلقها بدعة ولايجوز الإعلان عن مثل هذا .... الخ كثير كثير ، مثل هذا أقام حَجْراً على الإخوان فيما يقبلون ومالايقبلون ، وكثيرا ماتركوا ماليس به بأس مخافة الوقوع فيما به بأس ولقطع ألسنة الحاقدين والأصدقاء المتزمتين على السواء . وبذلك فقدوا أهم الموارد لتمويل الجريدة .

كذلك كانت شركات التوزيع التى عليها ترويج بيع الجريدة حربا على الجريدة ! ولاشك أن ذلك كان بدافع وإيعاز بل وإغراء أعداء الدعوة وأعداء

الجريدة : ربما كان من هؤلاء الجرائد الأخرى والأحزاب وكافة الخصوم والأعداء . كانت الجريدة تخفى عن الأعين فلا يراها الجمهور ولاينادى عليها حتى تعود مرتجعات ، وكنا نسأل عنها الباعة فينفون وجودها .

ومع كل ذلك فقد صمدت الجريدة من عام ١٩٤٦ إلى أن حلت الجماعة فى ديسمبر ١٩٤٨ وصودرت جريدتهم . لقد كانت الجريدة من حيث مادتها مشبعة ، ولقد أعطاها الأستاذ البنا جل جهده فى أيامها الأخيرة وبذل لها كل طاقته . ولقد روى أن صهره الحاج عبد الله الصولى كان يزور بيت الأستاذ فيجده على غير مايرام من حيث أحواله المادية ، فكان يترك للبيت ماهو كفيل أن يصلح شأنه وينصرف ثم يعود فيجد البيت كما هو ... فقد كان المبلغ يذهب إلى الجريدة !

الكشكول الجديد

كان خصوم الإخوان يهاجمونهم بإسفاف ، وكان الإخوان يتعففون عن الرد عليهم ، أو يتعففون فى الرد عليهم ولاسيما صحافة حزب الوفد والنشرات الشيوعية . ولقد تحمل الإخوان من الصبر شيئا كثيرا حتى اقترح محمود عساف وأمين إسماعيل إنشاء مجلة أسبوعية تتولى الرد والمهاجمة بنفس الأسلوب . وللحقيقة ، ورغم أن ذلك كان فيه من التنفيس عن الصدور الصابرة مافيه فقد اعترض على الفكرة من اعترض ، ووافق من وافق على استحياء . ولذلك لم يعلن عن الكشكول الجديد على أنه من صحافة الإخوان المسلمين ... ولكن الإخوان هم الذين أنشئوها ومولوها . وقام عليها محمود عساف وأمين إسماعيل بعد أن قدما استقالتيهما من الجماعة .

ومن أمثلة ماكانت تنشره الكشكول باب بعنوان « دائرة المعارف الوفدية » بدأت بحرف الألف وأذكر منها شرحا لكلمة « أب » جاء بها « أبوك معروف لك طبعا . يقال للوفديين ملعون أبوكم ... وليست الوزارة ميراثا عن أبيكم ... الخ . وصفحة أخرى بعنوان « مجلس نوابهم فى المنام » يتولى كاتبها بأسلوب تهكمى ساخر تأليف جلسات هزلية لمناقشاتهم فى مجلس النواب . وهكذا كانت تتحدث عن مصطفى النحاس وسليمان غنام وفؤاد سراج الدين بعبارات نحاس الوفد

وغنام الوفد وسراج دين الوفد . وكان الوفد يصدر جريدة « صوت الأمة » فصورت الكشكول صفحة على نفس نظام الجريدة جعلت عنوانها « صطل أمة » بنفس نوع الخط .

وبالرغم من قوة المجلة فى تحريرها وإغراقها فى الفكاهة فقد توقفت بعد قليل بسبب استنكار الإخوان أنفسهم لأسلوبها .

الشهاب

وعلى الجانب الآخر نشأت هذه المجلة الجادة . فقد أرادت أسرة المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا استئناف صدور « المنار » وطلبوا إلى الأستاذ حسن البنا القيام على ذلك ، وبالفعل صدرت بجهوده بعض أعدادها . ولم يكن له من مورد خاص بعد استقالته من عمله كمدرس وتفرغه للدعوة . فأراد أن يكون له مورد ولذلك أنشأ مجلة الشهاب على غرار المنار إسلامية ثقافية بحتة وكانت شهرية . كان صاحب امتيازها ومديرها ورئيس تحريرها ، وصدرت منها عدة أعداد فى ١٩٤٨ ولم تكن تباع ولكنها اعتمدت فى توزيعها على الاشتراكات . وحين انجلت محنة ١٩٤٨ وكان الأستاذ البنا قد استشهد أنشأ سعيد رمضان فى الخمسينيات مجلة « المسلمون » على نفس النسق .

صحافة صديقة

هذا ماكان من شأن صحافة الإخوان منذ نشأتها حتى محنة ١٩٤٨ واحتجابها تماما إلى عام ١٩٥١ . وجدير بالإشارة أنه كان هناك صحافة صديقة ولكنها محدودة . فقد دأبت مجلة الاعتصام وهى مجلة الجمعية الشرعية وكانت أسبوعية على نشر موجز مختصر لحديث الثلاثاء ، ولم تكن مجلة الإخوان تنشره اعترافا منها بمجلة الاعتصام .

كذلك تولى على الغاياتى صاحب منبر الشرق النطق باسم الإخوان فى غيبتهم وبعد عودتهم ، كان صديقا للإخوان وكانوا أصدقاءه وكان مثلهم يعانى من ضعف الموارد رحمه الله ، وكان كثيرا مايستصرخ ذوى الأريحية ليتبرعوا انقاذا لمنبر الشرق على صفحاتها .

الدعــوة

وبعد أن خرج الإخوان من معتقلاتهم استأجر صالح عشماوى الوكيل العام للجماعة مجلة المباحث القضائية فأدت دورها من شهر مايو ١٩٥٠ حتى آخر ذلك العام . بدأت المباحث لعدة أعداد ثقافية بحتة ولكنها بدأت تتجرأ بالتدريج حتى صارت تتناول الأوضاع القائمة .

وفى يوم الثلاثاء ٢٢ ربيع الثانى ١٣٧٠ - ٣٠ يناير ١٩٥١ صدر العددّ الأول من مجلة « الدعوة » فكانت أول مجلة إسلامية أسبوعية تطبع بالطباعة الحديثة بمطابع جريدة المصرى وتوزع عن طريق شركة التوزيع ، ولأول مرة أيضا كانت تغطى مصاريفها رغم عدم حريتها فى قبول الإعلانات ورغم حملها عبء بعض الإخوان الذين عملوا بها بقصد إيجاد مورد لهم ، وكانت الدعوة على مستوى مشرف من حيث برقياتها وتعليقاتها ومواضيعها وهيئة تحريرها . كان يكتب فيها صالح عشماوى رئيس تحريرها وصاحب امتيازها وأمين إسماعيل ومحمد الغزالى والسيد سابق وعبد العزيز كامل والبهى الخولى واحمد حسن الباقورى وعبد المنعم النمر ومحمد فتحى عثمان وسيد قطب ومحب الدين الخطيب وأنس الحجاجى وعبد الحكيم عابدين ورجاء مكاوى وغيرهم ، وشرف بذلك كاتب هذه السطور . وكان ثمن العدد قرشين .

واستمرت الدعوة فى الصدور حتى بعد فصل صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ صالح عشماوى من الجماعة فى نوفمبر ١٩٥٣ ولكن توزيعها هبط بصورة خطيرة ، وظلت الدعوة بعد ذلك تصدر بصورة شبه عادية حتى أواخر ١٩٥٤ رغم معاناتها ماليا . بعد ذلك كانت تصدر عددا محدودا جدا من النسخ - ليس للبيع ولا للتوزيع - على فترات متباعدة بقصد الإبقاء على امتيازها حيث إن هذا الامتياز يسقط بمضى مدة معينة إذا لم تصدر الجريدة .

وفى فبراير ١٩٥٧ صدر عدد خاص عن الإمام الشهيد الأستاذ البنا ووزع عدد كبير كتجربة لمحاولة الظهور ، ولكن شعر الأستاذ صالح عشماوى بعدم ارتياح السلطة بل واستيائها من صدوره وكان هذا وحده كافيا - فى ظل الظروف التى كان يحياها شعب مصر - لعدم تكرار التجربة أو على حد تعبيره هو « كش ملك » .

مجلة الإخوان مرة أخرى

وبفصل صالح عشماوى لم يعد لجماعة الإخوان جريدة فقد كان هو صاحب امتياز مجلة الدعوة . ولم يدم هذا طويلا فقد أصدر الإخوان مجلة « الإخوان المسلمون » مرة أخرى وصدرت منها أعداد محدودة . وكانت أسرة قطب هى القاسم المشترك الأعظم التى قامت على أكتافها . فكان الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – رئيس تحريرها وكان يحرر فيها الأستاذ محمد قطب والأخت حميدة قطب وآخرون بطبيعة الحال .

وسرعان مااحتجبت هذه المجلة بسبب اشتباك الجماعة بحكومة الثورة فى مصر . ظهورها واحتجابها كانا عام ١٩٥٤ وكان ذلك نهاية المطاف بصحافة الإخوان فى مصر حتى عام ١٩٧٦ .

الدعوة مرة أخرى

عادت الدعوة إلى الظهور مرة أخرى اعتباراً من شهر رجب ١٣٦٩ هـ يولية ١٩٧٦ بعد وفاة عبد الناصر ببضع سنين . عادت يديرها ويشرف عليها المرشد العام الأستاذ عمر التلمسانى ، وصاحب امتيازها ويرأس تحريرها الأستاذ صالح عشماوى ، واتخذت مقرا لها ٨ ميدان السيدة زينب بالقاهرة فى المكان الذى كانت تشغله قبل ذلك عيادة أسنان الدكتور أبو بكر نور الدين بعد أن تقاعد . كانت تباع المجلة فى مصر والدول التى سمحت بدخولها ولكنها ظلت ممنوعة لدى الدول التى كانت مازالت تشن حربا على الإخوان مثل ليبيا والسودان ودول البعث – سوريا والعراق – واستمرت تصدر إلى أن لقى صالح عشماوى ربه ، فتوقفت بحكم القانون الذى يلغى ترخيص الصحيفة التى يتوفى صاحبها .

وبصفة عامة فقد لقيت صحافة الإخوان من السلطات ألوانا من العنت . وكانت الرقابة فى الأزمات تخنقها حتى لاتجد ماتستطيع نشره . ونسوق هذه الطريقة مثالا لما كان يحدث . كان للإخوان شهداء فى ظرف من الظروف وإذا بالرقابة تحرم

نشر كلمة « شهداء » فى أى سياق . وتركت الصحيفة التعرض للسياسة من أى زواياها حتى تستطيع أن تصدر . وفى مقال عن شمول رسالة الإسلام وأن الإسلام هو رسالة كل دين ساق الكاتب الآية ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى** ﴾ وجرى قلم الرقيب على كلمة شهداء فشطبها ، ونوقش فى ذلك فأبى ، قيل له إن شهداء هذه ليست هى المقصودة بالتعليمات والأوامر ولكن معناها هنا « أم كنتم حضورا شاهدين ... » وبجهل مطبق أو تعسف مقصود أجاب ... إذن اكتبوها أم كنتم حضورا شاهدين إذ حضر يعقوب الموت !!

وفى ١٦ سبتمبر ١٩٨٦ نشرت جريدة الشعب تحت عنوان « تقديم ثلاثة صحفيين إلى المحاكمة » أن الإخوة جابر (●) رزق وبدر محمد وصلاح عبد المقصود أصدروا كتابا غير دورى تحت اسم البشير فصودر وقدموا إلى المحاكمة بتهمة الترويج لأفكار الإخوان المسلمين . والخبر غنى عن التعليق .

وفى جريدة الشعب الصادرة فى ٣٠ ديسمبر ١٩٨٦ جاء الآتى :

الإفراج عن مطبوعات الإخوان المصادرة

أفرجت محكمتا جنح عابدين ، وجنح العجوزة عن مطبوعات الإخوان المسلمين التى تحفظت عليها مباحث أمن الدولة منذ عدة أشهر .

فقد أصدرت محكمة جنح مستأنف عابدين حكمها يوم الأربعاء الماضى ببراءة الأستاذة فاطمة أحمد حمزة صاحبة امتياز مجلة « لواء الإسلام » مما نسب إليها من مخالفات لقانون الصحافة .

(●) انتقل الأستاذ جابر رزق إلى رحمة الله يوم ٢١ / ٦ / ١٩٨٨ حيث كان يعالج بالولايات المتحدة من مرض عضال وشيعت جنازته عقب صلاة الجمعة ٢٤ / ٦ / ١٩٨٨ من مسجد رابعة العدوية بمدينة نصر بالقاهرة حيث دفن - كوصيته - إلى جوار الأستاذ عمر التلمسانى - رحمه الله - بمدافن المنطقة الأولى بمدينة نصر .

وكان الإخوان المسلمون - برئاسة المرشد السابق المرحوم عمر التلمسانى - قد تعاونوا مع الأستاذة فاطمة حمزة لإصدار المجلة فصادرتها المباحث .

كما أصدرت محكمة جنح العجوزة حكمها ببراءة كل من الصحفيين : جابر رزق وبدر محمد وصلاح عبد المقصود ، من التهم التى وجهتها لهم مباحث أمن الدولة وهى إصدار مجلة بدون ترخيص وهو الكتاب غير الدورى المسمى « البشير » بالرغم من أن الذى أصدره كان المرحوم الأستاذ عمر التلمسانى .

•
••

الفصل الخامس

مع النظام الخاص

اتصال

في يوم من فبراير ١٩٤٦ دعاني حسين عبد السميع إلى منزله في موعد حدده وأكّد عليّ الميعاد لأن هناك مقابلة هامة ورفض أن يزيد على ذلك حرفا . وفي الموعد وجدت رجلا لم أكن أعرفه في انتظاري عرفني به حسين على أنه الأخ أحمد حجازي من الإخوان الموثوق بهم ، ثم تركنا حسين وانصرف في غرف البيت . وبدأ أحمد حجازي حديثه معي بسؤالي عن رأيي في بعض المواضيع العامة ، وظل يتدرج بالحديث حتى وصل به إلى موقفنا من الحكومات الضعيفة أمام الاستعمار والوزارات الخائنة . ورغم تعريف حسين وتزكيته للأخ أحمد حجازي فقد كنت حذرا معه في حديثي لأني لم أكن أعرفه من قبل فظل يستفرغ مافي جعبتي وأنا لاأريد أن أنطق إلا بصعوبة حتى اتفقنا في النهاية إلى أن الأخذ بفريضة الجهاد هو الذي يميز الإخوان عن سواهم . بعد ذلك تطرق إلى كيفية هذا الجهاد ووسائله ، وذهب يسألني إذا كان الواجب يحتم علينا أن نتجهز وأن نتدرب . وأجبت بأن الأمر عسير ، فأين نتدرب ومن أين بالسلاح وكيف يتم هذا في غفلة من عيون الحكومة . قال وقد عيل صبره من مطاولتي « هذا أمر قد فرغنا منه » . بهذه الإجابة الحاسمة انفتح له قلبي فوافقته . وانصرف أحمد حجازي بعد أن بايعته على السمع والطاعة والكتمان .

بعد ذلك طلب إليّ أحمد حجازي ترشيح إخوان لإكمال المجموعة . وذهبت انظر في الإخوان من جديد فلم أرشح سوى اثنين عبد المجيد حسن رحمه الله وطاهر عماد الدين . وأخذ أحمد حجازي الاسمين والمعلومات التي ذكرتها له عنهما وذهب ، وبعد أيام استدعاهما عند حسين كما فعل معي . واتفق عبد المجيد

معه توا . أما طاهر فقد رفض لأن اتصال حجازى به لايأتيه عن طريق المسئول عن الشعبة . وكان رأى طاهر وجهة نظر على كل حال . وأوضح حسين أن نائب الشعبة وحتى كبار المسئولين فى الميدان العام للجماعة ربما لم يكونوا من هذا النظام أو يعرفوا عنه شيئا ، إلا أن طاهر لم يقتنع . وبعد أيام قلائل كنا عند حسين نتداول فى حركاتنا بالجامعة وكان معنا مصطفى مؤمن ، وفى انصرافنا سمعت مصطفى ونحن نهبط درج المنزل يقول لطاهر « هل كلمك أحمد حجازى فى موضوع ؟ » قال « نعم » . قال « تستطيع أن تطمئن إليه » . ففرح طاهر وعاد يقبل الانخراط فى النظام الخاص .

دراسات

حدد لنا حجازى موعدا التقينا فيه ثلاثتنا معه ، وكانت تعليماته أن تكون صلتنا العامة أمام الناس عادية جدا حتى لايلحظ أحد أن بيننا نوعاً معيناً من الرباط . وقال إنه يمتنع علينا إذا صادفناه فى أى مكان أن نتحدث معه أو نبدى معرفتنا به أو أن نحاول أن نرى من يقابلهم أو يحدثهم أو يحدثونه ، وأن رؤيتنا له مع أى إنسان لاتعنى انتماء هذا الإنسان إلى النظام ، وأن جلستنا هذه – وكانت تعقد فى البيوت ، عندى أو عند طاهر – يجب أن تأخذ المظهر العادى أمام أهل البيت فلا يخيم السكون علينا وألا يكون هو المتحدث الوحيد الذى لايسمع إلا صوته ، ثم قال « اضحكوا » فضحكنا . كذلك طلب ألا يقدم أحدنا على إحداث أى حدث فى حياته الاجتماعية قبل الاتصال به ، فمن أراد مثلا أن يترك كليته أو يتزوج أو ينتقل من منزله أو ماشاكل ذلك فإنه يلزم أن يراجعه .

بعد هذا بدأ الدرس الأول ، فأخرج من جيبه مسدسا إيطالى الصنع من طراز باريتا عيار ٩ مم وشرحه لنا شرحا تفصيليا وافيا من ناحية حركته الميكانيكية وكيف يعمل ، وقد فكّه لنا قطعة قطعة ثم أعاد تركيبه ، كما شرح لنا شفويا كيفية استخدامه . وبعد أن فرغ من ذلك طلب إلى كل منا واحدا واحدا أن يعيد ذكر الشرح الذى سمعناه .

وقبل أن ينصرف واعدنا على الموعد التالى . وفى الدرس الثانى كان معه مسدس آخر بلجيكى الصنع من طراز براوننج عيار ٩ مم كان هو موضوع الدرس . كنا نسمى المسدس مصحفا حتى لانلجأ فى أحاديثنا إلى ذكر المسدسات . ثم أعطانا الموعد الثالث وكان موضوعه القنبلة اليدوية ميلز ٣٦ شديدة الانفجار . ثم كان الدرس التالى فى القنبلة اليدوية الحارقة إيطالية الصنع من طراز بريدا ... واستمرت الدروس ... المسدس الوبلى ذو المشط والمسدسات ذات الساقية والقنبلة اليدوية الفوسفورية الحارقة والقنابل الإيطالية الترموس وسوسييتا رومانا والمتفجرات والمفرقعات من جلجنايت و ت .ن .ت . وقطن البارود وأنواع الفتائل والمتفجرات والبوادىء ولوازم النسف والتدمير .... الخ .

لم تكن جميع لقاءاتنا تسير على هذه الوتيرة الواحدة ، فكثيرا ماكانت تخرج عن هذا الروتين . فمرة قرأ علينا لائحة النظام الخاص وناقشناها معه ، ومرات أعطانا رسائل مطبوعة فى مواد مختلفة كالقانون الجنائى وقانون تحقيق الجنايات والإسعاف وحرب العصابات . وخرجنا معه مرات فى رحلات تدريبية كان بعضها فى جبل المقطم أطلقنا فيها النار من أنواع مختلفة من المسدسات وكان بعضها فى قرية عين غصين بمنطقة قناة السويس . كانت قرية إخوانية بحتة ، دخلناها ومؤذن الجمعة يرسل تكبيراته من فوق مسجدها فما صادفنا فى طرقاتها سوى الأوز والدجاج وبعض الأطفال أما أهلها فكانوا جميعا بالمسجد . هذه القرية كانت تقع وسط معسكرات جيش الاحتلال الإنجليزى وكان هذا الجيش دائب التدريبات فلم يكن سماع أصوات الطلقات النارية باختلاف أنواعها أو فرقعة القنابل اليدوية والمتفجرات بالأمر الشاذ أو الغريب فى تلك المنطقة . أطلقنا النار من المسدسات ومن البنادق ومن الرشاش الصغير « التومى جن » وفجرنا أنواعا من القنابل اليدوية شديدة الانفجار والحارقة وكان من يسمع هذه الأصوات يعزوها بحكم العادة إلى معسكرات الجيش الإنجليزى . وأعتقد أن معسكرات الجيش الإنجليزى أيضا كانت تعتقد هذا فما كان أكثرها . وكان نزولنا عين غصين ضيوفا على رئيس الإخوان بها الشيخ حسن الأحمر رحمه الله .

فى خلال هذه الفترة التى قضيناها مع أحمد حجازى لاحظنا بعض الملاحظات كانت محل نقدنا ، فقد كنا نتفق فى كل اجتماع على موعد الاجتماع التالى الذى

كان يأتى فى بعض الأحيان بعد عشرة أيام أو أسبوعين . فطالبنا أن تكون الإجتماعات أسبوعية ثابتة الموعد . ولاحظت أن أحمد حجازى مزدحم بالمواعيد فقد كان عبء مجموعات القاهرة كلها يقع عليه وحده . كان مديرا لمنطقة القاهرة فى النظام الخاص ، ولذلك لم يكن يسعه إلا أن يعطى هذه المواعيد المتباعدة ، فاقترحنا أن تقسم القاهرة إلى مناطق وأن توزع المسئوليات على أكثر من مسئول . لقد بدأنا فخورين بالدراسات التى ذكرت ، ثم لم ألبث أن غيرت نظرتى إليها فطالبت أن تكون أكثر وأكبر وأدسم من هذا . كانت مجموعتنا ثلاثة فقط على خلاف العدد المفروض للمجموعة وهو الخمسة . ولقد كانت جميع هذه الملاحظات محل اعتبار ونظر .

كشف طبى

فى الفترة التى قضيناها مع أحمد حجازى أجرى علينا الكشف الطبى . طلب إلينا حجازى أن نتوجه إلى دار المركز العام الساعة الثالثة بعد الظهر ، وهو وقت لايتواجد فيه أحد بالدار ، وأن نطلب مفتاح غرفة المكتبة من موظف التليفون بالدار . وقبل الموعد كنا أمام غرفة التليفون فلما حان الموع ولم ننصرف قال لنا « هل تنتظرون أحدا ؟ » قلت « نعم نحن على موعد هنا » . قال « أنتم الذين تواعدتم على أخذ المفتاح ؟ » قلت « نعم » . فأخرجه لنا وقال « اصعدوا وافتحوا المكتبة وادخلوا ثم أغلقوا الباب وراءكم من الداخل » .

فعلنا كما قال ، وبعد قليل سمعنا طرقا خفيفا على الباب ففتحنا ودخل رجل لم نكن نعرفه بيده حقيبة من حقائب الأطباء ، وأعدنا غلق الباب بالمفتاح . قال لنا الوافد « أنا الدكتور أحمد الملط » قلنا « أهلا وسهلا » ، وأجرى علينا كشفا دقيقا وعاما واحدا واحدا ... على النظر والأعصاب والقلب والضغط والصدر والمعدة .... الخ ، وأخذ عينات من البول . وسجل الدكتور كل النتائج التى حصل عليها فى استمارة مطبوعة خاصة بذلك مع مقاس الصدر والطول ، ثم شهد لنا باللياقة الطبية .

بيعة

وفى الفترة التى قضيناها مع أحمد حجازى أيضا أدينا البيعة الواجبة على إخوان النظام الخاص . فحدد لنا أحمد موعدا لقيناه فيه بمسجد قيسون بالحلمية الجديدة فى صلاة العشاء ، وبعد الصلاة انصرف أحمد ونحن نتبعه عن كثب فى خطوات سريعة ، وظل يسير فى الطرقات الملتوية بالحلمية والصليبية حتى طرق بابا ضخما من الخشب لمنزل كبير قديم . وفتح لنا فدخلنا وصعدنا على سلم مظلم إلى غرفة كان بها مكتب من الخشب القديم قرضت قوائمة فهو أشبه بالطبلية على الأرض . كانت الغرفة مضاءة إضاءة قوية ، وتركنا بها أحمد وقام إلى غرفة مجاورة ثم عاد ومعه عبد الرحمن السندى فعرفنا به على أنه رقم (١) فى هذا التنظيم وبعد أن حدثنا عن النظام وأهدافه استوثق من استعدادنا استدعانى عبد الرحمن وحدى فقمت معه ، وإذ بدأت أخطو إلى الغرفة المجاورة وقد أمسك بيدى فوجئت بها فى ظلام دامس وقد فاح فى أرجائها روائح البخور والعطور الشرقية ثم أجلسنى على الأرض .

وجاء صوت الرجل الجالس فى الظلام لاأتبين منه شيئا ، يذكرنى بمبادىء الدعوة التى جندنا أنفسنا لنصرتها وإلى أن الجهاد من أركانها وهو سبيلها ، وإلى أنى بأداء هذه البيعة أضع نفسى تحت تصرف القيادة سامعا مطيعا لأوامرها فى العسر واليسر والمنشط والمكره معاهدا على الكتمان وعلى بذل الدم والمال . وقد ذكر ثقة القيادة فينا ومع ذلك أشار إلى أن أى خيانة أو إفشاء سر سوف يؤدى إلى إخلاء سبيل الجماعة ممن يخونها . وبايعت على ذلك وقد مددت يدى فوضعتها على مصحف ومسدس وقد وضع يده فوق يدى ولئن لم نر شخص الرجل فلقد كان واضحا من صوته أنه الأستاذ صالح عشماوى . ثم قام عبد الرحمن وأخذ بيدى فى الظلام الذى مازلت لاأتبين خلاله شيئا فخطونا نحو باب الغرفة إلى الغرفة الأولى شديدة الاستضاءة . فجلست بها لا أكاد أرى شيئا من شدة الضوء لفترة فى حين أخذ عبد الرحمن أخانا عبد المجيد فأدى بيعة مماثلة ثم عاد به وأخذ طاهر فبايع أيضا ثم عاد .

في تلك الليلة أيضا أعطانا أحمد أرقامنا السرية التى كان علينا أن نتعامل بها بدلا من أسمائنا فكان رقمى ١٦ ورقم عبد المجيد ١٧ ورقم طاهر ١٨ . وانصرفنا إلى بيوتنا وسعادتنا لا تعدلها فى الدنيا سعادة .

حصاد العمر

لقد أصدر أخونا فى الله تبارك وتعالى صلاح شادى كتابا عنوانه « **صفحات من التاريخ – حصاد العمر** » أحسبه من أوله إلى آخره كتاب من يدفع عن نفسه أنه أسلم جماعة الإخوان المسلمين إلى جمال عبد الناصر ، وهو إذ يفعل ذلك يحاول أن يلصقها بمن امتلأ قلبه حقداً عليه – كما يبدو من كتابه – عبد الرحمن السندى .

يحتاج كاتب تاريخ الإخوان أن يرجع إلى مايستقى منه . وبكل أسف فقد نهج إخوان أجلاء فى بعض ماكتبوا أن نقلوا عن الأخ صلاح باعتباره من داخل وحدات الجماعة ومطلعا على خباياها ، فركبوا شططا ، وأعطوا الأخ المسلم عبد الرحمن السندى ، رحمه الله ، حقا أن يخاصمهم أمام الله يوم القيامة فيأخذ من حسناتهم وقد تكون كثيرة ويحمل عليهم من سيئاته وقد تكون كبيرة .

كانت لعبد الرحمن أخطاء وكانت عليه مآخذ ، فهو بشر ... وكثر نقده بمناسبة حادث الخازندار وبمناسبة مخالفته الأستاذ الهضيبى مرشد الجماعة ... الخ . ولكن هذا لايعنى أبدا أن نلصق بالرجل ، وقد أفضى إلى ربه ، كل نقيصة وأن يستباح عرضه فيحمله غيره أخطاء فعلها هذا الغير ! ﴿ **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما . ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا** ﴾ . ولئن كانت على عبد الرحمن مآخذ فقد كانت له مآثر أكبر .

لقد كتبت هذه الصفحات ولم يكن حصاد العمر قد ظهر ، ومنعنى من إصداره إحساسى بحاجته إلى نظر وإضافات لم يتسع لها وقتى حتى صدوره . ولست أريد به مايطلبه البعض ، أن يكون ردا أو جوابا على من أود أن أجل من إخوانى فتلك

مهاترة لاأحبها ، ولاأريد به أن يكون كتابا على كتاب خاصة من نوع حصاد العمر ، ولاأبغى أن أضيف إلى كتب الفتنة كتابا . ولكنى اضطررت على غير رغبة منى أن أضيف تعليقات قليلة ومقتضبة جدا وبأقل عبارة ، فإذا الصحف نشرت فتكفينا محنة أخرى أن نأتى ربنا صفا فيأخذ للشاة العجفاء من الشاة القرناء ! ومحن الآخرة أشد وأنكى من محن الدنيا والعياذ بالله من كل منهما .

إخوانى أحبهم وأعزهم وأجلهم وأحسبهم من أهل الجنة بما قدموا ، والمرء مع من يحب . لذلك تجنبت أبوابا لم أطرقها وآويت إلى حديث رسول الله ﷺ « ذروا المراء لقلة خيره . ذروا المراء فإن المؤمن لايمارى . ذروا المراء فإن الممارى قد تمت خسارته . ذروا المراء فكفى إثما ألا تزال مماريا .

ذروا المراء فأنا زعيم ببيت فى وسط الجنة وأعلاها لمن ترك المراء وهو محق » .

فإذا قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ... **ولاجدال فى الحج** ﴾ فإنما هو تدريب فى أيام الحج على فضيلة غالية وشاقة من مكارم الأخلاق وقد قرن الجدال بالرفث والفسوق . أسأل الله أن يتقبل من المحسن وأن يغفر ويتجاوز عن غيره .

كان بين صلاح شادى وعبد الرحمن السندى حب مفقود خلافا لما كان بين كل أخ مسلم وأخيه . والسبب أن صلاح شادى كان يرغب أن يكون ضمن قيادة النظام الخاص فى حين كان عبد الرحمن يرى عدم صلاحية صلاح لهذا . ولم يكف صلاح عن رغبته هذه ولم يعدل عبد الرحمن عن رأيه ذاك حتى آخر عمره .

لم يكتب عبد الرحمن عن صلاح ، ولكن صلاحا كتب فى ١٩٨١ « حصاد العمر » جله عن عبد الرحمن من منظوره هو بعد أن لقى عبد الرحمن ربه عام ١٩٦٢ بتسعة عشر عاما ، وقد تضمن الكتاب حوارات ثنائية بين الاثنين يتصدى فيها صلاح لعبد الرحمن فيفحمه ويدمغه !! وعبد الرحمن ليس حيا ليجيب ، فالميدان خال لبطل واحد .

مثلا يذكر صلاح عن حادث القطار الحربى الإنجليزى أن رجاله هم الذين نفذوه ويذكرهم بأسمائهم ... فليكن ، فأنا شخصيا لم أكن أعرف فاعله ، ولكن يضيف أنه فى مقابلة مع عبد الرحمن زعمها عبد الرحمن لرجاله ! وكانت صدمة لصلاح !!

إذا كان الموقف بين غريمين أحدهما صار فى ذمة الله فقد تحتاج الرواية إلى شهود وإلا بقيت ضعيفة . لست أتهم صلاح شادى لاسمح الله بغير الصدق ، ولكن الامر يتعلق بأخ مسلم آخر وقد درج المسلمون فى رواياتهم على الإسناد ، فالاسناد جزء من الرواية ، فإذا كان الراوى هو شاهد الواقعة فلا بأس ، ولكن إذا شابها خصومة وحقد أو مصلحة فإن الأمر يختلف . ولأضرب لذلك مثلا نقيس عليه .

روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اقتنى كلبا إلا كلب صيد أو ماشية انتقص من أجره فى كل يوم قيراطان » وكان أبو هريرة يروى الحديث « من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو كلب زرع انتقص من أجره فى كل يوم قيراطان » فنقد الحديث لأن أبا هريرة كان له زرع ! أبو هريرة صحابى رسول ﷺ الذى روى عنه ٥٣٧٤ حديثا ، أبو هريرة أكثر الصحابة رواية وروى عنه أكثر من ٨٠٠ رجل وكان أحفظ الصحابة ، قال الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره . وكان ابن عمر يترحم عليه فى جنازته ويقول : كان يحفظ على المسلمين حديث النبى ﷺ . أبو هريرة الذى لاترقى رقابنا جميعا إلى قلامة ظفره ، انتقد حديثه لأنه كان له منه موقف شخصى . ويعلل ابن خلدون قلة رواية أبى حنيفة للحديث فيقول : إنه ضعّف رواية الحديث اليقينى إذا عارضها الفعل النفسى .

ليس الأمر أمر أبى هريرة أو أبى حنيفة أو شادى أو كاتب هذه السطور ولكنه قواعد علم اختص به المسلمون دون سائر الأمم فلا تغلبنا عليها سواد الخصومة . صلاح شادى أخ مسلم وعبد الرحمن السندى أخ مسلم ، لكل جهاده الذى لايمحوه خصومة الآخر له ، والموازين القسط ليست بأيدينا ولكنها بيد الله وليس أحدنا وكيلا عن الله فى الأرض يحاسب الناس ويصدر أحكامه نيابة عنه !

يقول أيضا فى حصاد عمره « ... إنما العيب الرئيسى فى تنظيم الجهاز السرى على وجه الخصوص أعزوه فى رأيى إلى عدم كفاءة رئيس النظام فى النهوض بتبعات العمل الفدائى فى مجال التنفيذ ، وظهر ذلك فى قضية الجيب ، حين بادر بغير إكراه يذكر إلى الحديث عن خفايا التنظيم ورجاله بصورة فضحتها

التحقيقات ، بل وظل يمارس عمله فى إصدار الأوامر من داخل السجن بعد هذه الاعترافات ... »

أقول ، « لم يحدث أبدا . كان عبد الرحمن مريضا بالقلب وكانت تنتابه الأزمة القلبية أشد ماتكون ، والمحقق لايرحم ، وعبد الرحمن صامد لايفوه بكلمة . لقد قرأنا ملف القضية فى السجن ورقة ورقة ولم يكن به حرف واحد مما ادعاه حصاد العمر ، وإذا كان صاحب ذلك الحصاد يستطيع فليدلنى على كلمة واحدة فاه بها عبد الرحمن عن النظام أو رجاله . وليسأل هو ومن يشاء جميع من بقى حياً من إخوان قضية الجيب ، مصطفى مشهور ، أحمد حسنين ، حسنى عبد الباقى ، محمود الصباغ ، أحمد الملط ، أحمد زكى حسن ، محمد فرغلى النخيلى ، أحمد عادل كمال ، طاهر عماد الدين ، محمد أحمد على ، على حسنين الحريرى إلخ شهود عدول فليسألهم واسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون .

هذا مجافاة للحق لم أستطع أن أتجاهله وإلا كان إقرارا بحدوثه .

والوقائع الصحيحة فى هذا الشأن أن عبدالرحمن السندى نفى نفيا قاطعا معرفته بشىء اسمه النظام الخاص ، أما عن المسئولين معه عن النظام ، فكما جاء فى صفحة (١٧٢٢) من ملف تحقيقات قضية السيارة الجيب ، قرر أنه لا يعرف محمود الصباغ ولا مصطفى مشهور ، واستمر على ذلك إلى آخر التحقيقات ونهاية المحاكمات ، وبالنسبة لأحمد زكى حسن وكذا حسنى عبد الباقى فقد جاء ذكرهما وذكر عبد الرحمن فى سجل حسابات ومصروفات النظام الخاص ، الذى ضبط عند أمين صندوق النظام محمد فرغلى النخيلى ، وكان يحفظه مع سجلات مسبك للمعادن يملكه بالرويعى ، وكان هو الذى يمسكه ، ولعل أحدا غيره لم يكن يعرفه فلم يتم الاتفاق مسبقا على أقوال بشأنه ، وعلل عبد الرحمن السندى تلك الحسابات بأنها خاصة بمشروع نسيج كان مزمعا إنشاؤه . ولم يتفق أحد ممن وردت أسماؤهم بالسجل معه فى الرأى ، بشأن وجود هذا المشروع المزعوم ، ولكن لم ينتج عن هذا كشف أسرار أو إدانة لأحد ، بل أذاب الموضوع وقفله فى دائرة مفرغة تدور فيه تحقيقات النيابة دون جدوى ، وكل الذى استطاعته النيابة فى آخر الأمر أن تنتهى إلى أن أقوال عبد الرحمن لم تكن صحيحة . هذا شىء وما جاء فى « حصاد العمر » شىء آخر .

أما عن عبد الرحمن السندى – شأن كل مسلم – نسأل الله أن يجزيه خيرا عما قدم وأن يغفر له فيما أخطأ ، ولا ننسى له أنه هو الذى قام على تكوين هذا النظام العظيم الذى سبق به عصره – هدفا وتنظيما – وقام على تطويره ودفعه ، وبذل كل شىء فى سبيله حتى دراسته الجامعية وصحته ومن بعد صحته حياته .

فى صفحة (١٧٧٥) من ملف تحقيقات قضية السيارة الجيب بمحضر النيابة بتاريخ الخميس (٩ ديسمبر ١٩٤٨) جاء الآتى :

« ورد تقرير حضرة الطبيب الشرعى بشأن حالة عبدالرحمن على فراج السندى ، ويتبين من الاطلاع عليه أن المتهم عنده مرض مزمن بالقلب ، وأنه فى حاجة إلى احتياطات وقائية وصحية ، وأن من الأصوب نقله إلى مستشفى حكومى ، حتى يكون تحت العناية الطبية والصحية اللازمة . وقد أرفقنا التقرير بالأوراق بعد التأشير عليه . ويكتب للحكمدارية بنقل المتهم على الفور إلى مستشفى الدمرداش ؛ لوضعه تحت الحراسة اللازمة ، كما يكتب للمستشفى بعلاج المتهم مع موافاتها بصورة من تقرير حضرة الطبيب الشرعى للاطلاع على حالة المتهم المرضية .. الخ » .

وضاق مستشفى الدمرداش ذرعا بإجراءات الحراسة وتفتيش الداخلين والخارجين ، فطلب خروج عبد الرحمن وأعيد إلى سجن مصر العمومى حيث كنا ، ولكن حالته الصحية حتمت أن يكون تحت رعاية مستشفى فنقل إلى مستشفى قصر العينى ، وحدث به ما سبق أن حدث بمستشفى الدمرداش ، فأعيد إلى السجن ثم إلى قصر العينى مرة أخرى . واستطاع عبد الرحمن أن يسوى الأمور مع الحراسة فبقى بمستشفى قصر العينى حتى أفرج عنه .

فإذا أخذنا فى الاعتبار مستوى علاج مرض القلب فى مصر عام (١٩٤٨) لأدركنا مقدار آلام عبد الرحمن السندى ، وهو يحقق معه فيثبت ويستجوب فيصمد .

شىء عن عبد الرحمن

فلا يحسبن أحد من تصاوير « حصاد العمر » ومن أخذ عنه أن عبد الرحمن السندى رحمه الله كان فاقد المقومات والمزايا ! لقد كان – فوق كونه أخا مسلما –

مؤمنا إيمانا لا حدود له بفرضية الجهاد فى سبيل الله ولزومه وحب ذلك إلى قلبه ، فأفرغ ذلك الإيمان فى النظام الخاص وأخلص له الإخلاص كله . كان يعشقه ويغار عليه .

كان عبد الرحمن طالبا بكلية الآداب ، وغضب عليه أبوه لاتصاله بالدعوة ، وخيره بينها وبين أن يستمر إنفاقه عليه ، وبكل صدق وبدون مرونة فيما يبدو اختار الدعوة ، وأوقف أبوه الإنفاق فالتحق بوظيفة بالشهادة الثانوية ، ولم يكن الوقت يتسع لرعاية النظام والوظيفة والدراسة ، فاضطر إلى التخلى عن الدراسة وأفرغ همته ونشاطه فى النظام .

كان عبد الرحمن يربط كل تكليف بتوقيت ، وكان سؤاله التقليدى هو ... متى ؟

وفى ذلك (المتى) لا ينسى وإنما يتابع ، وكانت لازمته فى متابعته هى ... لماذا ؟

- هل تم الموضوع المتفق عليه ؟
- ليس بعد .
- لماذا ؟ .
- من أجل كذا .
- ولماذا لم تفعل كيت ؟

(لماذات) كثيرة . وفى الوقت الذى كانت لعبد الرحمن قبضة حديدية كان له قلب طفل . كان مرهقا فى متابعته ولكنه كان عاطفيا إلى أبعد الحدود ، وكان ذلك أظهر ما يكون إذا تعلق الأمر بأرزاق إخوانه . بعد خروجنا من السجون عام (١٩٥١) أنشأ شركة السندى وشركاه للتجارة وفشلت فشلا ذريعا بسبب تصرفه فى أموال الشركة طبقا لاحتياجات إخوانه ، الذين كانوا يحتاجون إلى المال سواء لمعاشهم أو لتسيير أعمالهم ، وذهبت أموال الشركة بغير عودة .

كذلك كان عنيدا يصعب تحويله . وكانت تعليمات أطبائه أن يبتعد عن الانفعالات ويركن الى الراحة فى فراشه ، ولكنه كان لا يلتزم ، وكان يقول لى إن إخلاده إلى الراحة يمرضه وتنتابه أزمات القلب ، ولكنه لا يشعر بها إذا داوم نشاطه

واستمر معه المرض حتى إذا كان يوم (٢٩ يولية ١٩٦٢) عاد عبد الرحمن السندى إلى بيته بشارع سليمان جوهر بالدقى من صلاة الفجر فى مسجد قريب كعادته ، وجلس يقرأ القرآن حتى يحين موعد خروجه ، ثم وجدته أسرته مال على جنبه والمصحف بين يديه ، وقد أسلم الروح إلى خالقها عن واحد وأربعين عاما . **رحمه الله .**

ومازالت أسرته تعيش حتى صدور هذا فى ذلك البيت بالشارع الشعبى سليمان جوهر .

عود إلى حصاد العمر

ويؤسفنى أيضا أن يضطرنى ذلك « الحصاد » أن أرد فى إيجاز أشد على شيء أصابنى به . قال إن أحمد عادل كمال نقل حقيبة ذات محتويات خاصة يحرص كل الحرص على سريتها إلى بيت سيد عيد يوم حادث السيد فايز ، رحمه الله ، خشية تفتيش بيته . وبداءة لأذكر بعد ثلث قرن إن كان ذلك قد حدث ، ولكن « الحصاد » لم يذكر أن بيت سيد عيد كان مخزنا وأرشيفا للنظام نحفظ به أوراقنا ونطبع به على آلة الرونيو مطبوعاتنا ، وكانت لنا به حجرة خاصة لهذا الغرض . وكان سيد عيد جارا لى يسكن قريبا من بيتى ، فكان الإيداع بمنزله والأخذ منه يتم دائما ويوميا . فإذا استبان ذلك لم يعد غريبا ولامرتبطا بأى حدث أن أنقل أى شيء إلى ذلك البيت .

هذا قول لا ألقيه على عواهنه فالسيدة الفاضلة والدة سيد عيد تعلمه وهى من الأمهات المسلمات الصابرات ، اللائى شاركن أبناءهن المحنة ، وكانت تستقبلنى فى غياب سيد وتسمح لى بدخول الحجرة أضع فيها وآخذ منها . أذكر ذلك مستشهدا بها أطال الله عمرها ، وعبد العزيز شلبى أخو السيد عيد ورفيقه فى البيت يعرفه أيضا ، والأخ إبراهيم صلاح كان يعرفه . ولكن ماجاء بحصاد العمر كان من نوع « لاتقربوا الصلاة » أو « ويل للمصلين » ذكر شيئا وأسقط ماتغيم بإسقاطه الحقيقة .

ويستطرد حصاد العمر فيقول « وقد عرض أحمد عادل كمال فى التحقيق على الفتاة التى تسلمت الطرد [شقيقة المرحوم السيد فايز] فلم تتعرف عليه مما يقطع بأنه لم يكن هو الذى نفذ العملية ... محمد أبو سريع يشبه أحمد عادل وعندما عرض أحمد كمال على الفتاة قالت إن الجانى يشبهه ، والغريب أن الحكومة لم تحاول فى اعتقالات ١٩٦٥ أن تثير موضوع سيد فايز إطلاقا ، ولو حاولت لحصلت على ماتريد من معلومات لأن أحمد عادل كمال وقتها كان مستعدا من شدة التعذيب أن يقول كل شىء ».

وألتقط الخيط لأصحح الوقائع .

نعم لقد عرض أحمد عادل على الفتاة سيدة فايز عبد المطلب بناء على بلاغ بدون توقيع . وخلافا لما جاء بحصاد العمر ، لقد تعرفت عليه على أنه هو الذى حمل إليها الطرد فقبض عليه . واستشهد عادل بإبراهيم صلاح أنه كان معه فى بيته طوال اليوم الذى ذكرته الفتاة ووقع فيه الحادث حينذاك عدلت الفتاة عن أقوالها وعللتها بأن شخصا طلب إليها أن تقول ذلك ، فأفرج عنه وذكرت الصحف ذلك فى أخبار التحقيقات فى حينه ، ولابد أن صاحب الحصاد يعرفه تماما ، وكان أولى به أن يسأل من الذى أوعز إلى الفتاة فى قلب محنتها أن تقول ماقالت . وماالدافع له على ذلك . هذه واحدة .

الثانية أن محمد أبو سريع لايشبه أحمد عادل فى قليل أو كثير ، ومع ذلك فقد كتب أحدهم مكتوبا غفلا من التوقيع إلى المحقق يتهم أبو سريع أنه هو الذى حمل الطرد ، وجىء به وعرض على الفتاة فلم تتعرف عليه .

الثالثة أن يستغرب حصاد العمر أن الحكومة لم تحاول فى اعتقالات ١٩٦٥ أن تثير موضوع سيد فايز إطلاقا بأسلوب كأنما يحثها أن تعذبه ليعترف ! . لاياسيدى لقد أثارته وبذلت من جهدها فى التعذيب مابذلت ومايعلمه الجميع . ولقد سئلت عن ذلك فى مهزلة التوعية التى جرت فى معتقل أبو زعبل ١٩٦٦ وأجبت بما تقدم فى الميكروفون أمام ألوف الإخوان المعتقلين .

هذا أقصى مااستطعت من إيجاز فيما اضطرت إلى تناوله اضطرارا .

فى مايو ١٩٨٥ كنت فى رحلة عمل إلى لندن وكان هناك أيضا **أحمد رائف** صاحب **دار الزهراء للإعلام العربى** ، وجاءتنا دعوة كريمة لزيارة جالية إسلامية

في مدينة برايتون . وذهبنا وجالسناهم نتحدث وإذا بهم يقولون إن الأستاذ الداعية صلاح شادى كان هناك العام السابق وحدثهم عن عبد الرحمن السندى وانحرافاته التى أودت بالجماعة ! وسألونى عما أعلم فى هذا الشأن . قلت تلك وجهة نظر صلاح شادى ، وهناك وجهات نظر أخرى ، وكل محاسب بقوله ونيته . قالوا فماذا تنصحنا ؟ قلت الحب والإخاء . وإياكم وفساد ذات البين .

هذا الكتاب والفتنة

لا ينفى أحد أنه كانت فتنة بين الإخوان . ومرت السنون ودخلوا سجون عبد الناصر ومعتقلاته ، وامتزجت دماؤهم على سياطه وعلى جدرانه ، وعادت نفوسهم صافية صفاء الأخ لأخيه . وتقابل الشيخ محمد الغزالى مع المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبى وتصافيا وتعانقا ودون أى عتاب سالت دموع الحب بين الرجلين الصالحين . وعادت مجلة الدعوة للإخوان ، صاحب امتيازها ورئيس تحريرها صالح عشماوى وكله شوق وسرور ويشرف عليها عمر التلمسانى مرشد الإخوان .

وعاد المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ، وألّف الله بين قلوبهم ﴿ **لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم** ﴾ .

فى هذا المناخ الطيب جاء عام ١٩٨١ بعد سبعة وعشرين عاما على انقضاء الفتنة ، ومحنة جديدة تطل برأسها على الإخوان فى مصر ... فى هذا الوقت طلع الأخ المسلم صلاح شادى بحصاد عمره يذكر الفتنة وانحرافات صالح عشماوى والشيخ محمد الغزالى وغيرهما من أفاضل الإخوان من منظوره هو ويوزع الاتهامات شمالا ويمينا وأماما وخلفا وفوقا وتحتا ، وكم أكبرهم أن لم يرد عليه أحد منهم .

لقد بنى حسن البنا ، رضى الله عنه وأرضاه ، بنيان الجماعة على الحب وماهو أكبر من الحب – الإخاء . واختار لها اسم الإخوان . وهو فى هذا

قد سار على نهج رسول الله ﷺ حين أقام مجتمع المسلمين بالمدينة وصار الإخاء يجمعهم ويجمع بينهم . ومر اليهودى شاس بن قيس بمجلس الأنصار ورآهم أوسهم وخزرجهم يرفلون فى هذه النعمة فغاظه صلاح ذات بينهم وحاكت فى صدره يهوديته الحاقدة فعمد إلى ذكر يوم بعاث وماكان من انتصار الأوس على الخزرج ، فتنازعوا وتفاخروا واختصموا ، وكادت الفتنة تشتعل بينهم من جديد لولا أن تداركها رسول الله ﷺ فذكّرهم بما ألّف الإسلام بين قلوبهم وآخى بينهم ومازال بهم حتى بكى القوم وعانق بعضهم بعضا واستغفروا الله جميعا .

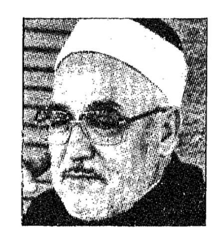
لست أقارن بين أخ مسلم مؤمن وبين يهودى حاقد كافر ، حاشا لله ماإلى هذا أقصد ، ولكن هذا ذكّرنى بذاك ، والشيء بالشيء يُذكر .

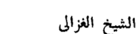
ذكرت ذلك فقلت فى نفسى : لا .. لن أخوض فى هذا الكتاب فى الفتنة بعد أن عبرت بكل شرورها . من راق له أن يخوض فيها فشأنه ، وأرجوه وأنصحه ألا يفعل ، فإنها حجاب فى الدنيا وعذاب فى الآخرة ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول « إياكم وفساد ذات البين فإنها الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » .

أسأل الله تعالى أن يجعل ماأكتب أهلا للغرض منه والله المستعان ،

بل الحب والرابطة

الحب فى الله بين الإخوان مدعاة لظل الله يوم الكربات ، وهو الخصلة الرابعة فى الحديث الشريف « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » [متفق عليه]





الشيخ الغزالى



صلاح شادى

وإعظاما لهذه الأخوة بين الإخوان جعل الأستاذ « حسن البنا » ورد الرابطة من أوراد الإخوان مزج فيه دعاء الغروب المأثور مع دواعى الموقف ، وهو دعاء يدعو به الأخ المسلم غروب كل يوم ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب . اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لى [ثم يتذكر الأخ الداعى من يستطيع أن يحضره من إخوانه فى ذهنه يتوجه إلى الله] اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت على طاعتك وتوحدت على دعوتك وتعاهدت على نصرة شريعتك ، فوثق اللهم رابطتها ، وأدم ودها ، واهدها سبلها ، واملأها بنورك الذى لا يخبو ، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك وجميل التوكل عليك ، وأحيها بمعرفتك وأمتها على الشهادة فى سبيلك ، إنك نعم المولى ونعم النصير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .   أ هـ .

إذا كان الحب فى الله هو من أكبر ما تربى عليه الإخوان ، فقد كان إخوان النظام هم أكثر الإخوان حبا لإخوانهم ، وأكثرهم حبا لدى الإخوان .

تاريخ النظام الخاص

هذا النظام الخاص الذى انتمينا إليه ماقصته وماتاريخه ؟ سؤال لابد منه .

كانت الأمة الإسلامية غافلة حين كانت الحركة الصهيونية تولد وتشب وترسم وتخطط وقد جعلت هدفها الأول انتزاع فلسطين من المسلمين وإقامة وطن يهودى بها فى قلب العالم الإسلامى . وسارت الحركة أشواطا نحو تهجير اليهود من كل بقاع العالم إلى فلسطين . كان أكثر هؤلاء من القطاع الشيوعى وهذه ملاحظة لابد من الوقوف أمامها للربط بين الصهيونية الأم والشيوعية المولودة . فكانت الأفواج الأولى التى غذت قيام دولة اسرائيل من اليهود الروس ثم من يهود بولندة ورومانيا والنمسا . وكان التمويل يأتى من الغرب ، من انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة . وبدأت حركة شراء الأراضى بفلسطين وإقامة المستعمرات اليهودية عليها .

وبدأت حركة المقاومة من الفلسطينيين أصحاب الديار لهذا الانتزاع المنظم الذى يقوم به اليهود فى حماية بريطانيا العظمى التى كانت تضع يدها على فلسطين منذ استولت عليها من الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى . كانت المعركة بين شعب أعزل يطرد من دياره وبين الخبث اليهودى كله الذى استطاع أن يسخّر العالم لتحقيق أهدافه ، فكانت الثورة العربية بفلسطين التى تزعمها مفتى فلسطين سماحة الحاج محمد أمين الحسينى .

كانت عرى الإسلام تفصم عروة عروة . وبسقوط الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى زالت الخلافة الإسلامية وبدأت الدعاوى القومية ، فظهر فى تركيا مصطفى كمال أتاتورك الذى كرس جهده لأن تخلع تركيا ثياب الإسلام قطعة قطعة حتى إنه ألغى الحروف العربية من الكتابة التركية وأحل محلها الحروف اللاتينية . وأى كسب أكبر من هذا لأعداء الإسلام ؟. وكانت النغمة السائدة فى بلاد المسلمين حينذاك هى النغمة القومية ... مصر للمصريين ، فلا شأن لنا بما يجرى فى غير مصر .. كفانا أن ننظر إلى أنفسنا فإذا استطعنا أن نحرر بلادنا وأن

يذهب إخواننا فى كل مكان إلى الجحيم فقد نجونا ! وتبلورت هذه الاتجاهات فى مبادىء الأحزاب فى كل مكان ، وفى مصر كان حزب الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول يرفع شعار « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » ولاشيء عن المسلمين فى أى مكان ، وأقبلت الجماهير التى فقدت وعيها يشق حناجرها الصراخ بمبادىء هذه الأحزاب ولم يكن يعنيها أن سعد زغلول يشرب الخمر وأن كمال أتاتورك قتلته الخمر ... الخ ثم نعيش لنرى رؤساء لشعوبنا قد اتخذوا من ذلك الأتاتورك مثلا أعلي بها . قالها أنور السادات قبيل مصرعه ، أن مثله الأعلى هو كمال أتاتورك وأنه نشأ فى بيت علقت على جدرانه صورة أتاتورك .

من هنا كانت يقظة الإخوان المسلمين وتمسكهم بإسلامهم هما الخطر الحقيقى لذلك المخطط الرهيب الذى راح كموجة المد يأخذ مداه . فإن قدر لها النجاح فقد أعادت على الأرض عهداً من الخلافة الراشدة وإن قدر لها أن تقتل قتلت شهيدة فى سبيل الله .

أدرك الإخوان الأمر على حقيقته ولعل أحداً سواهم لم يدركه . فقام الإخوان فى مصر بعملية جمع التبرعات لتمويل إخواننا الفلسطينيين الذين يقاتلون من أجل دينهم ومن أجل إسلام ديارهم وكان ذلك عام ١٩٣٨ . ولكن مفتى فلسطين أفاد الأستاذ البنا أن الذى يعوزهم ليس المال ولكنه السلاح . وراح الإخوان يجوبون آفاق مصر وريفها فى حركة لجمع السلاح يمدون به إخوانهم المسلمين فى فلسطين . ولم يكن الإخلاص وحده يكفى ، فنتج عن عدم الخبرة بالسلاح أن كانت بين ماجمع الإخوان قطع غير صالحة . وهنا فكر عبد الرحمن السندى لأول مرة فى إنشاء نظام خاص لاستيفاء هذه الدراسة وللقيام على أمرها .. اليوم لفلسطين وغدا لمصر ولسوريا وللعراق . الخ . وهكذا نشأ النظام الخاص ، مجموعات محدودة لمدة طويلة قبل أن يبدأ فى الزيادة والإنتشار حوالى ١٩٤٥ .

هذه معلوماتى عن نشأة النظام الخاص عام ١٩٣٨ الذى انضممت إليه عام ١٩٤٦ . ولكن لمحمود عبد الحليم رواية تختلف بعض الشيء عن هذه ، أن الاستاذ حسن البنا هو صاحب فكرة إنشاء النظام وأنه بدأه بصالح عشماوى وحسين كمال الدين وحامد شريت وعبد العزيز أحمد ومحمود عبد الحليم ولكنه – محمود عبد الحليم – رأى نفسه يعمل وحده حتى تم تعيينه فى دمنهور فرشح

عبد الرحمن السندى ووافق الأستاذ المرشد . هذه القصة لأنفيها ولكنى لأعلمها إلا من هذا الوجه ولم أسمع بها من قبل . [الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٥٨]

تحية للنظام الخاص

هذا النظام الخاص كان اكثر اجهزة الإخوان المسلمين فاعلية فى تربية النفوس وصقلها بروح الإسلام . ذلك أن الميدان العام للإخوان كان يتلقى الأفراد ملتزمين وغير ملتزمين ، صالحين وغير صالحين من المجتمع الذى نعيش فيه بإيجابياته وسلبياته ، فيمرون بوسائل التكوين التى ذكرنا سابقا من دروس ومحاضرات وجوالة وأسرة وكتيبة ... الخ ، وكل منها يضيف إلى تكوين النفس أشياء . أما الانضمام إلى النظام الخاص فكان من عناصر منتقاة .

لست أعنى بهذا أن إخوان النظام الخاص كانوا طبقة مترفعة على إخوان الميدان العام ، أبدا بل هم منهم ومن صميمهم ، ولكنهم هم الذين وقع الإختيار عليهم لحمل العبء الثقيل للتضحية والفداء بالمال والنفوس وربما بأكثر من ذلك ، وكم من أخ كريم فاضل لم ينتظم فى النظام الخاص لسبب أو لآخر لعله أفضل ممن انتظم ، كأن يكون العائل الوحيد لأبوين شيخين كبيرين أو لأولاده الكثيرين أو لعدم اللياقة الصحية أو لحاجة المجال العام للإخوان لجهده اكثر من إمكان استفادة النظام الخاص منه ، أو ماشاكل ذلك من الأسباب . ورُبّ أخ انتظم فى النظام ثم لم يكن على مستوى الأمل فيه . ولكن هذا وذاك لايغير من الأمر شيئا ، فإخوان النظام الخاص كانوا صفوة منتقاة لصفات معينة ثم تعهدها النظام بمزيد من التربية والتكوين والصقل والتأهيل فكانت الثمار رجالا لايبالون وقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ، رجالا صدقوا ماعاهدوا الله عليه « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » . أعد رجالا بذلوا من أموالهم ومن ذواتهم وأرواحهم وأمنهم وحرياتهم ومن مستقبلهم ومن أقوات اولادهم وزوجاتهم وآبائهم وأمهاتهم ومن أمنهم وأرزاقهم ماعز نظيره ومايؤرخ لهم به .

كما كانوا الروح الدافعة فى المجال العام سواء الشُّعَب وأقسام المركز العام خاصة قسم الطلاب وقسم التربية البدنية وقسم العمال . كانت التعليمات تصدر لأكثر إخوان النظام الخاص بالانسحاب من الميدان العام ، ثم شعرنا بأثر ذلك عليه فصدرت التعليمات إلى كثير منهم بالعودة إلى مواقعهم مرة أخرى .

هذا الصنف من الرجال عرفه الصديق والعدو على السواء ، بل كان العدو أكثر إحساسا بوطأته وأكثر خوفا ورهبة منه سواء كان صهيونيا أو مستعمرا أو حزبيا انتهازيا أو غير ذلك من الحثالات السياسية التى ظهرت . رجال أراد أولئك أن يصوروهم بصورة الارهابيين القتلة السفاكين وماكانوا كذلك . على المستوى الفردى كان كل من يعرفهم يعرف أنهم رسل حب وإخاء وسلام وصفاء وإيمان وخشية وتجرد وتوكل . ويعرف من يدرس اعمالهم ويحللها انها كانت تحركات اضطرارية لمواجهة عدوان وبأقل قدر ممكن من العنف وبأكبر قدر مستطاع من تجنب الضحايا ، وكل ذلك فى إطار الإلتزام الشرعى بفريضة الجهاد فى سبيل الله .

﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو إجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ . [الحج ٧٨]

نشاط

كان لنا فى النظام الخاص نشاط كبير ، فقمنا بعملية حصر وجرد لليهود بمصر إذ لم يكن ولاؤهم للحركة الصهيونية محل شك . وأذكر فى مجال المقارنة بين اتجاهنا واتجاه الدولة فى مصر فى ذلك الوقت هذه الواقعة .

تسللت ذات ليلة إلى بيت من بيوت اليهود بحى الظاهر التى لاحظنا أنهم يعقدون اجتماعاتهم بها وكمنت فى إحدى شرفاته المتصلة بحديقته واطلعت على اجتماع يهودى داخل البيت ، كان بعض حديثه يجرى بلغات غير عربية لم أفهمها وكان يتخلل ذلك حديث بالعربية وأذكر منه أن أحدهم صاح فى زميل له يقول



عبدالرحمن السندی

« أنت معك أوراق وتستطيع أن تبرر وجودك ... أما أنا فماذا أقول ؟ ماذا أقول إذا سئلت أو قبض عليّ ؟! » وقد ضمنت التقرير الذى حررته ذلك الحديث المشبوه ومكانه وعنوانه ، وقدر لذلك التقرير أن يسقط فى يد الشرطة والنيابة العامة بعد ذلك فى قضية السيارة الجيب ، والعجيب أنه بدلا من أن تهتم تلك السلطات بالتقرير من حيث موضوعه ذهبت تحقق فيمن عسى أن يكون كاتبه لتوجه إليه تهمة الانتماء إلى النظام الخاص !! هذا التقرير أثبتته النيابة العامة فى ملف تحقيق قضية السيارة الجيب بالصفحة رقم ١٩٣٧ من الجزء السادس كما أوردت ذكره حيثيات الحكم ، كما قرر الطب الشرعى أنه محرر بخطى .

من أوراق قضية السيارة الجيب

إن الأوراق التى تكشفت فى قضية السيارة الجيب والتى اقتضى الدفاع عن المتهمين فى حينه التبرؤ منها باعتبارها جريمة يجرمها القانون لهى مفخرة يحس بها من يقرؤها اليوم ، مفخرة لأى تحرك إسلامى تحررى متقدم على عصره كثيرا . لقد تمت عملية حصر كبيرة مضنية بالأسماء والعناوين لمواقع مصر يبدو منه انتشار مصانع الخمور والخمارات التى كانت يملكها ويديرها اليهود ، والشركات التى يرأس كلا منها مصرى باشا وجميع إدارتها من اليهود . أسوق لذلك أمثلة معدودة من كثير جدا زخر به ملف القضية . فى صفحة ١٩٣٩ ومابعدها بمحضر تحقيق محمد عبد السلام وكيل نيابة الاستئناف ومحمد سالم حسن كاتب التحقيق يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٣٦٨ الموافق ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ الساعة ١٠,٤٥ صباحاً بسراى النيابة .

مثـال ١ مصانع نسيج القاهرة

الرئيـس : محمد خطاب بك .

الأعضاء : اميل عدس – بيير ديبرمان – رولان لينين – ميبينو يوسو – موريس يوسو – يوسف زكار – راؤول هنكارت .

مثال ٢ شركة النيل للمنسوجات

الرئيس : هنرى دى بتشتو

نائب الرئيس : عبد الرحمن البيلى

الأعضاء : لوسيان دى بتشتو – جوزيف دانورى – ايلى بصرى

مثال ٣ شركة النسيج والحياكة المصرية

الرئيس : حسن مظلوم باشا

الأعضاء : جاستون عدس – هنرى كريشنسنكى – أصلان قطاوى – لينون جاسن – موريس موصيرى – سيمون رولو – رالف هرارى – كليمان عدس – اميل عدس .

مثال ٤ تقرير جاء فيه أن « أ . ص » يسكن بالدقى ومتزوج من إسرائيلية وليس له أملاك ، وأن قرابته للمرحوم توفيق نسيم باشا هى التى أوصلته إلى المراكز التى شغلها وأنه طرد من الحراسة الألمانية لسرقته ٤٠٠٠٠ جنيه وأنه أحد المتهمين فى قضية زاما والعمرانية وأنه كان رئيسا لبلدية الاسكندرية وكانت فضيحة الكورنيش على يديه وأحيل إلى المعاش بسببها .

ثم يضيف المحقق : ويبدو أن المقصود بهذا التقرير هو أحمد صديق باشا .

مثال ٥ :شركة البيرة المساهمة بومنتى والأهرام .

رئيس : رينيه اسمعلون

أعضاء : جورج آرثر مارتن – ستيكر – بيير جزنبرجر – جاك فيكتور مورينو – محمد فرغلى باشا .

مثال ٦الشركة المصرية للمواسير والأعمدة المصنوعة من الأسمنت المسلح .

رئيس: موريس موصيرى .

أعضاء: هنرى برسليون – فيتا فرحات – هنرى كرشفسكى – رالف هرارى – إدوار هيلر – السير الكسندر لويد – حسين سعيد بك .

مثال ٧شركة الطوب الابيض الرملى

رئيس :: إرنست ترمبلى

أعضاء : يعقوب رسكوب – يوركهات – حمصى – علاء الدين مختار بك

مثال ٨ شركة مكابس الاسكندرية
رئيس: على أمين يحيى باشا
أعضاء: ماسيل ميكوه – ارمان نحمان – فيكتور طوربيل –ريمون أرقش – وليم موستاكى – جوزيف باردا – دافيد شيكوريل – ليون شيكوريل
مثال٩ : حسن رفعت باشا وقد حمل رقم ٢٢ [الخاص بالأخ أسعد السيد أحمد] بتاريخ (٢٦ /٨ /١٩٤٨) جاء به :
أولا :
(١) يقطن حسن رفعت بالعمارة رقم ٢٠ شارع الجبلاية .
(٢) ويشترك فى عضوية ناد يقع بشارع سليمان باشا بالقرب من ميدان سليمان ، وهذا النادى يشترك فى عضويته أشخاص معينون والنادى يقع بنفس العمارة التى بها مكتب الاستاذ على بدوى المحامى ومحل سجاد كبير والنادى يقع بالدور الأرضى وبابه فى منعطف الى الشمال .
(٣) وقد شوهد حسن رفعت وهو يجتمع بالضباط الذين تزعموا حركة إضراب البوليس الأخيرة ، وكذلك شوهد وهو يأخذ أظرف مقفولة من أشخاص يلبسون الملابس البلدية ، يعقبها أن يخرج محفظته ويعطيهم نقودا ورقا .
(٤) ويتردد حسن رفعت على السفارة البريطانية ويسلم هناك المظروفات التى يتسلمها من المخبرين .

ثانيا :
(١) شوهد يوم (١٧ /٨ /١٩٤٨) أحد الضباط وهو يقف على باب العمارة وينتظر مدة طويلة ، وأخيرا حضر أحد الشبان وهو طالب بالجامعة [حزبى –ذكر اسم الحزب – فاسد الأخلاق وهو ابن أحد أساتذة الأزهر] ، وأخذا يتكلمان معا مدة طويلة وانصرف الشاب ودخل الضابط إلى النادى وخرج بعد مدة ، وذهب إلى المنزل رقم (٢٠) بشارع الجبلاية ، وصعد إلى ما بعد الدور الأرضى ، ونزل فى رفقة شخص آخر تدل هيئته على أنه ضابط أيضا وتكلما معا مدة فى الشارع ، ثم انصرف الضابط الأول .



محمد فرغلى

(٢) وحضر نفس الشاب الجامعى فى اليوم التالى ، واتصل بنفس الضابط ، وبتعقب هذا الشاب وجدته يدخل إلى المنزل رقم ... بشارع قولة بعابدين : والمنزل أمامه كشك نور وتحته ورشة تصليح سيارات وقهوة ، ويقع المنزل على ناصية قولة والدواوين [وهذا المنزل سبق أن أبلغت عنه أنه مركز نشاط يهودى ، إذ بمراقبته إحدى المرات نزل منه عشرون شابا وفتاة ...] ثم نزل بعد نصف ساعة تقريبا ، وذهب إلى قهوة النيل بميدان العتبة وجلس مع بعض الشبان مدة طويلة ، وحضر شاب جامعى أيضا وانضم إليهم وإن كانت هيئة الآخرين لا تدل على أنهم طلبة ، وفى منتصف الليل قام الشاب الجامعى الأول وركب الترام إلى السيدة ، ومنها إلى منزله بشارع الصليبة » أ هـ

وتقرير آخر : إن حسن رفعت باشا قد تحول نشاطه فى خدمة الإنجليز من محيط الوزارة إلى محيط خارجى ، يتلقى فيه تقارير لصالح السفارة البريطانية مباشرة .

ورغم خطورة هذين التقريرين وما يكشفانه عن اتصال حسن رفعت باشا - الذى كان قبل ذلك وكيلا لوزارة الداخلية بالسفارة البريطانية ، وبعناصر يهودية ، لم تهتم النيابة العامة أبدا بما جاء بهما وإنما راحت تستجوب أسعد السيد إن كان كاتبه لتوجه إليه الاتهام .

مثال ١٠ رسم تخطيطى بالقلم الكوبيا يشمل السفارتين البريطانية والأمريكية بقصر الدوبارة وعليه بعض التأشيرات بالخطوط والأسهم بالقلم الرصاص الاحمر ومكتوب بالقلم الحبر الأسود بعض إيضاحات عن مواضع معينة وأشير فى بعض هذه العبارات إلى مواضع أسلاك التليفون وأنه يمكن تعطيلها بصهر أو قطع اللحامات الموجودة داخل حجرة يمكن فتحها بسهولة ، وإلى أن المشرف على المنطقة من مصلحة التليفونات هو الحاج أحمد العادلى ، ويقطن بشارع لبيب نمرة (٢١) بروض الفرج ومعه عشرون عاملا . كما اشير إلى أنه يمكن إحداث العطل من الحجرة رقم (٣٦٧) شارع قصر العينى التى يمتد منها الكابل ... الخ . وقد عثر على هذه الورقة بالحافظة التى ضبطت مع مصطفى مشهور عند القبض عليه .

وغير هذا كثير جدا يملأ صفحات ملف القضية .

شركات اسمها النيل ، والقاهرة ، والمصرية ... الخ ، وهى يهودية ! وذلك دأبهم . مثل ذلك محلات سان مايكل الشهيرة جدا فى انجلترا وفى غيرها ، سان مايكل ترجمتها الحرفية « القديس ميخائيل » ، فهو اسم قديس مسيحى مع أن ماركس وسبنسر أصحاب المحلات من اليهود .

وعلى ذكر موصيرى [من مثال رقم٦،٣] وحتى لايظن أحد أن هذه التقارير كانت خبطا فى ظلام فإنى أسوق للقارىء شيئا جاء فى مذكرات لورد كيلرن السفير البريطانى فى مصر . يقول كيلرن : [ص ١٣٣] « قالت لى الأميرة - زوجة بيتر ولى عهد اليونان وكانت وزوجها من شلة فاروق و كان جميع أسرة ملك اليونان لاجئين إلى مصر أيام الحرب العالمية الثانية : إن « فاروق » يسهر هذه الأيام عند أسرة مصرية من أصل يهودى وهى أسرة موصيرى . وإن هيلين موصيرى



عن الأهرام ٥ / ١٠ / ١٩٨٦

الزوجة تحتفظ بتليفون خاص فى غرفة نومها وهذا التليفون لايعرف رقمه السرى ولايستخدمه سوى شخص واحد فقط هو الملك فاروق .

« وعندما يحلو لفاروق أن يلعب القمار فى الواحدة صباحا مثلا فإنه يدق التليفون لهيلين موصيرى ويطلب منها أن تجهز له البرتيتة وإذا كان فاروق يريد حفل عيد ميلاد لأحد أصدقائه أو حفلة تنكرية أو مفاجأة لإحدى صديقاته فإنه كان يتصل بهيلين موصيرى ويطلب منها اعداد كل شيء » .

ويمضى كيلرن « وحكت لى الأميرة اليونانية أيضا ان فاروق اقتحم منزلها ذات ليلة من الباب الخلفى بعد أن تسلق سور الجنينة وصعد إلى الطابق الثانى . وكان الخدم يعرفونه . ولهذا أغلقوا عليه غرفة نوم الأميرة حتى يستدعوها من حفل راقص كانت تقيمه فى الطابق الأرضى وفشلت جهود الأمير بيتر وزوجته فى إقناع الملك بالنزول إلى الحفل . واستعانت الأميرة اليونانية بأميرتين من أسرة طوسون وبصديقة الملك فاروق اليهودية هيلين موصيرى . ونجح الأربعة فى اقناع فاروق بالعودة من حيث أتى حتى لايراه أحد على هذه الصورة التى لاتليق بملك يتسلل من أبواب الخدم » أ . هـ

ومن الأسر اليهودية التى كانت تحيط بفاروق غير أسرة موصيرى كانت أسرة قطاوى أيضا . ما الذى كان يأخذه فاروق من هيلين موصيرى أو قطاوى أو الممثلة كاميليا واسمها الحقيقى ليليان كوهين أو أى اسم آخر ؟ النزوة والمتعة .. الخ . ومالذى كان يأخذه اليهود ؟ .... طبعا كل شيء .

هذا التغلغل اليهودى سواء على المستوى السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى ، كان يتيح للصهيونية فرصا لنشاطها على أرض مصر ، حتى أنهم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كانوا يجمعون السلاح من مخلفات معارك صحراء مصر الغربية ؛ لتسليح عصاباتهم فى فلسطين ، حتى أنهم قاموا باغتيال « لورد موين » مندوب الأمم المتحدة فى نوفمبر (١٩٤٤) ، وحين حكمت المحكمة بإعدام قاتليه تعرضت وزارة أحمد ماهر لضغوط كبيرة ، لعدم تنفيذ الحكم ، ولكن كانت عليها ضغوط أخرى مضادة أحدها بلا شك أن « لورد موين » كان إنجليزى الجنسية .



النقراشي وأحمد حسنين وأحمد ماهر باشا

كذلك قمنا بعملية حصر مماثلة لرجالات الأحزاب فى مصر ، فقمنا بحصرهم فى منطقتنا ودراسة مساكنهم ومسالكها وماتيسر من المعلومات عنهم . وأذكر أنى قمت ومجموعتى بدراسة بيت النقراشى باشا فى مصر الجديدة وغيره . لم يكن هدفنا حينذاك التعرض لهم ولكنها دراسات متعددة الأهداف ، فمن أهدافها كان تدريب الإخوان على هذا النوع من الدراسات ، ومنها احتمال الحاجة إليها فى يوم ما لعمل جاد ، كما تم حصر عدد من الأهداف المحتملة والعمليات الممكن تنفيذها ، ومنها شغل هذه الطاقة الدفاقة لنا كشباب عن أن يتصرف من تلقاء نفسه بدافع من حماسه كما كان يحدث أحيانا .

وفى صفحة (١٩٥٤) من ملف تحقيقات قضية السيارة الجيب نجد محررا تحت رقم « خمسة عشر » ما يأتى :

المخابرات

١ ــ رئيس القسم ــ يشرف على توجيه أعمال القسم بناء على توجيهات القيادة .

٢ ــ وكيل القسم يباشر تنفيذ توجيهات رئيس فرع المخابرات ومسئول أمامه عن نشاط القسم .

٣ ــ الوحدات ــ تتكون الوحدة من عدة مجموعات أفرادها منبثون بين الهيئات والحركات ، لاستقاء الأخبار وموافاة رئيس الوحدة بها وتوصية الأفراد وأمراء المجموعات كل فى اختصاصه .

٤ ــ الأفراد ــ يكونون مجموعات خماسية يوزع أفرادها على الهيئات الآتى بيانها ولا يقل عن سبعين شخصا توزيعهم كالآتى :

٥ للدراسة والتعقب .
١٥ للشيوعية .
٢٤ لسبعة أحزاب وهيئات .
٢ جهات أخرى .
٢ حزب العمال .
١٠ نقابات العمال .
٢ البوليس السياسى .
٥ السكرتارية ورئاسة العمليات .

٥ ــ الأقاليم ــ ويلزم للقسم مكتب فى كل أقليم ، وينظم مكتب الاسكندرية على غرار مكتب القاهرة « أ هـ »

ولكى نقارن تلك اليقظة المبكرة للنظام الخاص « للإخوان المسلمين والتى جاءت فى وقتها تماما ، وكانت السبب الحقيقى وراء تحالف اليهودية والاستعمار وعملاءهما ضده ، ننقل الآتى بنصه مما جاء فى كتاب « ملفات السويس » صفحة (١٠٣) لمحمد حسنين هيكل ، وكما نشرته له جريدة الأهرام يوم (٥ اكتوبر

١٩٨٦) ، ليعلم القارىء أين كان « الإخوان المسلمون » ونظامهم الخاص حين كان غيرهم يغط فى نوم عميق ، وينعم بأمتع الأحلام . قال :

ولم تكن النظم الحاكمة فى العالم العربى قادرة على فهم ما يجرى قرب حدودها على خطوط الهدنة مع اسرائيل .

ومن المؤكد أنه لم تكن هناك - خصوصا فى مصر - نظرة عميقة الى طبيعة الفكرة الصهيونية ذاتها ، ولا إلى الظروف الاقليمية التى أصبحت فيها إسرائيل واقعا قائما ، ولا كان هناك التنبه الكافى إلى طبائع الصراع معها ، ولا إلى اساليب إدارته فى المناخ الدولى المستجد ، والذى راحت فيه الهيمنة الأمريكية تؤكد نفسها يوما بعد يوم .

كانت دوائر الحكم فى مصر - القصر الملكى ومعظم الأحزاب السياسية - لا تعرف مافيه الكفاية عن الحركة الصهيونية وكان النظر إليها فى الفترة التى اعقبت الحرب مباشرة متأثرا بطابع إنسانى ، لم يكن له فى حقيقة الأمر مبرر . وكانت معظم المعلومات لدى دوائر الحكم تجىء من الحاخام « حاييم ناحوم » (افندى) حاخام اليهود فى مصر و « أصلان قطاوى » (باشا) وهو أبرز أفراد الجالية اليهودية فى مصر ، وكان عضوا فى مجلس الشيوخ المصرى ، وكانت زوجته وصيفة شرف لملكة مصر . وكل من هذين الرجلين كان يصور الحركة الصهيونية على أساس أنها مجرد تنظيم ليهود لاجئين من جحيم النازى ، يبحثون عن مأوى يستطيعون العيش فيه بسلام ومن المحتمل أن كلا من هذين الرجلين لم تكن لديه صورة حقيقية عن مطالب الحركة الصهيونية الجديدة ، ومن المرجح على أية حال أن الحاخام حاييم ناحوم (أفندى) كان يعارض فكرة إقامة دولة يهودية ؛ لأن ذلك كان يمكن أن يؤثر على أوضاع اليهود فى العالم كله ، فضلا عن أنه من الخطر - وربما من المستحيل - جمع يهود العالم كلهم فى دولة واحدة .

[لا نذهب مع الأستاذ هيكل إلى حسن الظن بناحوم وقطاوى]

رغم أن عددا من الساسة المصريين المهتمين بالقضايا العربية ، كانوا يحاولون لفت النظر مبكرا إلى حقيقة الخطر الصهيونى ، فإن الرأى الغالب فى مصر الرسمية كان يميل إلى اعتبار ذلك نوعا من المبالغة ، وربما من هنا أن حكومة مصر

طوال مدة الحرب ، لم تمانع فى أن يكون فى مصر مركز لتدريب فيلق يهودى يشترك مع الحلفاء فى معارك الصحراء فى أواخر (١٩٤٢) ، وطوال (١٩٤٣) وكان هذا الفيلق اليهودى هو النواة الأساسية للجيش الاسرائيلى فيما بعد .

وحتى عندما بدأت الخطط الصهيونية فى فلسطين تتضح بما لا يقبل مجالا للشك بعد صدور قرار التقسيم ، فإن الحكومة المصرية لم تكن على وعى بحدود الخطر الاسرائيلى .

أ . هـ

مثال آخر

كذلك جاء بصفحة ١٩٤٠ من ملف تحقيقات قضية السيارة الجيب تقرير فريد فى نوعه أثبتته النيابة فى محضر الاطلاع برقم ١٩ وقد حرره الأخ رقم ٥٥ - ولست أعرف من كان - جاء به أن أحد الإخوان [ذكر اسمه] لم يعد يبالى بالدعوة وصار يجاهر بذلك ، وأنه يتعاطى الخمر والمخدرات فى مجالسه ، وأنه يسعى وراء مطربة [ذكر اسمها] يجتمع بها وأصدقاؤه فى بيت الفنانين بدرب اللبانة بالمنشية ، ثم غيروا المكان لأنه صار وكرا شيوعيا ومراقبا من البوليس ، وأن الحفلات صارت تقام فى منازل الأصدقاء ، وأن صديقا له سهل له الاتصال بشقيقة المطربة المذكورة ، وأنه تعرف بفتاة إسرائيلية سنها السادسة عشرة ... الخ .

وفى صفحة ٢٨٢٣ سئل الأخ فأجاب بأنه يعرف المطربة ويعرف أختها كما يعرف الصديق المذكور [مما يزكى التقرير] ولكنه نفى تعاطى المخدرات وتعرفه بالفتاة الاسرائيلية كما نفى معرفته بكاتب التقرير .

ولا شك أن مثل هذه المعلومات كان من الأهمية بمكان أن تعرفه قيادة الجماعة لاتقاء آثاره . وأكثر من هذا كان المرشد العام الأستاذ حسن البنا يعرف اتصال بعض الأعضاء بالبوليس السياسى وكان أسلوبه فى ذلك أن يتركه دون أن يشعره بانكشاف أمره ، وكان منطقه فى ذلك أنه يمكن استخدام ذلك العميل فى تسريب شىء يريد تسريبه ، كما أن الجماعة لابد أن تكون هدفا لعديد من الجواسيس فمن عرفناه منهم فإن بقاءه تحت أعين الجماعة أفضل من طرده واتخاذ مجهول غيره بواسطة أعداء الجماعة .



أحمد حسين

كانت عند الإخوان معلومات وافية عن الانشطة الداخلية والظاهرة للأحزاب وكذا الجماعات الوطنية السرية التى بدأت تظهر مع نهاية الحرب العالمية الثانية خاصة بمنطقتى القاهرة والاسكندرية . وقد أخبرنى أحد إخوان المخابرات بعد ذلك اننا كنا نعلم من قبل عن محمود عيسوى الذى قتل رئيس الوزراء احمد ماهر

وأنه كان عضوا فى مجموعة من ثلاثة اعضاء من الحزب الوطنى وانهم كانوا يتدربون يوما على استعمال السلاح على الحدود بين صحراء حلوان وحقل ذرة فأصابوا امرأة وقتلت عفوا .

مخابرات الإخوان

وكان يتبع النظام الخاص قسم للمخابرات يبدو أنه أنشىء مبكرا ، فأدخل بعض إخوان النظام فى الأحزاب والهيئات الأخرى بمصر حتى نكون يقظين لما يجرى على الصعيد السياسى فى مصر . وكان من الأمثلة الناجحة فى هذا الشأن الأخ أسعد السيد أحمد الذى انضم إلى حزب مصر الفتاة حتى وصل إلى الحرس الحديدى الذى أنشأه لحمايته زعيم الحزب الأستاذ أحمد حسين . ذلك الحرس كان مكونا من ستة أفراد . وأصاب الملل أسعد من تلك المهمة لأنها كانت تحرمه من التردد على دور الإخوان حتى لاينكشف أمره ، فذهب يعرض على الزعيم أن يندس فى صفوف الإخوان ليأتيه بأخبارهم ، وأعجب الزعيم جدا بالفكرة فرد موسى إلى أمه . انكشف أمر أسعد بعد ذلك فى قضية السيارة الجيب ، وتطوع الأستاذ أحمد حسين كمحام للدفاع عنه ، وكان أهم ماعنى به أن يتبين أمرا ... هل كان أسعد من الإخوان واندس على مصر الفتاة ، أم كان من مصر الفتاة واندس على الإخوان فقبض عليه معهم ؟!

وفى بعض فترات الخلاف بين حزب مصر الفتاة والإخوان كان للإخوان مؤتمر كبير ومزدحم فى دارهم بالحلمية الجديدة فأرسل الحزب اثنين من أعضائه لتفجير عبوة وسط الجموع . وجاءنا العلم بهما فكنا فى انتظارهما وماان جاءا وجلسا حتى قبض الإخوان عليهما وحبسوهما فى حجرة ببدروم الدار تحت الحراسة بعد تجريدهما من المفرقعات . وطال انتظار الأستاذ أحمد حسين دون أن يسمع الانفجار . وبعد انتهاء المؤتمر اتصل به الأستاذ البنا تليفونيا وقال له « لك عندنا أمانة ، إن كان يهمك ان تستردها فلتحضر » وجاء أحمد حسين فسلمه الأستاذ البنا عضوى حزبه واكياس المفرقعات ، ولاأعلم مادار بينهما من حديث ، ولكنه كان درسا جعل مصر الفتاة لاتعود لمثلها أبدا .

ولا يعنى هذا أن العلاقة بين الجماعة والحزب كانت دائما علاقة خصومة ، فقد كانت مصر الفتاة حزبا مثل كل حزب من حيث الشكل القانونى ولكنه تميز عنها بحيوية لم تكن لها وضم فى صفوفه عددا من الشباب المتحمس ولكنه لم يكن أبدا فى حجم الإخوان ، وساهم فى النشاط السياسى فكانت له مواقف قبلها الإخوان ومواقف لم يؤيدوها ، وللحزب فى ذلك حقه وللإخوان حقهم .

وفى خطابه فى المؤتمر الدورى الخامس « للإخوان المسلمون عام (١٣٥٧)هـ ١٩٣٨ م تناول الاستاذ البنا الموقف بين الإخوان ومصر الفتاة ، فكان مما قال :

« وإن كثيرا من الناس يود لو اتحدت جماعة مصر الفتاة مع « الإخوان المسلمون » ، وهذا شعور ما من شك فى أنه جميل نبيل ، فليس أجمل من الوحدة والتعاون على الخير ، ولكن من الأمور ما ليس يفصل فيه إلا الزمن وحده . فى مصر الفتاة من لا يرى الإخوان إلا جماعة وعظية ، وينكر عليهم كل ما سوى ذلك من منهاجهم ، وفى الإخوان من يعتقد أن جماعة مصر الفتاة لم ينضج فى نفو س كثير من أعضائها بعد المعنى الإسلامى الصحيح نضجا يؤهلهم للمناداة بالدعوة الإسلامية خالصة سليمة ، فلنترك للزمن أداء مهمته وإصدار حكمه ، وهو خير كفيل بالصقل والتمييز

بقى أمر أخير ذلك هو موقف الإخوان من مصر الفتاة فى قضية تحطيم الحانات ، ومعلوم أنه ما من غيور فى مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة ، وقد ألقى الاخوان تبعة هذا التحطيم على الحكومة قبل الذين فعلوه ، لأنها هى التى أحرجت شعبها المسلم هذا الإحراج ولم تفطن إلى ذلك التغيير النفسانى والاتجاه الجديد القوى الذى طرأ عليه من تقديس الإسلام والاعتزاز بتعاليمه ... ونحن نعتقد أن هذا التحدى لم يحن وقته بعد ، ولابد من تخير الظرف المناسب أو استخدام منتهى الحكمة فيه ، وإنفاذه بصورة أخف ضررا وأبلغ فى الدلالة على المقصد كلفت نظر الحكومة إلى واجبها الإسلامى . وبالرغم من أن المقبوض عليهم لم يعترفوا ، فقد وجه الإخوان خطابا إلى معالى وزير العدل يلفتون نظر معاليه إلى وجوب النظر إلى هذه القضية نظرة خاصة تتناسب مع الدافع الشريف فيها ، وأن يسرع بإصدار تشريع يحمى البلاد من هذه المهالك الخلقية . [أ هـ]

وأحيانا كان أحمد حسين يزور المركز العام للإخوان المسلمون ويلقى خطاباته فيه .



الشيخ حسن البنا وأحمد حسين وعبد الكريم الخطابى
يصلى المغرب بين يدى الله



احمد حسين زعيم مصر الفتاة يخطب فى المركز العام للإخوان المسلمين
وقد جلس على يمينه عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الإخوان

وقد ظهرت بقضية السيارة الجيب تقارير بعضها بخط أسعد عن متفجرات مصر الفتاة ومكانها فضبطت وكانت لها قضية اتهم فيها سعد مهدى ومحمد ابو النجا من الحزب . وتقارير عن الشيخ عبد الرحمن الصوالحى من الحزب الوطنى وانه كان يحتفظ ببعض المتفجرات لدى الشيخ عبد المنعم النمر – وزير الاوقاف بعد ذلك فى عهد انور السادات – بمنزله بشبرا فكانت سببا للقبض عليهما . كنت فى زنزانة رقم ٦١ من دور ٦ بسجن مصر العمومى وكان الشيخ نمر يجاورنى فى رقم ٦٠ فكانت صداقة . ورغم الحبس كانت روحه مرحة فكهة . سأل أسعد عن مبررات التقرير الذى كان سببا فى القبض عليه ولمن كان يكتبه ، ولم يشأ أسعد أن يخبره عن مخابرات الإخوان فأجابه بأنه كتبه لنفسه وللتاريخ ، فأطلق عليه الشيخ النمر اسم الجبرتى .

عود إلى الأحداث

قلنا إن الإخوان قرروا النزول إلى المعترك السياسى مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ومن أبرز أحداث تلك الفترة اغتيال أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء ورئيس الحزب السعدى بمصر . لم يكن قاتل أحمد ماهر من الإخوان ولكنه كان من الحزب الوطنى وكان هدفه من اغتياله منعه من إعلان الحرب على دولتى المحور –ألمانيا وإيطاليا – والزج بمصر فى حرب لاشأن لها بها . وننقل هنا عن اللورد كيلرن السفير الانجليزى فى مصر حينذاك ماأثبت فى مذكراته .. فيما نشر فى كتاب « الدبابات حول القصر » ص ١٢٨ . قال :

« بعد أسبوع واحد من زيارة تشرشل وفى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ دق جرس التليفون فى مكتبى . وكان الجنرال سمارت على الطرف الآخر من الخط .. وقال لى إنه سمع الآن أن أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء قد أصيب بجراح بالغة عقب محاولة لاغتياله فى ردهة مجلس النواب . وقال إن الجانى أطلق على أحمد ماهر باشا الرصاص من مسدس ، وإنه أصيب بثلاث رصاصات ، وطلب منا المصريون إرسال طبيب عسكرى بسرعة .

« وعلى الفور اتصلت بالجنرال باجيت لارسال طبيب من الجيش البريطانى إلى السفارة ليصحبنى إلى مكان الحادث حيث كنت أنوى الذهاب إلى هناك . ولكن بعد عشر دقائق اتصل بى سمارت مرة أخرى ليبلغنى أن أحمد ماهر باشا قد توفى



محمود العيسوى رحمه الله



أحمد ماهر

قال محمود العيسوى رحمه الله فى التحقيق : إنه ينتمى إلى الحزب الوطنى وذكر محسن محمد فى كتابه « من قتل حسن البنا » [ص ٧٨] عن عبد العزيز على من قادة النضال السرى للحزب الوطنى إن محمود العيسوى من شباب الحزب . ثم نسب إلى الشيخ السيد سابق أنه ذكر للدكتور خالد محمد خالد أن محمود العيسوى من صميم الإخوان المسلمين ، وأن الشيخ أحمد حسن الباقورى ذكر فى مذكراته أن النظام الخاص هو الذى وجه محمود العيسوى لاغتيال أحمد ماهر . والذى نؤكده أن محمود العيسوى رحمه الله كان من الحزب الوطنى و لم يكن من الإخوان .



اللورد كيلرن

متأثرا بجراحه . ورأيت أننى يجب أن أصحب الطبيب معى رغم ذلك للتأكد من صحة تقرير الوفاة . واقترح الجنرال باجيت أن نخطر القادة العسكريين للقوات البريطانية فى مصر أن يقفوا فى حالة استعداد لمواجهة أية طوارىء ووافقته على هذا الرأى . »

وركبنا السيارة إلى مبنى البرلمان ، وكان البوليس يحاصر المكان تماما ، وبعد أن اخترقنا حصار البوليس وجدنا باب البرلمان مغلقا . ولكن جايلزبك [انجليزى الجنسية] الذى كان يعمل مع البوليس المصرى فتح لنا الباب . وكان كل شىء بالداخل عبارة عن فوضى . واقترح أحد ضباط البوليس أن أذهب لرؤية الجانى الذى احتجزوه فى غرفة مجاورة . وقلت له إن هذا لايهمنى بالمرة . وأننى أريد رؤية رئيس مجلس النواب فورا . وعثرنا عليه فى إحدى الغرف مع عدد من كبار المسئولين وأكدوا لى جميعا حادث إطلاق الرصاص وأن أحمد ماهر باشا مات وأن جثته نقلت إلى منزله .

« وبصعوبة بالغة خرجنا من المكان الذى كان حافلا برجال البوليس وكانوا يفتشون كل من يقابلونه فى المبنى . وتوجهنا إلى وزارة الداخلية حيث قيل لنا إن النقراشى باشا قد انصرف . وعلى سلم الوزارة قابلت مكرم عبيد باشا الذى أكد لنا الأنباء . وقررت أن أتوجه إلى قصر عابدين فورا . ولم أجد حسنين باشا هناك . فطلبت من كبير الأمناء أن يبلغ الملك فاروق تعزيتى الخاصة . ثم توجهنا إلى منزل أحمد ماهر باشا بالقرب من القبة ...»

« إن وفاة أحمد ماهر باشا خسارة كبيرة لنا فقد كان صديقا شخصيا لى طوال السنوات الماضية . كما كان مخلصا لنا ويساعدنا فى معظم الأحيان . ومن الصعب التنبؤ بآثار هذه الخسارة علينا . ومن الواضح أن الذى قتل أحمد ماهر من الوطنيين المتطرفين . وأنه أطلق على أحمد ماهر الرصاص لاقتراحه دخول مصر الحرب . وقالوا لى إن هذا الرجل بعث بخطاب إلى أحمد ماهر يهدده فيه بالقتل إذا مضى فى خطته لإعلان الحرب ضد ألمانيا . وأن الخطاب وصل إلى رئيس الوزراء فى نفس اليوم وسلمه إلى رجال البوليس ولكن يبدو أنهم لم يتخذوا إجراءات كافية لحمايته . » أ.هـ .

وزارة النقراشى

مات أحمد ماهر وتولى رئاسة الوزارة من بعده - بنفس وزراء الوزارة - محمود فهمى النقراشى باشا.

وولد النقراشى بالإسكندرية ١٨٨٨ وتخرج فى مدرسة المعلمين بالقاهرة ثم أرسل فى بعثة إلى جامعة نوتنجهام بانجلترا ، وبعد عودته اشتغل مدرسا للغة الإنجليزية بمدرسة رأس التين بالإسكندرية ، ثم عين ناظرا لمدرسة الجمالية بالقاهرة ١٩١٤ - ١٩١٩ فمديرا للتعليم بأسيوط ونقل فى العام التالى وكيل إدارة بوزارة الزراعة ثم مساعدا لسكرتير عام وزارة المعارف العمومية .

وقد انضوى إلى حزب الوفد ورقى عام ١٩٢٤ وكيلا لمحافظة القاهرة ثم وكيلا لوزارة الداخلية . وقبض عليه فى أواخر ١٩٢٤ فى حادث مقتل السير لى ستاك باشا سردار السودان ، وأفرج عنه فى فبراير التالى ، ثم أعيد القبض عليه بعد ثلاثة أشهر لاتهامه فى بعض الجرائم السياسية ولكنه برىء منها .

وتولى وزارة المواصلات فى وزارات الوفد ١٩٣٠ و ١٩٣٦ و ١٩٣٧ ثم أخرج من الوزارة لخلافه مع النحاس باشا وانضم إلى أحمد ماهر باشا فى تكوين الحزب السعدى [نسبة إلى مبادىء سعد زغلول] وعين وزيرا للداخلية فى الوزارة الائتلافية ١٩٣٨ ثم تقلد وزارة المعارف ثم الداخلية مرة أخرى ثم فى ١٩٤٠ وزيرا للمالية ! وبعد مصرع أحمد ماهر فى فبراير ١٩٤٥ تولى رئاسة الوزارة .

وكتب إحسان عبد القدوس مقالا فى مجلة روزاليوسف عنوانه « هذا الرجل يجب أن يذهب » والمقصود كان السفير الإنجليزى ، ولم يتردد النقراشى فى مصادرة المجلة والقبض على إحسان عبد القدوس . بدأ النقراشى شابا مجاهدا وانتهى باشا جلادا .

كان فى نظر الإخوان غبيا متغطرسا أحمق ، أطلق عليه بعض إخواننا اسم « أبو جهل » وكان الاستاذ البنا ينهى الإخوان عن مثل ذلك . وفى وزارته هذه شددنا الضغط فى شأن أمانينا القومية مطالبين بالجلاء ووحدة وادى النيل واصطدمنا به صدامات عدة فى شكل مظاهرات طلابية .



النقراشي باشا

مظاهرة كوبرى عباس

وفى عهد هذه الوزارة وقع حادث كوبرى عباس الشهير الذى أعده البوليس كمينا لمظاهرة سلمية قادها الأخ مصطفى مؤمن ، خرجت من الجامعة فى اتجاه سراى عابدين ، ولكنها ماأن بدأت تجتاز الكوبرى من جهة الجيزة نحو الروضة حتى حاصرتها القوات من الجهتين ولم تترك لها منفذا وراحوا يضربون الطلاب بالسياط والهراوات على رءوسهم حتى سقط كثير من الجرحى وقبضوا على بعضهم . لم يكن لذلك التصرف الأحمق مايبرره فقد كانت المظاهرة سلمية تهتف مطالبة بجلاء الانجليز ووحدة وادى النيل . وقد شاع حينذاك أن القتلى بلغوا كذا وكذا ، ولكن الذى أؤكده – وقد شهدتها وأصابتنى بعض هراوات الشرطة – أن أحدا لم يقتل يومها رغم أن كثيرين ألقوا بأنفسهم من فوق الكوبرى إلى النيل أو إلى ضفته الطينية من جهة الجيزة ، ولكنها على أى حال كانت مذبحة أسفرت عن مئات من الجرحى ، وفضت المظاهرة بعنف بالغ فلم تبلغ عابدين ولم تتجاوز كوبرى عباس ، ومع ذلك فقد استطاع مئات ممن شهد المذبحة على الكوبرى الفرار وقبض على كثيرين . واكتسبت هذه المظاهرة شهرتها حيث كانت سلمية تماما تطالب هتافاتها بجلاء جيش الاحتلال وتتجه إلى القصر الملكى بعابدين فاستقبلها البوليس بكمين ومجزرة لامبرر لها على الإطلاق .

عيد ميلاد الملك

كان ذلك فى الثلث الأول من شهر فبراير ١٩٤٦ ولعله كان فى اليوم التاسع منه . وفى اليوم التالى امتلأ حرم الجامعة بالجرحى من طلاب مظاهرة الأمس ، كانت رءوسهم مضمدة وأذرعهم معلقة فى أعناقهم بأربطة الشاش ، فكان منظرا مثيرا حتى لمن لم يشهد المظاهرة . وأجمعت الجامعة عن بكرة أبيها على الإضراب احتجاجا على همجية وزارة النقراشى . وألقيت الخطب الملتهبة فى الجامعة .. كانت الجامعة فى أبهى زينة بمناسبة اقتراب عيد ميلاد الملك ، وكان مقررا أن

يضع الملك حجر الأساس للمدينة الجامعية ، ولكن الطلاب حطموا الزينات وداسوا صورة الملك وفتحوا صنابير الحريق فأغرقوا مكان الاحتفال . ورغم ماحدث بالأمس فقد تحركت جموع الطلاب تريد الخروج فى مظاهرة تحد جديدة . وتصدت قوات البوليس للمظاهرة من شارع الجامعة ، وفى خروج المظاهرة من باب الجامعة اندفع أحد طلاب كلية التجارة فسقط تحت عجلات لورى فقتلته ، وحمل الطلاب زميلهم القتيل وارتدوا به إلى الجامعة ، وأرادوا الخروج به فى شكل جنازة ، ولكن السلطات أبت . وأخفيت الجثة وظل الحرس الجامعى يبحث عنها . ثم أمكن تهريبها فى سيارة خاصة إلى كلية الطب بشارع قصر العينى وأعطيت التعليمات سرا إلى جميع الطلاب فتسللوا من الجامعة إلى كلية الطب . وأقفرت الجامعة من الطلاب فى حين امتلأت كلية الطب ، وهناك عاد الحرس الجامعى يفتش الكلية بحثا عن الجثة وكانت قد أخفيت فى دولاب للمهمات بالمشرحة فلم يعثروا عليها ، وأقمنا بعض المتاريس وأعددنا الحجارة اللازمة لقذف البوليس .

وازدحمت قوات البوليس حول الكلية وظلت تتزايد وأمسينا ونحن هناك . واستطاع الدكتور كمال عبد النبى [سفير مصر فى باريس بعد ذلك] أن يتسلل إلينا داخل الكلية وأن يبلغنا تعليمات المرشد العام بالإنصراف فرادى حيث إن النقراشى قد أعطى تعليماته للبوليس باقتحام الكلية والقبض على كل من يوجد بداخلها . وماكدنا ننصرف حتى قام البوليس بهجومه على كلية الطب من خلال مستشفى قصر العينى ، واعتدى فى هجومه ذاك بالضرب على المرضى فى أسرّتهم واقتحم الكلية وقبض على من كان مازال بها ... واستولى على الجثة ، وأعلن إغلاق الجامعة .

وفى اليوم التالى ... عيد ميلاد الملك [١١ فبراير ١٩٤٦] - ورغم كل ماحدث - ذهب الملك طبقا للبرنامج السابق وضعه ليضع حجر الأساس للمدينة الجامعية ، ولكن ... لم يكن بالجامعة طلاب .. كان هناك مصابيح ملونة محطمة وأسلاك كهرباء مقطعة وملقاة فى كل مكان وشعلة كبيرة امتدت إليها يد التدمير ، ومياه تغمر المكان كله ، سارت فى وسطه سيارة الملك إلى مكان الاحتفال .



فاروق والكلب

وهناك أقيم الخطباء الذين سبق إعدادهم وألقى كل خطبته ومنهم مندوب عن الطلاب . وسأل الملك « أين الطلاب ؟! » فكان مكرم عبيد باشا هو الذى أجابه « فى السجون والمستشفيات يامولانا » .

النقراشى يترنح

كان الإخوان المسلمون هم زعماء تلك الحركة وقادتها وجنودها ، وطلاب الجامعة من ورائهم . ولذلك حين وجه الاستاذ البنا رسالة إلى السراى يطلب فيها إخراج النقراشى من الحكم فقد كان لذلك الطلب وزنه ... بل كان - ولو أنه لم يحمل ذلك الاسلوب - بمثابة إنذار . وفى منتصف الليل وقفت سيارة ملكية فاخرة فى الحى الشعبى الحلمية الجديدة أمام البيت المتواضع الذى يسكنه الرجل الفقير الذى يهز الدولة ويهز العرش .. حسن البنا . وطلب الرجل لمقابلة عاجلة مع رئيس الديوان الملكى أحمد حسنين باشا . وكان موقف حسن البنا حاسما وواضحا .. لقد أساء النقراشى بالاعتداء على أبنائنا الطلاب الذين لم يقترفوا إثما إلا المطالبة بأمانينا القومية .. إنهم لم يطلبوا إلا جلاء قوات الاحتلال ووحدة وادى النيل ، وهى مطالب مشروعة لاينكرها إلا خائن ... ولذلك لابد أن يخرج النقراشى من الوزارة . ولم يخرج الرجل من سراى عابدين إلا ومعه وعد بذلك . وسئل عن رأيه فيمن يلى الوزارة من بعد النقراشى ، وأجاب بأنه لايهمه شخص من يجىء ... المهم سياسته .

مقابلة مع حسنين باشا

وفى نفس الوقت كانت اتصالات أخرى تجرى معنا نحن الطلاب . اتصل بى عمر أمين سكرتير قسم الطلاب حينذاك وكان طالبا بكلية الهندسة وطلب إلَّى الحضور - مندوبا عن كلية التجارة - فى موعد حدده بميدان عبد المنعم بالدقى لمقابلة رئيس الديوان الملكى ! وفى الموعد وجدت مندوبين من الإخوان عن سائر الكليات . كنت فى العشرين من عمرى وكانوا نحو ذلك . وتقدمنا إلى الفيللا التى كان يقطنها أحمد حسنين باشا فأدخلنا إلى حجرة الصالون . وعلمت أن واسطة الاتصال بين الباشا وبيننا كان الصحفى المعروف الاستاذ مصطفى أمين ، وكان هو نفسه حاضرا . كما شهد جانبا من الاجتماع كريم ثابت المستشار

الصحفى للقصر الملكى . وجاء الباشا وكان حريصا كل الحرص أن يتباسط معنا فى الحديث ، وبدأ حديثه بذكرياته عن أيام شبابه وعن رحلته فى صحراء مصر الغربية وعن هوايته للعبة الشيش وأنه أجادها إلى المستوى الذى جعله يحصل على ميداليات وكئوس لتفوقه فى مبارياتها ، واستطرد فى الحديث عن لعبة الشيش وأن كل بطل له حيله الخاصة فى تلك اللعبة التى يحرص على ألا يبوح بأسرارها ، ولكنه الآن وبعد أن بلغ تلك السن فإنه لا يبخل بتلك الأسرار على أبنائه من الشباب ، وظل يدور حول معنى الشباب من زوايا متعددة إلى أن ذكر أن جلالة الملك شاب مثلنا وأنه يحبنا لأننا من جيله ويحس بأحاسيسنا ويشعر بمشاعرنا ، وسقط كريم ثابت فقال: إن الملك مثلنا يحب معاكسة الفتيات وله فى ذلك صولات وجولات ، ولم يكن منتبها فيما يبدو إلى أننا إخوان مسلمون ، وأراد حسنين باشا أن يتدارك الأمر ولكن بعد فوات الأوان . واستمر يقول:إنه لذلك فهو – جلالة الملك – عاتب علينا أشد العتب لما فعله الطلاب فى الجامعة ، وإنه فوجىء أشد المفاجأة لأنه كان يفهم وهو قادم أنه إنما جاء ليضع حجر الأساس لمشروع يفيد منه الطلاب حيث يجدون المأوى بدلا من الضياع ويغنيهم عن البحث عن مساكن لا تليق بهم ولا يجدون إيجارها ، وأن جلالته رأى الطلاب قبل ذلك يوم اصطحب جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود لزيارة الجامعة فقال له : « لماذا أرى وجوه الطلاب صفراء يا حسنين ؟ لابد أن نعمل لهم مشروعا للغذاء » والآن يجىء لمشروع إنشاء المدينة الجامعية فتقابلونه هذه المقابلة يا غجر ! قالها بدلال بالغ وتصنع للعشم الذى ينقله لنا عن الملك .

وأجبنا بأن النقراشى أساء وضربنا . قال هناك سلطة عليا فى البلاد وهى الملك وانه كان باستطاعتنا أن نشكو النقراشى إلى الملك . قلنا إن النقراشى منع مظاهرة سليمة من الوصول إلى قصر عابدين وزج إخواننا فى السجون وهو مازال يبحث عنا للقبض علينا !.. وانتهى الحديث بيننا إلى أن أصبح صفقة ... النقراشى يخرج الحكم ويفرج عن المقبوض عليهم وتحفظ القضايا ونحن نقوم بمظاهرة من الجامعة إلى قصر عابدين تهتف بحياة الملك ! حفاظا على كرامته فى البلاد وقد ضحى الملك بالنقراشى وكان كل ما يهمه هيبته هو . وكان مايهمنا هو سقوط النقراش والإفراج عن إخواننا .



كريم ثابت



مصطفى أمين

وزارة صدقى

ذهب النقراشى فى فبراير ١٩٤٦ وجاء من بعده إسماعيل صدقى . ولصدقى باشا تاريخ أسود ، فقد ترأس الوزارة قبل ذلك عام ١٩٣٠ ، وفى بعض الإضرابات الطلابية التى أثارها ضده خصومه أمر البوليس فاقتحم المدارس وضرب الطلاب بالرصاص فى الفصول . عاد إسماعيل صدقى وبدأ يخطب ود الإخوان ويطلب — علانية — الصفح عن ماضيه ويستشهد فى سبيل ذلك بمستقبله وماسوف يفعل . لقد كان الظن أن الملك سيعهد بالوزارة إلى خاله شريف صبرى ، فلما عدل عن ذلك فجأة إلى إسماعيل صدقى ظن الرجل أن حسن البنا هو الذى طلبه ، ولعله نما إلى علمه ان مقابلة تمت بين حسن البنا واحمد حسنين . ومر على دار الإخوان بالحلمية الجديدة فلم يجد المرشد العام فانصرف بعد أن ترك له بطاقة ، وتحرى الاستاذ البنا وقتا يعلم غياب صدقى فيه عن مكتبه فرد له الزيارة وترك له بطاقته .



إسماعيل صدقى باشا



أحمد حسنين باشا

ورأى الإخوان أن يمنحوا الرجل الفرصة التى استجداها . وقد أثار هذا ثائرة حزب الوفد على الإخوان فقد كان صدقى هو عدوه اللدود . واحتمل الإخوان من أذى الوفد وسلاطة ألسنة صحفه الشيء الكثير ، وانحاز الشيوعيون إلى الوفديين فى هذا ، فقد كانوا يدركون دائما أبدا أن لاحياة للشيوعية فى وجود الحركة الإسلامية وكثيرا ماركبوا موجة الوفد .

ووعد صدقى ووعد .. وأسرف فى الوعود . وسافر إلى لندن فى ١٩٤٦/١٠/١٧ وظل يتفاوض مع وزير الخارجية البريطانية مستر بيفن وكان يصحب صدقى فى هذا وزير خارجيته إبراهيم عبد الهادى ، وأخيرا عاد صدقى وخرج على الأمة بما أسماه مشروع معاهدة « صدقى – بيفن » . ولم يكن ذلك المشروع بالذى يحقق للأمة أمانيها وإنما كان صيغة أخرى لمعاهدة ١٩٣٦ ، وبه من النصوص مايربط مصر بعجلة الامبراطورية العجوز ، فقد كان ينص على الوجود الإنجليزى فى مصر فى حالة الحرب أو التهديد بالحرب ، وكان ماعرف عن مشروع المعاهدة قبل سفر صدقى وإبراهيم عبد الهادى إلى لندن يكفى لرفضها فرفضها الإخوان وانتقدوها . ولكن صدقى أعلن أنه سيوقع المعاهدة .. واشتدت مهاجمة الإخوان لصدقى وللمعاهدة ، وعادت الجامعة تشتعل بالاضرابات والمظاهرات يتصدرها الإخوان بما يدحض فرية أن صدقى قد اشترى الإخوان ، تلك الفرية التى ظل الوفديون والشيوعيون يكررونها .

وأطلق بوليس صدقى النار على مظاهرة جامعية يتزعمها الإخوان ففضها . وفى اليوم التالى ١٩٤٦/٩/٢٣ تجددت المظاهرات بقيادة الإخوان أيضا وكانت يومذاك مسلحة ، فما أن ظهرت قوات البوليس بسلاحها حتى ألقيت عليها تسع قنابل يدوية بشارع الجامعة بين كلية الزراعة وميدان الجيزة – من النوع الصوتى لتخويف البوليس وتفريقه .. وقد كان . إلا أن بعض العساكر قد أصيب وتوفى أحدهم فى اليوم التالى ٩/٢٤ . وأصدر صدقى باشا قرارا بإغلاق الجامعات والمدارس وتعطيل الدراسة ، وكان وزير معارفه حينذاك محمد العشماوى باشا .

وفى رسالة من الأستاذ حسن البنا إلى شعب وادى النيل على الصفحة الرابعة من جريدة « الإخوان المسلمون » ١٠ اكتوبر ١٩٤٦ جاء فيها :

« إن حكومة صدقى باشا فى إصرارها على إجراء المفاوضات لاتمثل إرادة الأمة . وأى معاهدة أو تحالف تتوصل إليه مع بريطانيا قبل أن يتم جلاء قواتها ، هو إجراء باطل ولن يلزم الأمة » .

وحسب صدقى أن الحالة تُحصر بإغلاق الجامعة بؤرة المظاهرات ، والواقع أن غير الإخوان لم يكن لهم ميادين أخرى ، ولكن الإخوان واجهوه بمظاهرات صاخبة تخرج من المساجد بعد صلاة الجمع ، فشدد حراسته على المساجد

وخاصة فى أيام الجمعة وكان مستعدا لضرب المصلين فى المساجد حتى امتنع بعض الناس عن الصلاة فى المساجد .. فويل للمصلين ! لولا أن غيّر الإخوان من تكتيكهم فنظموا بعض المظاهرات من المساجد أيضا ولكنها كانت ليلية تخرج بعد صلاة العشاء . وظلت قوات البوليس متأهبة فى حالة طوارىء مدة طويلة حتى أصاب رجالها الإعياء . وفى ليلة قررت قيادتها منح بعض قواتهم راحة . كان ذلك يوم ١٦ / أكتوبر / ١٩٤٦ شن الإخوان مظاهرات ضخمة فى جميع أنحاء البلاد .

فى تلك الليلة تصادف أن كان الإخوان قد أعدوا عدتهم لمظاهرة من نوع جديد . ففى تمام الساعة السابعة والنصف بدأت مظاهرة فى حى شبرا وأخرى فى الجيزة واتجهت قوات البوليس إلى هذين الحيين من أطراف القاهرة . ولكن جمهور الإخوان كان يتجمع فى ميدان العتبة بوسط القاهرة . ومع دقات الساعة الثامنة من ساعة البريد كان سعد الدين الوليلى يعتلى الأكتاف ويهتف بهتاف الإخوان « الله أكبر ولله الحمد » واجتمع الإخوان حوله فى ثوان وسارت المظاهرة من العتبة بحذاء حديقة الأزبكية نحو شارع فؤاد الأول . وكانت التعليمات ... إذا حضر البوليس يحدث تفرق ، ثم تجمع جديد بأول شارع فؤاد وتستمر المظاهرة ، فإذا حضر البوليس مرة أخرى فلنتفرق ثم نتجمع من جديد عند شارع عماد الدين وتستمر المظاهرة .. وهكذا . ولكن الذى حدث أن البوليس الذى جذبته المظاهرتان الخادعتان فى شبرا والجيزة لم يحضر فاستمرت المظاهرة من العتبة حتى الاسعاف . ووقف بعضنا هناك يتساءل ... والآن ماذا نفعل ؟. وكان الجواب « انصراف » .

وجاءت قوات البوليس بعد ذلك . لايطيب لبعض العقلاء هذا الأسلوب من المظاهرات ، ويتساءلون ماذا خسر الإنجليز بتحطيم المصابيح ؟ لم يكن الأمر أمر المصابيح ولا مركبات الترام ولكنه كان إعلان السخط على الحكومة فى سياستها التى تحدت بها إرادة أمتها ، فهو أسلوب من أساليب زلزلة أقدامها لإسقاطها حتى لايتم لها ماتريد . وعلى الأثر أصدر صدقى باشا بيانا يعلن فيه أن بعض الدهماء من المشاغبين فعلوا كذا وكذا . وأنه لن يخضع أبدا لتوجيه الدهماء وأنه ماض فى سياسته وأنه سيوقع معاهدة « صدقى – بيفن » ، وكان فى ذلك يرد على هتافات المظاهرات ... يسقط صدقى ويسقط بيفن .

يوم الحريق

وأعلن الإخوان عن يوم الحريق ، وهو يوم غير معلن موعده تحرق فيه الجرائد والمجلات والكتب الإنجليزية كرمز لمقاطعة الإنجليز وإعلامهم وثقافتهم . وتم ذلك فجأة فى ليل ٢٥ نوفمبر ١٩٤٦ فى أماكن عديدة من القاهرة والأقاليم . وقد شاركت فى إحراق بعض أجولة فى تقاطع شارع الملك [مصر والسودان الآن] وشارع الملكة نازلى [رمسيس الآن] وقد تم ذلك عن طريق شعب الإخوان وكانت هذه لشعبة حدائق القبة .

ضرب أقسام البوليس

ألقى الباشا القفاز فى وجهنا ، فلم يكن إلا تصعيد المقاومة . ووزعت أقسام البوليس بمدينة القاهرة على بعض المجموعات لدراستها . وجلست مجموعتنا فى بيت أحدنا تعد اللفائف المتفجرة . كان بكل لفافة بعض أصابع الجلجنايت وبها مفجر اتصل به قطعة من الفتيل الأسود طوله أربعون سنتيمترا ، تكفى لاشتعاله أربعين ثانية ، وفى نهايته مشعل كيماوى يشتعل بالضغط عليه بزرادية أو بكعب الحذاء .

كان المطلوب تفجير تلك العبوات فى أقسام البوليس ذاتها ، فى كل قسم عبوة بحيث لانصيب أحدا . لقد كانت المتفجرات ملفوفة فى ورق كرافت فليس لها شظايا ومن الممكن ألا تصيب ، ولكن الفرقعة فى حد ذاتها كانت مطلوبة للإعلان عن أن قسم البوليس هذا قد ضرب بالقنابل . لم نكن نبتغى أكثر من الفرقعة . وكان قسم مصر الجديدة هو نصيب مجموعتنا . وتم توزيع العبوات المتفجرة على المجموعات المشتركة فى العملية . وانتظرنا كل مجموعة فى بيت واحد منها فى انتظار أوامر الانطلاق ، ولكن جاءت التعليمات بتأجيل العملية والانتظار فى اليوم التالى . وكان اليوم التالى كسابقه مع تعليمات بزيادة دراسة الأقسام .

وفى اليوم الثالث جاءت التعليمات فى الساعة التاسعة والنصف مساء بأن يكون التنفيذ فيما بين الساعة العاشرة والعاشرة وعشر دقائق ، فمن لم يتمكن من التنفيذ

فى خلال تلك الفترة فليعد دون تنفيذ . وليس عليه أن ينفذ بعد الميعاد وذلك لخطورة العملية حيث سيكون كل قسم قد علم بما حدث للأقسام الأخرى فيتخذ حيطته وتستيقظ حراسته .

وتعسرت معنا المواصلات فلم نتمكن من الوصول إلى قسم مصر الجديدة فى الموعد المناسب . وعز علينا أن نعود بمتفجراتنا فاتجهنا إلى نقطة بوليس حدائق القبة عسى أن نجد فيها هدفا مناسبا . ولكن كان هناك زفاف فى منزل يقابلها وقد امتلأ بالكهارب والزينات التى أحالت الليل نهارا كما امتلأ الشارع بالأطفال الفرحين بالفرح فانصرفنا عنها إلى هدف آخر . كان ذلك فى ٤ ديسمبر ١٩٤٦ .

وبتنا على جمر حتى الصباح ، ثم تهافتنا على الصحف وقد نشرت أخبار ضرب أقسام البوليس على صفحاتها الأولى بخط كبير . وكأنما شعر والدى بشىء فراح يسألنى أين كنت ليلة أمس ، ولكنى لم أخبره . وفى لقائنا مع قيادتنا علمنا أن العملية تمت جميعها بنجاح وأن جميع إخواننا قد عادوا بسلام ، إلا أن أخانا الذى وضع عبوة قسم الموسكى بميدان العتبة قد حشرها فى نافذة بين الزجاج والحديد فأدى انفجارها إلى تناثر شظايا أصابت بعض الناس وشرطة القسم . كما وضعت قنبلة قسم عابدين فى سيارة لورى مما يحمل عساكر الشرطة كانت تقف امام القسم ، وضعها على المقعد الأمامى إلى جوار السائق الذى كان يغط فى نومه من الإرهاق والتعب ، ولحسن الحظ ولله الحمد لم تنفجر وكانت هى الوحيدة التى عثروا عليها صحيحة وأجروا عليها بحوثهم وعرضوها على خبير القنابل والمفرقعات بفرقة مطافى القاهرة فوضع عنها تقريرا وصفها فيه وصفا دقيقا وذكر أنها صناعة محلية ثم قال عن المشعل إنه صفيحة أمان تنزع ليشعل الفتيل بالكبريت ! فكانت مادة لتفكهنا وتندرنا .

لقد أعلنت وزارة الداخلية عن مكافأة ٢٥٠٠ جنيه [على ماأذكر] لمن يرشد إلى الفاعل أو معلومات تؤدى إلى الفاعل ، ولكن أحدا لم يتقدم بأى شىء .

وعلى أثر هذه العملية تنازل إسماعيل صدقى عن كبريائه وغطرسته فكتب إلى الملك استقالة فى ٨ ديسمبر ١٩٤٦ يتعلل فيها بالمرض . وسقط مشروع « صدقى — بيفن » .

قطار الشرابية

كان للإنجليز قاعدة كبيرة فى العباسية عرفت باسم « القرنص » وكان هناك خط سكة حديد يخرج من هذا القرنص حتى يتصل بشبكة السكك الحديدية فى مصر عند الشرابية . فى هذا المكان – الشرابية – ينحنى الخط ليتجه نحو منطقة القنال كما تتجه شعبة منه نحو الإسكندرية ، ويعترضه مزلقان ، ولذلك كان على أى قطار يجتاز تلك المنطقة أن يهدىء من سرعته .

ويبدو أنه كان هناك موعد ثابت لقطار الجنود المتجه من القرنص إلى القنال . وفى ليلة سمعت – وكنت فى منزلى – أصوات انفجارات ، ثم نشرت الصحف أن القطار الحربى المتجه إلى الإسماعيلية قد تعرض لهجوم بالقنابل اليدوية أدى إلى مصرع عدد من جنود الحليفة ، وأعلنت وزارة الداخلية عن مكافأة خمسة آلاف جنيه لمن يرشد عن الفاعل أو إلى أى معلومات تكشف الغموض عن الحادث . كما أعلنت السفارة البريطانية عن مكافأة أخرى مماثلة – خمسة آلاف أخرى لنفس الغرض . ولم يكن للمكافأتين أى أثر .

ولقد علمت بعد ذلك أن اثنين من الإخوان أخذا سلة مما يستعمل فى نقل الخضراوات وانتظرا القطار حيث كان يبطىء من سرعته ، فكان أحدهما يأخذ القنبلة من السلة ويناولها أخاه فينزع مسمار أمانها ويسقطها فى إحدى نوافذ القطار المتحرك فتنفجر داخله وسط الجنود ثم يناوله غيرها وهكذا حتى مر القطار . لم يعلن أى بيان عن رقم الخسائر ولم نسمع شيئا فى هذا الشأن ولكن لاشك أنه كان يتناسب مع مقدار المكافأة .

قنابل عيد الميلاد

سقط صدقى وعاد ذلك الرجل – السيىء عند الإخوان وغيرهم – النقراشى رئيسا للوزارة يوم ٩ ديسمبر ١٩٤٦ . وفى الأيام الأولى من وزارته قمنا بعمليتنا الجماعية التالية . فقد أتى الكريسماس – عيد الميلاد عند المسيحيين الغربيين –

وفى هذا اليوم اعتاد جنود الجيش الإنجليزى بكل أجناسه [استراليين - نيوزيلنديين - جنوب أفريقيين .. الخ] ، اعتادوا أن يحتفلوا به على طريقتهم . هذه الطريقة كانت تقوم أساسا على السكر والعربدة فى الحانات والكباريهات ودور المجون التى امتلأ بها وسط القاهرة ، وكثير منها خصص لجنود « الحليفة » انجلترا فى ذلك الوقت ، ثم يخرجون فى صخب شديد ليجتاحوا ماأمامهم . كانوا ينهبون المحلات ويخطفون النساء ويستبيحون كل شىء .

وقرر النظام مقابلة هؤلاء فى شوارع وسط القاهرة . ولكن قرار النظام جاء متأخرا بعض الشىء ، وتصادف أن مكثت فى عملى بالبنك الأهلى المصرى حيث كنت أعمل من الصباح حتى الحادية عشرة مساء . فلم أعلم بذلك القرار ولم يبلغنى به أحد . وكان التوقيت المحدد للعملية من الساعة العاشرة إلى العاشرة وعشر دقائق ثم الرجوع . وكانت البارات والحانات التى تعج بهم ذات أبواب زجاجية ، فكان المخطط أن يلقى كل أخ القنبلة شديدة الانفجار التى معه على الزجاج بشدة بحيث تحطمه وتنفذ من خلاله فتنفجر بالداخل وسط الجنود .

ولكن حدث شىء من سوء الحظ . فبعد أن تم تسليم القنابل للإخوان وصدرت التعليمات إليهم ، وكانت تصدر إليهم فى بيوتهم ، حدث فى حوالى الساعة الثامنة مساء أن مرت سيارة مسرعة أمام نادى الاتحاد المصرى الإنجليزى بالزمالك ، وألقى مجهول قنبلة يدوية من السيارة على النادى ولاذ بالفرار . هذا النادى كان رمزا للصداقة المصرية الإنجليزية ، وكان أعضاؤه بعضا من الإنجليز مع بعض المصريين العملاء . وكان لهذا الحادث أثره ، فقد أعلنت حالة الطوارىء فى البوليس المصرى وبين قوات الجيش الإنجليزى . وانتشر البوليس المصرى العلنى والسرى وكذا قوات البوليس الحربى الإنجليزى انتشرت فى الشوارع فى حالة من التأهب والترقب لأى محاولة جديدة .

وكانت التعليمات تقضى بأن من يجد صعوبة فى تنفيذ عمليته أن يعود دون أن يغامر بنفسه . ويبدو أن العملية كانت صعبة بالفعل فى ظروف اليقظة التامة والتأهب . ومع ذلك فقد نفذ كثير من الإخوان عملياتهم بنجاح فكانت شبه مذبحة للجنود الإنجليز السكارى . وكانت القوات تروح وتجىء تتفرس وجوه الناس فاشتبه ماهر رشدى حكمدار بوليس العاصمة وكان فى لورى بوليس ، اشتبه فى

شابين يسيران متجاورين فى شارع عبد الخالق ثروت وأوقف سيارته ونزل جنوده بسرعة فأحاطوا بهما واقتادوهما معهم فى السيارة . كانا محمود نفيس حمدى وصديقى حسين عبد السميع وكانت قنبلته مازالت فى جيبه ... وصارت قضية وكان حسين ونفيس أول صيد يقع منا .

عبد المنعم(•) عبد العال نفذ عمليته وعاد إلى بيته بالعباسية ، وكان يوم الاحتفال بعرس شقيقته ، فشارك أهله الاحتفال حتى منتصف الليل . وحين أراد ابن خالته كمال القزاز الانصراف نزل معه لتوصيله إلى محطة الاتوبيس ، ودفعه حماسه أن يأخذ معه قنبلة اخرى . وفى عودته صادف أحد لوريات الجيش الانجليزى فى شارع الملكة نازلى – رمسيس حاليا – يعود بحمولته من الجنود فى اتجاه ثكناتهم بالعباسية . وقذف اللورى بالقنبلة فأحدثت دويا هائلا فى سكون الليل واجتمع حوله حرس الليل من البوليس المصرى وحاصروه بصفافيرهم حتى قبضوا عليه . فكانت قضية ثانية .

وأودع المتهمون فى هاتين القضيتين سجن الأجانب الذى كانت تشرف عليه حكمدارية بوليس القاهرة ، هذا البوليس كان الإنجليز هم الذين يديرونه بشكل مباشر ، ولذلك كانوا يودعون المتهمين فى القضايا السياسية فى مراحل تحقيقها الأولى هذا السجن . وكانت نوعية المقبوض عليهم تدل بوضوح وجلاء أن البوليس يتخبط وأنه لايهتدى إلى شىء ، فقبض مثلا على سعد الدين الوليلى مدرب عام الجوالة ظنا منهم أن هذه الأعمال لابد أنها كانت صادرة عن الجهاز ذى المظهر العسكرى ، الذى يرتدى الزى الكاكى ويرفع الأعلام ويدق على الطبول والترومبيتا . كذلك كان محمد فريد عبد الخالق رئيس قسم الطلاب من بين المقبوض عليهم .

وكان لحسين عبد السميع دولاب فى كلية الزراعة كنا نحتفظ فيه بعدد من القنابل اليدوية احتياطا للحاجة إليها فى مظاهراتنا إذا ماصطدمت بالبوليس واحتاج الأمر . فلما قبض على حسين أردنا استخراج القنابل من دولابه وكان لابد من أحد منا يعرفه . وقال عبد المجيد حسن أنه رآه مرة وأنه ترك معه أحد مفتاحى الدولاب . وذهب عبد المجيد مع أحد إخوان الكلية لتنفيذ المطلوب ولكنهما وجدا أن الدواليب قد نقلت من مكانها . وبعد صعوبة بالغة استطاعا التعرف على

(•) انتقل إلى رحمة الله ١٩ / ٧ / ١٩٨٧ بعد مرض طويل .

الدولاب فى مكانه الجديد دون لفت الأنظار . وذهبت لأبشر حسينا فقد قدرنا أنه يحمل هم ذلك الدولاب ، وكان المتهمون - وكلهم كانوا محبوسين انفراديا - يجلسون على حواف نوافذهم ينظرون إلى الطريق ، فقد كان سجن الأجانب فى شارع الملكة نازلى ، وقبض علىّ وأنا فى تلك المحاولة بعد أن أخبرته فعلا ولكنى انكرت كل صلة لى بأحد من المتهمين ، فأفرج عنى بعد أيام قضيتها فى قسم بوليس الأزبكية . وفى الواقع كان من الجائز أن أتهم فى القضية لولا أن قسم البوليس حين أحالنى إلى النيابة العامة للتحقيق أرسلنى سيرا على الأقدام مع أحد عساكر القسم ، وفى الطريق أمكننى التفاهم معه ماليا وأن أتصل بمنزلى تليفونيا لأخبرهم . وفى ليلتها أمرت النيابة بتفتيش منزلى وذهبت صحبة البوليس ، فلما دخلت غرفتى مع البوليس انكرتها مما اعتراها من تغيير . لقد أخرج والدى مكتبى ودولابى حيث لم يكن لديهم متسع من الوقت لفرز مابها ، أخرجوها بكل محتوياتها إلى خارج البيت كله . ووضعوا مكانهما مكتب أحد إخوتى بعد تفريغه مما به . فما أن فتح الضابط الذى صحبنى أدراجه ولاحظ خلوها تماما حتى أدرك كل شيء ، فلم يتم تفتيش البيت ، وعدنا توا إلى القسم ، وبطبيعة الحال كتب تقريره بأنه لم يعثر على شيء يفيد التحقيق . وأفرج عنى .

ويذكر محسن محمد فى كتابه « من قتل حسن البنا » أن النقراشى أبلغ حادث قنابل عيدالميلاد تليفونيا إلى السفير البريطانى سير رونالد كامبل وعرض أن يرسل إلى المستشفى مساعدات إضافية [الأمر الذى يعنى جسامة الخسائر] وأن السفير أجابه بقوله: « إنى على ثقة من أنك ستتخذ كل الإجراءات لاستئصال هذا النوع من الجرائم » ثم قام السفير بزيارة النقراشى وقال له: « أتحدث إليك بدون تعليمات ولكنى أنقل إليك قلقى الشخصى ، إنى واثق من أن سلطات الأمن تحت قيادتك تبذل كل ما فى وسعها للقبض على مرتكبى هذه الأعمال الإجرامية ... الأمر الذى لابد أن يكون محبطا للشرطة ومشجعا للمجرمين هو التأخير فى الإجراءات الجنائية والإفراج عن كثير من المتهمين بكفالات بسيطة » .

ولقد كانت ثقة السفير بأن سلطات الأمن تحت قيادة النقراشى تبذل كل ما وفى وسعها صحيحة ويعلمه السفير دون شك فإن الذى كان يقود تلك السلطات كان اللواء الإنجليزى الجنسية رسل باشا حكمدار بوليس القاهرة .

قال النقراشى للسفير : « ليس فى الإمكان التدخل لدى القضاء ، فالمحافظة على مشاعرهم فى الاستقلال والأمان أمر جوهرى ؛ لتحقيق الممارسة الصحيحة للعدالة » وأضاف أنه لا شك أن المحاكم المصرية لا تعمل بالسرعة المعتادة فى بريطانيا .

وهنا يتبادر سؤال : هل كان نقل المستشار أحمد الخازندار من الإسكندرية إلى القاهرة مصادفة ؟



الشيخ حسن البنا

كانت هناك فى الإسكندرية قضية مماثلة لعدد من الشبان الوطنيين اتهموا بـ « الاعتداء » على جنود الحلفاء . ونظرت القضية امام محكمة جنايات الإسكندرية برئاسة أحمد الخازندار بك رئيس محكمة استئناف الإسكندرية . وصدر الحكم ضد الشباب الوطنى بأقصى عقوبة . ونظر الخازندار بك أيضا قضية أخرى شهيرة اتهم فيها المقاول حسن قناوى بقتل سبعة من الصغار بعد ممارسة الشذوذ الجنسى معهم . وكانت من القضايا التى اجتذبت انتباه الرأى العام ومتابعته وصدر الحكم ضد قناوى بالحبس سبع سنوات ، فكان حكما محيرا بل مثيرا بالنسبة لتفكيرنا نحن الشباب . إذا كان قناوى بريئا فكيف يحكم عليه ، وإذا كان مذنبا فكيف يقتصر الحكم على سبع سنوات فى قتل سبعة لدوافع غير كريمة ؟!

المهم . صدر الأمر بنقل أحمد بك الخازندار من الإسكندرية ليشغل وظيفة رئيس محكمة استئناف القاهرة . وقدمت إليه القضيتان . القضية المتهم فيها حسين

ونفيس والقضية المتهم فيها عبد المنعم عبد العال . ولقد شهدت جلسات القضية الأولى . اعتمد الدفاع أساسا على نفى إتيان المتهمين لأى اعتداء على جنود الحلفاء ، ثم على طريقة المحامين ذهب الدفاع إلى أنه إذا افترضنا جدلا أن لهما شأنا فى ضرب الجنود الإنجليز السكارى بالقنابل ، فأى دافع يكون وراء ذلك ؟ لا شك أنه دافع وطنى يهدف إلى تحرير أرضنا من دنس الاحتلال و ... وإذا بالخازندار بك ينتفض فوق منصته ويدقها بقبضته ويصيح فى الأستاذ المحامى الذى كان يترافع بذلك فقال له « كلام فارغ إيه ده ياأستاذ اللى بتقوله ؟ دول حلفاء موجودين هنا للدفاع عنا بموجب معاهدة الشرف والاستقلال .. تبقى فوضى لما نسيب كل واحد يدى أحكام على كيفه وينطلق الاولاد فى الشوارع بالقنابل والرصاص ! لا ده كلام فارغ مانسمعوش أبدا !! » من الناحية القانونية الصرفة التى لاشأن لها بأى اعتبار آخر ربما كان كلامه سليما ... ولكن ...

كان هذا الكلام صدمة لنا .

وكشاب مشحون بالحماس فى الثانية والعشرين من عمرى رجعت من المحكمة أطالب برأس الخازندار حماية لنا فى عملياتنا المستقبلة ، واعتبرت أن الرجل يصدر أحكامه والدفاع لم يتم مرافعته .. ولعله لم يكن أصدر أحكاما ويبنى هذه الاحكام على أن وجود جيش الاحتلال فى مصر وجود شرعى وأن جنوده حلفاء ... وأن معاهدة الذل والاحتلال هى معاهدة شرف واستقلال ، إنه من وجهة نظرنا رجل صفته كذا وكذا ... ولم تكن مفاجأة لى أن أعلم أنه لم يكن رأيى وحدى وأن هناك غيرى من تطوع لاغتيال الخازندار .

وصدرت الأحكام . حكم على حسين عبد السميع بالحبس ثلاث سنوات وعلى عبد المنعم عبد العال بالسجن خمس سنوات . واستأنف الإخوان الاحكام .

محاولات التنظيمات

هذا فى حين كانت قضية الجلاء ووحدة وادى النيل تأخذ نصيبها من الاهتمام ، بل كانت هى قضية البلاد يتصدرها الإخوان ويضغطون على الإنجليز للجلاء وعلى الحكومات المصرية الهزيلة حقا ليكون لها موقفها الرسمى .

وتحت هذا الضغط أعلن النقراشى أنه ذاهب إلى مجلس الأمن لعرض قضية مصر .. وذهب .

في ذلك الوقت من عام ١٩٤٧ كان قد ظهر جليا أن للإخوان المسلمين نظاماً خاصاً يقوم بعمليات خاصة . لم يكن معروفا باسمه ولا بأشخاصه ولكن بأعماله ، وربما أيضا بأعمال أتاها آخرون . لم يكن رجل الشارع ليميز بين هذه وتلك ، إنما بدأت تنتشر حوادث التفجير المنضبطة وغير المنضبطة والاغتيالات أو محاولاتها . من ذلك اغتيال لورد موين بأيدى اليهود واغتيال أمين عثمان بيد حسين توفيق وأنور السادات ، وغيرهما ومحاولة اغتيال النحاس باشا بتفجير سيارة أمام منزله بجاردن سيتى بيد رجال الملك .. الخ .

وكان مصطفى مؤمن فى زعامته للحركات الطلابية كثيرا مايطلب دعم النظام الخاص لمواجهة رصاص البوليس بالمثل ولم يكن يجاب إلى طلبه غالبا ، حيث لم يكن الاستاذ المرشد يوافق على التصعيد الدموى مع من لاذنب له ، حتى ضرب أقسام البوليس كان بعبوات صوتيه لا لتدميرها ولا لإصابة من بها .

حينذاك بدأ مصطفى مؤمن فى تكوين مجموعتين له خاصة تتلقيان أوامرهما منه . ونما علم ذلك إلى النظام ، وبدأ التحرى عن أفرادهما وماإذا كان هناك غيرهما . فى ذات الوقت كان النقراشى قد اتجه إلى الولايات المتحدة لعرض قضية مصر فى مجلس الأمن . لهذا وذاك كلف الأستاذ حسن البنا مرشد الإخوان كلف مصطفى مؤمن بالسفر إلى الولايات المتحدة للدعاية للقضية المصرية فسافر فى ٢٦ يولية ١٩٤٧ .

وهناك ومن شرفة الزوار تسلق مصطفى درابزين الشرفة يوم ٢٢ اغسطس ١٩٤٧ ونزل إلى قاعة مجلس الأمن يخطب بالإنجليزية متحدثا عن عدم شرعية احتلال الإنجليز لمصر ووجوب جلاء قواتها دون أى شروط ... إلخ . وكان ذلك التصرف مفاجأة للجميع لم يحدث مثله قط ، واستدعى رئيس الجلسة حرس المجلس لإخراج مصطفى .

وعاد مصطفى إلى محاولته فى يوم آخر وأخرجوه أيضا . وكانت هناك مشكلة خاصة بالجزارين وأخرى بسائقى التاكسى فاتصل بهم مصطفى ونظم معهم

مظاهرات لأهداف مشتركة تجمع قضاياهم وقضية مصر . وضاقت دوائر الأمن الامريكية بنشاطه فأخرجوه من الولايات المتحدة . وبعث إليه المرشد العام أن يتجه إلى انجلترا للدعاية لقضية مصر ذلك أن موضوع مجموعاته لم يكن قد انتهى فى مصر ، وذهب مصطفى إلى انجلترا من أمريكا .

تم حصر النظام الخاص بمصطفى وفرز أفراده وتم ضم بعضهم إلى النظام الخاص للإخوان واستبعاد آخرين . وعاد مصطفى فجلس إلى المرشد ينهى إليه ماكان فى جولته .

وبعد أن فرغ من ذلك فاتحه المرشد فى موضوع التكوين الخاص الذى ذكرنا ، « مصطفى ، أنت المرشد أم أنا ؟ » فأجاب « فضيلتك طبعا ! » واستمر المرشد فى هدوء يشرح له أن الجماعة لايصلح لها مرشدان ، فإما أن يلتزم ، وإما ان يطلب منه أن يتنحى ليتولى مصطفى منصب المرشد العام ! » وانتهى الأمر بحل المجموعتين وتعهد مصطفى بلزوم الصف والالتزام بخط الجماعة .

والحقيقة أن ذلك الحدث لم يكن حدثا مفردا وإنما نشأت عدة أحداث من مثل هذه التنظيمات كان النظام الخاص يبادر إلى تصفيتها بفرز عناصرها حتى لايبقى سوى تنظيم الجماعة وكان ذلك أمرا ضروريا ولازما لعدم انفراط السيطرة على التصرفات فى جو مشحون بالحماس .

حادث الجبل

هكذا اشتهر بهذا الاسم . ذلك أننا كلفنا بالبحث عن مكان مناسب بجبل المقطم يصلح للتدريب على استخدام الأسلحة والمفرقعات . فقد كان جبل المقطم قريبا من القاهرة فهو لايحتاج إلى أجازات أو سفر ، والمطلوب أن يكون المكان موغلا فى الجبل ميسوراً الوصول إليه بالسيارة ، وأن يكون صالحا كميدان ضرب نار ، وأن يكون مستورا عن الأعين ، وأن يكون به مايصلح أبراج مراقبة للحراسة . ووجدنا كل تلك الصفات فى موقع حين واقعناه على خرائط المساحة وجدناها عبرت عنه باسم الأسيمرات . أما الآن فقد امتدت إليه المنشآت ويقع حاليا جنوب المنطقة الثانية لمقابر مدينة نصر .

وبدأ التدريب فى ذلك الموقع بمعدل مجموعتين فى اليوم الواحد ، مجموعة تذهب مع الفجر حتى العصر وأخرى تذهب مع العصر وتعود مع الفجر ، وكان الذهاب والعودة يتم بسيارة ستيشن واجن ، وكان الترتيب ألا ترى مجموعة الأخرى وأن يكون هناك بصفة دائمة فى مكان مرتفع من يرقب المجال حول الموقع بمنظار مكبر ، هذا الحارس كان فى استطاعته أن يرى أى سيارة قادمة بسرعة قبل أن تصل بثلث ساعة على الأقل . وكانت هناك حفر معدة ليوضع بها كل السلاح والذخيرة ويردم عليها لدى أول إشارة وبذلك تبقى المجموعة فى حالة معسكر وليس معها ممنوعات قانونية .

واستمر ذهاب المجموعات وعودتها بمعدل مرتين كل يوم ولمدة طويلة حتى صنعت السيارة مدقا واضحا مميزا فى الجبل .. وحتى لفتت نظر الحجّارة فى محاجر الجبل بأول الطريق . وبلغ الخبر إلى البوليس ونحن لانشعر . وكان مسئول التدريب يدرب مجموعة هناك ، ومن تكرار التدريب فى أمن وسلام فقد تغاضى عن حذره فتجاوز عن وضع الحارس مكانه ولم يشعر والمجموعة معه إلا بقمم الجبل حوله قد ظهرت من فوقها قوات البوليس شاهرة سلاحها وتطالبهم بالتسليم وهم منهمكون فى تدريبهم ، كان ذلك يوم ١٩٤٨/١/١٩ ونشرت الصحف الخبر .

وحتى هذه الحالة كان هناك إعداد لمواجهتها . أجاب إخواننا المقبوض عليهم بأنهم متطوعون لقضية فلسطين ، وهى إجابة كان متفقا عليها . وفى نفس الوقت كانت استمارات بأسمائهم تحرر فى مركز التطوع لقضية فلسطين ، كما تم اتصال بالحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا وشرحنا له الوضع على حقيقته ، وكان متجاوبا معنا تماما فأقر بأن المقبوض عليهم متطوعون من أجل فلسطين وأن السلاح سلاح الهيئة . وبذلك أفرج عن الإخوان وسلم السلاح إلى الهيئة العربية العليا .

ومع ذلك فقد كان للحادث أثر بعيد . ذلك أنه عثر مع المسئول رحمه الله على كشف اشتهر فيما بعد بأنه كشف الجبل يحوى مائة اسم من أسماء إخوان النظام وأرقامهم السرية مرتبين فى مجموعات ، هى المجموعات التى كان مزمعا تدريبها تباعا من منطقة جنوب القاهرة . ولم يعلم أحد من المسئولين عن النظام

فى حينها شيئا غن كشف الجبل ، ولم يذكره المسئول ، ولكن ذلك الكشف ظهر بعد ذلك فى القضايا وكان من قرائن الاتهام القوية فضلا عن أنه كشف الأسماء التى احتواها .

وقبل أن نمضى مع الإخوان فى أحداثهم داخل مصر ، اعترض مسيرتهم حادث هام ومثير جاءهم من وراء الحدود ... من ذلك الأفق البعيد فى الجنوب ... من اليمن السعيد .

∴

الفصل السادس

حكاية يحيى حميد الدين

اليمن السعيد

كل شعب على سطح الأرض أخذ بقسط قل أو كثر من التقدم والرقى إلا هذا اليمن السعيد . لازراعة غير زراعة القات والزراعة البدائية المحدودة ، ولاصناعة إلا الصناعة المتخلفة فى الغزل أو النسج ، ولا طرق ولا مواصلات ولاصحة ولاتعليم ولامرافق ولا ... ولا ... لاشىء على الإطلاق .. تخلف ليس كمثله تخلف . وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، إذاً لقلنا تجاوزا « هان الأمر » ولرضينا بالهم ، ولكن أسلوب الحكم فى اليمن أكمل الصورة السوداء البشعة لذلك اليمن السعيد .

كانت اليمن إحدى ولايات الامبراطورية العثمانية وكان المنصور والد يحيى حميد الدين مفتيا لمدينة صنعاء . وتوفى الإمام شرف الدين فبويع المنصور خلفا له وظل فى منصبه حتى توفى عام ١٩٠٢ . وحدث نزاع على الإمامة انتهى بفوز ابنه يحيى فظل يحكم اليمن حتى شهر مارس ١٩٤٨ . ولقد تزعم يحيى مقاومة الحكم التركى بالسلاح حتى أرغم الأتراك عام ١٩١١ على توقيع معاهدة تعترف فيها تركيا باستقلال اليمن . ثم انهزمت تركيا فى الحرب العالمية الأولى فدعم ذلك استقلال اليمن . وكانت اليمن محط أنظار إيطاليا وأطماعها ، كما كانت يسيل لها لعاب الإنجليز الذين كان لهم وجود سياسى وعسكرى مجاور فى عدن . وتلافيا لأى مواجهات أو متاعب بين الدولتين الاستعماريتين فقد اتفقتا – إيطاليا وإنجلترا – على ترك اليمن وشأنها فلا يتدخل أى منهما فيها .

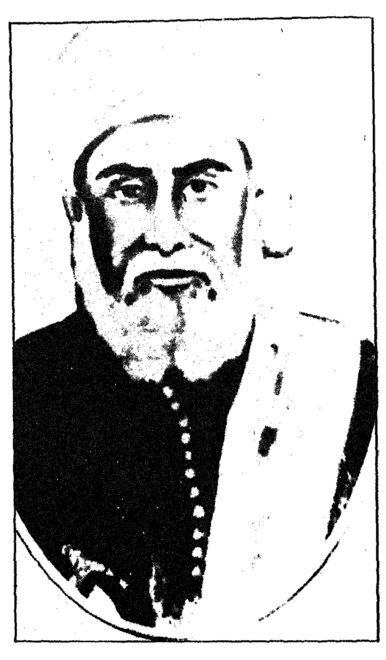
حدثنى أحد الإخوان ، كان مدرسا هناك فى الأربعينيات ، قال ... كانت مدرسة ابتدائية واحدة فى صنعاء التحق بها عدد محدود من التلاميذ الذين يعانون الفاقة والمرض . وكان « سيف الإسلام » أحمد ولى العهد وإمام اليمن بعد ذلك هو شخصيا الذى يمتحن الأولاد فى آخر العام ، فكان يتخذ مكانه فى شرفة

المدرسة ويصف له التلاميذ فى فنائها أسفل الشرفة . ثم يسأل كل ولد منهم أن يذكر النسب الشريف ، فينطلق الولد « مولانا الإمام المعظم يحيى بن المنصور بن ... الخ » حتى يصل به إلى سيدنا محمد ﷺ .

وقد راع هذا الأخ الصديق فقر الأولاد الذى بلغ بهم درجة العرى ، فتشفع لهم لدى سيف الإسلام أحمد أن يمن عليهم بجلباب منحة لكل ولد . وبعد تردد وامتعاض وافق « السيف » وصرف لكل تلميذ جلبابا استحق به كل دعاء وثناء . ومر العام وبليت الجلابيب ، وتشجع صاحبنا فعاد يتشفع للأولاد فى جلباب آخر فى العام الجديد . ولكن سيف الإسلام رفض هذه المرة وأصر على الرفض ، فإنه أعطاهم الجلاليب إحسانا فى العام الماضى فإذا ماكرر العطاء هذا العام صارت عادة وقد يظن الأولاد بها أن الجلباب صار حقا لهم يطالبون به إذا لم يمنحه من تلقاء نفسه فيختل نظام الدولة ويتطاول السوقة على أسيادهم !

ومرض مولانا الإمام يحيى حميد الدين ذات مرة فاستعان بأطباء استجلبهم من مصر لفترة مؤقتة ... كان أحدهم قريبا لى وعاد يقص ... دعاهم وزير المواصلات فى مقر وزارته ، وكان يجلس على وسادة على الأرض وجلسوا مثله يتحادثون ، ودخل الحجرة رجل يحمل كيس بريد أفرغه على الأرض بين يدى الوزير مما به من خطابات . ومد الوزير يده فأخرج من تحت وسادته خاتم البريد والختامة وراح يختم الطوابع وهو ينفخ من كثرة العمل فى هذه الوزارة .

كان نظام الحكم فرديا استبداديا مطلقا . شعب يحكمه رجل واحد بمفرده مستعينا فى هذا بأسرته وقبيلته .. قبيلة حميد الدين . كان باليمن قبائل أخرى كبيرة فكان يحيى حميد الدين يحتفظ لديه فى صنعاء برهائن من أبناء شيوخ تلك القبائل . إن كانت القبيلة مستقيمة فى ولائها وتنعم برضاء الإمام اتخذ من رهائنها موظفين وعمالا فى قصره ووزارته ، وإن كان الأمر على خلاف ذلك ففى سجن صنعاء متسع .. كانت زنازين السجن جحورا – أو حفرا – منحوتة فى الجبل وأبوابها أغطية علوية من قضبان الحديد تقفل بأقفال يحتفظ الإمام بنفسه **Him Self** بمفاتيحها . ويختزن المسجونون بها مقرنين فى الأصفاد كل اثنين أو ثلاثة أو أربعة معا . ولقد تصادف أن كان الإمام بمفاتيحه على سفر حين توفى أحد المساجين ، وبقى أياما مقيدا مع زملائه حتى انتنت جثته إلى أن عاد الإمام فأفرج عن الجثة .



يحيى حميد الدين

لقد رفع أعضاء هيئة كبار العلماء بصنعاء عريضة إلى يحيى حميد الدين ، لم يتسن لنا الحصول عليها كاملة بعد انقضاء اكثر من اربعين سنة ، ولكننا عثرنا على مقتطفات منها نضعها بين يدى القارىء وهى تتضمن ولاشك مطالب جريئة . جاء فيها :

١ - جعل الواجبات المالية أمانة على أربابها كالواجبات البدنية يؤديها الرعايا والملاك طيبة بها نفوسهم ، وَيُحلَّفَ ذوو التهم .

٢ - إسقاط الجبايات الجمركية والمطالب المعتبرة غير شرعية والمنهى عنها مثل المكس وزكاة الباطن والضرائب التى كنتم تنأون وتنهون عنها وهى التى يسمونها عائدات بيت المال ويلزمها الجلادون أقلاما معدودة ويؤذون بها خلق الله باسمكم وقد أغناكم الله عنها .

٣ - ... النظر فى تحسين أحوال أرباب الدوائر الحكومية كلها بلا استثناء بزيادة المعاشات سدا لباب ذريعة الرشوة ونهب الضعفاء وليخلصوا لكم ولدولتكم فى أعمالهم وينصحوا فيما يرفع ويعلى كلمتكم . والعفو تفضلا عن البقايا المزمنة التى أرهقت الرعايا إرهاقا وألجأتهم إلى الخروج من أوطانهم راغمين لما حل بهم ، والتحنن على البقية الباقية ، والرفق بهم هو الركن الركين لاستجلاب القلوب واجتذاب الذين وَدَّعُوا اليمن .

٤ - منع كل ذى سلطة من سيوف الإسلام والأمراء والعمال عن الخوض والتدخل بالتجارة فى الرعية وزحمة الناس بالمناكب فى معايشهم ومكاسبهم ومهنهم ، فقد استاء لهذه الحال الحاضر والبادى ونهى عن ذلك وحذر الشارع الحكيم ﷺ حيث نهى عن تجارة ذوى السلطان فى الرعية وتوعد وأنذر من لم ينته عن الإضرار بالمسلمين بما ليس يخفى على سعة معلوماتكم . وهذا من أهم الضروريات التى يجب الالتفات إليها .

٥ - العفو منة وتنازلا عن المعتقلين فى حِجَّة فقد نالت منهم العقوبة منالها وأصبحوا فى حالة يرثى لها ، ولئن أحسنتم إليهم وجبرتم ماتصدع من قلوبهم فستجدونهم كعادتهم من خيرة رجالكم .

وفى رسالة وجهها إليه العالم الجليل الشيخ محمد بن سالم البيحانى : « ياأمير المؤمنين . إن دخول الجندى فى بيوت الرعية لجباية الأموال أو تأديبهم أو لأى شيء آخر أمر لايقره دين ولاترضى به شريعة ولا يقبله أى قانون أو ذوق سليم » .

واستنجد اليمنيون الاحرار بالمرشد العام الأستاذ « حسن البنا » فأرسل فى (١٧ فبراير ١٩٤٧) رسالة إلى ولى العهد سيف الإسلام أحمد يناشده فيها الله العمل على رفع مستوى اليمن الاجتماعى ، ثم بعث بناء على قرار مكتب الارشاد العام فى (٢٢ فبراير ١٩٤٧) بعثة إلى اليمن لهذا الغرض .

وفى (٢٧ فبراير ١٩٤٧) وجه المرشد العام رسالة مطولة الى يحيى حميد الدين عبّر فيها عن شعور الإخوان نحوه وأمانى الشعب اليمنى .
[الدعوة ع ٣ ص ٣١]



عبد الله بن على الوزير

الجمعية اليمنية الكبرى

وبالرغم من الكبت والجبروت الذى خيم على اليمن فقد استطاع بعض اليمنيين المغضوب عليهم الفرار إلى عدن حيث تكتلوا وأنشأوا الجمعية اليمنية الكبرى [الحركة اليمنية الحرة] وكان سيف الإسلام إبراهيم – أحد أولاد يحيى [ولده السادس] ، وكل أولاده سيوف الإسلام !– قد فر من قبل إلى الحبشة ، فعاد إلى عدن وانضم إلى الجمعية وتغيرت كنيته إلى سيف الحق تمييزا له عن إخوته . وامتد نشاط الجمعية إلى داخل اليمن ذاتها ، كما اتجه بعض أعضائها إلى الالتحاق بمعاهد التعليم فى مصر .

كان اليمنيون الأحرار فى حاجة إلى كل معونة من كل حر مخلص ، وكان الإخوان المسلمون هم حملة لواء العمل للحرية وتخليص المسلمين فى كل الأرض من كل ظلم ونير . وجاء بعض اليمنيين من أعضاء الجمعية إلى الاستاذ البنا يحكون له حقيقة الاوضاع فى اليمن ويطلبون العون بالرأى ، ويعرضون خطة لاغتيال يحيى حميد الدين والاستيلاء على السلطة هناك لتحرير رقاب الناس فى اليمن .

وكان الأستاذ البنا يقدر للدم حرمته فرفض فكرة اغتيال يحيى ، وكان منطقه لإقناع إخواننا اليمنيين أن يحيى قد بلغ الثمانين أو جازها ، وهو شيخ كبير مريض مصاب بالفالج ويشكو هبوط القلب ، اجتمعت عليه العلل حتى لقد ظن به الموت من قبل . فإذا انتظرنا أجل الله فيه فلن يطول انتظارنا كثيرا والأعمار بيد الله . فإذا توفاه ملك الموت الذى وكل به فليكن حينئذ تصحيح المسار دون إراقة دماء . وعلى هذا اتفق اليمنيون أعضاء الجمعية والإخوان . وأعطى الأولون الآخرين قائمة بأسماء وزرائهم الذين سيتولون الأمر بوفاة الإمام يحيى لنشرها بجريدة الإخوان لدى وصول برقية منهم بوفاة الإمام .

ومات الإمام يحيى .. وأصدر طبيبه الخاص الألمانى شهادة بذلك .

وجاءت البرقية إلى الإخوان ...

وطلعت جريدة الإخوان بالخبر ، وبأن عبد الله بن الوزير تقلد مقاليد الأمور باليمن ، ونشرت قائمة كاملة لوزراء الوزارة الجديدة ...

سبق صحفى جبار ذهلت له كبريات الصحف المحلية والعالمية التى لم تحرز مثله ! ولكن ...!

وكما حدث من قبل .. عاد يحيى حميد الدين إلى الحياة ! كان ذلك فى شهر فبراير ١٩٤٨ .

اغتيال يحيى

المفاجأة مذهلة .. وهى ضربة قدر .

وسارع عبد الله بن الوزير ووزراؤه يهنئون الإمام على حياته ويدعون له بالعافية وطول البقاء ، وينفون عن أنفسهم مانشرته جريدة الإخوان بمصر . وقبل الإمام منهم وتظاهر بالاقتناع ، ولكن ذلك التظاهر لم ينطل عليهم . فقد اكتشف يحيى أن هناك شيئا لم يضع يده عليه بكامله ، فهو ينشد المهلة حتى يحيط بكافة جوانب الموضوع ويعرف جميع المتآمرين على نظامه قبل أن يبطش بهم . ولم يكن ذلك يخفى عليهم ، كانوا يدركونه ويحسونه وكانوا يشعرون بالعيون تحيط بهم وتحصى عليهم أنفاسهم ... وهم فى أمس الحاجة إلى لقاءات يتدارسون فيها موقفهم بعد الذى كان . وفى ذلك التوتر والأعصاب المشدودة قرروا — استدراكا لحيواتهم ودفاعا عن أنفسهم وعن أمل شعب اليمن فى الخلاص — قرروا اغتيال يحيى حميد الدين .

جميل جمال ضابط عراقى سابق اشترك فى حركة رشيد عالى الكيلانى بالعراق أثناء الحرب العالمية الثانية .. كانت ثورة من الجيش العراقى على الوجود الإنجليزى بالعراق ، وتحرك رشيد بالجيش العراقى فحاصر الجيش الإنجليزى بقاعدة الحبانية والتحم به ، ولم يقدر للحركة النجاح ففر رشيد إلى ألمانيا وفر ضباطه كل إلى حيث استطاع . ولجأ جميل إلى اليمن السعيد ، واتخذ يحيى حميد الدين منه قائدا لحرسه . وبهت قائد حرس الإمام مما رأى من أحوال اليمن .. السعيد . وانضم إلى اليمنيين الأحرار . قضى يحيى نقاهته فنزل إلى بساتينه يستروح

الهواء ويستشعر الحياة – ويثبت للناس أنه فى صحة وعافيه . كان يمشى بين أشجاره ومن ورائه حارسه جميل يحمل الرشاش الصغير تومى جن . وفجأة صوب الحارس رشاشه إلى المحروس وأفرغ فى بدنه ثمانين مقذوفا بعدد سنى حياته وكأنما أراد أن يستوثق من أنه لن يعود إلى عادته فى الرجوع إلى الحياة . ومات يحيى موتا .. فكانت آخر موتة يموتها ، وقتل معه اثنان من أبنائه .

هذا ماأعرفه من زمن طويل – من حينها – ولكن جاءتنى رواية أخرى عن أحمد رائف عن إبراهيم الوزير – ابن شقيق عبدالله الوزير – أن الذين قتلوا يحيى حميد الدين كانوا ثمانية عشر رجلا كل رجل من قبيلة حتى يتفرق دمه فى القبائل . فالله أعلم .

وبدأت الحركة .

ونشرت جميع الصحف الخبر هذه المرة .. كما نشرت أسماء الوزراء الذين سبق أن نشرتها جريدة الإخوان منذ حوالى ثلاثة أسابيع . وقامت الدنيا وقعدت .. أو لم تقعد ، فقد صار التواطؤ مع الإخوان ظاهرا لالبس فيه .. وصار موقف الإخوان فى غاية السوء . أن يقتلوا جنود الاحتلال فى مصر وأن يحاربوا الصهيونيين فى فلسطين فهو أمر من وجهة نظر معارضيهم فيه كلام .. إرهاب .. وجرائم .. الخ . أما أن يقتلوا ملكا لدولة شقيقة عضو فى جامعة الدول العربية فهى سابقة خطيرة لايكفيها أى كلام ... تقوم لها الدنيا ، أو تقام لها الدنيا !. الإنجليز .. واليهود .. والأحزاب .. والسراى .. وحتى الشيوعيون الذين اعتادوا معاداة الملكية فى كل مكان لابأس أن يخالفوا مبادئهم هذه المرة بأوامر من موسكو .. وباختصار : الدنيا جميعا وجدت فى مأتم يحيى حميد الدين مناحة مناسبة ، وقميصا جديدا لعثمان ! وتلقى الإخوان الهجوم أشكالا وألوانا من هؤلاء جميعا ، كل بأسلوبه وبإمكاناته . فهذه – وفق تصويرهم – دولة بأكملها تسقط فى يد الإخوان .. لقد كان الظن بهم أنهم يخططون لقلب نظام الحكم فى مصر ، ولكن جاءت ضربتهم حيث لم يتوقع أحد ... الخ . هكذا بدا الموقف !

هذا فى مصر .. فماذا كان فى اليمن ؟

قتل يحيى فى صنعاء ولم يكن ولى عهده أحمد بها وإنما تصادف وجوده فى تعز فاعتصم فى حجة وهى قلعة منيعة أقيمت على جبل يشق ارتقاؤه . ولم يخطط له الثوار شيئا . اكتفوا بالانتفاض من صنعاء على أن يديروا حكم اليمن منها .! كان يحيى فى الجو المتوتر قبل أغتياله قد أبرق إلى أحمد يستدعيه ولكنه اغتيل قبل أن يصل أحمد . وأسقط فى يد أحمد فى بادىء الأمر ، فبعث برقياته إلى ملوك العرب يستغيثهم وكانت برقياته بلغته وأسلوبه « **أغيثونا أدركونا آخ آخ آخ** » ثم طلب إلى السلطات السعودية السماح له بالالتجاء إلى الأراضى السعودية . واستبطأ سيف الإسلام أحمد ردودهم فاتجه إلى تسليم الأمر بلا مقاومة إلى عبدالله بن الوزير ، وأعلن أنه يقبل وساطة الأستاذ حسن البنا ووساطة الفضيل الورتلانى . كان الفضيل من أحرار الجزائر وقد أصدرت السلطات الفرنسية هناك حكما بإعدامه فعاش حياته فى الدول العربية وخاصة مصر ثم عمل باليمن . ولكن الفضيل – ولم يكن داخل اليمن حينذاك – رفض الوساطة اعتقادا منه أن أحمد لم يعرض قبوله لهذه الوساطة إلا ليستدرجه إلى اليمن حيث يقبض عليه ، فقد كان متهما بالاشتراك فى تدبير الانقلاب واغتيال يحيى حميد الدين . على كل حال لقد وصلت إلى أحمد برقية فى الوقت المناسب من دولة عربية مجاورة أن دباباتها فى الطريق إليه لنجدته .

وفى صنعاء أدلى عبدالله الوزير – رأس الحركة – بتصريح لمندوب جريدة المصرى جاء فيه « .. كانت اليمن قديما فى مقدمة الشعوب رقيا وثقافة وعلما ونبلا وفضلا ، ثم عراها ماعرى وتأخرت الأحوال فيها وحل الفقر بالناس وأخذ يفتك بهم » . ووصل سيف الحق إبراهيم إلى صنعاء ورأس المجلس العسكرى وألقى فيه خطابا جاء فيه « ... لقد سبقناكم بالتضحية بالمناصب فى سبيل الصالح العام ودسنا تحت أقدامنا سلطة الفرد وسلطان الطغيان والجبروت ، ورسمنا لكم المثل العليا لجمع كلمة الأمة لتأخذ مكانها الممتاز بين أمم العالم ... إنكم تنظرون بأعينكم وتحسون بأنفسكم الفرق بين العهدين ، العهد الذى خلق الله منه الأمة فخرجت إلى نور الحرية والكرامة والعهد الذى انطلقتم فيه إلى المعتقلات والسجون » [جريدة الأهرام ١٩٤٨/٣/٢] . وقال بعض اليمنيين الذين كانوا يتلقون العلم فى مصر « لقد كنا نعيش فى سجن كبير أشبه بسجون القرون

الوسطى ، لاحرية فى القول ولاحرية فى التجارة ولا حرية فى الكتابة . كنا نعيش فى عهد استبدادى إقطاعى ... لقد عاشت اليمن فى ظلام دامس وازدادت فقرا وبؤسا بينما ازداد بضعة أشخاص بالذات غنى وبذخا » .

وفى صنعاء أعلن ابن الوزير أن عهدا من الحرية والسلام قد بدأ ، وأطلق سراح جميع الرهائن الذين كان يحتفظ بهم يحيى حميد الدين ، وسارع هؤلاء إلى قبائلهم ، وقد ذكرت جريدة الأهرام فى ٢ مارس ١٩٤٨ أن حكومة ابن الوزير أفرجت عن ٣١٠٠ معتقل وهو رقم كبير . وطلب ابن الوزير إلى جميع الحكومات العربية ولا سيما السعودية الاعتراف به وإمداده بالسلاح . فى حين بادرت الأردن تحذره مغبة عمله .

وفى مدينة حجة أعلن أحمد أن أباه جمع كنوزا لاحصر لها من شعب اليمن ، وأن جميع تلك الكنوز فى صنعاء .. وقد أباحها – أحمد – لهم ، فهى منهم ولهم وهم – شعب اليمن – أصحابها ! وهكذا بتلك البساطة استثار أحمد قبائل اليمن على صنعاء التى كان يحكمها ابن الوزير ، فحدث زحف القبائل على صنعاء تريد نهبها ... تريد كنوزها . لقد كانت ضرائب يحيى حميد الدين باهظة دون أن ينفق منها شيئا ، وبذلك تراكمت فى خزائنه أموال لايعلم أحد حقيقتها ، وقد قدرها بعضهم بأربعين مليونا من الجنيهات الذهبية من مختلف العملات ، وإلى هذا أشار البيجانى فى رسالته إلى يحيى حيث قال « .... والعالم أجمع يعلمون أو يظنون أن فى اليمن مالا كثيرا وثروة عظيمة لايستهان بها ، ولكن كيف يكون أمرها ومن الذى سيتولاها وماهو المراد من جمعها وتكديسها فى الخزائن والمغارات والكهوف كما يشيعون ذلك ؟ ولأى شىء تدخر سوى إصلاح البلاد وإسعاد بنيها ؟ فما أجل أن تحصوها وتضبطوها ضبطا تاما ثم تجعلوها تحت إشراف الجامعة العربية التى يهمها أمر اليمن كما يهمكم . فإن لم تثقوا بها وتعتمدوا عليها فما أسهل أن تؤلفوا هيئة من رجال العلم الصالحين والموثوق بدينهم وأمانتهم لحفظها وتسليمها إلى من يتولى الأمر من بعدكم من أبنائكم الغر أو من الذين ترضاهم الأمة لدّينها ودنياها وبذلك تكونون قد أبرأتم ذمتكم وحفظتم المسلمين فى بيت مالهم وأنتم المعروفون بزهدكم وورعكم وأنكم لم تبددوا ثروة الشعب وأمواله فى سبيل ملذاتكم والمصالح الشخصية ... »

انتكاس

وأمام زحف القبائل اضطر ابن الوزير إلى إغلاق أبواب صنعاء فحاصرتها القبائل . وبعث الأستاذ حسن البنا باثنين من الإخوان إلى صنعاء لبذل كل مافى وسعهما لحقن الدماء ووقف الحرب الأهلية باليمن ، كانا عبد الحكيم عابدين وأمين إسماعيل رحمهما الله . وبعد أن هبط المندوبان مطار صنعاء بالطائرة وانتقلا منه إلى صنعاء ذاتها ، سقط المطار فى أيدى القبائل الزاحفة وبذلك حصرا داخل المدينة . وأصيب الإخوان فى مصر بقلق بالغ على مصيريهما ومصائر جميع شعب صنعاء .

وبعث ابن الوزير إلى الإخوان بمصر مبلغ مائة ألف جنيه استرلينى على دفعتين عن طريق بنك باركليز فى عدن ، ولكن البنك – وهو بنك استعمارى اسمه بالكامل بنك باركليز للدومنيون والمستعمرات وماوراء البحار – بعد أن قبل المبلغ لم يقم بالتحويل مخالفا بذلك القواعد والعرف والأمانة المصرفية . ونال الإخوان من التشنيع الحزبى على قصة هذا المبلغ مانالهم ، واتهمت الجماعة بأنها تنهب أموال اليمن ! وكان الأستاذ البنا شجاعا فى الرد على ذلك ، قال إن المبلغ لم يصل ولو وصل لاستخدم فى الغرض الذى أرسل من أجله وهو شراء سلاح لأحرار اليمن ، وطالب الدول العربية بالتدخل لحقن الدماء وإصلاح الأوضاع فى ذلك القطر الشقيق .

كان فى صنعاء مخازن للبنادق من طرازات قديمة فتحها ابن الوزير ووزعها على أهالى صنعاء للدفاع عن مدينتهم وعن ثورتهم التى قامت لتحريرهم ، ولكن الطرف الآخر استطاع أن يستميل هؤلاء بالمال والذهب فازداد الموقف تفاقما . وبعث ابن الوزير إلى الدول العربية وإلى الجامعة العربية مستنجدا ومستغيثا باسم النساء والأطفال خشية سقوط صنعاء فى أيدى قبائل جاءت تريد استباحتها فى توحش .

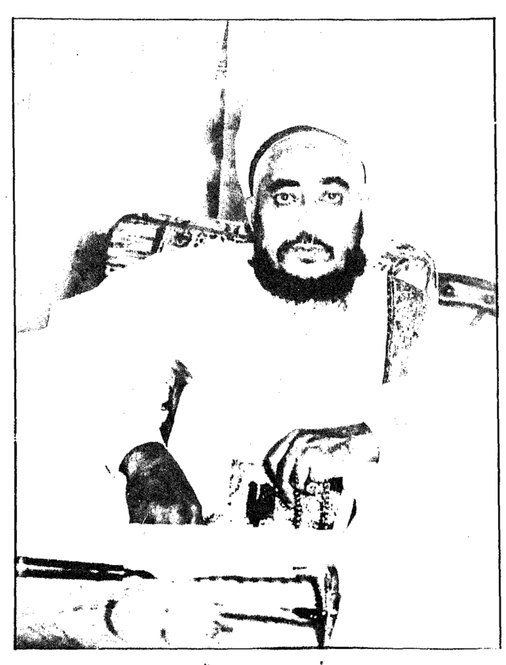
وكتبت جريدة أخبار اليوم فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٤٨/٣/٢٧ تقول « إن

جلالة الملك عبد العزيز يملك من النفوذ فى اليمن ولاسيما فى الشمال والغرب مايجعله سيد الموقف فى تلك البقاع . إن مايغدقه ابن سعود على القبائل الضاربة فى البقاع المتاخمة لمملكته ومايهديه إلى زعمائهم وشيوخهم قد جعل قيادتهم فى يده ، يضاف إلى ذلك العلاقات المذهبية التى تربط الشوافع به وهم أكثر من نصف أهل اليمن .

إن بين هؤلاء الشوافع والزيود الذين منهم الإمام والطبقة الحاكمة والذين هم سكان الجبال غالبا جفاء قديم يسكن حينا ويثور حينا . وهم يرون فى الملك السعودى وليا روحيا لهم تربطهم به رابطة المذهب . وقد تضمنت المعاهدة التى عقدها الفريقان على أثر حربهم الأخيرة مايؤكد هذه الصلة ، أو مايجعل لابن سعود حق حماية الشوافع على حد تعبير أحد وزرائه . إن هؤلاء الشوافع على شدة ماقاسوه قديما من الإمام الراحل وعلى شدة نفورهم من سيف الإسلام أحمد الذى عرفوه حاكما قاسيا لبعض مقاطعاتهم مدة طويلة ، إن هؤلاء الذين كان ينتظر منهم أن يروا فى الانقلاب فرصتهم للانتقام أو لتبديل أوضاعهم على الأقل قد سكنوا سكونا غريبا وأخلدوا للأمن إخلادا عجيبا ، مع أنهم كانوا فى موقف يمكنهم من مضايقة أحمد والقضاء على حركته إذ كانوا محيطين به . ولكن إشارة من وراء الحدود جعلتهم إما أن يلتزموا الحياد وإما أن ينصروا أحمد ويمدوه بالرجال والعتاد ، ولقد بادر الملك عبد العزيز منذ بدء الحركة إلى إرسال قواته إلى الحدود » .

هذا هو الذى نشرته أخبار اليوم . ولكن الانباء جاءتنا أيامها بأن الدبابات السعودية قد عبرت الحدود بالفعل لنصرة أحمد بن يحيى .

واشتدت المعركة بين من قيل عنهم أنصار أحمد من الزاحفين الطامعين فى الكنوز وبين من ثبت من الأحرار يدافعون فى بسالة . وأخيرا سقطت صنعاء وتدفقت عليها القبائل ، وقبضت على الرجل الصالح عبدالله بن الوزير فباعوه بالمال إلى أحمد بن يحيى حميد الدين وصار إعدامه فى حكم المقرر بعد أن عاشت حركته أربعين يوما .



أحمد بن يحيى حميد الدين

وسيق الرجل الصالح عبدالله بن الوزير مكبلا بالأصفاد وقد أركب على حمار ووجهه إلى مؤخره ، وطلى هذا الوجه الحر الكريم بالقار . واستقبل الرجل محنته فى صبر وإيمان فما زايلت البسمة شفتيه وأحسبه كان يحمد الله أن أدى واجبه على قدر استطاعته . وتم إعدامه بالسيف رغم محاولات الأستاذ البنا لدى دوائر

الجامعة العربية . وتربع أحمد بن يحيى إماما جديدا على عرش اليمن .. السعيد .
وأعلن أن الشعب بايعه ملكا باسم الناصر لدين الله وكتب بذلك إلى الدول العربية .
واجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وأشارت بقبول الوضع الجديد ،
وتوالى الاعتراف والتهنئة للملك أحمد من الدول الأعضاء فى الجامعة ، وكانت
المملكة الاردنية الهاشمية أول دولة تستنكر الانقلاب وتعترف بأحمد ، ووقفت
العراق موقفا مماثلا ، وكانت سوريا ولبنان آخر من اعترف بالإمام أحمد ملكا .

وكان من المذهل أن نسمع أصواتا لم يمنعها حياء من الدفاع عن الأوضاع
المؤسفة فى اليمن ولو بطريقة أن تصيح على الأسود بأنه أبيض . فى أعقاب تلك
الحركة أصدر الدكتور راشد البراوى كتيبا عن أحداث اليمن قال فيه :

« ... ولقد استطاع ملكها [يعنى اليمن] المحافظة على استقلالها إلى أن
وقعت الواقعة التى انتهت باغتياله على تلك الصورة التى تنم على الجبن . وكان
الملك يحيى يرى أن الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ باستقلال بلاده تنحصر فى إبعادها
عن كافة المؤثرات الأجنبية ، كما يبدو لنا أن تربيته الدينية الشرقية كانت تجعله
ينظر بعين الشك إلى كل مظاهر الحضارة الغربية ويراها لاتتفق وأحوال الشعب
اليمنى ! » أ . هـ .

ياســــــلام ...!!

الورتلانى والذهب

كذلك أفاضت الصحف فى قصة تناسب الهوايات الصحفية ، فقد ذكر أن
الفضيل الورتلانى قد خرج من اليمن وهو يحمل ثلاثة أكياس كبيرة من الذهب .
ولسنا ندرى شيئا عن حقيقة أكياس الذهب وهل حدثت فعلا أو هى من نسج
الخيال ، وإذا كانت حدثت فذهب من كان ؟ . ولكن الذى لاشك فيه أن الورتلانى
أراد اللجوء إلى السعودية فلم يقبل بها ، وكان على سفينة يونانية تعمل على خط
ملاحى بين جدة وبيروت . وأبحرت السفينة من جدة إلى السويس وأراد الورتلانى
أن ينزل فى مصر فمنع من ذلك ووضعت عليه حراسة فوق السفينة تمنعه من النزول

حتى اجتازت به قنال السويس خارجة من بورسعيد إلى بيروت . وفى بيروت رفضت السلطات اللبنانية السماح له بالنزول . وكان على الباخرة بعد ذلك أن تعود إلى جدة ، وتكرر فى رحلة العودة ماحدث فى رحلة الذهاب . ثم عادت الباخرة من جدة إلى بيروت وهكذا ... ظلت الباخرة شهورا بين جدة وبيروت لاتغير خطها ، والفضيل فوقها تحرسه قوات كل دولة تدخل الباخرة مياهها لمنعه من الهبوط فيها وتصوره الصحافة المعادية أنه كان يجلس محتضنا أكياس الذهب !!

وأخيرا ... وبطريقة مانزل الفضيل من الباخرة وأعد له جواز سفر بغير اسمه أقام به فى لبنان .

أسباب

لم تنجح ثورة ابن الوزير أن تصل إلى أهدافها ولابد لكل نتيجة من أسباب .

لقد كانت ثورة ابن الوزير سابقة لأوانها من الناحيتين التاريخية والاجتماعية . ولم يكن شعب اليمن قد تحرر أفراده من ربق ماولده أسلوب الحكم فيها . كانت حريته أغلى ماكان يجب عليه ان يتعلق بها ويعض عليها بالنواجذ ، ولكن اكثر من جيل آخره نشأ فى ظل يحيى حميد الدين بكل مافرضه عليهم من استعباد واستبداد فآثرت أغلبية الناس مالوح به أحمد بن يحيى من ذهب على حريته . لم يكن هذا الشعب فى أغلبيته حتى يومذاك قد استعد لبذل دمه فى سبيل حريته ولكنه كان مستعدا لبذله فى سبيل جنيهات من الذهب فوضع القيد بيديه فى عنقه ويديه .

ولم تكن الجامعة العربية مستعدة على مستوى دولها لتقبل ذلك ، فأكثرها حينذاك كانت ملكية ، ومهما كانت الحقيقة انه لم يكن مبيتا التدبير لقتل يحيى فلم يكن لملك عربى ان يقبل أو يستسيغ قتل ملك شقيق ، مهما كان حكمه فاسدا فتلك مسألة ينظر إليها على انها داخلية لاشأن لأحد بها .

أما الشعوب فلم تكن تدرى شيئا خاصة وقد قامت صحافة الأحزاب بشوشرة حادة .

ثم كان الانتماء الإسلامى الذى أعلنه عبدالله بن الوزير وصحبه مما لايرحب به شرق ولاغرب ، حتى الشيوعيون الذين كانوا يلعنون ملوك الدنيا قاطبة صاروا يتباكون على الملك يحيى ويقيمون له مأتما وعويلا . ولم يكن قد حدث فى أى دولة عربية انقلاب بعد ولاحتى فى الجمهوريات التى يتغير رئيسها بطبيعة نظامها فكيف بالنظم الملكية . إلا أن ابن الوزير وإن لم يصل إلى تغيير الحكم فى اليمن فما من شك أن حركته قد هزت أعماق كل يمنى وأشعلت فى قلبه شرارة الحرية . ولئن قلنا إنها كانت سابقة لأوانها فقد كانت هى التى أنضجت الأوان لما يجىء بعد .

فقر وأمراض وظلم فادح

ومجاعة ومخافة وإمام .

[القاضى الزبيرى]

الفصل السابع

الخازندار فى خبر كان

السبب

مر بنا حين تناولنا قنابل الكريسماس كيف امتلأ بعض شبابنا بأن القاضى أحمد بك الخازندار رئيس محكمة استئناف القاهرة كان يرى شرعية الوجود الإنجليزى فى مصر بموجب معاهدة ١٩٣٦ .

وتطوع بعضنا لتخليص الحركات التحررية منه فإن أمامنا منطلقاً كبيراً وجهاداً مريراً طويلاً ، فإذا سمحنا لهذا السيف أن يظل قائما يقتطع من أطرافنا وأعضائنا فأى خسارة سوف تصيبنا وأى تضحيات من ذواتنا سوف نقدمها على مذبح الحرية بدون مبرر . تلك كانت النظرة عند شباب يتعجل تحرير وطنه . وعلمت أنه تم اختيار من يقوم بهذه المهمة . فصرت أول شيء أفعله كل صباح أن أقلب الصحف بحثا عن الخبر .. ومرت الأيام دون أن أقرأ الخبر الذى انتظره . وعدت أفاتح فى الموضوع وأسأل عن سبب البطء ، وجاء الجواب إننا نبحث عن عنوان الرجل ونجد صعوبة فى ذلك فإن اسمه ليس فى دليل التليفونات ، وربما كان هذا طبيعيا فقد كان منقولا من الإسكندرية ولعله لم يحصل على تليفون بعد أو حصل عليه ولم يدرج فى الدليل . وأخيرا عرف أنه كان يقيم فى ضاحية حلوان .

اغتيال

وعادت الأيام تمر بطيئة ونحن نتصبح بالبحث فى صحف الصباح ، حتى كان يوم ١٩٤٨/٣/٢٢ .. كنت فى عملى بالبنك الأهلى حين شاهدت أحد الموظفين الأجانب يندفع وسط المكاتب ويصيح « جمدوا حساب احمد بك الخازندار » فسأله أحدهم « لماذا ؟ » قال « جاءنا خبر الآن بالتليفون أنه مات .. ضربوه

بالرصاص » . لم يكن الخبر عند موظفى البنك أكثر من أنه « حادثة » وأن حسابه سيجمد حتى يحصر الورثة ويتحدد نصيب كل وارث ، ولكنه عندى كان أكثر من ذلك .

ومأأن انتهى عمل اليوم بالنسبة لى حتى انطلقت أطمئن على ماحدث ، ولكن لم تكن الأخبار مطمئنة . لقد اغتاله اثنان من إخواننا فى الصباح ولكن قبض عليهما .

كيف اغتيل الخازندار

وقع الاختيار على حسن عبد الحافظ ومحمود سعيد زينهم لاصطياد الرجل . وبعد مراقبة الرجل أياما علم أنه يذهب إلى المحكمة فى باب الخلق بالقاهرة ويعود إلى حلوان بالمواصلات العادية ، سيرا على الاقدام إلى محطة سكة حديد حلوان ثم قطار حلوان إلى باب اللوق ثم المواصلات المعتادة . كذلك أبانت الدراسة أن قسم بوليس حلوان لاتتبعه سيارات ! وعلى ذلك وضعت الخطة ؛ أن ينتظر خروج الرجل من بيته .. فيغتاله حسن بالمسدس بينما يقف له محمود حارسا وحاميا لانسحابه بالمسدس وبقنابل يدوية صوتية ، ثم ينسحبان ويمنعان تتبعهما من الجماهير بإطلاق الرصاص فى الهواء وإلقاء القنابل . ويكون انسحابهما فى غير تتبع من أحد إلى بيت عبد الرحمن . ولقد باتا ليلتهما أيضا عنده فى هذا البيت ، بيت عبد الرحمن السندى .

وفى الصباح الباكر وقبل الموعد المعتاد لخروج الخازندار من بيته كان الصائدان يترصدان ذلك الخروج ، ثم خرج فى خطوات وئيدة لايدرى ماهو مبيت له . وكان محمود بعيدا بعض الشيء يرقب الطريق والمارة ويرقب أيضا أخاه فى المهمة ، بينما تقدم حسن وأطلق بضع طلقات لعلها كانت ثلاثا لم تصب الهدف . ولم يضع محمود الفرصة فترك مكانه وتقدم نحو الخازندار وقيل إنه أمسك به من ذراعه وأوقعه إلى الأرض ، كان محمود مصارعا ورياضيا وكان مكتمل الجسم مثل الجمل الأورق ، وصوب إليه مسدسه فأفرغ فيه ماشاء ، ثم تركه وانسحب بزميله وقد خرجت الأرملة تصيح من الشرفة وتقول « ألم أقل لك ؟ ياأحمد بك ألم أقل لك ؟ » [أنا مش قلت لك ؟] .

كان العجلاتى القريب من البيت يفتح محله حين سمع إطلاق الرصاص وصراخ الزوجة ونظر فوجد الخازندار ممددا على الأرض فى دمائه وانطلق العجلاتى بإحدى دراجاته إلى قسم البوليس فأبلغ الأمر . وهنا كانت مفاجأة . القسم الذى كان معلوما خلوه من السيارات تصادف أن جاءته من القاهرة سيارة فى تلك اللحظة لنقل بعض المحجوزين به . وانطلق الكونستابل الذى كان يصاحب السيارة بها فى أثر الفارين .

وتغير الموقف فاتجه محمود وحسن صوب الجبل بدلا من اتجاههما إلى بيت بحلوان والذى يعرف جبل المقطم يعلم أنه ليس مجالا مناسبا للفرار فى تلك المنطقة ، واجتازا فى انسحابهما هذا بعض أسوار الحدائق والبيوت ، وسقط حسن فجزعت قدمه ، واضطر محمود أن يحمله أو يسنده بعض الوقت . وتوالت قوات البوليس من القسم نحو الجبل ثم لم يلبث الجبل أن ضرب عليه حصار من العباسية إلى حلون على مسافة تزيد عن ثلاثين كيلو مترا ، وتقدمت تلك القوات إلى داخل الجبل الأجرد فقبضت على محمود وحسن . وأنكرا كل صلة لهما بالحادث . وجرى التحقيق ليلتها فى قسم حلوان بمعرفة النائب العام محمود منصور ، ثم نقلا إلى القاهرة . وفى اليوم التالى وجدتنى أشهد جنازة الخازندار إلى مسجد شركس وقد سار فيها جمع من رجال القضاء .

الحكم

وطال التحقيق وكذلك المحاكمة ، وتظاهر حسن بالمرض العصبى وأحيل إلى مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية وقدمت البحوث والتقارير والمناقشات حول مرضه ومدى مسئوليته الجنائية فى ظل الحالة التى تنتابه .

وفى قضية مصرع الخازندار عمد الدفاع إلى تأجيل النظر بكافة الحجج ، ومن المعلوم عن القضايا « الساخنة » أنها « تبرد » بمضى الوقت ، وكان هذا فى الواقع ما يهدف إليه الدفاع . وكان الأستاذ فتحى رضوان من هيئة الدفاع وقد بنى مرافعته أساسا على براءة المتهمين مما نسب إليهما من قتل القاضى الخازندار ثم لجأ إلى الدفاع الاحتياطى فقال ... ومع ذلك نفرض جدلا أنهما قاتلاه ، فما الدافع لهما

على ذلك ؟ وذكر ماشاء تحت هذا العنوان ثم ختم مرافعته بتحذير ... إنها نار فحذار أن تطفئوها بالبنزين ! وأخيرا صدر الحكم فى ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨ على محمود زينهم وحسن عبد الحافظ بالأشغال الشاقة المؤبدة .

ردود الفعل

كان للحادث ردود فعله السيئة فى كافة المجالات ، فلدى القضاة كان الاستياء على أشده ، فمن المعلوم أن الاحكام تصدر بأغلبية آراء أعضاء المحكمة وليس برأى رئيسها وحده . ومهما حدث ... لم تجر العادة أبدا أن يعتدى على القضاة ، ولقد حاولت النيابة بعد ذلك فى بعض قضايانا اتخاذ الحادث كقميص عثمان لاستعداء القضاء علينا . ومع ذلك فقبل أن يغتال احمد الخازندار نظر النقض المقدم من حسين عبد السميع فى الحكم الصادر بحبسه ثلاث سنوات ، ورفض النقض . ثم لقى الخازندار مصرعه ، ونظر النقض المقدم من عبد المنعم عبد العال فى الحكم الصادر بسجنه خمس سنوات ، وقبل النقض وأعيد نظر القضية إلى دائرة جنايات أخرى فحكمت ببراءته . ربما كان فى القضية الثانية مايرتكز عليه النقض بخلاف القضية الأولى ... ولكن طبائع الشباب لاتحملها دائما على هذا المحمل .

لقد كان اغتيال الخازندار جريمة قتل جزاؤها الإعدام ، ولكن عدم الحكم بالإعدام ربما كان يعكس أن رأى القضاء لم يبتعد عن الاعتبارات التى عرضناها .

وكما ترك الحادث أثره فى دوائر القضاء كذلك استغلته الدعاية الحزبية المضادة ولاسيما حزب الوفد أسوأ استغلال لمهاجمة الإخوان فكان موضوعا ثانيا مع موضوع يحيى حميد الدين ومعاصرا له . ورسم كاريكاتير صحافة الأحزاب الأستاذ حسن البنا يلعب بالسكاكين والمسدسات ونال الإخوان من التشهير اكثر مما نال اليهود من حادث قتل لوردموين ومانال اسرائيل من فضيحة لافون !

وفى الواقع أنه ولو أن اللذين قتلا أحمد الخازندار كانا من الإخوان بل من إخوان النظام .. ولو أن ذلك القتل تم بناء على تعليمات صدرت من رقم واحد فى النظام .. وبالرغم من أن تلك العملية كانت تجاوبا مع مافى نفوس بعضنا إن لم يكن كثير منا ... بالرغم من كل ذلك فقد كانت عملية فردية .

ذلك أن الوحيد الذى ينطق باسم الجماعة ويحدد اتجاهها هو المرشد العام . فماذا كان موقف المرشد العام ؟ لقد كان الرجل رحمه الله اكثر الناس مفاجأة بهذا الحادث ، فاللذان قتلا الرجل من جماعته ومع ذلك لم يؤخذ رأيه ولم يخبره أحد مسبقا .. وهذه هى الحقيقة . غضب الأستاذ « البنا » غضبا شديدا وناقش عبد الرحمن الحساب وكان مما قال « أودى وشى فين من حسن بك الهضيبى ؟ »

لم يكن اعتراض الأستاذ البنا مقصوراً على تخطيط العملية وإنما انصب اعتراضه فى المقام الاول على شرعيتها . كان من رأيه أن من حق القاضى أن يخطىء وأن اغتياله غير جائز شرعا .

هنا وبعد أن عرفنا هذا انتكست أحاسيسنا وارتد حماسنا لهذه العملية وأشفقنا أيما اشفاق على حسن عبد الحافظ ومحمود زينهم . اننا نفعل مانفعل – كل مانفعل – جهادا فى سبيل الله وابتغاء رضاه فإذا انتهينا إلى أن العمل غير جائز شرعا فمن شأن هذا أن يصيبنا بصدمة . لست أدرى لماذا لم نحاول أن نعالج المشكلة معالجة شرعية ، لم نحاول أن نؤدى الدية إلى ورثة الخازندار وأن نسترضيهم حتى يرضوا ... ربما كانوا رضوا وربما كانوا رفضوا ... ولكننا لم نحاول .

قد يذهب البعض إلى أنها سيئة للنظام الخاص ، باعتبار أن وجوده يحمل فى طياته احتمال مثل تلك الاندفاعات بمالايمكن تجنبه ، وبما يعنى أن قيام النظام فى حد ذاته كان خطأ من هذا الوجه . وفى هذا مناقشة للموضوع فى غير إطاره . فإننا إذا أرجعنا الأمور إلى مناخها العام لوجدنا أن النظام قد كبح جماح كثيرين من ان ينطلقوا بدافع الحماس الذى ساد تلك السنوات بكل مبرراته إلى أعمال لاحصر لها من مثل هذه . فكم من أفراد أرادوا تنفيذ أشياء منعها النظام ، فإذا أفلتت عملية أو عمليتان ولو من مسئولين فى النظام ففى موازين الانصاف يمكن القول إن هذه مقابل تلك ، ودون زعم أنه قياس بمعناه الشرعى نذكر أن سيف الله خالد بن الوليد قد قتل فى بعض سراياه من أدى شهادة الإسلام باجتهاد خاطىء انكره عليه رسول الله ﷺ . ثم حدث مثل ذلك مرة أخرى منه أيضا فى حروب الردة بما انكره عليه ابو بكر وعمر . وسألنى سائل : إذا حكم اليوم قاض أفغانى

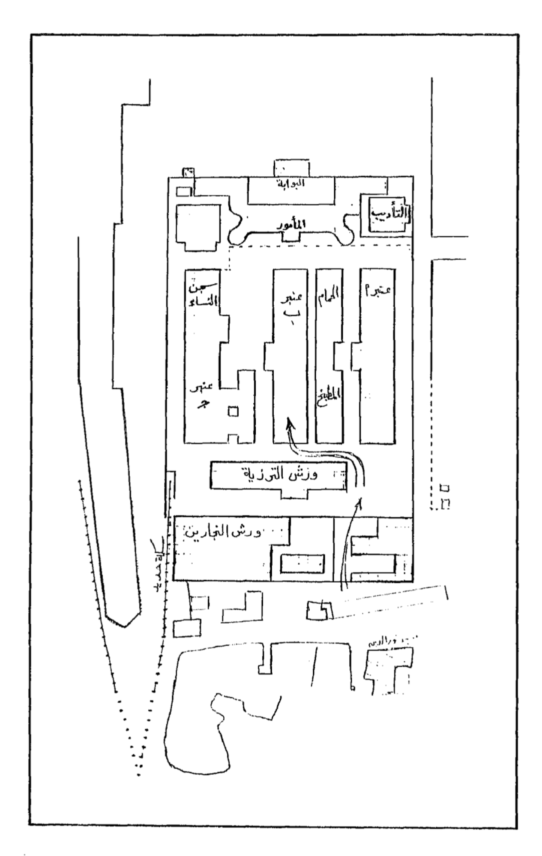
مسلم فى محاكم أفغانستان على المجاهدين الأفغان على أساس أن الوجود الروسى شرعى فى أفغانستان ، أيكون قتل ذلك القاضى خطأ ؟

لست أقصد بهذا السرد أنى أويد العملية وأدافع عنها ، ولايسعنى هذا بعد أن استبانت كافة جوانبها ، إنما أردت أن أوضح أبعادها كما حدثت ، أما الآن فلا يسعنى إلا أن أقر بخطئها . لئن قلنا انه كان بحسن قصد فإننا نقول ايضا انه كان امرا جسيما ، وحين رفضه الأستاذ حسن البنا وأنكره فقد كان يقدره حق قدره .

مشروع تهريب

ولقد شدت عملية الخازندار أعصابنا شدا عنيفا ، وكان اهتمامنا بمحمود زينهم وحسن عبد الحافظ بالغا ، لست أقصد مجال الدفاع فى القضية وتوكيل أفضل المحامين للدفاع عنهما . ولكننا كنا نعد العدة لعملية أكبر ، هى تهريبهما من السجن باقتحامه ليلا وإخراجهما منه .

وتمت دراسة العملية ... مبانى السجن من الخارج ومسالكه من الداخل ، ونظام الحراسة فيه .. وأعدت معدات الاقتحام .. سلالم من الخشب يمكن طيها وفردها ، وسلالم من الحبال ذات عقد وذات عقل من الخشب .. واختير مكان الاقتحام من سور السجن الخلفى الجنوبى .. ودرس كل ماسوف تقابله مجموعة الاقتحام ، وتم اختيار هذه المجموعة ودربت على العمل الموكول إليها وانتخب السلاح المناسب وكان فى جملته من الرشاشات الصغيرة والمسدسات ، ولم يكن مع الطرف الآخر من حراس السجن سوى بنادق قديمة الطراز مما يحشى طلقة طلقة . وتم استمالة بعض حرس السجن بالمال واعتاد الإخوان المسجونون أن يقدموا الأطعمة للحراس وكان مقررا أن تكون أطعمة ليلة التنفيذ أطعمة مخدرة وشهية . وصنعت مفاتيح لأبواب السجن وزنازينه وتم تجربتها على أبوابها ، وأعدت السيارات اللازمة للاختطاف كما أعد المخبأ الذى يلجأ إليه الهاربان .. ودرس نظام الإنارة فى المنطقة لقطع التيار الكهربائى ساعتها . وكان كل شىء يسير فى مساره المرسوم .


البوابة
المأمور
التأديب
سجن النساء
عنبر ب
الحمام
عنبر ا
عنبر ج
المطبخ
ورش الترزية
ورش النجارين
سكة حديد

ولكن جاء حادث السيارة الجيب ومحنة ١٩٤٨ وقبض على المخططين للعملية وعلى بعض المرشحين للاشتراك فيها قبل التنفيذ ، وحتى نفس المفتاح الذى كان مقررا أن يفتح أبواب السجن سقط مع ماكان بالسيارة الجيب ولم يلتفت أحد من المحققين ولامن البوليس السياسى وقتها إلى أنه مفتاح « السجن » .، سجن مصر العمومى رغم تردد أعضاء النيابة على السجن عدة مرات خاصة محمد بك عبد السلام رئيس نيابة الاستئناف الذى كان يتولى التحقيق فى قضية السيارة الجيب والذى لاشك رأى المفتاح الكبير المميز ضمن أحراز القضية كما رأى أمثاله بأيدى جاويشية السجن ، ولكنه لم يربط بين الاثنين . فلبث محمود زينهم وحسن عبد الحافظ بالسجن بضع سنين ، خمسا أو ستا ، إلى أن قامت الثورة فأصدرت عفوا خاصا عنهما .

وفى جريدة « الأخبار » المصرية بتاريخ ١٩٨٦/٤/٩ كتب الوزير المفوض محمد أحمد الخازندار نائب مدير الإدارة الأفريقية بوزارة الخارجية - نجل الفقيد - تعقيبا على مقال للمستشار عبد الحميد يونس - لم نطلع عليه - تعرض فيه لحادث اغتيال والده المستشار احمد الخازندار ، وذكر أن هذا الاغتيال تم بيد اثنين من اعضاء التنظيم الخاص للإخوان المسلمين ... « الفئة المتعصبة الخارجة عن خط الدين الإسلامى الصحيح » ... وأن ملف هذه القضية لم يفتح بعد الثورة ، وكأنه يدعو إلى فتحه . وقد كتبت تعقيبا إلى جريدة الأخبار لادفاعا عن الخازندار ولاهجوما عليه ، إنما وقائع مجردة . ولكن الجريدة لم تنشره .

∴

الفصل الثامن

١٩٤٧–١٩٤٨

النقراشي والإخوان

كانت وزارة النقراشي الثانية والأخيرة فترة صدام عنيف بل ومسلح بين الإخوان والحكومة . ولقد أعلن النقراشي أنه سوف يطرح قضية مصر على مجلس الأمن ، وبالفعل ذهب إلى المجلس بالولايات المتحدة وألقى بعض الخطب هناك . كان النقراشي مدفوعا فى ذلك بالضغط الداخلى ، ولم يكن قادرا - بحجمه الطبيعى - أن يتصرف إزاءه تصرفا كفاحيا جادا . فإن الوصول إلى كراسى الحكم كان هدف كل حزب ، ولايتفق كفاح الإنجليز الرواسى مع البقاء على الكراسى !

وفى يوم ٣ / ٢ / ١٩٤٨ اصطدم البوليس بالطلاب فى الزقازيق بسبب المطالبة بجلاء جيش الاحتلال الإنجليزى عن مصر ، وألقى طلاب مدرسة الزقازيق الثانوية القنابل عليه فأصابت بعض رجاله ، واتهم فى ذلك نجيب جويفل وحسن عبدالغنى من الإخوان وطلب القبض عليهما ففرا إلى فلسطين حيث انضما إلى قوات الإخوان المسلمين المتطوعين هناك .

قسم الوحدات

ومع أن النظام الخاص كان هو التشكيل الذى حمل عبء الكفاح المسلح للإخوان ، فقد كان هناك جهاز آخر ساهم فى هذا النوع من العمليات ، وهو قسم الوحدات الذى كان يرأسه ضابط البوليس صلاح شادى - صاحب حصاد العمر - كانت المهمة الأساسية لقسم الوحدات نشر الدعوة بين عساكر وضباط البوليس وعساكر وصف ضباط الجيش . أما ضباط الجيش من الإخوان فكانوا شعبة من النظام الخاص .



رئيس الوزراء « محمود فهمى النقراشى » باشا

وفى ٢٠ / ٦ / ١٩٤٨ فجرّ قسم الوحدات عربة يد محملة بالمتفجرات فى حارة اليهود بالقاهرة ، وأحدثت بها تلفيات كبيرة . وبعد أن ذهبت الظنون أن تلك الحارة قد أخذت نصيبها ولن تنفجر مرة أخرى عاد فى ٢٢ / ٩ / ١٩٤٨ ففجر عربة أخرى بها . ولما عجز البوليس فى الحادث الأول عن الوصول إلى شيء أعلن أن الحادث وليد خلاف طائفى بين اليهود فهم يضربون بعضا وأن اليهود القرائين قد نسفوا محلة اليهود الربانيين . فلما وقع الانفجار الثانى استمر البوليس يقول إن الربانيين انتقموا من القرائين بنسف مماثل .

وبين حادثى حارة اليهود فجرّ قسم الوحدات أيضا ترسكل ممتلئا بالمتفجرات أسفل محل شيكوريل فى ١٩ / ٧ / ١٩٤٨ ، وكان إحدى ليالى شهر رمضان ، فأفشى بالمحل الخراب ، وراح ضحية الحادث الأخ الذى قام بالعملية ، إذ استبطأ الانفجار بعد أن ابتعد فعاد لينظر ماذا جرى ، ووقع الانفجار حينذاك .

مصر الفتاة وآخرون

كان الرأى العام يدرك أن الإخوان هم أصحاب ذلك النوع من العمليات ، وكان كبير الثقة بالإخوان حتى إنه حين تقع حادثة ليست على المستوى كان يدرك أنها ليست من صنع الإخوان . من ذلك أن بعض شباب مصر الفتاة أراد أن يحاكى الإخوان ففرقعوا صندوقا من صناديق الأحذية معبأ بالمتفجرات أمام محل بنزايون بميدان مصطفى كامل ليلا بعد أن أقفل المحل أبوابه . وفى ٢٨ / ٧ / ١٩٤٨ فعلوا مثل ذلك بمحل داود عدس بشارع عماد الدين على سلم خلفى للمحل . وفى ٣ / ٨ / ٤٨ ألقى أحدهم قنبلة يدوية على مبنى شركة أراضى الدلتا بالمعادى .

كان البغض متبادلا بين الملك وحزب الوفد ، وحاولت السراى قتل النحاس باشا فدفعت بعض عملائها إلى تفجير سيارة مليئة بالمتفجرات أمام منزله . ونجا النحاس من الموت وقد تناثرت السيارة وتعلق رفرفها بناموسية سريره ، وحرصت صحف الوفد على تصوير تلك العناية الإلَهية ، وعنى الأستاذ البنا أن يقابل فؤاد سراج الدين الرجل الثانى فى حزب الوفد - ليفهمه أن هذا الحادث ليس من

عمل الإخوان وكان الوفد حينذاك يخاصم الإخوان ويهاجمهم ، فوجده مدركا لذلك وأجابه سراج الدين بأنهم يدركون تماما أن الحادث ليس من عمل الإخوان ، وأنهم يدركون من الذى دبره .

وإخوان أيضا

ونشط بعض الإخوان المتحمسين من غير إخوان النظام فى عمليات « خاصة » . من ذلك الأخ الترزى ا . ع أحد إخوان مصر الجديدة كانت لديه دراجة ومسدس فكان ينتظر اليهود أمام بيوتهم بمصر الجديدة ثم يطلق عليهم الرصاص وينطلق بدراجته ، فقتل بعضهم وأصاب بعضا ، فعل ذلك فى ١١ / ٨ ، و١٧ / ٨ ، و٢٦ / ٨ / ١٩٤٨ . ولم يقبض عليه . وكان هناك عديد من مثل هذا النشاط غير المنظم من شباب الإخوان ، وكان النظام الخاص يحاول أن يحد منه وأن يسيطر عليه بضم من يصلح منهم إلى صفوفه ومحاولة تثبيط الآخرين عن نشاطهم فلم تكن كل حركاتهم مرغوبة أو صالحة .

الإخوان وفلسطين

ليست صلة الإخوان بقضية فلسطين بالتى يكفيها فصل فى باب من كتاب ، فالموضوع أكبر من هذا بكثير . وقد تناول الأستاذ كامل الشريف جانبا منه فى كتابه « الإخوان المسلمون وحرب فلسطين » . كما أعلم أن محمود الصباغ يتناول هذا الموضوع فى كتاب له تحت الطبع .

ولقد بدأت صلة الإخوان بقضية فلسطين عام ١٩٣٧ حين اندلعت الثورة العربية بفلسطين فجمع الإخوان التبرعات لها ثم بعثوا إليها بالسلاح الذى تسنى جمعه من مصر . واستمر تدفق اليهود على فلسطين تحت الانتداب البريطانى واندلعت المقاومة العربية ، ومن حين لآخر كان للإخوان مبعوث هناك .. الشيخ عبد المعز عبد الستار .. سعيد رمضان .. الشيخ السيد سابق .. محمود الصباغ .. الخ ..

كان اليهود يقيمون مستعمراتهم فى مواقع استراتيجية حاكمة ويسلحونها وكان

العرب يقاومون . وحدثت حركة كبيرة ومتسعة بين الإخوان للتطوع للقتال فى فلسطين حتى شملت القطر كله . ولم يكن بوسع المركز العام أن يوفد كل من تطوع ، فإن موارده لم تكن بالتى تسمح بذلك . ومع ذلك فقد تجاوز عدد الإخوان الذين دخلوا الأرض المقدسة للقتال ألفين من مصر من القوات الفدائية التى أذهلت العالم ببطولاتها وجسارتها وحرصها على الشهادة ، وكان على رأسهم الأستاذ محمود عبده والشهيد الشيخ محمد فرغلى . هذه الوقائع شهد بها فى قضية السيارة الجيب بعد ذلك سماحة مفتى فلسطين والشيخ صبرى عابدين سكرتير الهيئة العربية العليا ، واللواء أحمد على المواوى أول قائد للجيش المصرى فى حرب فلسطين واللواء أحمد فؤاد صادق الذى قاد المعركة فى مرحلتها الحاسمة . ونشطت كتائب الإخوان هناك ، وفى أول معركة خاضوها فى فبراير ١٩٤٨ ضد مستعمرة دير البلح بالقرب من غزة استشهد منهم أحد عشر من إخوان النظام الخاص ، فكانت تلك المعركة ذات أثر فعال فى تفكير الإخوان تجاه القضية ... كانت مقنعة بأن الحرب لاتكسب بالبطولة وحدها وإنما يلزمها أيضا التخطيط والتدريب والإعداد . وفتحت معسكرات التدريب .

السلاح لمتطوعينا

وحصل الإخوان ، بتوسط من الجامعة العربية والهيئة العربية العليا لدى وزارة النقراشى ، على تصريح بجمع السلاح من صحراء مصر الغربية حيث كانت بقايا معارك الحرب العالمية الثانية مازالت متناثرة حيث دارت . وكان التصريح لاثنتين من سيارات جريدة الإخوان عليهما اسم الجريدة وشارة الإخوان ، غير أن النقراشى مالبث أن سحب التصريح . ولم يكن بوسع الإخوان إذ سحب التصريح أن يمتنعوا عن جمع السلاح بعد أن صار لهم ألفان من المتطوعين لهم وجودهم الفعلى فى الميدان ويغنون فيه أكبر الغناء فى معاونة الجيوش النظامية بل ونجدتها كلما تورطت أو وقعت فى شرك .. فكان يلزمهم السلاح والذخيرة .. واستمرت حركة الجمع ، وكان إخواننا الذين يجوبون الصحراء وراء السلاح يشاهدون اليهود يفعلون نفس الشىء من صحرائنا . وفى مصر أنشأنا بعض الترسانات المجهزة

بالعدد والأدوات لترميم ذلك السلاح وفحص الذخيرة والمفرقعات وكافة أدوات الحرب التى نحصل عليها بعد أن بقيت بالعراء ما بين ثلاث سنوات إلى سبع . وتعرض إخواننا بسبب ذلك لمخاطر مهلكة ، ولنفس السبب وقع انفجار بمبنى كان ملحقا بالمركز العام للإخوان المسلمين فى شارع محمد على بالقاهرة بالقرب من مسجد قيسون بفعل بعض الألغام التى تآكلت أجهزة الأمان بها . أرادت تقارير البوليس وقتها أن تذهب إلى أن اليهود فعلوها ردا على نسف حارتهم ، ولكن الأستاذ البنا أعلنها فى صراحة ، إنها مفرقعاتنا التى نقوم بإعدادها لإخواننا المتطوعين فى حرب فلسطين . ولقد أراد بهذا إعلان أننا مازلنا نجمع السلاح ونصلحه ونرممه بعد سحب الترخيص حتى لايهاجمنا بعد ذلك أحد بدعوى أن فى يدنا سلاحا .. ومع ذلك شهدنا تلك البجاحة بعد ذلك حين عرضت قضايانا على القضاء بتهمة جمع السلاح للعمل على قلب نظام الحكم .

يظهر كتابنا هذا بعد سقوط الملك والملكية بأربعة وثلاثين عاما ، فلا يضيرنا أبدا أن نفاخر بأن ذلك السلاح كان لقلب نظام حكم فاسد انقلب فعلا ، ولكن ذلك يجافى الحقيقة ، انه الاتهام السهل ، وقد تكرر ذلك الزعم بعد ذلك أيام جمال عبد الناصر .. مزاعم أيضا تجافى الحقيقة لتبرر مذابح دبرها للتخلص من الجماعة ثم ليصير جبارا فى الأرض .

كان انسحاب الإنجليز من فلسطين فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وهو تاريخ إعلان الجيوش العربية الحرب من أجل فلسطين . ولكن الإخوان كانوا هناك من قبل ١٩٤٨ وكانوا يقاتلون فى أسوأ الظروف ، وأى سوء أبلغ من أن تخونهم حكوماتهم وتطعنهم من خلفهم وتبيعهم إلى عدوهم ؟.

شركة الإعلانات الشرقية

كانت إذاعات وصحافة الدولة العربية تهون من شأن اليهود وتصف إسرائيل بأنها « المزعومة » ، ولم يكن هذا يغنى شيئا ، فقد كانت عصابات هؤلاء تتحول إلى جيوش شبه نظامية ، ثم نظامية أشد مراسا من الجيوش العربية ، وقامت طائراتهم بغارات على المدن العربية وألقت قنابلها على بعض الأحياء الشعبية بالقاهرة

مثل باب الشعرية وعابدين وكانت الجماعات اليهودية ترتكب الفظائع ضد الاهالى المسلمين بفلسطين . فكان النشاط الداخلى ضد المنشآت والأماكن اليهودية جانبا من الرد على تلك الغارات ... شيكوريل وحارة اليهود ، ثم كان أكبر حادث نسف من هذا النوع هو الذى وقع فى شركة الإعلانات الشرقية بشارع جلال قريبا من شارع عماد الدين بالقاهرة فى ١٩٤٨/١١/١٢ ، ولقد كانت تلك الشركة مركزا العمـلاء الصهيونية بمصر ومكانا لاجتماعاتهم وتجميع الاخبار لهم تحت ستـار الصحافـة والاعـلان .

فى كتابه [من قتل حسن البنا] قال محسن محمد : « نفذ الإخوان – كما قال رجال الشرطة – تهديد اتهم ضد أكبر وأخطر المؤسسات اليهودية فى مصر . فى ١٢ من نوفمبر ١٩٤٨ أمر السندى بنسف مكاتب ومطابع الشركة الشرقية للإعلان التى يملكها اليهود ويرأسها يهودى..هنرى حايم .» ا . هـ.

تلك الأهداف كانت داخل بلادنا ويعمل فيها عمال مصريون مسلمون ومسيحيون ، ومحاولة لتلافى وقوع ضحايا من هؤلاء كنا نحاول اختيار اكثر الأوقات مناسبة للتفجير ، فكان حادث شيكوريل فى وقت متأخر من الليل والمحل مغلق ، وكان حادث شركة الإعلانات الشرقية قريبا من الفجر فى وقت انصرفت فيه وردية من العمال ولم يبدأ بعد موعد الوردية التالية فالعمال هناك أقل مايمكن ، هذا فى حين كانت حادثتا حارة اليهود فى منتصف الليل .

وتم حادث شركة الإعلانات بسيارة بيك اب امتلأت بصناديق المتفجرات ساقها رحمه الله أخونا على الخولى حتى حشرها فى بوابة المبنى الكبير للشركة ثم تظاهر بتعطلها ، وأجاب بأن بها ورقا للشركة ، وانصرف بحجة إحضار مفك وبعض الأدوات اللازمة لتشغيل السيارة . وبعد انصرافه انفجرت ، وخربت الدار ، وظلت السماء تمطر حجارة من حطامها لدقائق بعدها . لقد سمعت ذلك الانفجار من منزلى الذى كان يبعد نحوا من سبعة كيلو مترات . ومن المؤسف أن قتل فى الحادث بعض المواطنين فيهم الشرطى المصرى المكلف بالحراسة .

الفصل التاسع

السيارة الجيب

عهدة المدرسة

ذكرنا أن مجموعات النظام الخاص كانت تتلقى دروسا فى بيوت أعضائها عن مختلف أنواع الأسلحة ولاسيما المسدسات والقنابل اليدوية والمتفجرات والقنابل والتوصيلات الكهربائية لتفجير الشحنات الناسفة . كذلك كانت هناك رسائل ومطبوعات خاصة بتلك الدراسات ، هذا فضلا عن التقارير التى كانت يحررها إخوان النظام دراسة لهدف من الأهداف أو عملية من العمليات أو لمجرد التدريب على تلك الدراسات وأوراق الإجابة لامتحانات مراحل النظام ، تلك الأوراق التى صدرت أخيرا أوامر عبد الرحمن إلى مسئول النظام عن منطقة القاهرة بإعدامها . هذه الأوراق وعديد من الأسلحة التى ذكرناها كانت فى حاجة إلى مكان لتحفظ فيه . وكنا قد استأجرنا شقة بحى الدمرداش وضعت هذه الحاجيات التى يمكن أن نطلق عليها أدوات أو عهدة المدرسة التى كان يتعلم عليها إخوان النظام بالقاهرة فى إحدى حجراتها بينما شغل اثنان من الإخوان الطلاب حجرتين أخرتين .

ورئى التخلص من هذه الشقة . وكان أحد إخواننا عادل النهرى طالبا بإعدادى الطب ويسكن بالعباسية ، كانت له حجرة خاصة ينزل إليها من حديقة منزله بعدة درجات وكانت أسرته تسكن فوق تلك الحجرة . وقد استضاف الأخ عادل تلك العهدة مدة طويلة فى حجرته تلك فكانت تملؤها . وانتهى العام الدراسى وكان من مقتضى دراسته أن يتمها فى كلية الطب بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية لضيق الأماكن بالقاهرة . وقد شرح لنا عادل ذلك قبلها بوقت كاف ، وأبلغت بدورى المسئول فوقى رحمه الله فوعد بإعادة البحث عن شقة . ومرت الأيام وعاد أخونا ينبهنا إلى اقتراب موعد

سفره وتكرر الوعد بأخذ وديعتنا من عنده ، وظل الأخ يذكرنا حتى اليوم السابق لسفره فأرسلته مباشرة إلى المسئول فوقى ليتفاهم معه . ولم يعد لى فى ذلك اليوم حتى ظننت أن الأمر قد قضى . ولكن فى اليوم التالى وأنا أغادر بيتى صباحا فى طريقى إلى عملى حضر لى طاهر عماد الدين وسلمنى رسالة من المسئول بنقل تلك الحاجات اليوم بأى طريقة ، وأنه قد اتفق مع إبراهيم محمود ليأخذها فى مسكنه ، وأنه لذلك سيكون فى انتظارنا فى محله (محل ترزى) بالعباسية طوال اليوم . وعرض طاهر علىّ أن يقدم جهده وخدماته . فاتفقت معه على موعد معين فى العباسية . وانصرفت إلى عملى وأنا حائر .. كيف أنقل تلك الحمولة ؟ وقلت فى نفسى لعل المسئول قد اتفق مع أخينا إبراهيم على شيء فى هذا الشأن . كنت أخرج من عملى الساعة الواحدة لأعود إليه فى الرابعة . كان ذلك يوم الاثنين ١٥ / ١١ / ١٩٤٨ وكنت صائما .

وغادرت عملى إلى محل إبراهيم محمود فلم أجده وأفادنى شريكه أنه نزل إلى البلد لشراء حاجات للمحل . وقلت فى نفسى لعل إبراهيم يعمى على شريكه ولعله أن يكون منتظرنا فى مسكنه القريب ، غير أنى لم أجده به . وانصرفت أضرب أخماسا فى أسداس . وأنا فى تلك الحيرة صادفت مصطفى كمال وكان من إخوان النظام وفى عهدته سيارة جيب مملوكة للنظام كانت مشتراة حديثا من مخلفات الجيش الإنجليزى ولم تكن لها أرقام . وناقشته فى المشكلة فوافق على استخدام السيارة فى النقل وعرض أن يأخذ العهدة فى بيته حتى نجد لها مكانا . وهكذا تراءى لى أن المشكلة قد حلت فجأة .

ومررنا فى طريقنا بطاهر حيث كان ينتظرنا ، ثم إلى بيت أخينا طالب الطب عادل النهرى فحملنا ما كان لديه على العربة وكانت حمولة فوق طاقتها . غير أنه تبين لى أن بطارية العربة ضعيفة وأنها تتوقف أثناء دورانها ، ورغم أنى أوجست من ذلك خيفة إلا أنه لم يكن أمامى حل آخر . وفى عودتنا إلى بيت مصطفى قابلنا إبراهيم مصادفة فانصرفنا جميعا إلى بيته حيث أفرغنا حمولتنا .

سقوط السيارة

كان إبراهيم يسكن في بيت رجل يريد أن يحمله على إخلاء مسكنه لتشغله ابنته التي على وشك الزواج من مخبر في البوليس السياسي ! ولم نكن نعرف ذلك ، وحضر ذلك المخبر حال تفريغنا الحمولة ورآها ، فارتاب في محتوياتها . ولم يخف علينا جميعا ماوراء ذلك ، فانتهزت فرصة اختفاء الرجل عن أعيننا - واستنجت أنه ذهب لإبلاغ رؤسائه بما رأى - وأعدت كل الحمولة إلى العربة لننطلق بها ، وقد تم لنا ذلك عاد الرجل ، ووجدنا صعوبة في إدارة محرك السيارة بسبب ضعف البطارية ولم يدر المحرك ، وبدا الموقف حرجا للغاية !..!... وراح المخبر يصرخ ، وبذلك صار الموقف ميئوسا منه فتركنا كل شيء وانطلقنا نبتعد والمخبر والناس من خلفنا ، حتى قبض على طاهر وعليّ ، أما مصطفى فقد استطاع الفرار ، وعاد إبراهيم إلى محله حتى قبض عليه ليلا .

سوء حظ

كنت ومصطفى وطاهر وإبراهيم نرتدي - بدون أي اتفاق - بنطلونا من الفانلة الرصاصي وبلوفر .. مصادفة عجيبة . فلما فر مصطفى تناقل الناس أن شخصا يرتدي بنطلونا فانلة وبلوفر قد فر .. وهنا مر من المنطقة مصطفى مشهور أحد المسئولين الخمسة عن النظام يحمل حقيبة جلدية بها مجموعة خطيرة من أوراق النظام .. كان يرتدي بنطلونا فانلة وبلوفر ، وتصايح به الناس أنه هو الهارب المطلوب .. وقبضوا عليه .. وشهد الشهود الذين استحضرهم البوليس أنه كان معنا في السيارة !! وأنكرنا جميعنا أننا كنا بها ، كما أنكر كل منا معرفته بالآخرين . وقد أدهشني وجود مصطفى مشهور مقبوضا عليه معنا .

قضاء وقدر

وكان من المقرر عقد اجتماع للمجلس الأعلى للنظام في بيت مصطفى مشهور في تلك الليلة . فلما أراد الخروج أوصى أهله أنه إذا جاء أحد من إخوانه قبل أن يعود فلينتظره في حجرة الضيوف ... وجاءوا ، أحمد حسنين وأحمد زكي

ومحمود الصباغ . وذهب البوليس يفتش بيت مشهور ، فوجد هؤلاء هناك فاصطحبهم إلى قسم بوليس الوايلى . فقط عبد الرحمن السندى تأخر عن موعد الاجتماع فلما ذهب ووجد البوليس يحيط بالمنزل لم يدخل . وهكذا سقطت هذه المجموعة الثمينة من إخوان النظام فى يوم واحد .

التحقيق

أخذنا جميعا إلى قسم الوايلى بالعباسية وحجز كل منا فى غرفة بمفرده ، وامتلأ القسم بكل من هب ودب ... رجال البوليس السياسى عن بكرة أبيهم ، واللواء سليم زكى حكمدار بوليس القاهرة ، ورجال النيابة .. نيابة شرق القاهرة ونيابة الاستئناف ، رئيس هذه ورئيس تلك ووكلاء النيابة ومعاونوهم .. النقراشى باشا رئيس الوزراء بشخصه جاء ينظر إلينا .

وكان من الواضح من اللحظات الأولى أن البوليس السياسى بدأ يلعب فى القضية . فقد رأينا شهود رؤية السيارة جميعا وعددهم ثلاثة عشر يشهدون أنهم رأوا مصطفى مشهور معنا فى السيارة .. وإذ فر سائق السيارة ، شهد الثلاثة عشر بأن طاهر عماد الدين هو الذى كان يقودها .. وقد استطاع طاهر أن يثبت أنه لايعرف قيادة السيارات ، إذ كان قد اتفق مع سائق قبلها بيوم واحد أو يومين أن يعلمه القيادة لقاء أجر معين ، فاستشهد به وشهد له السائق ، حينئذ عاد جميع الشهود يعدلون عن زورهم . ولقد ثبت بعد ذلك فى المحكمة أن عشرة من أولئك الشهود كانوا من رجال البوليس ، وكل منهم ادعى وجوده مصادفة فى مكان الحادث وأنه رأى ماجاء يشهد به ، كما كانوا ينكرون صلتهم بالبوليس حتى أن أحدهم – وقد ضيق عليه الدفاع الخناق فى المحكمة – اضطر إلى الاعتراف بأنه بوليس ملكى يوم شهادته بالمحكمة ولكنه لم يكن كذلك يوم ضبط السيارة !

واستمر التحقيق وقد ضربت عليه النيابة ستار السرية ، وفرضت على المتهمين الحبس الانفرادى حتى لانلتقى ، وكنا فى وقت من الأوقات موزعين على ثلاثة سجون بالقاهرة ، سجن الأجانب بشارع الملكة نازلى [رمسيس] – مكانه الآن محطة بنزين التعاون بجوار مستشفى الهلال الأحمر – جارى هدمها – ، وسجن مصر العمومى بالقلعة وسجن الاستئناف بباب الخلق . واستمرت تلك القيود علينا

رقما قياسيا لم يحدث فى أى قضية أخرى إذ امتدت ٣٥٠ يوما . واستجوبت النيابة أكثر من أربعمائة شخص وزاد ملف التحقيق على أربعة آلاف ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة واكثرها بخط صغير ، وقد حفل بأكثر من ثمانمائة محضر مابين استجواب ومعاينة وتفتيش ، وقد اشترك فى تحقيق القضية خمسة عشر محققا تقلد بعضهم بعد ذلك منصب نائب عام أو وزير أو محافظ ، وقد تولى مسئولية التحقيق مصطفى بك حسن رئيس نيابة الاستئناف وكان رجلا نزيها ، غير أنه بعد فترة أحس بتدخل رجال البوليس السياسى مثل الصاغ محمد الجزار والصاغ توفيق السعيد الحمار وأحمد طلعت ومحمود طلعت فرفض أن يستمر فى تحقيق القضية وتخلى عن ذلك فتولاها محمد بك عبد السلام . وبلغ عدد جلسات التحقيق مع المتهمين والشهود أكثر من ألف وخمسمائة جلسة . وكان من المتهمين من لم يحقق معه سوى مرة واحدة ومنهم من حقق معه ثلاثين مرة مثل أحمد حسنين وطاهر عماد الدين وكاتب هذه السطور . وكانت النيابة تستدعينا من السجن للتحقيق معنا فى سراى النيابة بمبنى محكمة مصر بباب الخلق ، فكان الواحد منا يصحبه ضابط مسلح بالطبنجة واثنان من عساكر الشرطة المسلحين بالبنادق فى سيارة أجرة ، وأنفقت الدولة نحو ستة آلاف من الجنيهات مصاريف انتقال لنا مابين السجن والنيابة وهو رقم كبير جدا بتقديرات وقتها .

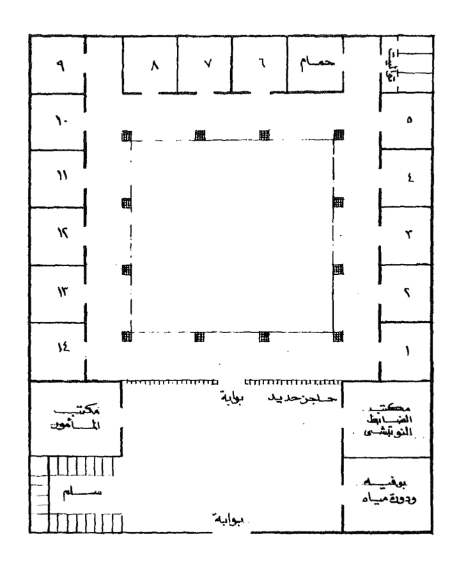
حين وصلنا إلى قسم بوليس الوايلى تلقانا ضابط برتبة بكباشى – مقدم – فسألنا عن اسمائنا ، ثم أمر بتفتيشنا وأخذ ما فى جيوبنا . وحمدت الله ألف حمد أن يد الضابط الذى فتشنى لم تمتد إلى جيب البلوفر الذى كنت أرتديه ، ففيه كانت رسالة رئاستى التى تكلفنى فيها بنقل ماكان بالسيارة الجيب ، وقد تخلصت منها بعد ذلك . ثم راح ذلك البكباشى يدير قرص التليفون ليبلغ رجال البوليس السياسى والنيابة والأمن العام . وبالرغم من سوء الموقف الذى كنا فيه والإجهاد الذى كنت أحسه والجراح التى أصبنا بها من جراء اعتداء الناس علينا ظنا منهم بأننا يهود جئنا ننسف حيهم .. بالرغم من ذلك كله فقد كنت أشعر بشيء من الصفاء وضبط النفس . لقد وقفت طويلا فى التحقيق ، وبينما كان يجرى استجواب مصطفى مشهور شعرت بتعب وطلبت مقعدا من أحد الضباط الواقفين فقال لى « اقعد على الأرض » ودون أن أجيبه اتجهت إلى مقعد خال وسحبته

لأقعد عليه ، وصاح الرجل بى أن أتركه فإنه مقعد « أحمد طلعت بك وكيل الحكمدار ! » واذكر أنى فى هدوء شديد قعدت على المقعد وأنا أقول « يستطيع طلعت بك أن يجد مقعدا » ثم اضطر الرجل أن يسكت حيث لاحظ أنه بصياحه قد شغب على المحقق .

استمر التحقيق الليل كله ، ومع فجر اليوم التالى وزعونا على أقسام بوليس القاهرة ، فأودعت قسم روض الفرج ليلتين حدثت فى كل منهما غارة جوية . ثم نقلت إلى سجن الأجانب .

سجن الأجانب

كان سجن الأجانب يحتوى على ثمان وعشرين حجرة مقسمة على دورين ، وكان نظيفا للغاية فقد كان مخصصا لحبس الأجانب ، أما المصريون فلهم سجون قذرة . نزلت غرفة رقم ٧ فى مواجهة مستشفى الهلال الأحمر وكانت جدرانها مطلية بالزيت وبها سرير ومنضدة وكرسى وزر جرس كهربائى اضغط عليه عند الحاجة فيحضر خدم السجن من مخبرى البوليس السياسى ! وبالغرفة نافذة كبيرة تسمح بالجلوس عليها ولكن كان عليها قضبان الحديد وشبك من السلك . وكان يحيط بالسجن حديقة وبداخله فناء ، وكان الغذاء المقدم جيدا من حيث النوع وفيرا من حيث الكم . وكان ببعض غرف السجن نزلاء من الأجانب ولكن اكثر غرفه أخليت لنا فكان لكل منا غرفة . كان الأجانب طلقاء داخل السجن أما نحن فكانت مغلقة علينا الأبواب . وكان مأمور السجن يمر علينا يوميا ومعه أحد ضباط البوليس السياسى ، كما كانوا يحضرون حلاقا لحلاقة ذقوننا . وقد طلبت إلى المامور مصحفا فاعتذر بأن الأمر يحتاج إلى تصريح من النيابة . ووصلنى خطاب من البنك الأهلى المصرى الذى أعمل به بإيقافى عن العمل . ونحن فى ذلك السجن أيضا أصدر النقراشى بصفته حاكما عسكريا أمرا بحل جماعة الإخوان المسلمين فى ٨ / ١٢ / ١٩٤٨ . وفى ٢٨ من نفس الشهر اغتاله عبد المجيد حسن فى بهو وزارة الداخلية ، وخلفه فى رئاسة الوزارة والحزب إبراهيم عبد الهادى باشا .



سجن الأجانب الدور الأرضى [وكان فوقه دور ثان على نفس النسق] ، الجزء الخارجى منه مخصص للإدارة ، أما الخاص بالمحتجزين فيبدأ من الحاجز الحديدى الذى يتوسطه باب من القضبان الحديدية أيضا . الزنازين تحيط بفناء كان مزروعا ببعض الزهور ، وتحيط به أعمدة من الحجر الجيرى وتحمل الدور الثانى . وكانت الحجرات : (٦ ، ٧ ، ٨) تطل على مستشفى الهلال الأحمر أما (٩ – ١٤) فكانت تطل على شارع الملكة نازلى [رمسيس] ، وكانت تحيط بالسجن من الخارج حديقة ذات أشجار ونخيل ، يحوطها سور من الأسلاك الشائكة مكسوا بالحصير .

سجن مصر العمومى

وبقينا بسجن الأجانب حتى ١٣ / ١ / ١٩٤٩ ، فى صباح ذلك اليوم حاول أخونا شفيق أنس وضع حقيبة متفجرات حارقة فى حجرة التحقيق التى يحفظ فيها ملف القضية وأحرازها ، وقد سمعنا الانفجار صباحا وفى مساء نفس اليوم تم نقلنا واحدا واحدا إلى سجن مصر العمومى بحى الخليفة . هناك فى هذا السجن كان حسين عبد السميع مازال يقضى السنوات الثلاث التى حكم عليه بها أحمد الخازندار ، وكان معه فى دور ٦ المحكوم عليهم فى قضية اغتيال أمين عثمان التى كان متهما فيها أنور السادات . كان سجن مصر يختلف تماما عن سجن الأجانب فليس فيه أثر للنظافة ، وكانت زنازينه مظلمة لاتدخلها الإنارة ، وكان النوم على « برش » نسج من حبل من مسد خشن جدا والغطاء قطعة من بطانية غاية فى القذارة . ولم يكن لنوافذ الزنازين مايقفلها فيحول دون الرياح الباردة التى تجتاحها ولاماء المطر الذى يكاد يغرق أرضها . وكانت جدرانه مليئة بالبق الذى يقض المضاجع . كما كان الطعام فيه رديئا وعلى نفقتنا وهو غالى الكلفة ، ومن أراد أن يأكل طعام السجن الذى يقدمه فعليه مع هذا أن يرتدى بردائه ، وبئس الرداء كان .

إلا أنه هنا فى هذا السجن ورغم فرض قيود الحبس الانفرادى وصدور التعليمات المشددة بألا يتصل متهم بالآخرين ، رغم هذا فقد كان الاتصال سهلا ميسورا ، فقد كان فوق باب كل زنزانة شراعة مفتوحة إلا من قضبان الحديد وبذلك تسنى لكل منا مخاطبة الآخرين من تلك الشراعات ، أما العساكر الذين وكل إليهم منع اتصالنا فلم يكن أحدهم يجرؤ على القول بأننا نتصل ، كما كانت برتقالة أو قطعة من الحلوى كفيلة بجعلهم لايسمعون صياحنا ونحن نتخاطب . وقد أفادنا هذا كثيرا فى ترتيب أقوالنا فى التحقيقات .

كان سجن مصر العمومى ثلاثة عنابر أ ، ب ، ج ، كل عنبر من اربعة ادوار . فكان الدور الثانى من عنبر ب [دورا] مخصصا للقضايا السياسية . وكان شاويش

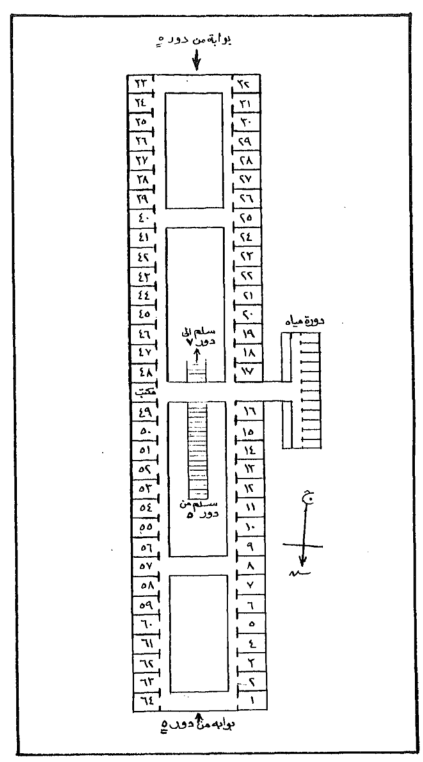
الدور يحب ثمار المنجة كثيرا ، فكان يمر أمام الزنازين يسأل ويقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، فنعطيه منها . وكان دور ٥ تحتنا للمحبوسين احتياطيا لقضايا لم يتم الفصل فيها كما كان دور ٧ فوقنا للمحكوم عليهم لأول مرة ، أما دور ٨ فكان للسوابق الذين تكرر حبسهم .

وبالخارج نظم الإخوان إمدادنا بالطعام المناسب لسوء طعام السجن ، كما كان اكثرنا ممن تنقطع موارده بحبسه موظفا كان أو صاحب عمل ، فنظموا جمع التبرعات من الإخوان والمعونات لاستمرار الانفاق على العائلات .

وكانت السجون من أسوأ مايتصور انسان قذارة وسوء معاملة ، يدخلها المجرم فيخرج اكثر إجراما ، ويتعارف أبناء الجريمة الواحدة فيدخلون أفرادا ويخرجون عصابات ، كما كانت الجرائم تمارس داخل السجن ولا سيما المخدرات والجنس . ولقد حاول الإخوان جهدهم لاصلاح السجون سواء من داخل السجن أو من خارجه .

الاتهام

وقد وجهت النيابة الاتهام إلى اثنين وثلاثين متهما وبطبيعة الحال كان المتهم الأول عبد الرحمن السندى . وكان الاتهام الموجه إلينا يبدأ بتهمة الاتفاق الجنائى على قلب وتغيير دستور الدولة وشكل الحكومة بالقوة وإتلاف سيارات وأسلحة الجيش وتخريب المنشآت وقتل عدد كبير من المصريين والأجانب وتعريض حياة الناس وأموالهم عمدا للخطر وتعطيل وسائل النقل العامة وإتلاف الخطوط التلغرافية والتليفونية الحكومية وإقامة واستعمال محطات سرية للإذاعة اللاسلكية .. الخ . وبأننا حزنا مقادير كبيرة من القنابل اليدوية والفسفورية والجلجنايت والمفرقعات والأسلحة النارية والأسلحة البيضاء .. الخ . وقد اعتبرت النيابة العامة جميع أوراق الدراسة التى كتبت أصلا للتدريب على أنها كانت مشروعات للتنفيذ .



دور ٦ بسجن مصر العمومي وهو دور نمطي كسائر أدوار السجن

المحاكمة



الشيخ سيد سابق والشيخ فرغلى والأستاذ محمد عبد الحميد
وجمال فوزى وغيرهم من الإخوان يحيطون قفص الاتهام

ثم بدأت المحاكمة أمام محكمة جنايات عسكرية فى ١٠ /١٢/ ١٩٤٩ مكونة من ثلاثة مستشارين واثنين من كبار الضباط . ولكن التحقيقات فى قضية مصرع النقراشى باشا أدت إلى اعادة فتح التحقيق فى قضية السيارة الجيب بمعرفة النيابة بهدف إثبات مزيد من الترابط بين القضيتين وتجميع مزيد من الأدلة على المتهمين فى كلتيهما . بل لقد ضمت القضيتان فى بعض تلك المراحل واتجهت النية إلى تقديمها إلى محكمة واحدة برئاسة المستشار محمد مختار عبد الله ، وكان مستشارا متجهما كما وصفه الدفاع من طراز أحمد بك الخازندار . وجلسنا فى قفص الاتهام أمام المحكمة العسكرية ثلاث جلسات كان آخرها فى ٢٨ / ٣ / ١٩٥٠ وطلب الدفاع التأجيل بسبب أن الأحكام العرفية كانت بسبيلها إلى الإلغاء

وبالتالى كان تشكيل المحكمة فى مهب الريح . ثم استقر نظر القضية أمام محكمة جنايات عادية ، يرأسها المستشار « أحمد بك كامل » وكان المستشار محمود عبد اللطيف » عضو اليمين بها ، كما كان المستشار « زكى شرف » هو عضو اليسار .

وفى ١١ / ٦ / ١٩٥٠ قررت المحكمة الإفراج عن ثمانية من المتهمين منهم المتهم الأول عبد الرحمن السندى لاصابته بروماتزم القلب ، كانت بادرة طيبة جدا من المحكمة . وبدأ النظر الفعلى للقضية فى ١٢ ديسمبر ١٩٥٠ فعقدت إحدى وأربعين جلسة ، ثم كانت الثانية والأربعين فى ١٧ / ٣ / ١٩٥١ للنطق بالحكم ، بمعدل أربع جلسات فى الأسبوع ، واستمر نظر القضية ثلاثة أشهر ونصفا . وقد طلبت النيابة فى الجلسة الأولى تعديل بعض مواد تقرير الاتهام إلى مواد أشد عقوبة وطالبت برءوسنا وإعدامنا .

واستغرق سماع ومناقشة شهود الاثبات ثلاث جلسات ، ثم نوقش شهود النفى فى ثلاث جلسات أخرى . وكان ممثل الاتهام هو محمد بك عبد السلام رئيس نيابة الاستئناف الذى تولى تحقيق اكثر القضية ، وقد خصص ثلث مرافعته عن جماعة الإخوان ، وأراد أن يحط من شأنها فجاءت مرافعته صورة من مذكرة عبد الرحمن عمار مدير الأمن العام عن حل الجماعة . ثم انتقل إلى الكلام عن المتهمين فألقى عليهم جميعا قائمة كبيرة من الاتهامات وطلب إلى المحكمة استعمال القسوة وقد قدم إلى المحاكمة ثلاثة وثلاثين متهما .

ثم استغرق الدفاع (٣٤ محاميا) ثلاثين جلسة بدأها عبد المجيد نافع الذى كان يترافع عنى . وتلاه شمس الدين الشناوى وكان يترافع عنى أيضا ، وازدحمت الاسماء المعروفة فى هيئة الدفاع فكان منهم محمد هاشم باشا وزير الدولة فى وزارة حسين سرى ، وقد كان زوجا لابنته ، وأحمد رشدى وعبد المجيد عبد الحق ومحمد مندور وأحمد حسين وعلى منصور وهنرى فارس وزكى عريبى (وكان يهوديا وقتها وقد أعلن إسلامه هو وابنته قبل أن يموت بسنوات) وفتحى رضوان وغيرهم كثير ، ومن محامى الإخوان شمس الشناوى ومحمد المسمارى وعلى طمان وفهمى أبو غدير وإبراهيم الطيب وطاهر خشاب العشماوى ومختار عبد العليم وفريد شريف قنصوة وعمر التلمسانى . وكان ملف القضية ٣٠ جزاء فى كل جزاء ١٥٠ صفحة وكان دخول القاعة بتصريح خاص من النيابة ، وقد واظب أهلونا على الحضور فى كل جلسة .

شهود النفى



مفتى فلسطين يشهد فى المحكمة
وخلفه ظهر فهمى ابو غدير وزكى عريبى
المحاميان وأمين سر المحكمة الأستاذ محمد أبو العز

ولقد كان شهود النفى من الناحية التاريخية على الأقل على قدر كبير من الأهمية . وكان من أبرز هؤلاء سماحة الحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين . قالت مجلة المصور « حينما دعته المحكمة للشهادة لم يناده الحاجب بصوته الجهورى بل ذهب إليه بعض رجال البوليس ، وجىء له بكرسى فجلس فى حرم المحكمة ، وكان يتكلم بصوت خافت وبهدوء شديد » وقد شهد بأن الإخوان كانت لهم مشاركتهم فى حرب فلسطين منذ عام ١٩٣٦ فجمعوا السلاح والذخيرة وقاتلوا هناك بأنفسهم حتى النهاية . وقال إن الأستاذ حسن البنا أخبره بأنه قلق مما ظهر من تخاذل بعض الجيوش العربية ومما لمسه من الدسائس التى ترمى إلى تسليم فلسطين لليهود ، وأنه لذلك يفكر فى إرسال عشرة آلاف متطوع من الإخوان إلى فلسطين وأنه سيعرض الأمر على المختصين والحكومة المصرية لتموينهم بالسلاح ، فإذا تعذر ذلك فسيطلب ذلك من شُعَب الإخوان وأنه كان

مصمما على هذه الفكرة وأن هذا الحديث جرى بعد الهدنة الأولى فى ١١ / ٦ / ١٩٤٨ . وذكر فى شهادته أيضا ان حكومة النقراشى باشا صادرت اسلحة الهيئة العربية ووعدت باعادة تسليمها لهم ، ولكن ذلك لم يتم . وعند انصراف المفتى وقفنا فى قفص الاتهام تحية له وهتفنا : دماؤنا فداء فلسطين . فلسطين عربية وستعود عربية .



لواء أحمد فؤاد الصادق يشهد فى المحكمة

وشهد اللواء أحمد فؤاد صادق باشا قائد عام حملة فلسطين فقال إن الإخوان كانوا جنودا أبطالا أدوا واجبهم على أحسن مايكون ، وأن اليهود كانوا يبحثون عن مواقع الإخوان ليتجنبوها فى هجومهم وأنه أرسل عددا منهم إلى جنوب دير البلح بنحو ١٠٠ كيلو لملاقاة الهجوم الإسرائيلى على العريش من ٢٦ إلى ٣٠ / ١٢ / ٤٨ بعد صدور قرار حل الإخوان ، فاستبسلوا وأدوا واجبهم تماما ، وأنه فى كل مرة كان يكلفهم بواجب كانوا يقومون بأعمالهم ببطولة ولم يؤثر قرار حل جماعة الإخوان المسلمين على روحهم المعنوية أبدا ، حتى كتب إلى الرياسة فى مصر يطلب منحهم نياشين . وقال إنه رفض أمر الحكومة باعتقالهم ولكنه وضعهم تحت حراسته الخاصة وأنه عاملهم معاملة كريمة لأنه اعتبرهم زملاء ميدان . ولكن الحكومة قامت باعتقالهم وإعادتهم من الميدان إلى المعتقلات .



اللواء أحمد المواوى يشهد فى المحكمة

كما شهد اللواء أحمد على المواوى أول قائد عام لحملة فلسطين فقال إن الإخوان سبقوا الجيوش النظامية فى الدخول إلى معركة فلسطين وإن القوات المسلحة اعتمدت على الإخوان كقوة حقيقية تعمل على جانبها الأيمن ، وإن روحهم المعنوية كانت قوية للغاية ، وذكر بعض العمليات البطولية الهامة التى قاموا بها .



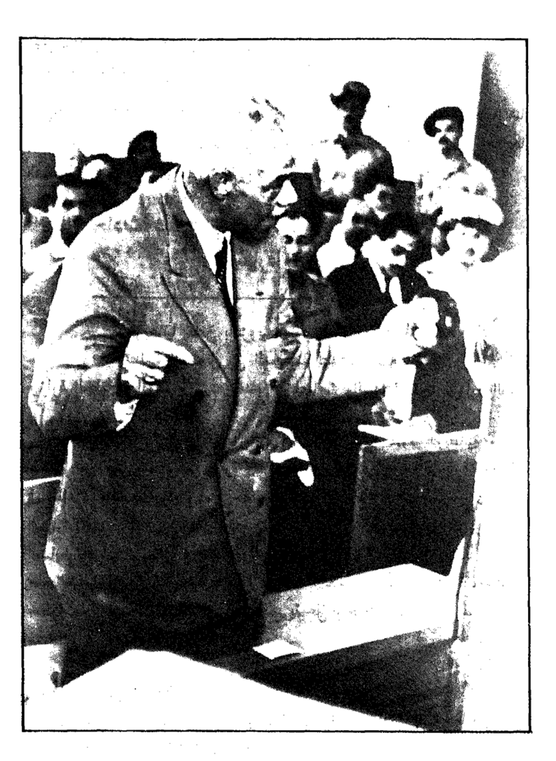
إبراهيم عبد الهادى باشا

ومن أهم الشهادات التى جرت فى المحكمة شهادة إبراهيم عبد الهادى باشا خليفة النقراشى فى الوزارة والحزب . كتبت مجلة المصور « كان المتهمون يرمونه بنظرات قاسية ، وكان أقرباؤهم الجالسون فى المقاعد يتهامسون بالتعقيب على أجوبته . ثم ودع فى النهاية بالهتاف بسقوط الظلم والطغيان والهتاف لذكرى الشهيد الأعزل . وكان أشد الحاضرين هتافا فتاة ترتدى الملابس البيضاء وتغطى وجهها بنقاب » ا.هـ ، وقد طلبه الدفاع كشاهد نفى لسؤاله عن مقابلته لعبد الرحمن عثمان أحد المتهمين فى القضية للتأثير فى أقواله وكذا سؤاله عن التعذيب



إبراهيم عبد الهادى فى المحكمة : « أقسم بشرفى لم يحدث تعذيب »

الذى وقع على المتهمين فى حضوره أو فى عهده ، وقد أنكر معرفته بحدوث أى تعذيب . وكانت موافقة المحكمة على استدعاء إبراهيم عبد الهادى للشهادة بعد اتفاق ودى مع الدفاع على ألا يوجه المحامون ولا المتهمون إليه أى إهانة ، وقد كان .



إبراهيم عبد الهادى فى محكمة الثورة متهما .

حادث دبلوماسى مثير

وقد وقع أثناء نظر القضية حادث دبلوماسى خطير نكتفى فى عرضه هنا بمقتطفات مما نشرته عنه الصحف فى حينه . نشرت صحيفة المصرى فى عددها الصادر فى ٢ / ٢ / ١٩٥١ مايأتى :

حادث دبلوماسى بين مصر وبريطانيا تثيره قضية سيارة الجيب

بريطانيا تطعن بالتزوير فى وثيقة قدمها الدفاع
وتطلب أن تَمْثُل فى المحكمة لتبدى وجهة نظرها
وزارة الخارجية المصرية تدفع بعدم الاختصاص والسفارة تلجأ لوزارة العدل

قابل مستر « تشابمان أندروز » الوزير المفوض بالسفارة البريطانية سعادة عبد الرحمن حقى باشا وكيل وزارة الخارجية منذ يومين وأبلغه أن السفارة البريطانية فى القاهرة علمت أخيرا أن أحد حضرات ممثلى هيئة الدفاع عن المتهمين فى قضية السيارة الجيب ، قدم إلى هيئة المحكمة وثيقة جاء فيها أن الكولونيل « ماك درموث » الضابط بالقيادة البريطانية فى فايد فى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨ يقول : « لقد أخطرت هذه القيادة رسميا بأن سفارة حضرة صاحب الجلالة البريطانية بالقاهرة ، ستتخذ خطوات دبلوماسية ، لإقناع السلطات المصرية بحل الإخوان المسلمين فى أسرع وقت مستطاع » .

بريطانيا تمثل فى المحكمة

وعلم مندوب المصرى أن مستر تشابمان أندروز طلب إلى سعادة وكيل الخارجية إتاحة الفرصة أمام السفارة البريطانية بأن تمثل فى المحكمة لتدفع بالتزوير فى هذه الوثيقة التى تدعى أن السلطات البريطانية كان لها شأن فى أمر حل الإخوان المسلمين .

الخارجية ليست جهة اختصاص

والمفهوم أن سعادة حقى باشا أبلغ أندروز أن وزارة الخارجية ليست جهة الاختصاص فى هذا الشأن ، وأن الرأى فى هذا متروك لوزارة العدل تتخذ فيه ماتراه .

الدفاع حر أمام المحكمة

وقد رجع مندوب المصرى إلى معالى وزير الخارجية يسأله عن رأيه فى هذه المسألة ، فقال إنه لم يعلم بها إلا من المندوب وأضاف قائلا « وعلى كل حال فالدفاع حر يقول أمام المحكمة مايشاء » .

فى وزارة العدل

وعلى أثر ذلك توجه مستر جراهام المستشار القانونى للسفارة البريطانية إلى وزارة العدل حيث قدم مذكرة للسفارة أشار فيها إلى رغبتها فى تسوية هذه المسألة بطريقة ودية .

طعن بالتزوير

وقد نفت المذكرة حدوث تدخل من جانب بريطانيا فى صدد حل الإخوان المسلمين ، وطعنت ثانيا بأن الوثيقة التى قدمت إلى المحكمة مزورة .

طلب التمثيل فى المحكمة

وطلبت المذكرة بعد ذلك أن يسمع صوت السفارة البريطانية فى مصر أمام المحكمة مادام الاتهام قد وجه إلى بريطانيا فى هذا الشأن ، وأيدت المذكرة رأى السفارة بحجج قانونية .

وزارة العدل تدرس المسألة

وعلم مندوب المصرى فى وزارة العدل أن الوزارة تدرس هذه المذكرة طبقا للإجراءات القانونية الواجب اتباعها فى مثل هذه الأحوال ، حتى يتسنى للسفارة البريطانية أن تبلغ رأيها إلى هيئة المحكمة ، سواء أكان بحضور مندوب من السفارة البريطانية أمام هيئة المحكمة أم بإيداع مذكرة فى هذا الشأن بدوسيه القضية .

السفارة لاتستطيع مخاطبة المحكمة

واستطلع مندوب المصرى رأى مصدر قضائى كبير فى هذه المسألة فقال إن السفارة لاتملك فى مثل هذه الأحوال حق مخاطبة المحكمة رأسا ، بل ولا أن ترسل إلى المحكمة من يمثلها ، لأن المحكمة لاتقبل فى دعوى معروضة أمامها شيئا يأتيها عن طريق الخصوم . ولذلك فإن الإجراء الطبيعى هو أن تخاطب السفارة وزارة العدل وهذه تبلغ سعادة النائب العام الذى يرسل إلى ممثل النيابة فى القضية وهو الأستاذ محمد عبد السلام بك كتابا بما تقرره السفارة فى شأن هذه الوثيقة ، ويقوم حضرته بعد ذلك بعرض هذا الخطاب على هيئة المحكمة التى يرأسها سعادة أحمد بك كامل وعندئذ تنظر المحكمة فى أمر الوثيقة والخطاب .

لا مسئولية على الدفاع

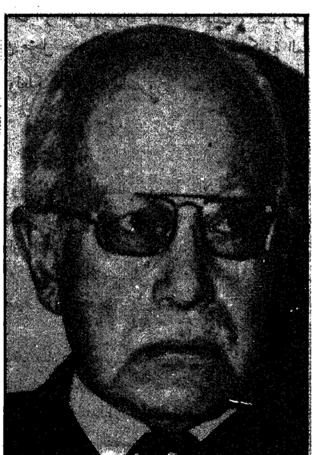
وأضاف المصدر إلى ذلك قوله إنه من المفهوم أنه لامسئولية على المحامى الذى يقدم وثيقة من هذا النوع حتى لو رأت المحكمة أنها غير صحيحة ، لأن المحامى قد يكون حسن النية عند تقديمها وهو يتكلم بلسان موكله ، وحق الدفاع مقدس . ا . هـ .

وعلى أثر مانشرته الصحف حول هذا الموضوع وقف الأستاذ شمس الدين الشناوى في المحكمة واحتج على ذلك وقال إنه يخشى أن يكون لما تنشره الصحف تأثيره على وجدان المحكمة ، وإن الوثيقة التى قدمها صحيحة . وقد

أجاب رئيس المحكمة بأن المحكمة لاتتأثر بما تنشره الصحف ، وأنها ستعتبر هذه الوثيقة صحيحة حتى يصلها من الجهات الرسمية مايثبت تزويرها .

هذا وقد توجه تشابمان أندروز فى زيارة إلى إبراهيم عبد الهادى للتداول معه فى شأن الوثيقة ونشرت الصحف أنه طلب إلى عبد الهادى تكذيبها ، ولكن هذا الأخير أجابه بأن الوثيقة منسوبة إلى السلطات البريطانية ولذلك فيجب أن يصدر ذلك التكذيب من تلك السلطات .

وفى ١١ / ٢ / ١٩٥١ نشرت جريدة المصرى مايلى :



الدكتور وحيد رأفت

نص خطاب السفارة

« عزيزى وحيد رأفت بك » .

طلب إلىّ سفير حضرة صاحب الجلالة بأن أقرر أن نظره قد استرعى أخيرا

إلى خبر نشر فى الصحف بشأن محاكمة قائمة أمام المحاكم جاء فيها أن محاميا يدعى الأستاذ شمس الدين الشناوى حاضرا عن المتهم أحمد عادل كمال صرح بأن الحكومة البريطانية أوعزت إلى الحكومة المصرية فى سنة ١٩٤٨ بإلغاء وحل الإخوان المسلمين . وأن الاستاذ الشناوى دلل على ذلك بصورة كتاب مؤرخ فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ زعم أنه موقع عليه بمعرفة الكولونيل ا . م . ماك درموث نيابة عن السلطات العسكرية البريطانية .

وأرى من واجبى إخباركم أن هذه الوثيقة إن وجدت تكون مصطنعة فضلا عن أن أمر حل الإخوان أو ماشابه ذلك ، كما زعم الأستاذ الشناوى لم يثر ولم يكن محل حديث بين هذه السفارة والحكومة المصرية .

ولعلكم ترون من الضرورى لمصلحة العدالة إحاطة المحكمة علما بما تقدم .

التوقيع

مورى جراهام

ويلاحظ أن الخطاب مرسل بالإنجليزية من مستر جراهام المستشار القانونى للسفارة بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٥١ إلى سعادة وحيد رأفت بك بصفته مستشار الرأى لوزارتى الخارجية والعدل ، وقد بلغه سعادته إلى سعادة محمد رشدى بك النائب العام فأحاله سعادته إلى الأستاذ محمد عبد السلام بك ممثل الاتهام فى القضية ا . هـ .

وقد سايرت بعض الصحف السفارة ، وكان هو ذاته اتجاه الحزب السعدى ، وإمعانا فى التضليل نشرت أن هناك جماعة لتزوير الوثائق وأخرجت بالفعل بعض الوثائق المزورة للتدليل على ذلك وليسحب ذلك الشك على وثيقتنا هذه . ولكن امتد بنا العمر حتى انقضت فترة السرية [ثلاثين عاما] التى تفرض على بعض الوثائق فى انجلترا وصار مباحا نشرها . وقد قام الصحفى المصرى محسن محمد جزاه الله خيرا بنشرها فى مجلة « المسلمون » واستبانت الحقيقة الآن من وثائق الدبلوماسية البريطانية بما لايدع مجالا للشك فى تدخل الانجليز وطلبهم حل جماعة الاخوان المسلمين فى مصر عام ١٩٤٨ .

الوثيقة

والواقع أن الذى قدمه الدفاع فى القضية كان وثيقتين وليس وثيقة واحدة ، نورد نصها هنا ، وقد نشرتهما مجلة الدعوة فى عددها الأول الذى صدر فى (٣٠ يناير ١٩٥١) أثناء نظر القضية ، ففى الوثيقة الأولى وتاريخها ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ أرسل ماجور ج . و . أوبريان السكرتير السياسى للقائد العام للقوات البرية البريطانية فى الشرق الأوسط وكان مقره فى فايد ، أرسل الآتى :

الموضوع : اجتماع سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا فى فايد فى (١٠ نوفمبر ١٩٤٨) .

رقم القيد : (١٨٤٣ / اى / ٤٨)

التاريـــخ : ١٣ / ١١ / ١٩٤٨

إلى رئيس ادارة المخابرات رقم (١٣)

فيما يختص بالاجتماع الذى فى فايد فى (١٠) الجارى بحضور سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا ، أخطركم أنه ستتخذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة ؛ لحل جمعية الإخوان المسلمين التى فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة فى القاهرة قام بها أعضاؤها .

إمضاء

ج . و . أوبريان ماجور

أ . هـ

وفى (٢٠ نوفمبر ١٩٤٨) أرسل رئيس إدارة المخابرات (أ) فى قيادة القوات البرية البريطانية فى الشرق الأوسط الكولونيل أ . م . ماك درموث إلى إدارة المخابرات [ج . س ٣ فى القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر ، يقول ما ترجمته]

الموضوع : الإخوان المسلمون

رقم القيد : (١٦٧٠ / أ ن ت / ٤٨)

إلى إدارة : ج . س . ٣

التاريـــخ : ٢٠ نوفمبر ١٩٤٨

القيادة العليا للقوات البريطانية فى مصر

١ – إلحاقا بمذكرتكم رقم (٧٣٤ / أ ن ت / ب/ /٤٨) المؤرخ نوفمبر (١٩٤٨) رسميا من سفارة صاحب الجلالة .

٢ – لقد أخطرت هذه القيادة البريطانية فى القاهرة أن خطوات دبلوماسية ستتخذ لإقناع السلطات المصرية بحل جمعية « الإخوان المسلمون » فى أقرب وقت مستطاع .

–فيما يختص بالتقارير التى كانت قد رفعت من الرعايا الأجانب المقيمين فى مصر ، فقد أرسلت إلى وزارة الخارجية للعلم .

عن الدعوة عدد ١
٣٠/ ١/ ١٩٥١

رئيس إدارة حرف (أ)
قيادة القوات البرية البريطانية فى الشرق الأوسط
امضاء
كولونيل أ . م . ماك درموت .

الحكم

وأخيرا صدر الحكم فى القضية يوم ١٧ / ٣ / ١٩٥١ وكان كالآتى :

أولا : معاقبة كل من مصطفى مشهور ومحمود الصباغ وأحمد حسنين وأحمد قدرى الحارثى والسيد فايز عبد المطلب بالسجن لمدة ثلاث سنين .

ثانيا : بمعاقبة كل من عبد الرحمن السندى وأحمد زكى حسن وأحمد عادل كمال وطاهر عماد الدين ومحمود حلمى فرغل ومحمد أحمد على وعبد الرحمن عثمان وجلال الدين يس ومحمد سعد الدين السنانيرى وعلى حسنين الحريرى وصلاح الدين محمد عبد المتعال بالحبس مع الشغل لمدة سنتين .



هيئة المحكمة برياسة سعادة أحمد كامل بك



مصطفى مشهور



محمود الصباغ



إبراهيم محمود - أحمد زكى - أحمد حجازى - أحمد عادل



أحمد عادل كمال



طاهر عماد الدين



جمال فوزى

اسعد السيد

محمد أحمد على

أبراهيم محمود على

سيد فايز مع صالح عشماوى

ثالثا : معاقبة محمد إبراهيم سويلم بالحبس مع الشغل لمدة سنة واحدة .

رابعا : مصادرة السيارة المضبوطة وجميع الأسلحة والذخائر والمفرقعات المضبوطة .

خامسا : براءة المتهمين جميعا من التهمة الرابعة الخاصة بحيازة أجهزة وأدوات لمحطة إذاعة لاسلكية .

سادسا : براءة كل من محمد فرغلى النخيلي ومحمد حسنى عبد الباقى واحمد متولى حجازى وإبراهيم محمود على والدكتور أحمد الملط وجمال الدين فوزى والسيد إسماعيل شلبى وأسعد السيد احمد ومحمد بكر سليمان ومحمد الطاهرى حجازى وعبد العزيز البقلى وكمال القزاز ومحمد محمد فرغلى وسليمان مصطفى عيسى .

ونصت المحكمة فى حيثياتها على الآتى : وحيث إنه من هذا يتبين للمحكمة أن أفراد هذه الفئة الإرهابية لم يحترفوا الجريمة وإنما انحرفوا عن الطريق السوى فحق على هذه المحكمة أن تلقنهم درسا حتى تستقيم أمورهم ويعتدل ميزانهم .. على أن المحكمة تراعى فى هذا الدرس جانب الرفق فتأخذهم بالرأفة تطبيقا للمادة ١٧ عقوبات نظرا لأنهم كانوا من ذوى الأغراض السامية التى ترمى أول ماترمى إلى تحقيق الأهداف الوطنية لهذا الشعب المغلوب على أمره !

حل الإخوان

فى ٨ / ١٢ / ١٩٤٨ أصدرت حكومة النقراشى أمرا عسكريا بحل هيئة « الإخوان المسلمين » وصادرت حرياتهم وأموالهم وفتحت لهم السجون والمعتقلات . وبالرغم من أن الدولة قد أعدت لهذا الأمر سرا إلا أن الأستاذ البنا كان يعلم بذلك العزم قبلها بأيام ، وفى صباح ذلك اليوم كان يعلم أن القرار الخطير سيذاع ليلتها وتأكد له ذلك حوالى الساعة الثالثة ظهرا . كانت هناك مقدمات .. فقد حلت الحكومة شعبة الإسماعيلية وشعبة بورسعيد ثم انتظرت .. وبعد أيام أوقفت جريدة الإخوان المسلمين . وراحت الصحف المأجورة والعميلة مثل جريدة الأساس لسان الحزب السعدى تمهد للحل بنشر هجوم على الإخوان . وكانت عملية القبض على الإخوان تسير فى طريقها .

واجتمع سفراء دول الاستعمار فى فايد وعلم الإخوان أن هؤلاء السفراء قد طلبوا حل الإخوان من حكومة النقراشى . فقد بدأ الجميع .. الأحزاب والحكومة والسراى والإنجليز بدءوا يشعرون بالقلق بعدما ظهر من ضروب البسالة التى ظهرت من الإخوان فى فلسطين وتصوروا أن جيش الإخوان سوف يعود من فلسطين ليقوم بانقلاب فى مصر . وبعد يومين من اجتماع السفراء ذكر صديق للأستاذ البنا أن قرار الحل فى مكتب وكيل الداخلية عبد الرحمن بك عمار وأنه سيذاع الليلة. وامتلأت شوارع الحلمية الجديدة – حيث دار المركز العام للإخوان – امتلأت بمخبرى البوليس السياسى .

وطلب الأستاذ البنا تليفونيا إبراهيم عبد الهادى فى مكتبه وكان مازال رئيسا للديوان الملكى ، ولكن هذا طلب منه فى عجرفة أن يقابل عبد الرحمن عمار أولا . وذهب الأستاذ إلى عمار ثم عاد إلى المركز العام ولم يحاول مقابلة إبراهيم عبد الهادى . وكان مع حسن البنا حين ذهب إلى عمار فى وزارة الداخلية عبده قاسم وسعد الدين الوليلى ، ولكنه قابله منفردا ودارت بينهما مناقشة حادة . قال عمار إن الإخوان قد صاروا خطرا على الأمن وعلى الدولة وأن فى البلد أجانب وقد هدد الإنجليز بالعودة إلى احتلال القاهرة . وكان أول ماقاله الأستاذ حسن البنا حين عاد إلى المركز العام بصوت مرتفع « خلاص حلونا ! » وكررها . وذكر الأستاذ البنا أن عمارا قال له : لقد علمنا أننا إذا نفذنا قرار الحل فإنكم ستنقلبون إلى جمعية سرية . فقال الأستاذ : هذا طبيعى ، ستضيقون علينا وتحرمون علينا الاجتماع وتسلبوننا حريتنا ، فلقد اعتاد الإخوان أن يجتمعوا ويلتقوا ويتزاوروا لأنهم إخوة ، وهذا عندهم جزء من العقيدة التى يقدسونها ويتقربون بها إلى الله ، فإذا حلتم بينهم وبين أداء هذه الشعيرة فلا بد أنهم يجتهدون فى الحصول على ذلك وتحقيقه بصفة سرية .

وبعد الساعة العاشرة مساء أذاع راديو القاهرة قرار حل الإخوان فى حين كان رجال البوليس يحتلون المركز العام ويعتقلون من فيه ، وقد تعالت هتافات الإخوان . كان هذا الحل فى وقته حدثا تاريخيا خطيرا لامثيل له . وكان صدروه بناء على مذكرة تفسيرية وضعها عبد الرحمن عمار . وقد كتب الأستاذ البنا ردا مطولا فند فيه ما جاء بها وحالت الرقابة دون نشرها فطبعها الإخوان على شكل

منشور وزعوه على السفارات والقنصليات والهيئات ودور الصحف الحرة .
والمذكرة تبدأ بمقدمة يتلوها الفصل الأول فى نماذج من المظالم الواقعة على الإخوان ، ثم الفصل الثانى فى تفنيد اتهام الحكومة للإخوان والتدليل على بطلانه ، وكان الفصل الثالث فى بيان السبب الحقيقى وراء ذلك القرار ، والفصل الرابع فى بيان ماقدم الإخوان لوادى النيل والوطن العربى والإسلامى ، ثم الفصل الخامس فى بيان خطوات التفاهم قبل الحل وبعده والفصل السادس فى معنى موقف الحكومة ونتائجه ثم ختمها بخاتمة .

ونشرت مجلة آخر ساعة المتعاطفة مع الحكومة فى ذلك الوقت فى عددها الصادر فى ١٥ ديسمبر ١٩٤٨ تقول « لقد تخلصت (الحكومة) من جماعة يمكن اعتبارها أقوى خصومها . وهذه الجماعة لم تكن مجرد حزب بل كانت تشبه بالأحرى دولة كاملة بأسلحتها ومستشفياتها ومدارسها ومصانعها وشركاتها » .

وارتج العالم الإسلامى لهذا القرار وانهالت الاحتجاجات من كل مكان وشعرت الهيئات الإسلامية فى كل مكان بالفراغ الذى أحدثه حل الإخوان من خائن أحمق مثل النقراشى ، فقد بدأت محنة الإخوان وشغل الإخوان بقضيتهم عن قضايا الوطن الإسلامى .. عن قضية مصر وعن قضية فلسطين وعن سواهما من قضايا المصير .. وكان ذلك فى حد ذاته هو الهدف المستهدف من حل الجماعة .

حديث مع الأستاذ

والتقى مندوب جريدة المصرى بالأستاذ حسن البنا وأجرى معه حديثا لم تستطع الجريدة نشره فى حينها فاحتفظت به حتى نشرته فى أكتوبر ١٩٤٩ بعد زوال العهد السعدى . قال المراسل : كان لما حدث للإخوان المسلمين أخيرا صداه فى مختلف الدوائر السياسية التى كانت ترقب باهتمام حركات الجماعة وآثارها فى مختلف الشئون الإسلامية والعالمية . لذلك رأينا أن نستوضح فضيلتكم فى الأسباب التى دفعت بالمسئولين فى مصر إلى اتخاذ تلك الإجراءات .

فأجاب « لايمكن بالتحديد أن أحصر الأسباب التى دعت الذين أصدروا هذا القرار إلى إصداره ، ولكن يقال إن من هذه الأسباب .. التحول الذى طرأ – أو فى النية أن يطرأ – على اتجاهات السياسة البريطانية فى الشرق .

ومن المعلوم أن بريطانيا تعتبر الإخوان المسلمين قوة وطنية متطرفة ، وتعزو إلى دعايتهم تعطيل مشروعات الاتفاق بينها وبين مصر . كما يقال إن من هذه الأسباب العوامل الحزبية التى تصاحب قرب موعد الانتخابات النيابية .. إذ إنه من المعروف أن الحزب السعدى يريد أن يظفر بأغلبية برلمانية تمكنه من الاستمرار فى الحكم ، ومن المعروف أن الإخوان المسلمين قوة شعبية ينتظر منها الصمود فى هذا الموقف .. فمن « التكتيك الحزبى » أن يشوه موقفهم بمثل هذا العمل قبل حلول موعد الانتخابات الذى سيكون فى أكتوبر ١٩٤٩ ما لم تطرأ عوامل أخرى على الموقف .

ويقال كذلك إن رغبة الحكومات العربية فى إنهاء قضية فلسطين – ولو على غير ماتريد الشعوب – كان من العوامل التى أوحت إلى الحكومة المصرية بهذا الموقف .

ويقال أيضا إن هناك من الضغوط الأجنبية ما لم تستطع معه الحكومة المصرية إلا أن تتخذ هذا الإجراء .

وعلى كل حال فهو موقف يؤسف له ، وقد أدى إلى عكس المقصود منه ، وما لم يعدل فى وقت قريب فإن الأمور فى الداخل والخارج لايمكن أن تستقر على هذا الأساس من الضغط والظلم والتحدى والإرهاق » .

نحن ومن حولنا

لم نكن وحدنا الذين صلينا آلام تلك المحنة بل تجاوزتنا إلى أسرنا وأهلينا . كثير منا اعتقل إخوتهم لأنهم إخوتهم ، أنيس أنس اعتقل لأنه شقيق شفيق أنس ، محمد نبيل كمال-رحمه الله-اعتقل ؛ لأنه شقيق أحمد عادل كمال ، محمد على زهدى اعتقل ؛ لأنه شقيق محمود فؤاد زهدى ... وهكذا ... إلى معتقل هايكستيب ثم إلى معتقل الطور . ومن لم يعتقل من الإخوة والآباء لم ينقطع طرق أبوابهم من البوليس السياسى .

وقام الإخوان بتنظيم رعاية أسر المسجونين والمعتقلين بالنفقة المناسبة قدر الإمكان ، وكانت المبالغ تأتى من جيوب الإخوان القادرين فى مصر وفى الخارج ، وتمت دراسة أحوال الأسر واحتياجاتها . كما نظم الإخوان أمور الدفاع فى القضايا والمحامين عن إخوانهم.

وطلبنا ونحن بالسجن نسخة من ملف القضية وقد بلغت صفحاته أكثر من أربعة آلاف فقرأناه ودرسناه وكتبنا ملاحظاتنا لمحامينا الذين يتولون الدفاع عنا ونحن فى سجن مصر العمومى . واتخذ الإخوان مكتبا لتنسيق الدفاع ودراسة القضايا انقطع للعمل فيه إبراهيم الطيب-رحمه الله-، فكان يجهز لكل محام دفاعا أوليا ويستخرج له من أوراق التحقيقات الكثيرة جدا ما يتعلق بالمتهم الذى يدافع عنه .

ومع ذلك فقد كان من الطّبَعِىّ أن تكد الأسر وراء أبنائها فى سجونهم ، وصار لا يخلو يوم من الزيارات ، وتعارف أهلونا من كثرة اللقاء ، فى النيابة ، وفى السجن ، وفى المحكمة ، وبمكاتب المحامين . وتوجه والدى فى يوم مطير إلى أحد المحامين الذين تولوا الدفاع عنى فزلت قدمه فسقط من المترو وهو منطلق ، وتعلق معطفه به فسحبه معه مسافة كانت كافية – مع كبر سنه – لكسر عظم الحوض وبعض عظامه ، كما أصابته بارتجاج فى المخ .

وانقطع عن حضور جلسات المحاكمة إلى نهايتها ، ويوم أفرج عنى كان ما زال طريح الفراش . وكثير فقدوا آباءهم أو أمهاتهم أو الأقربين إليهم فى غيبتهم .

وحين فتشوا منزلى عثروا على خطاب وصلنى من صديقى محمد الغندور (زميل لى بالبنك الأهلى المصرى) وكان قد نقل إلى فرع المنصورة – صار بعد ذلك نائبا لمحافظ البنك المركزى المصرى – وقد ذكر بالخطاب عنوانه لأكتب إليه ، ولم يكن من الإخوان ، ودون أن يسألونى عنه ذهبوا إلى عنوانه فى بلقاس واعتقلوه وفتشوا بيته فعثروا على صورة له مع أربعة من أصدقائه ، فاعتقلوهم وأرسل الجميع إلى طور سيناء ، وبعضهم استقبل ذلك بصدر رحب رغم عدم علاقته بالإخوان .



حمد الله على السلامة

البوليس السياسي مرة أخرى

صدر الحكم في قضية السيارة الجيب يوم (١٧ مارس ١٩٥١) وأفرج عني في ذات اليوم مع بعض الإخوان الذين كانوا قد استوفوا مدة الحكم مثلي . وجاء صبري أبو المجد وكان صحفيا ناشئا في دا رالهلال فسجل لمجلة المصور تحقيقا مصورا لرجوعنا إلى بيوتنا .

ومضت الأيام حتى آخر مارس قبل أن أشعر أن هناك من يتعقبني . وأجريت اختبارات أكدت لي ذلك ، كنت أسير وأعود إلى حيث كنت فأجد خلفي ذات الشخصين اللذين بدءا معي من أول الرحلة كانا مخبرين من البوليس السياسي وكانا دائما يغيران مواقعهما خلفي فيسير أحدهما ورائي بمسافة تقصر أو تزيد ويسير الثاني خلفه بمسافة أخرى ثم يتبادلان الموقع وأحيانا ينتقل أحدهما إلى الرصيف الآخر . فإذا ذهبت إلى أي مكان كانا ورائي وإذا دخلت أي مبنى انتظراني أمامه واذا سرت سارا وإذا ركبت ركبا وإذا نزلت نزلا . وبطبيعة الحال كان كل ذلك يرصد ويدون في تقارير تستقر بملفي لدى البوليس السياسي ، وقد أزعجني ذلك وسبب لي ضيقا شديدا . ومن جانبي اجتهدت ألا يشعرا باكتشافي لهما ، فكنت أراقبهما في الواجهات الزجاجية للمحال وفي زجاج نظارة الشمس وأقتصد في الالتفات إلى الوراء إلا بصورة طبيعية ، فكانا يرتبكان كلما فعلت ذلك .

وكانت بناية بشارع الملك [شارع مصر والسودان الآن] ذات بابين ، باب على شارع الملك وباب آخر يفتح على شارع خلفي ، وبين البابين ممر يدور حول سلم البناية ولا يظهر من خارجها ، فكنت أخرج من بيتي إلى تلك البناية فأدخل من باب وأخرج من الآخر ، تاركا المخبرين واقفين تجاه الباب الأول ، فإذا فرغت من كل نشاطي رجعت إلى الباب الخلفي وخرجت من الباب الأمامي فيسيران خلفي حتى بيتي . وربما وصلت تقارير إلى البوليس السياسي برؤيتي في جهات أخرى في الوقت الذي كان المخبران يقفان أمام العمارة بشارع الملك ، أو لعلهم تحروا عن سكان العمارة فلم يجدوا لي علاقة بأي منهم ، فقد اكتشف أمر الباب الثاني وبطل مفعول الحيلة بعد فترة .

وتخيرت يوما شديد الحرارة ومشيت على قدمىّ مباشرة ودون أى توقف من بيتى فى حدائق القبة إلى أهرام الجيزة ، مسافة لعلها تبلغ عشرين كيلو مترا وارتقيت هضبة الأهرام ودرت حولها ، ودون أن أستريح رجعت عودا على بدء نحو بيتى والمخبران ورائى فى أسوأ حالة . وفى اليوم التالى اختفيا ، ولبضعة أيام جاء غيرهما ثم عاد الأولان مرة أخرى ، فعرفت أن الغرض من ذلك التعقب لم يكن مجرد معرفة أين أذهب وماذا أفعل وإنما كان أبعد من ذلك ، كان الغرض شل حركتى ومنعى من أى نشاط .

إذ ذاك اعتزمت أمرا ، فذهبت إلى الأخ ابراهيم الطيب المحامى رحمه الله وفاتحته فيه فلم يوافق عليه ، قلت : إنى سوف أنفذ ما انتويت .. سوف أضربهما ضربا يمنعهما من معاودة تعقبى . قال هذا مخالف للقانون ولكن علىّ أن أشهد عليهما شهودا ثم أحرر بلاغا فى قسم الشرطة لإثبات الواقعة ثم أرفع قضية باعتبار أنه ليس علىّ حكم بالمراقبة ... وظل يذكر لى إجراءات لم تقنعنى قلت : لا ، إنما أخبرك لتستعد لقضية ضرب . ودبرت أمرى .

خرجت من بيتى فى الصباح وسرت نحو بعض الشوارع التى يخف فيها مرور الناس ، وكان هناك كمين من بعض الإخوان يقودهم عبد العزيز على من مدربى النظام الخاص فى المصارعة اليابانية وفى غيرها . ومشيت فى طريقى لا ألوى على شىء ، وأطبق الإخوان فجأة على المخبرين من كل جانب وأوقعوهما على الأرض وأوسعوهما ضربا فصارا يصرخان بأنهما لن يعودا مرة أخرى إلى هذه « المهمة التى مثل الزفت » .

كان الذين نفذوا العملية من غير إخوان المنطقة حتى لا يتعرف عليهم أحد فى حراسة إخوان من المنطقة . وخرج الناس من بيوتهم يسألون عن الخبر فأجابهم أحد الإخوان عن المخبرين أنهما من اليهود جاءا يتجسسان على المنطقة وبكل ثقة ودون أى تحقق راح الناس يضربونهما .

وكان هناك إخوان آخرون تعقبوا المخبرين بعد ضربهما فوجدوهما اتصلا تليفونيا بالصاغ محمد الجزار ضابط البوليس السياسى وأخبراه بما جرى لهما فجاء إليهما وعاين معهما المكان الذى ضربا به ثم ذهبا بتعليمات منه إلى قسم بوليس

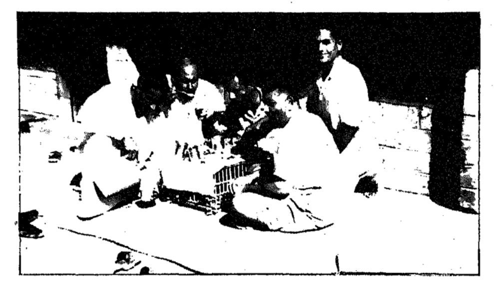
الوايلى ، وإذ كانا لا يعرفان أحدا ممن ضربهما فقد حررا بلاغا ضدى وضد أخى نبيل رحمه الله بأننا اعتدينا عليهما بالضرب أثناء تأدية وظيفتهما فى مهمة خاصة بالمنطقة ، ثم انصرفا مثخنين بما أصابهما إلى بيتيهما أحدهما فى بولاق والثانى فى الزيتون .

وصارت قضية جنحة . وكنا حصلنا على شهادة من شركة الأسمدة بالمصنع وقت الحادث ، ولم يحضر المخبران المحاكمة وترافع عنا إبراهيم الطيب رحمه الله واقتنعت المحكمة بكذب المخبرين فحكمت ببراءتنا ، كما حكمت عليهما بغرامة مالية .

بعد ذلك انقطعت تلك المراقبة وازداد اعتبارى خطرا عند البوليس السياسى . وكانت هناك مراقبات أخرى من هذا النوع لإخوان آخرين من إخوان القضية فخاطب الأستاذ أحمد حسنين مراقبيه مباشرة أن يكفوا خيرا لهم وأصابهم الخوف فاختفت جميع تلك المراقبات عن جميع إخوان القضية .

∴

استطاع الأخ أحمد محمود يوسف الحصول على كاميرا فى معتقل هايكستيب ١٩٤٩، وقد انتقينا من ألبومه هذه المجموعة من الصور .



عمر التلمسانى مع بعض أخوانه فى معتقل هاكستيب



عمر التلمسانى فى معتقل هاكستيب



يوسف طلعت وصالح عشماوى
يوم الحمام فى هاكستيب



يوسف طلعت



صالح عشماوى

الفصل العاشر

اغتيال النقراشي

الأسباب

كان سقوط السيارة الجيب فى ١٥ / ١١ / ١٩٤٨ . وتراءى للنقراشى بها أنه قد استمكن من الإخوان . كان النقراشى رئيسا للوزارة وحاكما عسكريا عاما ورئيسا للحزب السعدى أكثر الأحزاب المصرية هزالا وضعفا حينذاك ، كما كان فى نفس الوقت وزيرا للداخلية ووزيرا للمالية فى وزارته . وفى ٨ / ١٢ / ١٩٤٨ أصدر النقراشى أمره العسكرى بحل جماعة الإخوان المسلمين ولم تنقض ثلاثة أسابيع حتى سقط النقراشى قتيلا فى عرينه بوزارة الداخلية برصاص الإخوان . وكان لذلك الاغتيال أسباب ثلاثة هى كما أفصح عنها عبد المجيد أحمد حسن الذى اغتاله ، تهاونه فى شأن قضية وحدة مصر والسودان ، وخيانته لقضية فلسطين واعتداؤه على الإسلام بحل الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية فى عصرها .

الحادث

منذ وقع النقراشى قرار حل الجماعة وهو يدرك أنه ارتكب حماقة وتهورا يعرضه لما أصابه ، فأعد لنفسه حراسة مشددة وبروجا مشيدة . وكان يذهب أياما إلى رئاسة مجلس الوزراء وأحيانا إلى وزارة الداخلية وأحيانا أخرى إلى وزارة المالية . وقد استدعى الأمر قيام الإخوان بعملية رصد متوال لمعرفة جدوله فى توزيع أيامه على وزاراته . كذلك كان يغير طريقه من منزله بمصر الجديدة إلى أى من تلك الوزارات بوسط المدينة . ولذلك استبعدت فكرة اصطياده فى الطريق .

وفى صباح يوم الثلاثاء ٢٨ / ١٢ / ١٩٤٨ ذهبت قوة الحراسة المكونة من الصاغ عبد الحميد خيرت والضابط حباطى على حباطى والكونستابل أحمد عبدالله شكرى إلى منزل النقراشى لاصطحابه ، وانتظروا الباشا حتى نزل إليهم قبل العاشرة صباحا بعشرين دقيقة ، وركب الأول معه فى سيارته بينما استقل الآخران سيارة أخرى تتبع السيارة الأولى ، ووصل الركب وزارة الداخلية نحو الساعة العاشرة . ونزل الباشا من سيارته أمام الباب الداخلى لسراى الوزارة واتجه إلى المصعد مجتازا بهو السراى وإلى يساره الصاغ عبد الحميد خيرت وخلفه الحارسان الآخران ، هذا بالإضافة إلى حراسة أخرى تنتظر بالبهو مكونة من كونستابل وصول وأونباشى بوليس .

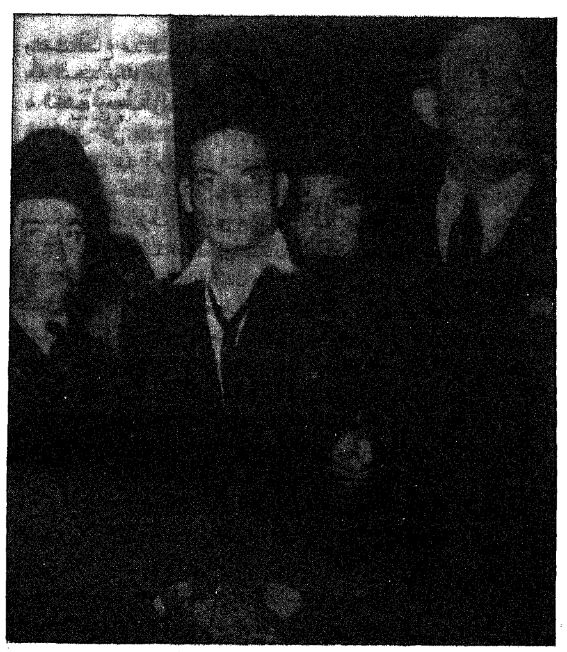
وكان هناك أمام وزارة الداخلية « مقهى الأعلام » تم اختياره مسبقا ليجلس به عبد المجيد أحمد حسن - ٢١ سنة - وقد تسمى باسم حسنى فى انتظار مكالمة تليفونية لتلقى إشارة بأن الموكب قد غادر بيت الرئيس فى طريقه إلى الوزارة . وتمت تلك التجربة مرات قبلها . وفى يوم الحادث تلقى « الضابط حسنى » إشارة تليفونية بأن الموكب قد تحرك ، فغادر المقهى إلى البهو الداخلى لوزارة الداخلية ، وهناك كانوا يخلون البهو من الغرباء فى انتظار وصول الرئيس ولكن عبد المجيد وقد تزيا بزى ضابط بوليس لم يطلب إليه أحد الانصراف فهو من « أهل البيت » إذا . وحين غادر عبد المجيد مقهى الأعلام كانت هناك عيون على مقهى آخر ترقبه .. شفيق أنس فى زى كونستابل ومحمود كامل السيد فى زى سائق سيارة بوليس ، فتبعاه إلى داخل الوزارة .

اجتاز عبد المجيد الباب الخارجى ثم الداخلى وانتظر فى البهو ، وجاء النقراشى بين حرسه متجها نحو المصعد حتى إذا صار على وشك ولوجه فاجأه عبد المجيد بإطلاق ثلاث رصاصات من مسدس بارتا إيطالى الصنع كان معه ، وقد تم ذلك بسرعة خاطفة وأصابت الرصاصات الهدف فسقط النقراشى على الأرض جسدا له شخير وخوار . كانت الساعة العاشرة وخمس دقائق صباحا . وأخذ رجال الحرس بما حدث فلم يستطع أحد منهم عمل شىء قبل إطلاق المقذوفات الثلاثة .

والتفت الصاغ عبد الحميد خيرت إلى الخلف فاصطدم –بالمصادفة على مايدو – بعبد المجيد فوقعا على الأرض وهجم الحراس على عبد المجيد وفى تماسكهم به انطلقت رصاصة رابعة ومات النقراشى بعد قليل . وقد ذكر بعض الشهود أنه بعد القبض على عبد المجيد وأثناء الذهاب به إلى غرفة وكيل الأمن العام بالبهو انطلق نحوهم عيار آخر أصاب الحائط ، مما أوحى بوجود شركاء آخرين ، ولكننا نستبعد ذلك ، فتلك شهادة لم تذكر أمام النيابة فى التحقيق وإنما ذكرت أمام المحكمة بعد أن عرف أن شفيق ومحمود كامل كانا هناك . وهى رواية ابتدعها البوليس للتأثير على عبد المجيد بإيهامه بأن الإخوان أرادوا قتله بعد الحادث . كما ظن البعض من هذه الحكاية انه كان هناك تدبير لتهريب عبد المجيد . ولكن الذى نعلمه أنه لم يكن هناك أى تخطيط للفرار بعبد المجيد وإنما كان الهدف من وجود شفيق ومحمود هو اغتيال إبراهيم عبد الهادى وعبد الرحمن عمار حين يحضران على أثر مصرع النقراشى . غير أنه صدرت الأوامر بإغلاق كل الأبواب وتفتيش المكان ، فبادر محمود بالانصراف متخطيا سور الوزارة كما خرج شفيق من الباب وكان عليه حرس من عساكر البوليس فقال له أحدهم إن الأوامر تمنع خروج أى إنسان فأجابه على الفور « نعم .. لاتسمح لأى إنسان كان بالخروج » وخرج !

وأبلغ صابر طنطاوى بك مدير الأمن العام الحادث تليفونيا إلى النائب العام محمود منصور باشا فانتقل إلى مكان الحادث وباشر التحقيق .

وقد جاء بتقرير الطبيب الشرعى أن جثمان المجنى عليه به ثلاث إصابات نشأت عن مقذوفات نارية ، الأول أصاب الجهة اليسرى من الظهر مقابل المسافة الضلعية التاسعة وقد نفذ العيار للتجويف الصدرى ثم لتجويف البطن فى اتجاه من الخلف واليسار للأمام واليمين بميل قليل لأسفل ، وقد وجد المقذوف مستقرا بجدار البطن الأمامى واستخرجه الطبيب من تحت الجلد . أما الثانى فقد أصاب أعلى خلف القطن الأيسر أسفل الضلع الأخير نشأ عنه جرح نافذ حيوى إلى تجويف البطن من الخلف واليسار للأمام واليمين ، وقد استقر المقذوف أيضا بجدار البطن الأمامى واستخرجه الطبيب الشرعى . وقد أصاب الثالث مقدم الكتف اليسرى وطية الإبط



عبد المجيد أحمد حسن بعد القبض عليه

وامتد على جدار الصدر الأمامى وانتهى بجرح هو فتحة الخروج . واستنتج الطبيب الشرعى أن « الجانى » كان خلف « المجنى عليه » وإلى يساره وعلى مسافة تزيد على النصف متر وكان مصوبا سلاحه بميل قليل إلى أسفل وأن الوفاة قد نشأت عن عيارى الظهر وماأحدثاه من إصابات بالرئة اليسرى والكبد والأوعية الدموية والأمعاء ، وما ترتب على ذلك من نزف دموى وصدمة عصبية ، أما عيار الكتف اليسرى فلا دخل له فى الوفاة .

راجعت تلك الذكريات بعد زمنها بأربعين عاما مع شاهد العيان شفيق إبراهيم أنس – صاحب التأبيدتين [1] . قال : إن فريق الاغتيال تكون فى بادىء الأمر من عبد المجيد أحمد حسن وشفيق إبراهيم أنس وجلال الدين يس ولكن شفيقا لم يطمئن إلى أعصاب جلال وأفضى بذلك إلى رئاسته فتم اختيار محمود كامل السيد بدلا منه . وبدأ عبد المجيد فى هذه العملية برتبة ملازم ثان ، ثم رئى من الأنسب أن يكون ملازما أول .

كما ذكر أن موكب النقراشى باشا كان يجىء من بيته بمصر الجديدة مارا بشارع الملكة نازلى [رمسيس] إلى وسط المدينة ، وكان بيت سعد شهبندر بشارع الملكة نازلى بالعباسية ، فكان هو المكلف بترقب الموكب من شرفة بيته حتى إذا مر من أمامه يطلب رقما معينا للتليفون [هو تليفون قهوة الأعلام أمام وزارة الداخلية] ثم يطلب الضابط حسنى ، وكان عبد المجيد يذكر لصاحب المقهى إنه ينتظر مكالمة تليفونية وأن اسمه حسنى ، فإذا أجاب عبد المجيد يقول له سعد:« لقد مر الآن » . لم يكن سعد ولا عبد المجيد يعرف أحدهما من يخاطب . وأجريت ثلاث تجارب أثبتت أن الموكب يصل بعد ١٤ دقيقة من المكالمة .

كان عبد المجيد يتجه بعد المكالمة إلى بهو وزارة الداخلية من الباب الرئيسى ، وبعد دقيقة يتبعه شفيق من ذات الباب ، وبعد دقيقة أخرى محمود كامل ليدخل من باب جانبى ثم يسلك إلى البهو من باب صغير يوصل إليه . وترصدت المجموعة صيدها ثلاثة أيام . كانت التعليمات ان ينتظروا ثلاث دقائق فإذا لم يصل النقراشى فعليهم بالانصراف حتى لا يثير بقاؤهم انتباه الحراس . وفى اليوم الأول انتظروا خمس دقائق بدافع الحماس والحرص على التنفيذ ، ثم انصرفوا ، وعلموا بعد ذلك من

---

(١) حكم على شفيق فى قضية محاولة حرق محكمة الاستئناف بالأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم حكم عليه مرة أخرى فى قضية اغتيال النقراشى بالأشغال الشاقة المؤبدة أيضا . وكان رئيس المحكمة التى حكمت عليه المستشار محمد مختار عبدالله فى القضيتين !!

الصحف أنه ذهب الى جامعة الدول العربية بدلا من وزارة الداخلية . وفى اليوم التالى كان مقررا أن يذهب إلى وزارة المالية – حيث كان وزيرا للمالية أيضا – ولكنه خالف وذهب إلى وزارة الداخلية ربما لعدم ذهابه فى اليوم السابق ، ولم يكونوا فى انتظاره . وفى اليوم الثالث جاء الباشا بعد دخول عبد المجيد وشفيق إلى البهو مباشرة وكان ذلك مفاجأة لهما ، ودخل محمود كامل من الباب الجانبى ولكن الأحداث جرت أسرع منه حيث أطلق عبد المجيد النار على النقراشى دون انتظار محمود فأغلقت جميع الأبواب فورا واحتجز محمود بالخارج .

كما ذكر شفيق أنه فى مناقشة العملية دارت مناقشة حول ما إذا كان عبد المجيد يطلق النار على النقراشى فى مواجهته أو من خلفه وذلك لأفضلية ألا يقال بعد ذلك أنه ضربه من الخلف ، ولكن الحرس كان يحيط به إحاطة السوار بالمعصم فصار متعذرا على عبد المجيد أن يضربه مواجهة ، حتى إذا مر من أمامه تقدم فأزاح أحد الحراس من خلفه وأطلق النار بسرعة فسقط النقراشى على الأرض وله شخير وحشرجة مسموعة رغم الضجة ، وتكالب الحراس على عبد المجيد فوقعوا به أرضا ، وأقفلت الأبواب على الفور ، ولما كان الذى أطلق الرصاص فى زى ضابط شرطة فقد بدأ ضابط بالملابس الملكية يطلب من جميع من بالبهو – وكانوا نحوا من سبعة أشخاص خلاف ثمانية من الحراس – طلب إبراز بطاقاتهم الشخصية – وبادر شفيق إلى الباب الرئيسى وكان قد أغلق وحارسه يقف بالخارج فطرق شفيق الباب وطلب الحارس منه بطاقته فنهره شفيق وقال له: « إحنا فى إيه والا فى إيه ! » وخضع الرجل – ولم ينس شفيق وهو يجتاز الباب أن يؤكد الأوامر على حارسه ألا يسمح لأحد بالخروج .

يقول شفيق : إن الأمور بالخارج كانت عادية تماما ولم يدر أحد خارج باب البهو بما حدث وراءه ، فذهب إلى إدارة تحقيق الشخصية ومر خلالها خارجا إلى شارع سكة حديد حلوان فاستقل تاكسى وابتعد به . كما أكد أنه لم يكن هناك أى تخطيط للخروج فقد كانت عملية ذهاب بلا عودة .



شفيق انس

الرأى العام فى انجلترا وفى مصر

وعلقت جريدة « المانشستر جارديان » البريطانية على الحادث فقالت :

« إن مقتل النقراشى باشا رئيس الوزراء المصرى لهو عمل سوء . وقد حدث بعد سلسلة من الاعتداءات كانت أيدى جماعة الإخوان المسلمين واضحة فيها ، فمنذ ثلاثة أسابيع قتل حكمدار بوليس القاهرة فى أحد الشوارع . (تقصد سليم زكى) وفى ٢١ نوفمبر دمرت الدار التى تحوى مكاتب اكبر جريدتين فرنسية وإنجليزية فى مصر (تقصد شركة الإعلانات المصرية) وفى الشهر نفسه وقع حادث الاعتداء الرابع فى مدى عامين على النحاس باشا (كان من تدبير السراى ولاشأن للإخوان به) . وفى أول العام قتل أحد القضاة ممن حكموا على أفراد تلك الجماعة (تقصد الخازندار) ..

« ولقد لقى النقراشى باشا حتفه عقب قراره الذى تأخر كثيرا بحل جماعة الإخوان على أساس أن وجودها يهدد الأمن والنظام .. وكان ذلك هو جواب الإخوان عليه » .

وقالت الديلى تلجراف :

« وهذه الجريمة لن تحقق غرضا وستقابل بالسخط والاستنكار فى جميع أنحاء العالم ، وقد محت من سجل الوجود رجلا برهن خلال حياته السياسية الطويلة على أنه أقوى رجل سياسى فى مصر ! » .

ذلك كان رأى صحافة الإنجليز فى الباشا النقراشى وفى حادث مصرعه .. أما فى مصر فقد عمت الفرحة الناس بقتل النقراشى ورقص بعضهم فاعتقل . وتقلد مقاليد السلطة من بعده إبراهيم عبد الهادى باشا . وإذا كان النقراشى قد بدأ فتح المعتقلات فقد كان على إبراهيم عبد الهادى أن يملأها ، وإذا كان النقراشى قد بدأ سياسة البطش والتنكيل فقد فاقه إبراهيم عبد الهادى فى ذلك . كما كان تكليف عبد الهادى بتأليف الوزارة من بعد النقراشى يعنى – على الأقل – موافقة الملك على تلك السياسة .

عود إلى القضية

وفى ٢٢ / ٣ / ١٩٤٩ توصل التحقيق إلى من وصفه رئيس المحكمة بأنه « مهندس الجريمة » وهو ضابط البوليس أحمد فؤاد عبد الوهاب وكان قد نقل أثناء التحقيق إلى مدينة بنها ، وذهب البوليس بصحبة النيابة للقبض عليه وتفتيش منزله ، وتذكر التحقيقات أنه تمكن من التغرير بأحد زملائه الضباط وركب سيارة البوليس وانطلق هاربا وتبعته قوات البوليس لمطاردته فى حقل على مقربة من الطريق الزراعى إلى القاهرة ، وحاول أحمد فؤاد الهرب عندما شاهد رجال البوليس يقتربون من مكانه فى الحقل وعبر بملابسه إحدى الترع فأطلق عليه البوليس النار فاستشهد على الأثر .

كذلك تناول عبد المجيد بأقواله فى ٢٢ مارس ١٩٤٩ محمد مالك ، فانتظره البوليس الملكى فى مسكن اثنين من أقربائه ، وحضر مالك إلى المسكن فظنه رجل البوليس زميلا له – كذلك كان مستوى الذكاء – وسأله عن اسمه فتسمى مالك باسم عبد المنعم إبراهيم ، وأخبره رجل البوليس بأنه مكلف بأن يحضر إلى قسم البوليس أى شخص يجيء إلى المسكن ، فغافله مالك وعاجله بضربة بكرسى على رأسه وبادر بالفرار ، ولم يتمكن رجل البوليس المضروب على رأسه من اللحاق به .

وظل محمد مالك مختفيا رغم المجهودات المكثفة التى بذلها البوليس للقبض عليه والإعلانات المتكررة التى ملأت الصحف والجدران وكل مكان تحمل صورته ووعدا بمكافأة قدرها ألف جنيه لمن يرشد عنه . وأرشد كثيرون عن أشخاص تبين أن ليس منهم محمد مالك ، ولكن تشابه فى الصورة ، حتى قبض عليه بالاسكندرية فى ١٤ مايو ١٩٤٩ ، ونشأت عن ذلك قضية أخرى عرفت باسم قضية « إخفاء مالك » . اتهم فيها محمود يونس الشربينى محام تحت التمرين وملازم أول طبيب جراح السيد بهجت الجيار والسيد محمد شامة وسعد محمد جبر وأحمد البساطى وآخرون . وقبض على مالك بعد تبادل إطلاق النار ولم تكن جدوى من المقاومة فقد كان البيت محاصرا ونفدت ذخيرته .

تولى تحقيق قضية اغتيال النقراشى النائب العام محمود منصور باشا بنفسه ، وهو الذى كان رئيسا للمحكمة العسكرية التى حاكمت محمود عيسوى رحمه الله الذى قتل أحمد ماهر فى فبراير ١٩٤٥ وحكمت عليه بالإعدام . ومحمود منصور هذا هو الذى أراد ضم قضية السيارة الجيب وقضية مقتل النقراشى فى قضية واحدة .

ولقد حقق معى هذا الرجل عدة مرات فكان يعتمد اعتمادا أساسيا على جهاز البوليس السياسى بضغطه على المتهمين واصطناع الشهود وشرائهم ، وإلى جوار ذلك كان رأى الذين حقق معهم انه غبى شديد الغباء وجبان أيضا . ولقد أفدنا نحن المتهمين الذين حقق معهم كثيرا من ذلك وكان ذلك دائما مادة للفكاهة والتندر فيما بيننا بالسجن وفى يوم رفض أن يثبت لى أقوالا عن تدخل رجال البوليس السياسى لأدلى بأقوال غير صحيحة بدعوى أنها أقوال خارج الموضوع وأن المحكمة لن تصدقنى ، فلما هددته ارتعب حتى صار يرتعش وتصطك أسنانه وصرت أكبح ضحكى ، حتى إذا تمالك نفسه بعد دقائق راح يعاتبنى ويثبت فى التحقيق ماأردت إثباته ..

ولقد كانت حيثيات الحكم فى قضية اغتيال النقراشى على النقيض من حيثيات الحكم فى قضية السيارة الجيب . فى قضية النقراشى كان رئيس المحكمة محمد مختار عبد الله متحاملا على المتهمين وعلى جماعة الإخوان المسلمين بشكل ظاهر ، فى حين كان رئيس المحكمة فى قضية السيارة الجيب أحمد كامل بك متفهما للدعوة وأهداف الجماعة متجاوبا ومقتنعا بمواقفنا وأكثر من ذلك كان معجبا بنا ، فوصفنا الأول بأننا جماعة إجرامية إرهابية ووصفنا الثانى بأننا شباب وطنى يهدف إلى تحرير بلاده .

القضاء فى مصر

مصر تعتز بقضائها . ولايعنى هذا أن جميع أسرة القضاء بكاملها كانت دائما وفى جميع العصور على المستوى الذى تعتز به مصر . ولسنا نذهب إلى حد اتهام قاض بأنه عميل أو مرتش بغير دليل ، ولكن مهمة القاضى أن يطبق القانون فيما أمامه من أقضية . فإذا كان وجود جيش للإنجليز فى مصر – مثلا – يستند إلى معاهدة وقعها رئيس الحكومة واعتمدها برلمان البلاد فإنه من وجهة نظر القانون هو وضع شرعى ! وهنا يكون للقاضى أن يحكم بمقتضى هذا فيعتبر من اعتدى على جنودهم اعتداء على شىء شرعى ، ولكن هناك نوعا من القضاة يضع فى

اعتباره أنهم جنود احتلال بغيض فيجهد نفسه ليجد لبنى وطنه الذين يحاولون تحريرها مخارج مما وقعوا فيه ، فتكون فى أحكامهم جرأة وشجاعة وهذا هو الذى يعتز به بلده ويخلد اسمه .

ولقد زخر سجل القضاء بأسماء من هذا النوع الثانى مثل أحمد كامل ومحمود عبد اللطيف وزكى شرف وعبد القادر عودة وعبد الغفار محمد رحمهم الله . ولكن كان هناك أيضا بطرس غالى قاضى دنشواى ومحمود منصور ومحمد مختار عبد الله وأحمد الخازندار .. ويكفى هذا قبل أن أقول وجمال سالم وأنور السادات والدجوى .. الخ ممن تطفل على منصة القضاء فتسلقها فى عصور الظلام كما تتسلق الأبراص والسحالى . فى محكمة الشعب – وهى محكمة شاذة – قال رئيس المحكمة وعضو مجلس قيادة الثورة جمال سالم مخاطبا إبراهيم الطيب المحامى والمتهم رحمه الله قبل آن يحكم بإعدامه ، قال : « أنا مش عارف انت ايه اللى عملك محامى ؟ ! » فأجابه : « اللى عملنى محامى دراستى ومؤهلاتى ، لكن انت إيه اللى عملك قاضى ؟ !! »

حين تتدهور الأمور وتصل فى مصر إلى مرحلة اضمحلال يظل فى مصر قضاء ، ولولا هذا ماحدثت مذبحة القضاء المشهورة فى العهد الأسود لجمال عبد الناصر . وقد تستطيع السلطة الباطشة استقطاب هذا أو ذاك . ولكن يكون هناك دائما من يقول كلمة الحق ويرفعها عالية وأجره على الله .

الحكم

وفى يوم الخميس ١٣ / ١٠ / ١٩٤٩ صدر الحكم فى القضية كالآتى :

أولا : معاقبة عبد المجيد أحمد حسن بالإعدام .

ثانيا : معاقبة كل من محمد مالك والدكتور عاطف عطية وشفيق إبراهيم أنس ومحمود كامل السيد بالأشغال الشاقة المؤبدة .

ثالثا : براءة كل من كمال سيد القزاز وعبد العزيز البقلى والشيخ السيد سابق والسيد فايز عبد المطلب ومحمد صلاح الدين عبد المعطى وعبد الحليم محمد أحمد ومحمود حلمى فرغل ومحمد أحمد على وجلال الدين يس ومحمد نايل إبراهيم مما أسند إليهم .

وكان المستشار محمد مختار عبد الله وهو ينطق بالحكم يملؤه الغيظ والتشفى ومما قال : « ومما يؤسف له أن مهندس الجريمة – يقصد الأخ « أحمد فؤاد عبد الوهاب » –رحمه الله – ليس حاضرا ، وأنه فضل رصاصات البوليس على حكم الإعدام الذى كان مؤكدا أن هذه المحكمة ستصدره عليه » ! وكان يتهدد أصحاب البراءة بأن موعده معهم سيكون فى قضية السيارة الجيب ، ذلك أنه كان من المقرر حتى حينذاك أن ينظر قضية الجيب أيضا ، ولكن مختار عبد الله قدّر فَقُتِل كيف قدر ، وقدر الله وما شاء فعل .

وتم تنفيذ حكم الإعدام فى عبد المجيد أحمد حسن رحمه الله يوم ٢٥ أبريل ١٩٥٠ فى عهد وزارة الوفد بعد أن رفض التماس أسرته بالعفو عنه .

استمرار المقاومة

كان حل الإخوان المسلمين فى ٨ / ١٢ / ١٩٤٨ إيذانا بمقاومة عنيفة كانت قد بدأت قبل صدور قرار الحل ذاته وتصاعدت بعده ، فقد اتجهت حكومة النقراشى إلى بيع قضية فلسطين والتراخى فى قضية السودان ، وقامت مظاهرات واضطرابات كان الإخوان هم مثيروها فى محاولة لحمل الحكومة على عدم التفريط فى حقوق الأمة واتجاهها . وحاصرت قوات البوليس كلية الطب ، حيث اجتمع الطلبة المضربون ، وجاء اللواء سليم زكى حكمدار بوليس القاهرة يجلس على سيارة بوليسية مصفحة يركبها من خارجها وقد أمسك فى يده رشاشا صغيرا يتقدم قوات البوليس لاقتحام الكلية ، وألقى أحدهم عليه قنبلة يدوية من فوق سطح الكلية ، كانت القنبلة من النوع الإيطالى الصوتى الذى لايصيب عادة ولكن شظية من غلافها الصفيح انطلقت فذبحته من قفاه ، وقيل بل أصابته فى خصيتيه . ومال الرجل على جنبه ميتا .. وعادت به مصفحته التى تسمت باسمه « سليم » ، ولم يعرف البوليس الفاعل فلم تكن قضية . وقيدت ضد مجهول .

واستمرت الاضرابات فى الجامعات والمدارس واصطدم البوليس يوم ٦ / ١٢ / ١٩٤٨ بطلاب المدرسة الخديوية وألقيت عليه القنابل وقبض على الأخوين السيد

بدر ولطفى فتح الله فيما عرف بقضية قنابل الخديوية وحكم عليهما بالسجن عشر سنوات . وفى ١٤ / ١٢ / ٤٨ ضبط البوليس دكانا يستأجره الأخ سعد السنانيرى مليئا بالقنابل والمفرقعات . وراحت الحكومة تعتقل الإخوان وتفتح لهم معتقل الهاكستيب ثم معتقل الطور . وعمد الإخوان إلى استئجار منازل للإيواء إليها وقد هجروا بيوتهم حتى لايقعوا فى أيدى البوليس ، وسقطت بعض تلك البيوت وأطلق عليها أعداء الإخوان اسم الأوكار ، وشاع الاسم حتى استعمله الإخوان أنفسهم . بعض تلك البيوت عثر فيها على أسلحة ، وكانت « قضية الأوكار » . وقد استشهد الأخ أحمد خليل شرف الدين عندما هاجمت الشرطة أحد تلك المنازل بحى روض الفرج .



أحمد شرف الدين

وفر يوسف على يوسف من البوليس الذى كان يطلبه ثم قبض عليه بمدينة الاسكندرية فكانت قضية اسمها « قضية يوسف على يوسف » اتهم فيها على إبراهيم عمار وحسن أبو العينين ومحمد نبيل دكرورى وعبد الحليم محمد حسين ومحمود محمد يونس ومحمد على خليفة وسعيد سلام وخطاب السيد خطاب وحسن الحنلويل .



السلف والخلف – النقراشي وعبد الهادى

حامد جودة

ثم وقع حادث خطير من أحد تلك « الأوكار » . ففى ٥ مايو ١٩٤٩ أطلقت النار بكثافة من بيت بجهة فم الخليج على موكب حامد جودة رئيس مجلس النواب السعدى فى عهد وزارة إبراهيم عبد الهادى . وكان الهدف فى واقع الأمر هو موكب إبراهيم عبد الهادى نفسه الذى كان يسلك طريقه من مجلس النواب إلى بيته فى المعادى . ولكن مر حامد جودة قبله من نفس الطريق حيث كان يسكن المعادى أيضا وفى موكب كموكبه ، فحسبه الإخوان المتربصون الموكب

المطلوب وفتحوا عليه نيران أسلحتهم من التومى جن والبرن والقنابل اليدوية . أصابت النيران بعض المارة ولم تصب حامد جودة ، ولكن كان للحادث أثره فى تحول السياسة الداخلية ، إذ بدأ الملك فاروق يقلق من استمرار حوادث المقاومة ولعله أن يكون قد خشى على نفسه . ولقد كان هناك تفكير بالفعل عند بعض الإخوان لتوجيه ضربتهم إليه ، وعلى أثر هذا الحادث سقطت وزارة إبراهيم عبد الهادى وولى الوزارة حسين سرى باشا ، فأجرى انتخابات جديدة فاز فيها حزب الوفد . وكانت عدته فى ذلك الفوز إساءة السعديين إلى الأمة ، واعتقال أبنائها والحكم بالإرهاب .

حادث المحكمة

وقبل أن نمضى مع العهد الوفدى الجديد نعرض لحادث هام وقع فى ١٣ / ١ / ١٩٤٩ ، فى وزارة إبراهيم عبد الهادى . ففى هذا اليوم حاول شفيق إبراهيم أنس إحراق غرفة التحقيق لقضية السيارة الجيب وفيها ملف القضية و كل أحرازها . وقد سبق ذلك أن التحق الأخ جمال الدين عطية بوظيفة كاتب تحقيق بنيابة الاستئناف وشهد بعض تحقيقات قضايا الإخوان قبل أن يقبض عليه هو نفسه متهما فى قضية الأوكار . ذهب شفيق يحمل حقيبة مليئة بالمتفجرات متظاهراً بأنه من وكلاء النيابة فى الأقاليم جاء ببعض التحقيقات الهامة لعرضها على النائب العام . وكان وصوله فى وقت مبكر قبل موعد حضور المحققين والقضاة والمتقاضين ، وسأل عن النائب العام فقيل له إنه لم يحضر بعد ، فقال إنه سيترك الحقيبة حتى يتناول إفطاره ويعود ، وترك طربوشه مع الحقيبة وانصرف .

ولكنه ماكاد يفعل حتى اشتبه سعاة النيابة العامة فى أمر الحقيبة فقد كانت حوادث الانفجارات تقع من حين لآخر ، فحملوا الحقيبة إلى خارج المبنى ووضعوها أمامه فى ميدان باب الخلق حيث انفجرت وسمعنا دويها من سجن الأجانب ، وانطلقوا فى أثر شفيق حتى قبضوا عليه . ونفى شفيق أن يكون قد حضر إلى النيابة أو ترك الحقيبة ولكن الطربوش كان على مقاسه واستعان المحقق بكلب بوليسى فشم الطربوش ثم تعرف على شفيق . وعلل شفيق ذلك فى التحقيق

بأن المحقق قد وضع الطربوش على رأسه لقياسه قبل أن يشمه الكلب ، وأراد المحقق أن يدحض حجة شفيق فألبس الطربوش أحد موظفى النيابة ثم عرضه على الكلب فلم يتعرف عليه . وهنا قال الدفاع ممثلا فى زهير جرانة المحامى إنه كلب لايمكن أن يوثق به بتجربة النيابة ذاتها ، فقد وضعت الطربوش على رأس موظفها ومع ذلك عجز الكلب عن التعرف عليه . ومع ذلك فقد حكم على شفيق بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وكان ذلك قبل أن يرد ذكره فى قضية النقراشى ، فكان يحضر تحقيقات هذه القضية الأخيرة ومحاكمتها بملابس الليمان .

كان يمكن أن نمضى مع هذا الحادث عند هذا الحد . ولكن حصاد العمر يخرجنا عن خطنا مرة أخرى فقد جاء فى صفحة ٩٤ مايأتى :

« ويفسر لنا هذ الحادث الذى نفذ فى هذا الوقت مدى فقد الشعور بالمسئولية التى كان السندى ينظر من خلالها إلى الأحداث».

ويجدر بى أن أشير هنا إلى أنه قبل هذا الحادث بأشهر قليلة عرفنى المرشد بالأخ السيد فايز باعتباره المسئول عن النظام الخاص ..

وكان عبد الرحمن السندى فى هذا الحين محبوسا احتياطيا بسبب اتهامه فى قضية سيارة الجيب ورأيت فى سيد فايز صنفا من الرجال يحدوه الحرص على الالتزام بكل مايأمر به المرشد .. وفى نفس الوقت كان يفكر فى الأحداث بعقل مستنير يستلهم به الحفاظ على كيان الجماعة ، يخدمها بجهده وعزمه ولايستخدمها لهواه ، وكان سيد فايز يشارك حسن البنا إدراكه خلل روابط السندى بالقيادة ، ويعلم أن حسن البنا كانت تشغله قضية الإصلاح ، وأن الظروف ربما أتاحت هذه الفرصة بواسطته ، حيث إنه أصبح مسئولا عن إدارة النظام تحت إشراف من يوافقه فى الفكر والرغبة فى الإصلاح ، ولذلك فقد حدثنى عن كيفية ذلك وعن الصعاب التى يواجهها فى نقل الاختصاصات إليه حتى انتهى الأمر إلى الفشل ، وكان تخطيطه لهذا الإصلاح سببا فى إيغار صدر السندى عليه .

« ووصل إلى علم المرشد عزم السندى على القيام بحادث إحراق المستندات التى كانت فى دولاب محكمة الاستئناف بميدان باب الخلق فكلفنى بإبلاغ سيد فايز برفض هذه العملية والتأكيد على ذلك ، بل والالتزام بالهدوء الكامل ، خاصة والجماعة مازالت تعانى من آثار قتل الخازندار والنقراشى » .

وأكدت على سيد فايز هذا المفهوم الذى أبلغنى أنه أكده بدوره على إخوان النظام !! [علامات التعجب من كتاب حصاد العمر] .

« ولكن السندى كان قد أبرم أمره وهو فى السجن بضرورة تنفيذ العملية ! من وراء ظهر سيد فايز ومن وراء مرشد الجماعة ، ظنا منه ان إحراق أوراق التحقيق لقضية الجيب فيه إعدام الدليل على التهمة التى تلحق بالأشخاص المدونة أسماؤهم فى أوراق التحقيق » .

ويمضى حصاد العمر على هذا المنوال يبين ويدلل على عدم صلاحية السندى وانحرافاته واتجاه الأستاذ البنا إلى ابعاده ثم لايعفى قيادة الإخوان – يعنى الأستاذ البنا – من مسئولية عدم مبادرتها إلى مساءلته .. الخ . لاداعى لنقلها مرة أخرى وإنما يحرجنى لأقول ماأعلم اضطرارا وباختصار شديد .

حادث المحكمة نفذه شفيق إبراهيم أنس بأمر من السيد فايز رحمه الله شخصيا . وفوجىء عبد الرحمن السندى بالحادث ولم يكن له به علم مسبق . شفيق أنس لم أره منذ عشر سنوات على الأقل أطال الله بقاءه حى يرزق يسأله من يشاء دون أن أستأذنه فى ذلك . ثم لاتعليق أكثر .

حادث الخازندار أنفذه عبد الرحمن السندى دون استئذان المرشد ، وحادث المحكمة أنفذه « السيد فايز » بعد رفض المرشد . يرحم الله الجميع ، حسن البنا ، وعبد الرحمن السندى ، والسيد فايز ، وصلاح شادى ويرحمنا جميعا .

وفى الطبعة الثالثة من حصاد العمر ، جاء مرة أخرى [ص ١٣٨] ما نقلنا عنه سابقا ، وأضاف فى الهامش :

« أبلغنى الأخ عبد الحليم محمد أحمد أنه كان ضمن الأشخاص المكلفين بهذه العملية . وأكد أن المرحوم السيد فايز هو الذى أبلغهم بنفسه تنفيذها وأنه متأكد تماما أنه لم يتلق أى أوامر من المرحوم عبدالرحمن السندى بشأن التنفيذ كما أنه متأكد تماما من أن هذا الحادث قد جرى بغير موافقة الأستاذ حسن البنا .

« كما أنى من جهتى ، أثق تماما فى عمق احترام سيد فايز لأوامر المرشد العام كما أثق تماما فى صحة أقوال الأخ عبد الحليم محمد أحمد التى أكدها أيضا الأخ شفيق أنس للأستاذ عبد الحفيظ الصيفى .

« والأمر بهذه الصورة يدعونا إلى نفى اتهام المرحوم السندى بتكليف الإخوة المنفذين لهذه العملية بالقيام بها فى أثناء وجوده خلف القضبان بشهادة مسلمين عدلين هما: الأخوان شفيق أنس وعبد الحليم محمد أحمد .

« ولكن ... الأمر بعد ذلك يثير العجب ، فربما يكون أمر التنفيذ قد صدر من المرحوم سيد فايز بالإعداد لهذه العملية فقط ، فظن القائمون على التنفيذ أنه أمر بالتنفيذ ، فلما لاحقهم أمر المرشد العام بالرفض لم يسعف الوقت المرحوم سيد فايز إبلاغه لهم .. فتم التنفيذ قبل إبلاغهم بالرفض .. وربما كان هذا التصور أقرب إلى الواقع الذى ننشد جلاء غوامضة ، خاصة وسرعة الاتصال لم تكن ميسرة فى هذا الوقت ... » أ. هـ

أعتقد أن الأمور قد وضحت بلا غموض ، ولا مجال لربما من بعدها ربما . وكإخوان مسلمين أقترح أن يكون نهجنا أنه كلما استبانت الأمور أن نصحح المفاهيم فتتقارب القلوب ولو بعد موت بعضنا ، بدلا من استمرار تنابزنا بالألقاب لغير أسباب .

الفصل الحادي عشر

١٢ فبراير ١٩٤٩

استشهاد الإمام

تريدون قتلى

حين اقتحمت قوات الشرطة دار المركز العام للإخوان المسلمين على أثر إعلان قرار حل الجماعة مساء يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، راحت تعتقل كل من كان هناك إلا الرجل ذاته . وراح يركب مع إخوانه لوريات الشرطة التى جاءت لتحملهم إلى المعتقل ، ولكنهم منعوه .. قالوا إن الأوامر لديهم باعتقال الإخوان ، أما رئيس الإخوان فلا ! وسمعه الإخوان يقول لهم « إذا تريدون قتلى » . نعم .. إذا لم يكن لدى هؤلاء الناس هذه النية فإن المنطق كان يقضى بأن يكون حسن البنا هو المعتقل رقم واحد . أما وقد تركوه .. بل رفضوه معتقلا فقد بات الأمر واضحا .

لقد كان محمود فهمى النقراشى من أكبر طغاة عصره طغيانا وكذلك خلفه إبراهيم عبد الهادى باشا . هذا باشا وذاك باشا . وإذا نحن ذهبنا نقارن ونوازن بينهما وبين جمال عبد الناصر لنقرر أى العهدين كان أظلم وأطغى ، لما كان هناك جدال فى أن عهد عبد الناصر كان أسود العهدين من حيث كمية اجترائه على حرمات العباد والغلو فى شأن استذلالهم .. كَمًّا ونوعا . لقد كان من طراز فرعون موسى إذ قال لشعبه : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ و﴿ **ماعلمت لكم من إله غيرى** ﴾ كما قال عبد الناصر فى خطابه يوم المنشية ممتنا على شعبه « أنا خلقت فيكم العزة ! أنا خلقت فيكم الكرامة !! » . غير أن عهد السعديين قد أخذ راية السبق .. لقد فتح النقراشى وعبد الهادى الباب لهذا الاجتراء .. واجتازاه على شىء من الاستحياء أو التخفى . فإذا أراد عبد الهادى قتل الرجل تآمر لذلك فى الظلام وإذا أباح تعذيب الإخوان لتقديمهم إلى قضايا ومحاكمات أخذ من وقع عليه الاختيار خارج السجون العمومية إلى حيث يعذبونه بمبنى المحافظة حيث البوليس السياسى . أما عبد الناصر – وقد مهد له إبراهيم عبد الهادى – فقد جاء أكثر تعريا وأقل حياء ، فعم التعذيب فى عهده عشرات الألوف فى سجونهم ، وإذا أراد

أو أراد زبانيته قتل رجل قتلوه عيانا بيانا داخل السجن بشج رأسه فى جدار الفسقية بالسجن الحربى أو بالضرب بالكرباج حتى الموت ، أو بغير ذلك من الأساليب المفضية إلى إزهاق الروح ، أو بافتعال محكمة من بعض ضباطه تحكم على الشهيد بالإعدام شنقا .

« إذا تريدون قتلى » .. قالها الرجل يكشف النقاب عما يبيتون من نية . وأراد الأستاذ بعدها أن يقيم لدى الحاج عبد الله النبراوى رئيس الإخوان فى بنها .. فرفضت الحكومة ! .

الإعداد للجريمة

وشأن جميع الزعماء كان لدى الأستاذ مسدس مرخص ، فسحبت الحكومة الترخيص وصودر السلاح . كذلك سحب التليفون من منزله وفرضت على الرجل الرقابة فلم يكن يروح ولايجىء إلا ورجال البوليس يتابعونه ويحاصرونه . وكان شقيقه عبد الباسط البنا ضابطا بالبوليس فاستقال من الخدمة حتى يتفرغ لحراسة شقيقه بعد أن استشعر الخطر على حياته ، فصدر الأمر باعتقال عبد الباسط .

وبدأت مرحلة من الاتصالات بين الأستاذ المرشد وبين الحكومة عن طريق وسطاء ، ولكنها لم تكن أكثر من مماطلة من الحكومة حتى تنفذ قتل الرجل . وكان أول وسيط هو المحامى (الوزير) مصطفى مرعى فى لجنة ضمت صالح حرب باشا وزكى على باشا ومصطفى أمين ، ولكن مصطفى مرعى رفض الاستمرار فى الوساطة على أثر حادث المحكمة .. ذلك الحادث الذى استؤذن الأستاذ البنا فى تنفيذه فرفضه ولم يأذن به .. ولكنه نفذ فوضع الرجل فى أشد حالات الحرج . لست أدرى ماذا قال فى حينها ، ولكنه لو قال إن هذا العمل تم دون أمره لصدق الصدق كله .

ولم يكلّ الأستاذ فعاود الاتصال عن طريق رجل آخر اسمه محمد الناغى ، كان يمت إلى إبراهيم عبد الهادى بصلة القرابة . وكان لقاؤهما يتم فى دار جمعية الشبان المسلمين بشارع الملكة نازلى (حاليا شارع رمسيس - بالقاهرة) . ولقد كان عيد ميلاد الملك فاروق فى ١١ فبراير ، ولابد أن التنفيذ كان مدبرا أن يتم فى ذلك اليوم أو تلك الليلة ، ولكنه تم بالفعل فى مساء اليوم التالى ١٢ فبراير

١٩٤٩ . ولابد أنه كانت هناك أسباب - لاندريها - عاقتهم عن قتل الرجل لمدة يوم .

وكان للبوليس السياسى مرشدون فى كل مكان ، وكان مرشدهم فى جمعية الشبان المسلمين هو محمد الليثى أو لعله كان أحد مرشديهم لدى الجمعية . وقد اتصل به الصاغ (الرائد) محمد الجزار أحد الضباط المبرزين بالبوليس السياسى ومن أكثرهم ولاء للإنجليز ، وكلفه بإبلاغه تليفونيا حين يقترب الأستاذ البنا من الخروج من دار الجمعية . ولعل الليثى كان يظن أن الغرض من ذلك هو الغرض الروتينى لمراقبة الرجل وتعقبه فنفذ ماكلف به .

الحكومة القاتلة

وخرج الأستاذ من دار الجمعية وبصحبته صهره (زوج شقيقته) الأستاذ عبد الكريم منصور المحامى فكان المرور مقطوعا بهذا الجزء من الشارع الذى هو أكبر وأطول شوارع القاهرة ، كذلك كانت الإضاءة مقطوعة والظلام يخيم على المكان . كانوا قد استدعوا سيارة أجرة ركبها الأستاذ البنا والأستاذ عبد الكريم ، وقبل أن تتحرك تقدم منها شخصان مسلحان بالمسدسات وراح احدهما يطلق النار على الأستاذ داخل السيارة فأصابه برصاصات . وفتح الأستاذ البنا باب السيارة ونزل منها وأمسك ذلك المجرم بيده ، فتقدم زميله المجرم الثانى لنجدته وأطلق النار على الأستاذ وانسحب بزميله فعبرا الشارع إلى الجانب الآخر حيث ركبا سيارة كانت تنتظرهما وبها سائقها فانطلقت بهما .

يبدو أن محمد الليثى كان قد خرج لتوديع الأستاذ عند انصرافه من دار الجمعية ، أو أنه خرج على صوت إطلاق الرصاص واستطاع أن يلتقط رقم السيارة ، فتكلم به وذكره . لقد كان الشارع حينذاك تخترقه خطوط الترام ذهابا وإيابا فى شطر الشارع جهة دار الجمعية وكان له رصيف عريض ، أما السيارات فكان مخصصا لها الشطر الآخر ، فكان عرض الشارع المخصص للسيارات ذهابا وإيابا على النصف مما هو عليه اليوم أو أقل ، ولذلك أمكن محمد الليثى وقد اجتاز شطر الشارع المخصص للترام أن يرى السيارة وأن يلتقط رقمها . واستطاع مراسل جريدة المصرى أن يحصل على هذا الرقم من فم الليثى وسارع به إلى

جريدته التى بادرت بنشره صباح اليوم التالى ، وصودرت الجريدة وأحرقت جميع نسخها فقد كان الرقم هو رقم سيارة الأميرالاى (عميد) محمود عبد المجيد الذى كان مديرا لأمن سوهاج وكان مشهورا هناك-وهو مدير الأمن-أنه سفاح متعطش للدماء ..



آخر صورة التقطت للأستاذ حسن البنا يؤم المصلين فى جمعية الشبان المسلمين مساء ١٢ فبراير ١٩٤٩ قبيل استشهاده من ذات الليلة .
[عن جريدة الوفد ١٦ أبريل ١٩٦٧]

وسارع الصاغ محمد الجزار يتصل بمرشدهم محمد الليثى ليطلب إليه عدم ذكر رقم السيارة ويلح فى الطلب ويرهقه بالضغط والالحاح . ولجأ الليثى إلى رئيس الجمعية اللواء صالح حرب باشا وكان من أصدقاء الإمام الشهيد وإلى السيدة زوجة اللواء يقص مارأى وتدخل الصاغ الجزار لتزييف شهادته . ولنترك الآن أمر الليثى والجزار لننظر ماكان من أمر الأستاذ البنا .

إتمام الجريمة

هرب الجناة بعد أن أصابوه برصاصهم كما أصابوا الأستاذ عبد الكريم منصور إصابة غير قاتلة . واتجه الأستاذ البنا والأستاذ عبد الكريم إلى المركز الرئيسى لجمعية الاسعاف وهو لايبعد كثيرا عن جميعة الشبان المسلمين ، ولكنها مسافة طويلة على رجل مصاب برصاصات تدل على قوة بنيته إذ قطعها سيرا على الأقدام – ومازال الاسعاف وجمعية الشبان فى مكانهما حتى يومنا هذا . ومن هناك نقلا إلى مستشفى القصر العينى لإجراء الاسعافات اللازمة ، فلم تكن جمعية الاسعاف طرفا فى المؤامرة .

ولاشك أن الرجل كان تحت أعين البوليس السياسى ورقابته طوال هذه الرحلة ، إذ إنه قبل أن يصل إلى مستشفى القصر العينى كان محمد الجزار ورجاله هناك وضربوا حصارا حول الرجل الصالح . كان الدكتور محمد سليمان من الإخوان وكان من أطباء المستشفى ومن هيئة التدريس بكلية طب قصر العينى ، وطلبه الأستاذ البنا باسمه فوعدوه خيرا ، ولكن أحدا لم يبلغ الدكتور محمد سليمان شيئا ، واستمر الحصار حول الرجل يمنع إسعافه والدماء تنزف حتى قضى الأمر وأسلم الروح إلى بارئها . ماأهون قتل الأئمة المصلحين فى هذه الأرض ، ومن قبل كان ذلك من فعال بنى إسرائيل التى استحقوا بها غضب الله سبحانه وتعالى **﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبر تم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾** .

الجنازة

واتصل البوليس السياسى بالشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والد الإمام الشهيد فى بيته ليخبروه الخبر ويخيروه بين أمرين .. أن يحضروا جثمان ابنه إلى بيته ليقوم بدفنه دون أى احتفال أو جنازة .. أو يقوموا هم بدفنه بمعرفتهم دون أن يراه . وفى ثبات وصبر وإيمان اختار الشيخ الأمر الأول . وتحت جنح الظلام فى جوف الليل حملوا جريمتهم وجريمة عهدهم بل جريمة عصرهم إلى ذلك المنزل المتواضع بالحلمية الجديدة ، ولم يغفلوا عن حصار البيت ، فلا أحد يدخل ولاأحد يخرج .

ورفضوا استدعاء الحانوتى للقيام بما يلزم فقام الشيخ بنفسه وبدون معاونة من أحد بتغسيل ولده الشهيد إمام الهدى فى عصره الذى لم يجاوز الثالثة والأربعين من عمره .. غسّله وكفّنه ، وأحضروا له نعشا فوضعه فيه ، ثم طلب إلى رجال البوليس حمل الجنازة ، قالوا تحمله النساء!!! وكان الرجل شيخا كبيرا وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا . فعاونه فى حمله نساء بيته المؤمنات الصابرات إلى مسجد قيسون للصلاة عليه وهى مسافة مجهدة . وكان البوليس ينتشر فى المنطقة وقد أمر بإغلاق النوافد والأبواب حتى لايرى أحد هذه الجنازة التى لم يذكر التاريخ قديمه ووسيطه وحديثه مثيلا لها .. لا فى الشرق ولا فى الغرب ولا فى أى مكان أو زمان . لم يسمح لأحد أن يرفع إصبعه بالشهادة ، ومن فعل اعتقل ، واستطاع أفراد قلائل من الإخوان الوصول إلى المكان فاعتقلوا ، مثل محمد الغزالى الجبيلى وإبراهيم صلاح ومحمود يونس رحمه الله .

وتم الدفن فى مقابر الأسرة بالإمامين . والإمامان هنا هما الإمام الشافعى والإمام الليث بن سعد لكل منهما ضريح فى مسجده ، ودفن الإمام حسن البنا فى مقبرته بعد هذين المسجدين فى مكان معروف هناك .. ورابط رجال البوليس ومعهم إحدى سياراتهم المدرعة على القبر شهورا بعدها ! لاندرى لماذا !! لعلهم خافوا أن يأتى أحد فيقرأ الفاتحة !! ذلك الحى (الإمامين) إن جاز أن نقول عنه « الأئمة » فقد حل به حسن البنا رضى الله عنه .

وأذاعت حكومة إبراهيم عبد الهادى أن الإخوان المسلمين قتلوا مرشدهم ! وحفظ التحقيق وقيد ضد مجهول . ولم يكن أحد يجهل من المحرض ولامن القاتل ، لقد كانت اسماء محمود عبد المجيد والمخبرين اللذين أطلقا الرصاص أحمد حسين جاد وأحمد عبد الحميد وسائق السيارة محمود محفوظ ومحمد الجزار الذى أراد أن يخفى معالم الجريمة كانت كلها اسماء معروفة لنا جميعا . وظل اصحابها فى أمان تام حتى وقع انقلاب ٢٣ يولية ١٩٥٢ وأراد اصحابه التقرب إلى الجماهير والتشهير بالعهد البائد ونشر غسيله القذر وفضح مخازيه ، فكانت هذه القضية من أبرز مايتاجر به فى ذلك ، فأعيد التحقيق وقدمت القضية إلى المحاكم وصدر حكم القضاء على هؤلاء جميعا بالسجن مددا متفاوتة بدأ تنفيذها . ولكن ماإن ساءت الصلات بين الإخوان وبين جمال عبد الناصر حتى أصدر عفوا عن هؤلاء القتلة وتم الإفراج عنهم .. الأمر لايحتاج إلى أى تعليق .

لم يقم للشهيد مأتم .. وكل من حاول الوصول إلى البيت وصل إلى معتقل جبل الطور بالطرف الجنوبى لشبه جزيرة سيناء ، قريبا من الوادى المقدس طوى حيث كلم الله موسى .

لاإسعاف .. ولاجنازة .. ولامأتم .

ولم يستطع الوصول إلى البيت وتقديم العزاء للشيخ الوالد إلا مكرم عبيد باشا الوزير السابق استطاع الوصول والقيام بالواجب لسببين :

الأول : أنه كان قبطيا فلم يكن محل تهمة بانتمائه إلى الإخوان المسلمين .

والثانى : أنه كان رجلا .

ولقد كان مكرم عبيد من أصدقاء الأستاذ البنا الذين يعرفون للرجل فضله وقدره ، وكان الأستاذ البنا يبادله التقدير .

وهناك فى قصر النقراشى بمصر الجديدة كانت زوجته تمنح هداياها إلى المخبرين اللذين أطلقا الرصاص على الإمام الشهيد .. خمسين جنيها وبدلة من حلل زوجها المتوفى التى لم تعد لها قيمة لكل منهما . يذكرنا هذا بما جاء فى انجيل متى ان يهوذا باع المسيح إلى الرومان ليقتلوه بثلاثين مثقالا من الفضة .



النقراشى وحرمه فى حفل عشاء قبل مصرعه بأسبوع

كان حزب الكتلة الذى يرأسه مكرم عبيد يصدر جريدته « الكتلة » ، وقد وصفت ما حدث ، كتبه مأمون الشناوى بدون توقيع فى عددها (١١ نوفمبر ١٩٤٩) بعد عهد ابراهيم عبد الهادى ، ونقله عنها كتاب « من قتل حسن البنا » [ص ٥٤٢] .

قال :

« نقل جثمان حسن البنا إلى بيته فى سيارة تحرسها سيارة مملوءة بفريق من رجال البوليس المسلحين .

وفى أحد شوارع الحلمية وقفت القافلة ونزل الجند فأحاطوا ببيت الفقيد ، ولم يتركوا ثقبا ينفذ إليه الشك إلا وسدوه بجندى وسلاح ! وقف والد الشيخ البنا ، ذلك الرجل الهرم الذى جاوز التسعين عاما ، ولم تبد عليه عوامل السنين .

عرف بخبر وفاة ولده من أحد الضباط فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . وقيل له : إنهم لن يسلموا جثته إلا إذا وعدهم بأن تدفن فى الساعة التاسعة بلا احتفال ، وإلا فإنهم سيضطرون إلى حمل الجثة من مستشفى قصر العينى إلى القبر .

واضطر إزاء هذه الأوامر إلى أن يعدهم بتنفيذ كل ما تطلبه الحكومة ؛ رغبة منه فى أن تصل جثة ولده إلى بيته ؛ ليلقى عليه نظرة أخيرة .

ظل الرجل ساهرا تطحنه الأحزان .

وقبيل الفجر تتابعت على باب المسكن طرقات كان صداها يطحن قلب الشيخ كان وحده الذى يعلم وين ظر ، فإن أشقاء الفقيد جميعا كانوا داخل المعتقلات ،

فتحوا الباب وأدخلوا الجثة متسللين فلم يشهدها أحد من الجيران ، ولم يعلم بوصولها سواه .

وظل حصار رجال البوليس مضروبا لا حول البيت وحده بل حول الجثمان نفسه ، لا يسمحون لإنسان بالاقتراب منه مهما كانت صلته بالفقيد .

وقام الأب نفسه بإعداد جثة ولده وتجهيزها للدفن ، فإن أحدا من الرجال المختصين بذلك لم يسمح له بالدخول .

ثم نزلت الجثة حيث وضعت فى النعش وبقيت مشكلة من يحملها إلى مقرها الأخير .

طلب إلى رجال البوليس أن يحضروا رجالا كى يحملوا النعش فرفضوا .

قال لهم :

– ليس فى البيت رجال .

أجابوا : فلتحملها النساء !

وخرج نعش الفقيد محمولا على أكتاف النساء وفى مقدمتهن فتاة قوية صبور تهتف بأبيها :

–قرّ عينا يا أبتاه فلن نتخلف عن رسالتك ، ولئن منعت الحكومة من يشيع جنازتك – وا أسفاه لنذالة الحكام – فحسبنا عزاء وجزاء أن أرواح الشهداء تمشى معنا ، وتشيع عن أهل السماء ما عجز عن تشييعه أهل الأرض .

وسارت الجنازة الفريدة فى الطريق ، فإذا بالشارع كله قد صف برجال البوليس . وإذا بعيون الناس من النوافذ والأبواب تصرخ ببريق الحزن والألم والسخط على الظلم المسلح ، الذى احتل جانبى الطريق .

وعندما وصل الموكب الحزين إلى جامع قيسون للصلاة على جثمان الفقيد كان المسجد خاليا من الناس حتى من الخدم ، فإن رجال البوليس قدموا إلى بيت الله وأمروا من فيه بالانصراف كى لا تتم الصلاة على الجثمان .

ووقف الأب أمام النعش يصلى ، فانهمرت دموعه فى ابتهالات إلى السماء ،

ومضى النعش إلى مدافن الإمام الشافعى ، فوورى « البنا » التراب ، وعاد الجمع القليل إلى البيت الباكى الحزين .

وعادت النساء الثلاث اللائى حملن النعش على أكتافهن ، وعاد الوالد الواله الحزين [أحسب الثلاث المذكورات كن أم الأستاذ وزوجته وابنته وفاء] وهكذا فى اثنتى عشرة ساعة قتل الشيخ البنا ، وشرح ، وغسل ، ودفن ، وانطوت صفحة حياته .

ومضى النهار وجاء الليل ، فحرم على أفراد الأسرة إقامة العزاء وتلاوة القرآن . ولم يحضر أحد من المعزين ، لأن الجنود منعوا الناس من الدخول ، أما الذين استطاعوا الوصول للعزاء فلم يستطيعوا العودة إلى بيوتهم ، فقد قبض عليهم وأودعوا المعتقلات ، عدا مكرم عبيد باشا الذى تعرض لعنت رجال البوليس حين أرادوا أن يمنعوه من واجب العزاء فلم يمكنهم ، ودخل البيت وأزجى كلمات العزاء » أ . هـ



مكرم عبيد باشا

وقد كتب مكرم عبيد باشا كلمة بعنوان « الإمام الشهيد » نشرتها مجلة الدعوة فى عددها رقم ٥٢ ـ ١٢ فبراير ١٩٥٢ جاء فيها :

« ولقد زرته رحمه الله إثر موته فى منزله .. فكانت زيارة لن أنسى ما حييت

أثرها الفاجع والدامع .. ولقد هالنى أن أجد قوة من البوليس تحاصر الشارع الذى به منزل الفقيد ، ولولا أن ضابط البوليس عرفنى فسمح لى بالمرور ، لما تيسر لى أن أؤدى واجب العزاء .. »

« ولئن نسيت فلن أنسى ، كيف كان والده الشيخ البار متأثرا بهذه الزيارة ، حتى أنه قص علينا والدمع يفيض من عينيه كيف منعوا الناس من تشييع جنازة الفقيد ، ولم يسمح لغير والده بالسير وراء نعشه ، كما لم يسمح للمعزين بالعزاء فى منزله ، وراح الوالد الكريم يشكرنى ويدعو لى دعواته المباركات التى مازلت أتبرك بها .. ولو أنى قلت له : إن واجب العزاء هو فرض واجب الأداء ، فإذا ما قصرت فيه أنا أو أى مصرى كان فى ذلك تنكر لتقاليدنا وأوليات الوفاء .

... الخ

فى كتابه « من قتل حسن البنا » لم يذكر محسن محمد رأيا وإنما كان جامع أخبار وكأنما انتهى ما قدمه إلى أن الذى قتل الأستاذ هو الملك فاروق وقد ختم كتابه بمقارنة ذات مغزى عقدها بين الأيام الأخيرة للأستاذ والأيام الأخيرة للملك ، ثم بين جنازة الأستاذ وجنازة الملك ، جاء بها أن الدولة فرضت حصارا على الأستاذ البنا ولم تعتقله مع إخوانه حتى صار وحيدا لا يلقى أحدا ولا يلقاه أحد ، وكذا فاروق فى إيطاليا بعد عزله .. بلا أتباع ، لا أحد يحفل به أو ينافقه أو يتملقه ، ولا أحد يخطب وده إلا لماله . كان من يحاول الاتصال بحسن البنا يلقى فى المعتقل وصار من يحاول الاتصال بفاروق يلقى العنت كل العنت من نظام الحكم فى مصر .

استشهد حسن البنا فى الثالثة والأربعين من عمره ومات فاروق فى الخامسة والأربعين – فى ليلة ١٨ /٣ /١٩٦٥ – تقريبا فى نفس توقيت استشهاد « حسن البنا » .

وبعد استشهاد المرشد بمستشفى قصر العينى نقل إلى مشرحة النيابة ، وبعد موت فاروق نقل إلى مشرحة روما لمعرفة سبب الوفاة وتحنيط جثته .



الملك فاروق

وحملت نساء الأسرة نعش حسن البنا ومعهن ابنه أحمد سيف الإسلام الذى كان فى الرابعة عشرة . وبقيت جثة فاروق فى مقبرة روما تنتظر موافقة عبد الناصر على دفنه فى مصر وسار خلفه هناك بعض أخواته وابنه أحمد فؤاد وكان فى الثالثة عشرة ، ثم وافق عبد الناصر بشروط ، ألا يشيع كملك وألا يكون لجنازته موكب وألا يدفن فى مقابر الأسرة المالكة بالرفاعى وإنما يدفن فى مقابر الإمام الشافعى . ونقلت الجثة فى طائرة مصر للطيران التى تأخرت عمدا فى أثينا حتى لا تصل إلى القاهرة إلا بعد منتصف ليلة (٣١ مارس ١٩٦٥) وكان فى استقباله شقيقاته وقد اتشحن بالسواد ، ثم تأخر وصوله إلى المقابر بسبب إجراءات الأمن ، فتم ذلك فى التاسعة صباحا تحت حراسة بوليسية تمنع الناس من الاقتراب [سبحان الله] . يقول محسن محمد « كانت جنازة فاروق فى نفس موعد جنازة حسن البنا ومشابهة لها .. تماما ! » ولم يدخل مقبرة فاروق ساعة الدفن من رجال الدولة إلا جاويش شرطة ، وشيعت جنازته النساء وحدهن . ثم طلبت الأميرة فوزية بعد ذلك نقل شقيقها فاروق إلى مسجد الرفاعى فوافق الرئيس السادات بشرط أن يتم ذلك سرا وأن ينقل فى سيارة الموتى السوداء بلا موكب ، فتم ذلك فى ذات الموعد ـ التاسعة صباحا ـ ولم يصل عليه إلا عمال المسجد ولم يحضر الدفن سوى فوزية وكان هذا الدفن الثانى بعد عشر سنوات من الدفن الأول ومشابهاً له .. ومشابهاً لدفن الشهيد حسن البنا رضى الله عنه .

بعد تلك الأيام التى قتل فيها الأستاذ الإمام شهيدا فلم تكن له جنازة ، كانت راقصة يهودية اتخذت « كاميليا » اسما فنيا لها واسمها الحقيقى ليليان كوهين ، كانت عشيقة للملك فاروق وكان لها شأن فى الأمر العسكرى الذى اصدره النقراشى بحل جماعة الإخوان المسلمين ، إذ كانت على صلة معلومة بمدير الأمن العام الذى أعد للنقراشى مذكرة حل الجماعة فى فترة من فترات هجر فاروق لها . وعلمنا ونحن فى السجن أن إخوانا لنا بالخارج يدبرون لضرب مدير الأمن العام هذا وهو فى بيتها ولكنه انقطع عن التردد عليها . هذه الراقصة الممثلة اليهودية أخذت الطائرة الأمريكية ستار أوف مريلاند من طراز كونستلاشن من القاهرة إلى سويسرا[1] فى عام ١٩٥٠ بدعوة من الملك فاروق لقضاء وقت معا فى ديوفيل بفرنسا . ولكن ماكادت الطائرة تصعد إلى السماء حتى انفجرت فوق الصحراء الغربية وسقطت جثتها على رمال الصحراء قريبا من طريق مصر - الاسكندرية الصحراوى وقد أتت النار على ثيابها النايلون وتركت جثتها العارية تلتهمها عدسات المصورين لتنشرها المجلات فى مصر . هذه الراقصة اليهودية المحترقة كانت لها جنازة أى جنازة ، ملأت شارع قصر النيل مابين ضفتيه إلى مسافة طويلة ، ونشرت الصحف أيضا صور هذه الجنازة . ولم تكن لجنازة حسن البنا صورة لأنه لم تكن له جنازة ، ولاسمح لأحد بالاقتراب حتى يصور النعش بلا جنازة .

هذه المفارقة إن دلت على شيء فإنما كانت تدل على نوع الحكم فى مصر ، فلم يكن بين استشهاد الإمام فى فبراير ١٩٤٩ ومصرع كاميليا فى صيف ١٩٥٠ سوى قليل . هذا يقتل شهيدا فلايسمح لأحد أن يبكى عليه وهذه تموت فتمتلىء الدنيا عويلا على جمالها الذى فقدناه ورقصها الذى خسرناه !!

لقد كانت حكومة عبد الهادى تشعر أن الناس يدركون أنها أخذت على عاتقها هذه المهمة الكبرى .. محاربة الإسلام وشن الحرب على الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية واكثرها صدقا وأثرا وجدية . وأرادت أن تفعل شيئا تثبت به أنها « مسلمة » فأصدرت قانونا بإلغاء البغاء العلنى .

---

(١) الملف السرى للملك فاروق - ١٢٤ .



الممثلة « ليليان كوهين » المعروفة باسم « كاميليا » .

نعم لقد كان البغاء العلنى وصمة فى جبين مصر .. أن تتقدم من تشاء من نساء السوء بطلب ترخيص لمزاولة البغاء وتفتتح لها محلا معلوما لهذه المهنة المهينة . ولكن ماالذى فعله إبراهيم عبد الهادى ليثبت أنه مسلم ؟ أصدر القانون بمنع هذه التراخيص وأغلقت تلك المحال فانتقلت هاتيك المحترفات من محال معلومة فى حى بذاته هو شارع

كلوت بك وحواريه إلى أى مكان من بيوت القاهرة تحت اسم « فنانة » أو « خادمة » أو زوجة ديوث .. لم تعتقل منهن واحدة كما اعتقل الإخوان ، فبقين يمارسن عملهن ، ولكن العمل هو العمل والمهنة هى المهنة والزنا هو الزنا والدعارة هى الدعارة .. فانتشرت اكثر .

رثاء الثاكل المؤمن

وقد كتب الشيخ احمد عبد الرحمن البنا والد الإمام الشهيد فى العدد الرابع من مجلة الدعوة الصادر فى ١٣ فبراير ١٩٥١ بمناسبة ذكراه الثانية بعنوان « ولدى الشهيد » فقال :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى قصة موت إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال فجاء رسول الله (ص) فدعى بالصبى فضمه إليه ، قال أنس فلقد رأيته بين يدى رسول الله (ص) وهو يكيد بنفسه فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تدمع العين ويحزن القلب ، ولانقول إلا مايرضى ربنا عز وجل ، والله إنابك ياإبراهيم لمحزونون .

تتمثل لى ياولدى الحبيب فى صورتين : صورة وأنت رضيع لم تتجاوز الستة شهور ، وقد استغرقت مع والدتك فى نوم عميق ، وأعود بعد منتصف الليل من مكتبى إلى المنزل ، فأرى مايروع القلب ويهز جوانب الفؤاد ، أفعى مروعة قد التفت على نفسها وجثمت بجوارك ، ورأسها ممدود إلى جانب رأسك وليس بينها وبينك مسافة يمكن أن تقاس .

وينخلع قلبى هلعا فأضرع إلى ربى واستغيثه فيثبت قلبى ويذهب عنى الفزع ، وينطق لسانى بعبارات واردة فى الرقية من مس الحية وأذاها وماأفرغ من تلاوتها حتى تنكمش الحية على نفسها ، وتعود إلى جحرها ، وينجيك الله ياولدى من شرها لإرادة سابقة فى علمه ، وأمر هو فيك بالغه .

وأتمثلك ياولدى وأنت صريع وقد حملت فى الليل مسفوكا دمك ، ذاهبة نفسك ، ممزقة أشلاؤك . هابت أذاك حيات الغاب ونهشت جسدك حيات البشر ،

فما هى إلا قدرة من الله وحده تثبت فى هذا الموقف ، وتعين على هذا الهول وتساعد فى هذا المصاب ، فأكشف عن وجهك الحبيب فأرى فيه إشراقة النور وهناءة الشهادة ، فتدمع العين ، ويحزن القلب ، ولانقول إلا مايرضى ربنا عز وجل (إنا لله وإنا إليه راجعون) وأقوم ياولدى على غسلك وكفنك ، وأصلى وحدى من البشر عليك ، وأمشى خلفك أحمل نصفى ونصفى محمول ، وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد .

أما أنت ياولدى فقد نلت الشهادة التى كنت تسأل الله تعالى فى سجودك أن ينيلك إياها فهنيئا لك بها ، فقد روى البخارى عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « مامن أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » .

اللهم أكرم نزله وأعل مرتبته ، واجعل الجنة مثواه ومستقره ، اللهم لاتحرمنا أجره ولاتفتنا بعده ، واغفر لنا وله ، وبلغه أمله من القرب من رسول الله ﷺ (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

وأما أنتم يامن عرفتم ولدى واتبعتم طريقه ، إن خير ماتحيون به ذكراه أن تنسجوا على منواله وتترسموا خطاه ، فتتمسكوا بآداب الإسلام وتعتصموا بحبل الأخوة ، وتخلصوا العمل والنية لله .

وأوصيكم أن تكونوا صورة صادقة لسيرة ولدى رحمه الله ، لاتبتغون من الناس جزاء ولاتخشون غير الله ربا ولاتضمرون لأحد شرا أو أذى ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين . ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ .

وعن العلاقة بين الوالد الفاضل وابنه أذكر ان الاستاذ حسن البنا عاد من الحج ذات عام وتكاثر الإخوان حوله فى فناء المركز العام فوقف على كرسى وقد اصطفوا صفا يمرون عليه مصافحين ومقبلين يده . ورأى الاستاذ والده فى الصف فنزل إليه وصافحه وقبل يده .

الحكم

وفى (٢ أغسطس ١٩٥٤) أصدرت محكمة الجنايات برئاسة المستشار محمود عبدالرازق ، وعضوية المستشارين ، محمد شفيع الصيرفى ومحمد متولى عتلم حكمها فى القضية ، وكان كالآتى :

أولا : معاقبة أحمد حسين جاد بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وكل من الباشجاويش محمد محفوظ محمد ، والأميرالاى محمد عبدالمجيد بالأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة ، وإلزامهم بطريق التضامن والتكافل مع الحكومة المسئولة عن الحقوق المدنية بالآتى :

(أ) أن يدفعوا عشرة آلاف جنيه على سبيل التعويض للسيدة زوجة المرحوم الشيخ حسن البنا وأولاده القصر منها وهم وفاء وأحمد سيف الإسلام وسناء ورجاء ، وهالة واستشهاد المشمولين بولاية جدهم الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا .

(ب) وأن يدفعوا للشيخ [أحمد] عبدالرحمن البنا والسيدة والدة القتيل « قرش صاغ واحد » على سبيل التعويض المؤقت .

(ج) وأن يدفعوا للأستاذ عبد الكريم محمد أحمد منصور مبلغ ألفى جنيه على سبيل التعويض .

ثانيا : معاقبة البكباشى محمد محمد الجزار بالحبس مع الشغل لمدة سنة ، ورفض الدعاوى المدنية قبله .

ثالثا : ببراءة كل من مصطفى محمد أبو الليل ، واليوزباشى عبده أرمانيوس والبكباشى حسين كامل والجاويش محمد سعيد إسماعيل ، والأومباشى حسين محمدين رضوان مع رفض الدعاوى المدنية الموجهة إليهم . أ . هـ

ومما لا يشرف جمال عبد الناصر أنه أصدر فى ٢٩ يونية ١٩٥٥ أمرا بالإفراج الصحى عن محمود عبد المجيد . كما أفرج صحيا عام ١٩٦٠ عن محمد محفوظ سائق محمود عبد المجيد والذى قاد السيارة التى استخدمها المجرمون فى الحادث . وأفرج صحيا فى سبتمبر ١٩٦٧ عن أحمد حسين جاد .



القاتل والمقتول

هذا ما ذكره محسن محمد فى كتابه « من قتل حسن البنا » ، ولكن المستشار عبد الحميد يونس ذكر فى العدد (٥٣٨ - ١٥ فبراير ١٩٨٧) من مجلة أكتوبر أن المخبرين ماتوا فى الليمان ، وأن محمود عبد المجيد قد أفرج عنه صحيا بعد سبع سنوات وبعد أن كف بصره ، وأنه بعد خروجه وأمام منزله بشارع رمسيس وهو الشارع الذى اغتيل فيه الأستاذ وجدت جثته ملقاة فى الطريق العام لا يدرى أحد هل اختل توازنه فوقع من الشرفة أم ألقاه مجهولون . وعلق المستشار على حادث الاغتيال بأنه يدعو إلى الغثيان والإحساس بالعار .

الهضيبى مرشدا

انتقل حسن البنا إلى جوار ربه راضيا مرضيا ، وكان الإخوان فى المعتقلات والسجون ، واعتبر صالح عشماوى هو القائم بأمر الجماعة باعتباره الوكيل العام لها . وسار الرجل بالأمر بمعاونة إخوانه إلى أن عادت الجماعة إلى نشاطها القانونى . وطبقا لقانون الجماعة كان على الهيئة التأسيسية أن تجتمع لتختار المرشد الجديد .

ولكن حدث ونشاط الجماعة مازال محظورا أن دعا منير دلة رحمه الله الأربعة الكبار الذين كانت تدور بينهم توقعات الاختيار ، عبد الحكيم عابدين السكرتير العام وعبد الرحمن الساعاتى شقيق الأستاذ البنا والمراقب العام والشيخ احمد حسن الباقورى وصالح عشماوى الوكيل العام . اجتمعوا فى منزله بالدقى ، وسألهم عن رأيهم فيمن يلى الأمر . وبادر عبد الحكيم عابدين بأنه لايطلبها لنفسه . أما عبد الرحمن فقد طلبها وغير اسمه من عبد الرحمن الساعاتى إلى عبد الرحمن البنا وأطلق لحيته وكان حليقا قبل ذلك ورأى أن يبقى اسم البنا رمزا للجماعة خاصة أنه كان كبير الشبه بأخيه الشهيد صورة وصوتا ، وكان رجلا فاضلا عفاً . وسئل الشيخ الباقورى .. قال الراوى : فخلع العمامة وقال إنها شرف عظيم ، ولاشك أنها منزلة كبيرة ، ولكنى لأطلبها لنفسى . ويمضى الراوى يقول : كان الباقورى متفقا مع عبد الحكيم عابدين أن يقوم له عابدين بالدعاية بين الإخوان ، كما آزره الأزهريون فى الجماعة وكان يظن نتيجة ذلك أن الجميع يختارونه فلما تم الاجتماع بعد ذلك واختير الأستاذ الهضيبى فوجىء الباقورى وقال لصالح عشماوى « لو كنت أعلم ذلك ياشيخ لكان أى واحد منا أفضل ! » . نعود إلى اجتماع منزل الأستاذ منير دلة .. سئل صالح عشماوى فقال طالب الولاية لا يولى ، وأنا لاأفرض نفسى ولكن للإخوان الخيار ، فإذا وقع اختيارهم علىّ فهو عبء ثقيل .

ولم يتفقوا على واحد منهم .

فقال منير : أنتم مختلفون ، ولم تتفقوا على رأى . فما رأيكم لو أحضرنا رجلا كبيرا يكون أبا لكم جميعا ويكون رمزا – مجرد رمز – ثم أنتم كل شىء بعد ذلك ؟ ما رأيكم فى حسن بك الهضيبى ؟

لاأعلم خلافا بين مؤيدى الأستاذ الهضيبى وبين معارضيه على أنه لم يكن عضوا مسجلا فى شعبة من شعب الإخوان،ربما كان لوضعه كمستشار أثر فى ذلك ، فقد كان يمتنع على رجال القضاء أن تكون لهم انتماءات سياسية . وبذلك وضع اقتراح منير مبدأ جديدا بجواز أن يكون المرشد من خارج الجماعة . يقول الراوى : إن منير دلة كان يريد تولية صهره محمد العشماوى باشا المحامى ووزير المعارف السابق بوزارة إسماعيل صدقى ، ولكنه لم يكن ليجد الصدى والقبول من الإخوان فاستبعد مبكرا من أن يكون مرشحا ، ولكن ترشيح الأستاذ الهضيبى يفتح الباب بتجاوز قانون الجماعة وهو رجل كبير فى السن وشيك الخروج من الخدمة إلى المعاش وقد كان مستشارا بمحكمة النقض فهو أيضا صاحب منصب كبير وكان مريضا لاتساعده صحته ، كما كان كل من الأربعة المجتمعين يشك كثيرا فى أن يئول الأمر إلى نفسه ولذلك وجدها كل منهم فرصة لإعادة تجميع الأنصار وزيادة عددهم حتى تجتمع الهيئة . فأظهروا القبول على اختيار الأستاذ حسن الهضيبى .

ولكنهم جميعا صدموا بأن الهيئة لن تجتمع .. ذلك أن الحاج حسنى عبد الباقى قد كلف بالمرور على أعضاء الهيئة لدعوتهم إلى الاجتماع ، ولكنه عاد يقرر أنهم يرفضون الاجتماع بسبب قيام قرار حل الهيئة رسميا وانهم خافوا مغبة اجتماعهم ! وعلى ذلك كتبت ورقة باختيار الأستاذ الهضيبى مرشدا لتؤخذ عليها الموافقة بالتمرير ، وقدمت أول ماقدمت إلى صالح عشماوى فوقعها متورطا ، وكل من وقعها بعد ذلك قال إنه وقع إذ وجد توقيع صالح عشماوى .

ولقد اجتمعت الهيئة بعد ذلك فى المركز العام المؤقت الذى اقامه الإخوان بمنزل صالح عشماوى بالظاهر ، وأعلنت انتخاب حسن الهضيبى مرشدا ، وقام عبد الحكيم عابدين فأعلن مبايعته مرشدا .

ثم كان اول خطاب للاستاذ الهضيبى للإخوان يوم الثلاثاء ٢٣ اكتوبر ١٩٥١ « هذا أول لقاء بينى وبينكم ، ويسعدنى أن أوصيكم أيها الاخوان بتقوى الله وطاعته والاقبال على الله وترتيل القرآن الكريم .. وأن تستعدوا فى هذه الظروف التى تمر ببلادنا ، والله معنا ينصرنا ويوفقنا . »

وفى الحقيقة أنه بذلت جهود كبيرة لاقناع الرجل - أو لحمله على قبول المنصب حتى قبل ، ثم نفخ الله فيه من روحه فامتدت حياته اثنين وعشرين عاما بعد انتخابه خلافا لظن الذين رشحوه يوم رشحوه والذين قبلوه - مؤقتا - يوم قبلوه .

حسن إسماعيل الهضيبى من عرب الصوالحة بمنطقة شبين القناطر من القليوبية شمالى القاهرة بقليل . تلقى تعليمه الأولى فى كتاب القرية وحفظ القرآن الكريم . وبعد انتهائه من التعليم الثانوى التحق بمدرسة الحقوق العليا وتخرج فيها عام ١٩١٥ . وعمل بمكتب حافظ رمضان الذى تولى زعامة الحزب الوطنى بعد مصطفى كامل ومحمد فريد . وبعد أن حصل الأستاذ الهضيبى على ترخيص مزاولة المهنة تزوج ثم رحل إلى سوهاج وشارك فى أحداث ١٩١٩ . وعين قاضيا عام ١٩٢٤ وظل فى سلك القضاء متنقلا بين المحاكم . ويبدو أن أول لقاء له ببعض الإخوان كان عام ١٩٤٤ .



قضى الرجل حياته فى مناصب القضاء حتى اكتسب صفة الصمت واعتادها ، فلم يكن خطيبا ولامتحدثا . وكان له من مركزه ومستواه الاجتماعى مالم يألفه الإخوان فى مرشدهم الأول . كان حسن البنا يتحدث فيأسر القلوب ويلقى إخوانه فيجالسهم على الأرض ويبيت معهم على الحصير . أما حسن الهضيبى فكان لايجلس إلا على مقعد ولو كان الآخرون يجلسون أرضا ، وكان لذلك أثره فى صدم مشاعر بعض الإخوان . ومع ذلك فقد اعتاد الإخوان السمع والطاعة لمرشدهم . ولنكن منصفين . لم يكن لرجل فى مركزه الاجتماعى – مستشارا بمحكمة النقض – قضى ستين عاما من عمره لايجلس على الأرض ان يعتاد ذلك بسهولة . قد يكون اعتادها بعد ذلك فى السجون .

عدى بن حاتم الطائى صحابى رسول الله ﷺ عاش عمره بدويا يجلس على الأرض فلما تقدم به السن وصار يؤذيه ذلك استأذن اصحابه أن يجلس على وسادة . فلا غضاضة . بدأ الإخوان يألفون الوضع الجديد ويعرفون أن مرشدهم الجديد ليست له كل صفات المرشد الأول .

جاء الرجل جديدا على جماعة لايعرفه أفرادها من قبل ولايعرفهم ، ولنضع النقط فوق الحروف .. لقد سار فى عهده الأول معتمدا على فريق معين من الإخوان دون الآخرين ، هو الفريق الذى رشحه ليكون مرشدا . ورغم محاولات الآخرين أن يشعروا بأبوته .. لم يشعروا . وهنا تختلف الآراء ، يقول الأولون إن الآخرين لم يكونوا متعاونين معه ، ويقول الآخرون إنه كان يحابى ذلك الفريق . ولكن الأستاذ الهضيبى نفسه كان يشهد فى معتقله الأخير أنه عرف عن الناس الذين كانوا حوله ما لم يكن يعرف من بادىء الأمر .. لقد كان من أشد المعارضين لسياسته وأعلاهم صوتا وألذعهم نقدا الشيخ محمد الغزالى . وفى عهد الأستاذ الهضيبى فصل الغزالى من الإخوان . ولكن بعد أن أفرج عن حسن الهضيبى من اعتقاله الأخير تم الصلح والصفاء بين الرجلين بسهولة بالغة ودون أى عتاب من أحدهما للآخر ، وكأنما كان كل منهما مشتاقا لذلك ! . وقال لى الشيخ الغزالى « لقد كتبت عنه فى بعض كتاباتى وكتبى ماأتمنى أن أعيد طباعته لأغير ماذكرت عنه » .
هكذا يفعل صفاء النفوس .

لم يكن من المتوقع أن يحتمل مستشار النقض الذى يحمل رتبة البكوية المحنة تلو المحنة يخوضها مع الإخوان فيسجن معهم ويعذب معهم وقد بلغ منه الكبر وشاركه المحنة جميع أفراد أسرته .. أولاده الذكور المهندس أحمد أسامة والقاضى محمد مأمون والمحامى إسماعيل ، وبناته وزوجته .. جميعهم سيقوا إلى السجن فكان ، والحق يقال صابرا ، وكانوا صابرين معه . وحين يؤرّخ له فلن يغفل مؤرخ أنه كان عنيدا أمام جمال عبد الناصر بكل طغيانه ولقد كان العند من طبيعته . ولقد كان يتمسك بأنه المرشد العام للإخوان المسلمين . قالوا له إن جماعة الإخوان قد حلت وبناء عليه فإنه لم يعد مرشدا لأحد . قال ان الإخوان المسلمين جماعة عالمية فإن كانت قد حلت فى مصر ولكنها قائمة فى عديد من بلاد المسلمين غير مصر ، وقد ارتضاه جميع الإخوان مرشدا لهم . وفى آخر مواجهة له مع عبد الناصر قبض عليه فى (٢٣ / ٨ / ١٩٦٥) ، وحكم عليه من محكمة الدجوى بالحبس ثلاث سنوات قضاها فى السجن الحربى وفى ليمان طرة وهى محكمة عسكرية رأسها اللواء محمد الدجوى ، فعرفت باسمه – وبعد انتهاء مده حبسه ، كما كان الدأب حينذاك لم يفرج عنه ، ولكنه نقل من السجن إلى معتقل مزرعة ليمان طرة ، وأفرج عنه فى عهد أنور السادات فى أكتوبر ١٩٧١ بعد وفاة عبد الناصر بأكثر من عام .. بدأ مرشدا مختلفا عليه وانتهى ولاخلاف عليه .

وتوفى رحمه الله فى ٨ نوفمبر ١٩٧٣ وقد بلغ ٨٢ عاما . وظهر هذا النعى المقتضب فى صفحة الوفيات بجريدة الأهرام الصادرة يوم السبت ١٦ شوال ١٣٩٣ – ١٩٧٣/١١/١٠ .

فقيد الإسلام والعروبة

ودعت أسرة الهضيبى بعرب الصوالحة أمس عميدها المرحوم المجاهد الكبير الأستاذ حسن الهضيبى واقتصر العزاء على تشييع الجنازة تحقيقا لرغبة الفقيد وإنا لله وإنا إليه راجعون . ا . هـ

كان النعى على نفقة الأسرة ولم تنشر الدولة شيئا !



الأستاذ الهضيبى فى محكمة الشعب

بعدها بأيام قلائل قابلت فى بيروت على محمود رئيس تحرير وكالة اسوشتيد برس ، وكان معتقلا معنا فى طرة وكانت له هناك مع الأستاذ الهضيبى جلسات ، وفوجىء حين ذكرت له خبر وفاة الأستاذ وحزن حزنا شديدا وأبدى دهشته ان لم تنعه الدولة ، وأصدر بها نشرة إخبارية من بيروت .

رحمه الله كان مسلما مجاهدا صابرا صلبا لايلين ، وأسرته أسرة مسلمة ملتزمة أفاضل رجالها ونساؤها ، قبلت بكل رضا ان تشاركه محنه فى مواجهة أشد طغيان قال كلمة الحق أمام طاغية جائر ، ونهاه فلم ينته بل سجنه المرة تلو المرة ، وفى عام ١٩٥٤ صدر حكم محكمة الشعب برئاسة جمال سالم بإعدامه ، ثم خفف الحكم إلى السجن المؤبد أمام غضبة العالم الإسلامى فجزاه الله وجزاها خير الجزاء .

***

الفصل الثاني عشر

التجميع الثاني للنظام الخاص

اتصالات

كنا ونحن بالسجن نعرف من بقى منا خارجه يواصل المقاومة . ولكن استمرار المحنة من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٤٩ إلى ١٩٥٠ جعل وفودا أخرى من إخواننا يفدون فى شكل قضايا وتحقيقات فينضمون إلينا داخل السجن ، منهم من قدم – مثلنا – إلى المحكمة ومنهم من أرسل إلى المعتقلات دون محاكمة . كانت أعداد غفيرة من الإخوان تلك التى سجنت أو اعتقلت حتى أدركنا أخيرا أنه لم يعد بالخارج نظام قوى قائم . هذه الحقيقة التى كنا نعلمها لم يكن يعلمها الرأى العام ولا الحكومة ولا البوليس السياسى ولا السراى ولا الإنجليز .

وما ان صدرت الأحكام فى قضية السيارة الجيب وأفرج عن عدد منا يوم صدور الحكم – وكنت منهم – حتى بدأنا نتفاهم حول تجميع النظام . وفى حديث بينى وبين أحمد زكى وكان أكبرنا وضعا فى النظام وأكثرنا تصورا للأمور قال إن الأمر أصعب من هذه البساطة الظاهرة بكثير ، وكان صادقا صائبا . وفى زيارة لعبد الرحمن السندى حيث كان مازال محبوسا بمستشفى قصر العينى وجدته أكثر حماسا من أحمد زكى فى ضرورة المبادرة بإعادة تشكيل النظام الخاص وكان يشكو بمرارة من علم حماس من يتعاونون معه وعدم مقدرتهم على القيام بهذا الأمر .

وبدأنا اتصالاتنا لتنفيذ مارأينا أنه لابد من تنفيذه فكانت اجتماعات . كان أكثرها بمنزل جمال فوزى بحى الروضة أو بعيادة الدكتور احمد الملط وكان يشهد هذه الاجتماعات معنا المهندس حلمى عبد المجيد واسماعيل عبيد ومحمد شديد وسيد أبو سالم وكان يرأسنا أحمد زكى . لم تكن اجتماعاتنا مقصورة على بحث مايخص النظام الخاص بل تناولت كل ماكان يهم الجماعة فى تلك المرحلة ، تناولنا فيها

مواضيع القضايا والمسجونين ودار المركز العام ومظاهرة البرلمان ودبرناها بالاتفاق مع الأستاذ صالح عشماوى . وفى الواقع أن الإفراج عنا كان بمثابة انتعاشة محسوسة لنشاط الجماعة . وكان من أبرز الظواهر التى لاحظتها بعد الافراج عنى انضمام جيل جديد إلى صفوف الجماعة ، وكان ماظننته من قبل عن فراغ الميدان من جماهير الإخوان ظنا يناقضه الواقع ، فلم تكن هناك مشكلة أعداد ولكن كانت مشكلة تكوين . ذلك أن الإخوان المسلمين لم تكن مجرد جموع وإنما كانت جموعا من نوع معين يلزمه التعهد بالرعاية والدراسة حتى يلتزم بتعاليم الإسلام ويأخذ نفسه بها .

عقبات

وببدء هذه الاجتماعات بدأت تتبلور أمامنا العقبات وتتجسد .

كان هناك اعتراض على إعادة تكوين النظام الخاص . قالت مجموعة ، إننا فكرة .. عقيدة .. والعقيدة تنتشر بالدعوة وإبلاغ الناس وتبصيرهم بها وإفهامهم أصولها ومقاصدها ، ولا يمكن أن تنتشر بالقوة والانقلاب . هذه واحدة ، والثانية أن دعوى الجهاد فى سبيل الله لاتكون إلا بتعيين الإمام .. يعنى فى حالة قيام الدولة المسلمة ، فالدولة هى التى تكلف الأفراد بأعباء الجهاد ، والإمام رئيس هذه الدولة هو الذى يعلن الجهاد ، أما حيث لايكون لنا دولة فإنه لايحق لأى إنسان أن يعتبر نفسه مسئولا عن الجهاد واستعمال السلاح . وقادهم هذا إلى إثارة مسألة .. هل نحن الجماعة المسلمة بمعناها الشرعى ؟ أو نحن جمعية من المسلمين ؟ وانتهوا إلى اننا جمعية من المسلمين ولسنا الجماعة المسلمة وعليه فلا يحق لنا أن نعلن جهادا ولا أن نقاتل أو نقتل باسم الإسلام أحدا ولو كان خائنا سفاحا . كما أثار بعضهم – وليس كلهم – اعتراضا آخر بأن قادة النظام قد تنكبوا الطريق حين جعلوا من تعليماتهم لإخوان النظام أن يكذبوا إذا لزم الأمر ، فيزعمون أنهم ليسوا من الإخوان وأنهم لايعرفون مايسألون عنه فى حين أنهم يعرفون ، وليس الكذب من الإسلام ولا التقية من مذهب أهل السنة . كانت دعوتهم أننا فى حاجة إلى دراسة الإسلام والاستزداة منها ، فاقرأ واقرأ واقرأ دائما .. حتى تموت وأنت تقرأ ..

فئة أخرى من إخوان المحيط العام اعترضوا على تشكيل النظام بدعوى أن فى قيامه ازدواجا فى الجماعة ، وزعموا أن الأخ يتمزق بين تعليمات المحيط العام للجماعة وتعليمات النظام الخاص ، كان أبرز هؤلاء وعلى رأسهم الدكتور رئيس مكتب إدارى القاهرة . كان يرى بحكم وضعه ذاك أن يكون « رئيسا » لكل صغيرة وكبيرة فى القاهرة ، بما فى ذلك النظام الخاص ، هذا أو لايكون نظام خاص . وأبى فى إصرار عنيد أنه من الناحية التنظيمية يمكن أن يكون رئيسا لتشكيل عام وأن يكون سواه مسئولا عن تنظيم خاص وأن يقوم بينهما نوع يتفق عليه من التعاون . خصصت الدكتور بالذكر لأنه كان أكثر هؤلاء إصرارا وجهرا فى مقاومة النظام الخاص ، واتجه إلى أن يفرض رأيه بأن يجعل من هذا الموضوع – الخاص بتنظيم سرى – مشكلة تناقش بصورة علنية فى كل مكان !

فئة ثالثة اعترضت على قيام النظام ، لالفلسفة فكرية ولا لاعتراضات تنظيمية ولكنهم كانوا فئة يهمهم بأى حجة ألا يقوم النظام فنراهم مع أىٍّ من الفريقين يؤيدون هذا ويشدون أزر ذاك . أولئك الذين ناءت كواهلهم بحمل أثقال المحنة . منهم الباكون فى المعتقلات وغيرهم ممن ستر الله ضعفهم .

ردود

تلك الاعتراضات كانت لها ردود . فنحن مسلمون نستشعر الجندية الإسلامية والفدائية المؤمنة التى تبذل الرخيص والغالى فى سبيل الله ، ولم نكن نرى أن غيرنا يلتزم نصوص الإسلام أكثر منا ، فنحن أيضا نلتزمها ولانجد فى صدورنا حرجا من أمر الله . وإن نشر الدعوة وإبلاغها للناس وشرح أهدافها ومقاصدها ومبادئها هو من أوليات العمل لفكرتنا لم ننكره ولم ننتقص من شأنه ، وكلنا انتسبنا إلى الجماعة عن ذلك الطريق .. طريق الدعوة . وإنما النظام الخاص – كما أردناه – جيش يحمى الجماعة والقائمين بالدعوة الذين لولا قيام النظام لأخذهم خصومهم من أول الأمر أخذا . وهنا يعرض لنا سؤال .. هذه المحن التى توالت على الجماعة ، هل كان النظام الخاص سببا لها ؟ قال بعضهم : نعم . وقلنا بالعكس . فإن وجود النظام الخاص لدى الإخوان أمر شعرت به حكومات الطغيان المتعاقبة والمستعمرون كما شعر به الرأى العام حتى من قبل أن يظهر نشاطه . وأذكر أنه

فى صيف عام ١٩٤٥ نشر الصحفى الصهيونى المشهور جون كيمش وكان مراسلا لوكالة رويتر للأنباء فى الشرق الأوسط - واستوطن إسرائيل بعد قيامها - نشر أن للإخوان المسلمين تشكيلات خفية تستعد سرا بالتسليح والتدريب ، وحذر الحكومات العربية منهم . ولزم الأمر حينذاك أن ينفى الإخوان ذلك القول وأن يحتجوا عليه وأن يطلبوا إلى الحكومة القائمة إبعاد ذلك المراسل عن مصر . لم يكن ذلك النشر عن علم ومعرفة بأسرار الجماعة ولكنه كان - لاشك - إحساسا عند ذلك المراسل أراد أن يترجمه إلى تحقيق صحفى يسىء إلى الجماعة أمام الحكومات فى مصر ، ويوقع الخوف فى صدروها من الإخوان ويحرضها ضدهم . ولكن الذى حدث أن ذلك التصريح - كما انه قد أصاب هدفه - خدم جماعة الإخوان خدمة كبرى إذ أقبلت عليها وفود الشباب المتحمس الذين كانوا يتوقون إلى جهاد جاد لادجل ولاتهريج فيه وقد افتقدته وافتقرت إليه الأحزاب كافة .

فلماذا لم ترتكب تلك الحكومات حماقة حل جماعة الإخوان المسلمين قبل ١٩٤٨ ؟ وبعبارة أخرى لماذا أقدمت على حلها عام ١٩٤٨ بالذات ؟ لاجواب على هذا إلا خوف تلك الحكومات من النظام الخاص الذى لم تكن تعرفه باسمه ولا بصفته ولابأشخاصه ولابشىء من أسراره . فلما تراءى لها أنها قد استمكنت منه على أثر ضبط السيارة الجيب وعدد من قادة النظام فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ أقدمت فى ٨ ديسمبر من نفس العام على تنفيذ ماكانت تتوق شوقا إليه منذ زمن مضى مستجيبة فى ذلك إلى نزواتها وإلى توجيهات من سلطات الاستعمار الإنجليزى .

وإذًا فإن اعتداء الحكومة على الجماعة ماجاء حينما كان النظام الخاص قويا قائما ، وإنما جاء حين علمت تلك الحكومة أنه فى مأزق متورط . فإذا افترضنا عدم قيام النظام بادىء ذى بدء لوجب أن نفترض مع هذا أن الجماعة كانت ستتعرض للحل قبل ذلك بسنوات إذا اختارت أن تسير بنفس القوة الظاهرية التى سارت بها ولكن بدون نظام خاص . فضلا عن ذلك ، لو أنها سارت بقوة فى مجالات الخطابة وإصدار قرارات الاحتجاج والاعتراض على الحكومات واصطدام مظاهراتها بالبوليس ... لو أنها فعلت ذلك وليس لها نظام خاص يحميها لكانت جماعة من المهرجين لاتزيد على سواها من الجماعات والأحزاب التى كثرت فى ذلك الحين ..

ثم إن نصوص الإسلام صريحة فى أن الجهاد فى سبيل الله فريضة ماضية إلى يوم القيامة . والجهاد فرض عين إذا ديس شبر من أرض الإسلام ، فكيف ونحن لانجد شبرا حرا من أرض الإسلام ؟ فإذا استطاعت القوى المعادية تصفية الخلافة الإسلامية ولم نجد من يحمل صفة الإمام أفيعنى هذا إلغاء الفريضة ونسخها ؟! كنا نرى أنه إذا كان الجهاد فرضا فى حالة إعلان إمام المسلمين النفير فإنه يكون أحرى بالفرضية إذا لم يكن للمسلمين إمام يقيم حكم الله فيهم . وإذًا فلا طائل من فتح باب البحث فى « هل نحن الجماعة المسلمة حتى يحق لنا إعلان الجهاد أو أننا جمعية من المسلمين ، فحتى لو كنا جماعة من المسلمين – ونحن فعلا كذلك – لوجب علينا ماأوجب الله على المسلمين .

لقد انتقدوا مبدأ الطاعة . وطاعتنا لمرشدنا لم تجب علينا له إلا بحكم البيعة التى أديناها عن طواعية واختيار .. وهى لم تكن إلا بندا من بنود متعددة فى تلك البيعة منها ماهو للقائد ومنها ماهو للجنود ، وبذلك كانت عهدا وميثاقا بين طرفين . وكيف نتصور أن يكون لجماعة نظام ثم يكون أفرادها أحرارا فى أن يلتزموا بقراراتها أو لايلتزموا ؟ وفى مختار الصحاح فى شرح معنى فوضى « كل قوم متساوون لا رئيس لهم فهم فوضى » .

ومن عجيب أمر إخواننا هؤلاء – وإنصافا لهم – نقرر أنه حين ألغيت معاهدة ١٩٣٦ فى أواخر ١٩٥١ كانوا ممن حمل السلاح وقاتل به الإنجليز فى منطقة قناة السويس . وكان بعضنا يرى فى هذا أنهم أرادوا تعميم حمل السلاح حتى يقولوا فى تلك المناسبة العملية إنهم يستطيعون الجهاد بدون نظام خاص ، فلا جدوى إذا للنظام الخاص ، ووصفه بعضهم بأنه جهاز ضرار . والله أعلم بالسرائر وهو الذى يجزى بها . ولكننا نجد نفس هذا الفريق حين اصدرت حكومة الثورة قرارا بحل جماعة الإخوان المسلمين فى ١٥ يناير ١٩٥٤ ، ثم عادت فألغت ذلك القرار ، انخرط هؤلاء فى التنظيم السرى الجديد ودانوا بالولاء والطاعة لقادتهم وساهموا فى تدبير ماكانوا يعيبون علينا أقل منه .. هم هم بأشخاصهم وأعيانهم ! وأما قولهم إن الإسلام لاينتشر بالقوة والانقلابات ، فلم يكن الانقلاب فى أى يوم هدفا للنظام الخاص ولاوسيلة .

عقبات أخرى

وغير هؤلاء كان هناك معترضون أخرون اكبرهم – كما ذكرنا – كان رئيس مكتب إدارى القاهرة . أراد أن يكون النظام الخاص جزءا من النظام العام ، فإخوان النظام فى نطاق كل شعبة يريدهم خاضعين لإشراف شعبتهم . وكان رأينا أن التنظيم بهذه الصورة لايجعل من النظام الخاص تشكيلا سريا ، فإذا ماوقعت الواقعة وعادت الحكومات تصطدم بالجماعة وذهبت تعتقل الظاهرين فيها فقد انتهى كل شيء قبل أن يبدأ شيء .

فضلا عن هذا ، فالقاعدة أن يختار لكل عمل الأنسب له ، فالنظام الخاص يناسبه الفدائية واللياقة البدنية وكتمان السر وخفة الحركة وسرعة البديهة والذهن الحركى ويفضل فيه قلة أو انعدام الأعباء العائلية ، وهذه لاتتوافر غالبا لنائب الشعبة أو رئيس المنطقة (المنطقة عدد من الشعب المتقاربة) . بينما يناسب نائب الشعبة أن يكون خطيبا متحدثا لائقا لتمثيل الجماعة أمام حيه .. هذا فضلا عن أن شُعَبَ الإخوان قد امتلأت برؤساء من المؤلفة قلوبهم ومن ذوى الوجاهة . فكيف نوافق على تسليم إخواننا لإخوان لانجرحهم ، ولكن لكل مايناسبه ؟.

كنا أشداء على إخواننا فى تكوينهم .. صلاة الفجر جماعة فى المسجد .. التدخين ممنوع بدافع من ذواتهم قبل أن يكون الدافع هو الأوامر ، ولو أن الأوامر كانت صريحة وحاسمة ، فلم يكن بين إخوان النظام – فيما أعلم – مدخن ... كانت عليهم أوراد من حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والدراسات فى المعارف الإسلامية المتنوعة . فماذا كان فى الشُّعب ؟ كانت طقاطيق السجائر تمتلىء بأعقابها ولم يكن تنفيذ أى برنامج منتظما ولم يكن حفظ شيء من القرآن والحديث محتما .. الخ . كانت هناك برامج وأنشطة محترمة ولكن لاجدال فى أن برامج النظام الخاص وأنشطته كانت أكثر التزاما وفاعلية وبعدا عن التسيب .

على كل حال لقد أتيح لرئيس مكتب ادارى القاهرة ومن شاركه رأيه أن ينفذوا فكرتهم بعد فصلنا من الجماعة . أدمجوا النظام الخاص فى الكيان العام ، وقضوا على ماسموه ازدواجا ، ووضعت تحت تصرفهم جميع إمكانات الجماعة ، وفصل منها كل من عارضهم أو أبدى رأيا لايرضونه ، وأقبل كل من عارضنا سابقا

يؤيدونهم ، حتى كثير من إخوان النظام الخاص ، عملوا معهم حرصا على وحدة الصف ، ثم أطمأنوا إلى جمعهم فهاجموا حكومة الثورة فى معركة تمثلت فيها جميع نظرياتهم التى عارضناها وبجميع الأشخاص الذين اعترضنا على لياقتهم ، فاتاحوا للحكومة أن تأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وأخذتنا معهم ، وأصيبت أكبر وأقوى وأخلص جماعة إسلامية فى عصرها بنكبة !

رفضنا فكرته فذهب يشكونا فى كل مكان ولكل إنسان أننا نتصرف فى القاهرة بدون علمه ، وراح يكتل نواب الشعب ورؤساء المناطق ويحذرهم من خطرنا ! وأصدروا أوامرهم إلى الإخوان ألا يسمعوا لنا ، وزعموا أن الغرور أصابنا بعد خروجنا من محنة ١٩٤٨ . ولقوا فى هذا تأييد الإخوة حيث سيطروا تماما على قسم الطلاب ، وأنفق من مال الجماعة على هؤلاء ليطوفوا القاهرة وأنحاء الأقاليم بهذه الرسالة ، واستمروا على ذلك عاما أو يزيد . وساير هذا الاتجاه أيضا ضعفاء المحنة ، وأبينا أن نكشف ستر الله عنهم ، فإنهم إخوان أصابنا وأصابهم ماأصبنا به فى سبيل الله والعمل لدعوته .

كنا نرى أن النظام الخاص ملك للجماعة ولم نره قط تشكيلا خاصا بنا كمجموعة . ومن هنا لم نكن نعترض حين بدأنا إعادة تجميعه على أن ينضم إليه كثير من مخالفينا فى الرأى ماداموا غير متهمين فى إخلاصهم ، فكان معنا بعضهم قبلوا أن يضعوا أيديهم فى أيدينا .. كنا نرى أنه لابد أن تتفاعل تلك الآراء وأن تذوب الفوارق بينها حتى تتقارب على شيء يقبله الجميع .

ولكى لاأطيل على القارىء أصل إلى أن مجموعة برزت فى ذلك الوقت تقف حياتها على تكوين النظام الخاص ، يقيمونه ويدافعون عنه ويذللون صعابه . أولئك كان على رأسهم عبد الرحمن السندى وأحمد زكى وكاتب هذه السطور ، وإخواننا المسئولون عن مناطق القاهرة والعاملون فيها . كان هذا التكوين متجاوبا أشد التجاوب متفاهما إلى أبعد الحدود . ورغم كل ماذكرنا سابقا فلم يكن تجميع النظام الخاص بعد محنة ١٩٤٨ ضد التيار بل كان معه ، سواء من الصفوف القديمة للإخوان أو لمن استجد انضمامه إليها بعد المحنة . لقد كان كل ماكشفت عنه القضايا أقوى من مائة ألف خطبة وموعظة واحتفال واستعراض فى جذب

الشباب الجاد إلينا . بعبارة أخرى لقد جاء هذا الشباب الجديد إلى النظام الخاص واجتمع حوله وكان بعضهم يؤازره وهو ليس منه .

يضاف إلى ذلك أن التشكيلات الأولى للنظام الخاص عام ١٩٥١ كانت تعنى أيضا بأمور النظام العام . أذكر من ذلك فرش المركز العام بالأثاث بعد أن تم استرداد مبناه من الحكومة . وأذكر اجتماعا لمسئولى النظام الخاص بالأقاليم تم فى القاهرة وقد فرض أحمد زكى على كل مسئول مبلغا من المال يؤديه ثم يتولى جمعه بعد ذلك ، وكان هذا على أثر زيارة قام بها أحمد زكى إلى الدار فوجدها خلوا من الأثاث المناسب فى وقت تزور فيه الدار وفود صحفية من جميع أنحاء العالم .

كذلك مظاهرة البرلمان التى تمت فى ١٨ أبريل ١٩٥١ كانت عملا نظاميا أشرف على إعداده أحمد زكى وتمت بنجاح رائع .

•
••

الفصل الثالث عشر

النظام الخاص

١٩٥١-١٩٥٣

ماأشرت إليه من عقبات واجهت النظام الخاص لازمته طوال هذه المرحلة من مبتدئها إلى منتهاها دون أى هدنة أو استراحة .. وهى عقبات كان من شأنها أن توقف نشاطه وتشله شللا . ولكن بعد فترة من التعطل والركود تقرر أن ندع المسئولين عن النظام فيما هم فيه من استغراق فى المشاكل وأن ننطلق لما هو واجب .

بدأت بداية جديدة مع مجموعة من المسئولين التنفيذيين نجمع حبات ذلك العقد وننظمه فى مناطق القاهرة . وفى ذات الوقت بدأت أضع البرامج وأقوم على طبعها وتجليدها وإخراجها فى أحسن ثوب . وبدأنا عملية تدريب جديد وجمع جديد للسلاح . وكنا نحرص قدر طاقتنا أن نجنب إخواننا الذين اجتمعوا إلينا الدخول إلى تلك المشاحنات أو أن تلوث قلوبهم الخصومات ، وذلك رغم أن منهج المعارضين لنا كان يقوم على الاتصال بجميع الأفراد لتحذيرهم منا ومحاولة ملء رءوسهم باعتراضاتهم ، ولقد كان حفظ إخواننا وسط تلك الدوامة بعيدين عن الدوران فيها أمرا فى غاية المشقة . ولقد تجاوب إخواننا معنا .

ولقد وضعنا برنامجا دراسيا مؤقتا لمدة عام ولكنه لم يستمر العام المقدر له ، حيث قطعناه لنبدأ برنامجا غير مؤقت أكثر جدية . وكنت صريحا مع إخواننا فى أننا نبدأ من الصفر . وماسرنا فى تكويننا الجديد إلا قليلا حتى أعلنت وزارة الوفد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فكان لنا فى ذلك مجال للنشاط المسلح ضد الإنجليز بمنطقة القناة . ولقد أقمنا معسكرا ممتازا للتدريب بعزبة الحاج إبراهيم نجم بالشرقية ، وكان يقوم بالتدريب فيه يحيى عبد الحليم وجمال فوزى ومحمد على سليم ويوسف على وعبد العزيز على وغيرهم . فى حين راحت مجموعات من إخواننا تغير على دوريات الإنجليز وعلى معسكراته فتنسف مخازن ذخائره فى أبو سلطان وفى غيرها من مسالحهم بالشرقية ومنطقة قنال السويس ، واتخذ الله منا شهداء مثل الشهيد عادل غانم والشهيد سيد الشراقى وآخرين استشهدوا من إخواننا من الشباب المسلم ، أخوانا عمر شاهين وأحمد المنيسى رحمهما الله .

البرنامج الدراسى

وضعنا البرنامج الذى نجحنا فى تنفيذه بالكامل وبدأنا المرحلة الأولى منه لمدة عام فى شهر مايو ١٩٥٢ . وقد تم تقسيم برنامج هذه المرحلة إلى أجزاء شهرية فكنا نطبع لكل شهر مايخصه ونوزعه على أفراد النظام . لقد كان ذلك البرنامج أقوى برنامج فى نظم الجماعة منذ أنشئت ، وكانت قوته تكمن – إلى جوار مافى مادته – فى أنه كان منفذا بتمامه وكماله ، فلم يكن برنامجا نظريا على الورق . لقد كنت مسئولا عن القاهرة فقط ولم تمتد مسئوليتى إلى أكثر من هذا ، ومع ذلك فقد طلب المسئولون عن الأقاليم هذا البرنامج حتى عم القطر كله ، ثم عبر الحدود إلى إخواننا فى سوريا ، وإلى جوار ذلك حرصنا على مظهر ذلك البرنامج فكنا نوزعه مجلدا تجليدا مناسبا لائقا . كان يعاوننى فى وضعه يحيى عبد الحليم وأحمد العسال وصلاح العطار . وكان يعاوننى فى طباعته إبراهيم صلاح وسيد عيد ، وفى كتابته على الآلة الكاتبة محمد أحمد . وقد قدمت لهذا البرنامج وملحقاته بهذه النشرة .

دراساتنا

أخا الهدى

هذه المطبوعات التى تصلك إنما هى دراسات إعدادية لأمر عظيم .

توهموه اعتداء على الأبرياء الآمنين ، وتوهموه خروجا على السلطات ، وتوهموه قلبا لنظام الحكم ، وتوهموه خلطا بين الدين والسياسة ، وأفرطوا فى الوهم ماشاء لهم ظنهم ، والظن لايغنى من الحق شيئا .

وعلم الله أنها ليست شيئا سوى الإذعان لأمر الله تبارك وتعالى ﴿ **وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم** ﴾ .

وعلم الله أننا مانبغى وإنما رد البغى نبغى ، فإننا كأصحاب دعوة وعقيدة كتب الله على المؤمنين بها صنوفا من البلاء ، ابتلاء وامتحانا وإحقاقا لحقه وإزهاقا لباطل الشيطان لابد أننا متعرضون لما وعدنا الله به ماتمسكنا بعقيدتنا وما استقمنا على

الجادة . فتأمل موعظة لقمان لابنه وهو يقول ﴿ **يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك** ﴾ . وانظر إلى هذا الترتيب فى نبوءة لقمان الذى وضع قاعدة لاتتغير للدعاة إلى الحق ... حسن الصلة بالله ودعوة الناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .. ثم انتظار المصيبة . فاصبر على ماأصابك .. إن ذلك من عزم الأمور .

لهذا لابد أن تكون لهذه المطبوعات صفة الخصوصية فكل مايصلك منها إنما هو خاص بك لايطلع عليه غيرك كما لايجوز ذكره لكائن من كان ، كيفما كانت ثقتك به ، وماأحكم قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » وإن القرآن ليحدثنا عن رجل من قوم فرعون يكتم إيمانه وإن السيرة لتلقى علينا أعظم دروس الحركات فى الدعوات بالدعوة إلى الله سرا ثلاث سنوات من بدء الرسالة حتى نزول قوله تعالى ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ .

ولهذا أيضا احرص على أن يكون لهذه المطبوعات مكان خاص بها كدرج فى دولاب أو مكتب خاص بك ، وأن يكون هذا المكان معينا معلوما عندك فلا تضع ورقة هنا وورقة هناك ، وأن تخصص غلافا يجمعها جميعا فإذا مااحتجت أو احتاج الأمر نقلها سهل عليك ذلك دون حاجة إلى البحث عنها وجمعها ونسيان بعضها .

إن هذه المطبوعات أمانة وعهدة عندك قد نستردها منك لأجل أو لغير أجل ، فحافظ عليها ولاتطبقها ولاتكتب فى هامشها ولاتشطب فيها أو تعلق عليها وكن أمين هذه العهدة والأمانة من الإيمان . فتأمل هذا راشدا مهديا إن شاء الله .

وختاما ندعو الله أن ينصر دعوتنا وأن يوفق قادتها وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدا ، وأن يرحم مرشدنا وشهداءنا ، وأن يرزقنا الشهادة فى سبيله وألا يحرمنا أجرهم ولايفتنا بعدهم وأن يغفر لنا ولهم .

آمين .. آمين .. آمين ا . هـ .

المرحلة الأولى

أما البرنامج ذاته فكان قائمة بمواد دراسية لمدة عام ، ثم تقسيم هذه القائمة إلى اثنى عشر قسما شهريا ، لكل من البرنامج الكامل أو الشهرى مقدمة مناسبة أعاننى فى تحرير أكثرها الأخ أحمد العسال وكذلك باختيار الأحاديث الشريفة المقررة للحفظ . أما مادة البرنامج نفسه فبعضها مواضيع إسلامية عامة تؤخذ من مراجعها العامة وبعضها مواضيع خاصة وضعتها بنفسى بالرجوع إلى مراجع عربية وإنجليزية من المطبوعات الرسمية وغير الرسمية . ونقتطف مايلى من نصوص البرنامج تعبر عن جوانبه .

تقديم البرنامج

قلنا منذ[1] عام

إن الغرض من برامجنا هو :

١ – تكوين الفرد المسلم الفاهم لفكرته فهما صحيحا يحفظه دائما من الانحراف عن أغراض الجماعة وأهدافها ووسائلها والانخداع بغيرها .

٢ – وأريد من البرنامج كذلك أن يجعل الأخ عاملا بما يعلم .

٣ – وحارسا للجماعة داخليا بحفظ الفكرة سليمة من كل شائبة ودائب العمل لها بدافع الإيمان بأنها رسالة حياته وأنه إنما يحيا بها ومن أجلها ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

٤ – ونريد من البرنامج أن يكون الأخ أهلا وكفؤا لحماية دعوته بدفع كل عدوان غير مشروع يقع عليها .

٥ – كما نريد من البرنامج منح الطاقة التى تدفعه إلى العمل لفكرته حتى تحقق أهدافها المباركة . ففهم الفكرة التى هى الإسلام والعمل لها والذود عنها هى العناصر التى كان يهدف إليها البرنامج منذ عام والتى مازلنا نهدف إليها . ورحم الله الرجل[2] الصالح إذ يقول :

---

(١) فى البرنامج المؤقت سابق الاشارة إليه .

(٢) الاستاذ حسن البنا فى « تطورات الفكرة الاسلامية وأهدافها » .

إن الوسائل العامة للدعوات لاتتغير ولاتتبدل ولاتعدو هذه الأمور الثلاثة :

١ – الإيمان العميق .

٢ – التكوين الدقيق .

٣ – العمل المتواصل .

ولنلاحظ جميعا أن برنامجنا يتناول الإعداد من جميع نواحيه ، من روحي يغذى القلب وثقافي يغذى العقل وعملي رياضي يعدنا كمجاهدين جادين . ثم إنه يهيىء كل أخ لأخذ مكانه من الوصاية والإشراف على أرض الله إحقاقا لإرادته تعالى ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ .

ورحم الله الإمام الشهيد إذ يقول فى رسالة « إلى أى شىء ندعو الناس » : « إن القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة ، وإذًا فذلك من شأننا لامن شأن الغرب ولمدنية الإسلام لا لمدنية المادة » .

وبرنامج عامنا هذا زاخر بالخيرات يحتاج منا إلى كثير وكبير عناء وتمام طاعة وحرص على الموعد ، فاحرصوا على ذلك أكرمكم الله وبقدر تمسككم بهذا ينصركم الله ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم .. فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم** ﴾ .

المرحلة الأولى

١ – القرآن الكريم :

ا – تلاوة جزء يوميا .

ب – حفظ سورة آل عمران – تجويدها – وتفسيرها .

جـ – علوم القرآن .

٢ – الحديث والسنة :

ا – حفظ أربعين حديثا صحيحا أو حسنا – راويه ومخرجه ومعناه .

ب – رسالة فى علم الحديث .

٣ – **السيرة :**

ا – نور اليقين للعمال .

ب – ابن هشام للطلبة .

٤ – **الفقه:**

ا – فقه السنة – الجزء الأول .

ب – فقه السنة – الجزء الثانى .

جـ – فقه السنة – الجزء الثالث .

٥ – **الدعوة :**

ا – الرسائل الثلاث .

ب – التعاليم والأسر .

٦ – **الرياضة الروحية :**

ا – المأثورات (تلاوة الوظيفة يوميا) ودراسة الرسالة كلها .

ب – ورد الرابطة .

جـ – ورد الاستغفار .

د – ورد المحاسبة .

هـ – كتيبة شهرية على الأقل .

و – جدول المحاسبة ويشمل : صلاة الفجر – الرياضة البدنية – القرآن – المأثورات – ورد الرابطة – الاستغفار – الكتيبة – عدد الصلوات القضاء .

٧ – طبوغرافيا – رسالة .

٨ – إسعاف – رسالة .

٩ – القانون – رسالة .

١٠ – مصارعة يابانى – رسالة وعملى ، يلزم إعدادها بالنسبة لكل منطقة ويؤدى فيها امتحان عملى .

١١ – السويدى – تمرين مابين ١٥ و ٢٠ دقيقة يوميا .

١٢ – أسلحة صغيرة – رسالة وشرح عملى .

١٣ – حرب العصابات – رسالة .

١٤ – مفرقعات – رسالة .

١٥ – تكتيك ميدان – رسالة .

١٦ – معلومات عامة : بزيارة المتاحف والأمكنة العامة .

ا – دار الآثار المصرية .

ب – المتحف الحربى .

جـ – المتحف الصحى .

د – المتحف الزراعى .

هـ – متحف السكة الحديدية

و – دار الآثار العربية .

ز – دار الكتب المصرية .

ح – حضور جلسة فى محكمة جنايات .

١٧ – دراسات عملية :

ا – السباحة .

ب – تجديف .

جـ – دراجة .

د – موتوسيكل .

هـ – الجرى .

و – القفز .

ز – شد الحبل .

ح – رحلة كل ٦ شهور . ا . هـ .

كان هذا هو البرنامج الكامل للمرحلة الأولى . وقد قسمناه على الاثنى عشر شهرا . وكان الشهر الأول يصادف شهر رمضان ١٣٧١ (مايو ١٩٥٢) وكان مايخص كل شهر يعد ويطبع قبل حلول الشهر بوقت كاف حتى يبدأ تنفيذه من أول يوم فى الشهر ويشغله حتى منتهاه .

برنامج الشهر الأول

ياأخا العقيدة

إن هذا الشهر أوله مغفرة ، فيجب أن يبدأ بالتوبة وأن يحاول كل أخ أن يتجدد . والتوبة لاتنفع إلا إذا صاحبها العزم القوى والذكر النافع الخاشع ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ .

ولايمكننا التغلب على الصعاب بقرارات تتخذ ولكن بأعمال تنفذ . إذا لابد أن تعطى من نفسك نموذجا حيا لمبادئك والدنيا تترقب جيلا من الشباب الممتاز بالطهر الكامل والخلق القويم ، فكونوا أنتم هذا الشباب .

إن عظمة الأمم الحقيقية تكمن فى الصفات ذاتها التى تتألف منها عظمة الأفراد ، وعظمة الأفراد راجعة إلى مايعتنقون من مبادىء ومبدؤنا من صنع الله الذى أتقن كل شىء .. ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾ .

والمبدأ لايأخذ طريقه التطبيقى إلا بثبات جنده وصلابة معتنقيه ، وذلك لا يتبين إلا بالتجربة العملية ، وطريقنا طويل وشاق أوله توبة إلى الله ووسطه طاعة وقربة وآخره تنفيذ وتوفيق وتثبيت .

ولأمر ما قال رسول الله ﷺ « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من ناوأهم حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » .

فهل نكون نحن من بين هذه الطائفة ؟

وهل نكون نحن الطليعة المبصرة لذلك الرعيل الطاهر ؟

وهل نصيخ السمع إلى صوت الدعوة وهو يصرخ فى أعماق الجند ﴿ **فأعينونى بقوة** ﴾ ؟ فإليك ياأخى هذا البرنامج خاصا ليكون ميدانا لتوفيق الله لك فى الشهر الكريم إن شاء الله .

القرآن الكريم :

ا – تلاوة جزء يوميا .

ب – حفظ الربع الأول من سورة آل عمران « ٣٢ آية » مع تجويده وتفسيره – ابن كثير أو رشيد رضا .

جـ – علوم القرآن – باب آداب قارىء القرآن وحامله .

الحديث والسنة :

ا – روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قَسّم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم . وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب ولايعطى الدين إلا لمن أحب . فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه . والذى نفسى بيده لايسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولايؤمن حتى يأمن جاره بوائقه . قالوا ومابوائقه يانبى الله ؟ قال غشه وظلمه . ولايكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولايتصدق فيقبل منه ولايتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لايمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن ، إن الخبيث لايمحو الخبيث » .

ب – عن عبد الله بن سهل بن حنيف أن سهلا حدثه أن رسول الله ﷺ قال : « من أعان مجاهدا فى سبيل الله أو غازيا أو غارما فى عسرته أو مكاتبا فى رقبته أظله الله بظله يوم لاظل إلا ظله » .

جـ – قال الإمام أحمد ، حدثنا معمر عن الزهرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله ﷺ قوما يتدارءون فقال « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه ببعض ، فلا تكذبوا بعضه ببعض ، فما علمتم منه فقولوا به وماجهلتم فكلوه إلى عالِمه » .

د – روى عن مسلم عن أبى رافع عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويهتدون بأمره ، ثم إنه تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه

فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس من وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

هـ – عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها ، إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر » .

٣ – **السيرة** : غزوة أحد – كتاب ابن هشام .

٤ – **الفقـه** : فقه السنة الجزء الأول – المقدمة وأقسام المياه – النجاسات .

فقه السنة الجزء الثالث – الزكاة ، حكمتها وحق الله فى الزرع والثمار .

٥ – **الدعوة** : رسالة التعاليم – حفظ خمسة من الأصول العشرين من عنصر الفهم .

٦ – **رياضة روحية** : المأثورات – صلاة ثلاثة أوقات بالمسجد ، الفجر والعصر والعشاء – ورد الرابطة – ورد الاستغفار – ورد المحاسبة ، كتيبة شهرية – جدول المحاسبة ، ويكون شخصيا لايطلع عليه غيرك ﴿ **كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ .

٧ – **رحلتين** : رحلة نهارية إلى المتحف الزراعى .

رحلة ليلية قمرية إلى الأهرام .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ا . هـ .

كان هذا هو النص الكامل لبرنامج الشهر الأول رمضان ١٣٧١ قدمناه كاملا ليكون نموذجا . وكان لكل شهر برنامج على هذا المنوال . وكنا نعقد كل شهرين أو ثلاثة امتحانا لاختبار مدى أخذ الإخوان أنفسهم بالبرنامج الموضوع ، ثم كان امتحان بعد الشهر الحادى عشر لجميع مواد البرنامج وكان الشهر الثانى عشر مراجعة شاملة ثم الاختبار النهائى بعد الشهر الثانى عشر ، نضعه هنا بتمامه تحت عينى القارىء .

بسم الله الرحمن الرحيم

المرحلة الأولى – الامتحان النهائى   الزمن ١٨٠ دقيقة

أولا : القرآن الكريم (١٦ درجة)   درجة

١ – ﴿ .. **وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** ﴾ .

أكمل خمس آيات بعد هذه الآية مع التشكيل   ٥

٢ – اكتب قوله تعالى ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** ﴾ .. إلى آخر السورة .   ٥

٣ – مامزايا الرسم العثمانى للمصحف ؟   ٣

٤ – كيف تميز بين الآيات المكية والآيات المدنية مستعينا بمميزاتها ؟   ٣

ثانيا : الحديث الشريف (١٦ درجة)

١ – اكتب خمسة أسطر عن كل من :

ا – صحيح مسلم .   ٢

ب – جامع الترمذى .   ٢

جـ – سنن أبى داود .   ٢

د – مجتبى النسائى .   ١

هـ – صحيح الترمذى .   ١

و – سنن ابن ماجه .   ١

٢ – اشرح التعبيرات الآتية   ٥

ا – المرسل .   ب – المسند   جـ – المرفوع .   د – الغريب .

هـ – المدرج .   و – المضطرب   ز – الصحيح .

ح – الحسن .   ط – الضعيف .   ى – الشاذ .

٣ – اذكر دعاء السفر الذى كان يدعو به رسول الله ﷺ   ٢

ثالثا : السيرة (١٢ درجة)

١ - كيف كانت غزوة الخندق نقطة تحول فى تاريخ المسلمين ؟ ٥

٢ - اذكر ماتعرفه عن غزوة مؤتة . ٧

رابعا : الفقه (٢٥ درجة)

١ - اذكر فرائض وسنن الغسل . ٤

٢ - ماالأسباب المبيحة للتيمم ؟ ومايباح به ؟ ٢,٥

٣ - هل يجوز فى الصلاة : ٥

أ - البكاء .

ب - الالتفات .

جـ - تغميض العينين .

د - قتل العقرب .

هـ - النظر إلى السماء .

و - المشى .

ز - الابتسام والضحك .

ح - رد السلام .

ط - التصفيق .

ى - القراءة من المصحف .

٤ - ماالنصاب الشرعى الذى تؤخذ منه الزكاة فى كل من ٣,٥

ا - الذهب . ب - الفضة . جـ - البنكنوت .

د - الزروع هـ - الإبل و - البقر ز - الغنم .

٥ - ماحكم زكاة الفطر وماقدرها وعلى من تجب ؟ ٣

٦ - اذكر أيام صيام التطوع الواردة عن رسول الله ﷺ . ٣

٧ - اذكر مايبطل الصيام ويوجب القضاء ، ومايبطله ويوجب القضاء والكفارة ٤

خامسا : الدعوة (١٠ درجات)

١ - ماالأركان الثلاثة التى تقوم عليها دعوتنا كما جاءت فى

رسالة « دعوتنا » ؟ ٦

٢ – ماالمراد بالجهاد كركن من أركان دعوتنا ؟ ٤

سادسا : الرحلات (٨ درجات)

اذكر ماقمت به من رحلات وفق هذا البرنامج . ٨

سابعا : التكتيك (٢١ درجة)

١ – اشرح باختصار تكتيكات الانسحاب . ٧

٢ – ماأهمية الدوريات ؟ ومأأنواعها ؟ ٧

٣ – ماالقواعد التى يجب على قائد الجماعة أن يراعيها حال تسلل جماعته نحو العدو ؟ ٧

ثامنا : حرب العصابات (١٠ درجات)

١ – اذكر مواضع الطعن القاتلة وكيف تصيبها من خصمك . ٥

٢ – اشرح كوكتيل مولوتوف وكيفية استعماله . ٥

تاسعا : الطبوغرافيا (٩ درجات)

١ – عرف خطوط الكنتور وخطوط الطول والعرض ٤

٢ – ارسم الاصطلاحات التى تدل على المدلولات الآتية :
مستنقع – أسلاك شائكة – أشجار – مواقع يهود – جبانة . ٥

عاشرا : الإسعاف (١٢ درجة)

١ – اشرح كيفية إجراء عملية التنفس الصناعى . ٦

٢ – وجدت مصابا يتقيأ قيئا مصحوبا بدم داكن جدا ليس به أى رغاوى . شخص الحالة واذكر الاسعاف اللازم . ٦

حادى عشر – الأسلحة الصغيرة (١٦ درجة)

١ – اذكر ماتعرفه عن ميزات قنبلة الأنيرجيا ، وفيما تستعمل . ٧

٢ – ماالأثر الذى تحدثه أنواع الرياح المختلفة من مسافات ٢٠٠ و٣٠٠ و٤٠٠ ياردة إذا هبت الريح من اتجاه الساعة ٣ ؟ ٩

ثانى عشر : المفرقعات (٢٠ درجة)

١ – اشرح الوصلات الآتية : البسيطة – الصندوقية – ورقة الشجر –

حرف Y – الاسبانية .

٢ – احتجت إلى قنبلة ٧٥ ولم تجدها . اذكر تفصيلاً كيف تجهزها محليا . وماستعمالها ؟ ٥

٣ – اذكر ميزات استعمال النسف بالكهرباء واستعمال النسف بالفتيل . ٥

ثالث عشر : المعلومات العامة (٢٥ درجة)

١ – صف فى سبعة أسطر جلسة شهدتها فى محكمة الجنايات .

٢ – علل صلتك بمن معك .   ا . هـ .

كانت رسائلنا مطبوعة طبعا نظيفا واضحا بالآلة الكاتبة على آلة الرونيو . وكانت صفحاتها فى حجم نصف صفحة الفولسكاب ١٦ × ٢١ سم وكنا نسلمها الإخوان مجلدة تجليدا أنيقا .

المرحلة الثانية

بدأت المرحلة الأولى على ماذكرنا في شهر مايو ١٩٥٢ وكانت تمتد إلى شهر أبريل ١٩٥٣ . وقبل أن نصل إلى ذلك التاريخ كنا قد وضعنا برنامجا للمرحلة الثانية يبدأ من شهر مايو ١٩٥٣ ليمتد حتى أبريل ١٩٥٤ ، وبدأنا شأن برنامج المرحلة الأولى تجزئته إلى قطاعات شهرية . ولكن لم يقدر له أن يتم ، وأتت الرياح بما لم تشته السفن .

مقدمات أمر خطير

فمع هذا السير الموفق فى تكوين إخواننا كانت الخلافات الداخلية تجتاح الجماعة . ولم نعد كما قال الشاعر :

حبذا العيش حين قومى جميع   لم تفرق أمورها الأهواء .

ولقد كان يمثل النظام فى تلك الخلافات مجلس قيادته المكون من الخمسة المسئولين ، ونجحنا إلى جوار ذلك فى أن ننأى إلى حد كبير بجمهور إخواننا عن تلك المعركة .

لم يكن هناك وفاق بين الأستاذ الهضيبي مرشد الجماعة وبين عبد الرحمن السندى المسئول الأول عن النظام . كان الأستاذ الهضيبي يصرح لنابأنه يؤيد النظام الخاص ويدعمه ويباركه ، وكان عبد الرحمن يرى أن تصرفات الأستاذ المرشد لاتتفق مع تصريحاته فى اجتماعاته معنا . وعلى ذلك فقد حدث بين الرجلين مناقشات واحتكاكات . وقد كان مجلس قيادة النظام حريصا على حسن الصلة بالمرشد ويراها ضرورية للسير بالنظام فى ركاب الجماعة ، وعلى أثر أحد تلك الاحتكاكات قرر المجلس تنحية عبد الرحمن عن قيادته ، وتقدموا بذلك الاقتراح إلى المرشد العام الذى قبله . واستمر الحال على ذلك فترة قام بعدها بعض الوسطاء بالإصلاح بين الرجلين فعاد عبد الرحمن السندى إلى وضعه الأول . ولكن عادت المتاعب مرة أخرى . وفى الواقع أن أسباب المتاعب كانت ترجع كلها إلى نشاط العناصر المناوئة للنظام داخل الجماعة فى معاداته ، ووعد الأستاذ الهضيبي بإلزامهم بوقف ذلك النشاط ، ولكنه لم يتوقف أبدا حتى اجتمعت الهيئة التأسيسية للنظام وعرض مجلس النظام عليهم المشكلة ثم قرروا التنحى وتفويض المرشد العام لاختيار من يشاء ، وأذكر أنه كانت لهم ترشيحات قبلها الأستاذ المرشد .

الفتنة الكبرى

كان هذا يحدث داخل الجماعة . وفى ١٥ / ١١ / ١٩٥٣ دعا جمال عبد الناصر مكتب الإرشاد العام على العشاء فى بيته . لم تكن العلاقات بين الإخوان وبين الثورة على مايرام ، وبلغنا أنه فى تلك المأدبة جرى حديث عن النظام الخاص ، وقال جمال إنه يتكلم بصراحة وانفتاح وإن هذا النظام هو دليل سوء نية الإخوان تجاه الثورة وقال إنه كان يفهم وجوده أيام الملك قبل الثورة ، أما الآن فلم يعد لاستمرار وجوده سوى معنى واحد هو أن الإخوان ينوون السوء بحكومة الثورة . وبلغنا أنه كان هناك وعد من الطرف الآخر بتصفية هذه المشكلة(ا) ويبدو أن ذلك الوعد كان مؤقتا إلى أجل محدد . كذلك كان لجهود إخوان الاتجاهات الأخرى أثرها فى ذلك القرار ، أولئك الذين مافتئوا يوغرون صدر الأستاذ المرشد على عبد الرحمن السندى بالذات . وتجهض محاولات الإصلاح .

أخبرنى عن ذلك الوعد بعد ذلك أحد أعضاء مكتب الإرشاد رحمه الله . ونجد تأكيد ذلك من أقوال بعض أعضاء مكتب الإرشاد وأقطاب الإخوان فى

« محكمة الشعب » وأيضا فى كلام « رئيس المحكمة » جمال سالم . وأنقل هنا بعض ذلك :

ومن محضر الجلسة رقم (١٣ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٥٤) :

جمال سالم – رئيس الحكومة من مايو سنة (١٩٥٣) بلّغك علشان أنك تحل الجهاز السرى وتسلم سلاحه وبيّن لك النتائج البطالة التى ممكن أن تصل إليها البلاد بوجود هذا الجهاز السرى المسلح . عملت إيه من مايو (١٩٥٣) ؟ قل لنا الخطوات التى عملتها من الألف إلى الياء .

د . محمد خميس حميدة – لم يتخذ شىء إلا اللى قلته لسيادتك .

جمال سالم – ما هى الخطوات يا محترم اللى عملتها ؟ رئيس الحكومة جابك وقال لك تروح تبلغ المسئولين باعتبارك واحد منهم فى جمعية الإخوان بإنك تحل الجهاز السرى وتسلم السلاح بتاعه ، وأنت باعتبارك واحد من المسئولين ووكيل الجماعة تقرر : أن المسئول الأول والأخير عن الجهاز هو المرشد ، والمفروض أنك قابلته فإيه نتيجة المقابلة ؟ قلت له (إيه) ؟ وقال لك (إيه) ؟

د . خميس – قلت للمرشد : إن السيد الرئيس يطلب أن تشكيلات الجيش والبوليس والنظام تسرّح ، فهو قال احنا ما شيين فى حل النظام والاجراءات اللى متخذينها اننا نحله وماشيين فى هذا الطريق . [جـ ٥ ص ١٠٦٢]

...

المدعى – ذكرت موضوع عبدالرحمن السندى ... هل صدر قرار من مكتب الإرشاد بفصله ؟

د . خميس – أيوه .

المدعى – هل هذا القرار كان بناء على اقتراح مقدم من أحد الأعضاء ؟

د . خميس – أيوه

المدعى – مين ؟

د . خميس – الشيخ محمد فرغلى . [جـ ٥ ص ١٠٧٣] .

جمال سالم – لما طلب رئيس الحكومة منك ومن الناس اللى طلب منهم فى مايو سنة (١٩٥٣) حل الجهاز ، (إيه اللى) انت عملته ؟

د . خميس – بلغت هذا للهضيبى .

د . خميس – كان رده .. نصفى هذا الوضع . [جـ ٥ ص ١٠٧٦]

جمال سالم – لماذا سمحت لنفسك وانت وكيل جماعة الاخوان المسلمون أن ينشأ باسم الجماعة أو يظل ناشئا باسم الجماعة جهاز سرى مسلح ، مع علمك بأن هذا مخالف لقوانين البلاد ؟

د . خميس – أشهد الله أن مهمة يوسف طلعت كانت علشان نخلّص الجماعة من الوضع اللى كان فيه النظام (ده) ، وإنهاء هذا الوضع وقلنا ليوسف طلعت ، انت مهمتك أن ينتهى هذا الوضع [جـ ٥ ص ١٠٨٠] .

د . خميس – المرشد كان يرى عدم وجود هذا النظام [جـ ٥ ص ١٠٨٤] .

...

الدفاع – مين اللى قابل رئيس الحكومة .وإيه الحديث اللى جرى بينه وبينهم ؟

د . خميس – الاستاذ عمر التلمسانى والشيخ احمد شريت ومحمد الخضرى وحلمى نور الدين وأنا كنت معاهم ، ده كان فى أكتوبر ١٩٥٣ (واضح أن هذا كان تكرارا للمطلب السابق فى مايو ١٩٥٣) .

الدفاع – الحديث اللى جرى فى هذا الاجتماع كان إيه ؟

د . خميس – كان فى حتتين ، المعاهدة والنظام الخاص ، وأنه لا بد أن هذا النظام ينتهى منه ، لأنه ما يصحش انه تبقى فيه هيئة من الهيئات عاوزة ديمقراطية حقيقية ويكون فيها نظام خاص . [جـ ٥ ص ١٠٨٨]

...

جمال سالم – (مخاطبا الجمهور !) من مايو سنة ١٩٥٣ واحنا بنطلب منهم انهم يحلوا الجهاز بتاعهم ويسلموا الأسلحة بتاعتهم ... [جـ ٥ ص ١٠٩٢]

الدفاع – ما هى الاجراءات التى اتخذت لابلاغ نتيجة الاجتماع ؟

د . خميس – ليس عندنا إجراء يتخذ إلا اننا نتخلص من النظام مفيش غير هذا .

الدفاع – ماذا كان جواب المرشد حينما ابلغته ؟

د . خميس – كان موافق على هذا .

...

وكيل النيابة – إيه أسباب خلاف عبد الرحمن السندى مع المرشد ؟

الشيخ محمد فرغلى – ذكرت أن الخلاف كان بسبب قيام النظام ، وكان الأستاذ الهضيبى لا يريد أن يكون النظام موجودا فى الجماعة ولكن عبد الرحمن السندى باعتباره أول من كوّن هذا النظام ، وهو طبعا مؤمن بفكرته ومتعصب لها هو ومن معه من الشبان ، فوقف فى وجه المرشد باعتبار أن هذا الجهاز هو خلاصة الجماعة ولا يمكن بحال من الأحوال أن يلغى هذا النظام ولابد من بقائه واستمراره ... [جـ ٥ ص ١١٢٢] .

وتكرر هذا المعنى على لسان الأستاذ محمد فريد عبدالخالق وغيره بالمحكمة بما يقطع بأن جمال عبد الناصر طلب حل النظام الخاص – وهو مالم نعرفه فى حينه ولم يخبرنا به أحد – وأن الأستاذ الهضيبى قد وافق على ذلك واتجه إليه وأن قرار مكتب الإرشاد بفصلنا وتكليف يوسف طلعت بالقيام بأمره تنفيذا لذلك .

ولكن العجيب أن الأستاذ الهضيبى نفسه لم يذكر ذلك فى المحاكمة .

جمال سالم – هل لم يرسل لك الرئيس جمال عبد الناصر من مايو سنة ١٩٥٣ عدة مرات واتكلم معك شخصيا ، ولما بعت لك هذه الإرساليات على يد ناس أعضاء فى مكتب الارشاد يطالبك فيها بحل الجهاز السرى وتسليم الأسلحة التى معهم وعدم تكوين أى نشاط لجمعية الإخوان المسلمون فى القوات المسلحة وقوات الأمن والبوليس ، هل وصلك ؟

الأستاذ الهضيبى – وصلنى .

جمال سالم – ماذا عملت فى الجزء الخاص بالمدنيين ؟ والرئيس طلب منك فى نفس الوقت فى مايو ١٩٥٣ عدة مرات متوالية إما مباشرة أو عن طريق غير مباشر عن طريق أعضاء مكتب الإرشاد ويطالبك بحل الجهاز الخاص بجمعية الاخوان المسلمين القسم المدنى وتسريحهم وتسليم أسلحتهم ، وأفهمك الخطر الذى ينجم من وجود هذا فماذا فعلت ؟

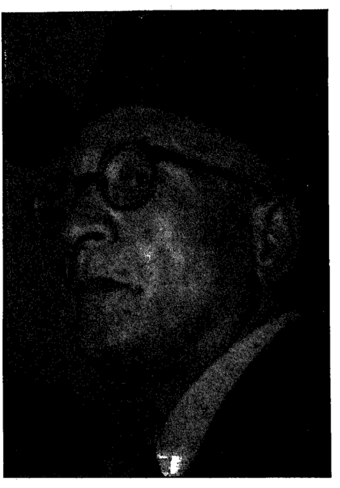
الأستاذ الهضيبى – كنت أعتقد أنه لا يوجد عندهم سلاح .

جمال سالم – يعنى مشيت على اعتقادك وسبت اعتقاد رئيس الحكومة ولم تعره أى اهتمام .

الأستاذ الهضيبى ـلا ماعرفتش ولا أعتقد ان فيه سلاح لدى هذا الجهاز وعلى الصورة اللى عملناها مكنش ممكن يكون فيه حاجة .

[من محضر الجلسة العاشرة بتاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٥٤ ـ جـ ٤ ص ٨٦٥]

ولا يغيب عن القارىء أن تلك كانت محاكمة الغالب المستبد لخصومه الذين استمكن منهم وأن جميع تلك الأقوال كانت لمتهمين فوق رءوسهم الكرباج . نعود إلى الموضوع .



حسن الهضيبى

وفى ٢٣ / ١١ / ١٩٥٣ طلعت جميع صحف الصباح بهذا الخبر المثير دون مقدمات معقولة تدعو إليه .. وننقل الخبر عن جريدة الأهرام .

فصل أربعة من أعضاء الإخوان المسلمين

اجتماع هام لمكتب الإرشاد إلى منتصف الليل
أعضاء مجلس الثورة يتعشون عند المرشد العام

عقد مكتب الإرشاد لهيئة الإخوان المسلمين مساء أمس اجتماعا هاما برياسة فضيلة الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام ودام هذا الاجتماع من الساعة السابعة حتى منتصف الليل .

فصل أربعة من الأعضاء

وقد أذاع مكتب الإرشاد فى منتصف الليل البيان التالى :
قرر مكتب الإرشاد العام فصل السادة أحمد زكى حسن وأحمد عادل كمال وعبد الرحمن السندى ومحمود الصباغ من هيئة الإخوان المسلمين ، وبهذا القرار تنقطع صلتهم بالدعوة والجماعة انقطاعا تاما .

من هم المفصولون

ومما يذكر فى هذه المناسبة أن الأعضاء المفصولين سبق أن اتهموا فى حادث سيارة الجيب وتقرر تبرئتهم فى هذه القضية . (بل صدرت ضدنا أحكام فيها) .

ويتناول أعضاء مجلس قيادة الثورة العشاء مساء اليوم على مائدة الأستاذ حسن الهضيبى وسيحضر المأدبة جميع أعضاء مكتب الارشاد . ا . هـ .

وصدرت تعليمات السلطات إلى الصحف لانتظار هذا البيان وتخصيص مساحة له . ولم يكن هذا القرار المفاجىء حكيما على أى وجه من الوجوه ، فبه راحت الفتنة تجتاح الإخوان . واجتمع بعض من الإخوان واتفقوا أن يذهبوا إلى بيت المرشد العام بالروضة لسؤاله عن أسباب القرار ، وبطبيعة الحال لقد قلنا إننا لم نُسأل ولم يوجه إلينا أى اتهام أو تحقيق ، وكان ذلك حقا ومثيرا بطبيعة الحال ، ولم يستطع الطرف الآخر أن يدعى أن شيئا من ذلك قد حدث . وصلى الإخوان المتفقون العصر فى مسجد الروضة ثم صعدوا إلى مسكن الأستاذ الهضيبى المقابل

له وجرى الحديث بصورة غير مرسومة بينهم وبينه وأفلتت أعصاب بعضهم من عدم اقتناعهم بما يجرى وبعدم تقديم أى تبرير لهذا القرار فطالب المرشد بالاستقالة . ولكن بعض الحاضرين من هؤلاء الإخوان آثر ألا تجرى المناقشة على تلك الصورة فانتقلوا جميعا إلى دار المركز العام للإخوان بالحلمية . وهناك طلبوا أى مسئول فى الجماعة أن يحضر للتفاهم معهم والإجابة على أسئلتهم حول قرار الفصل .

وكعادته فى حصاد عمره ذكر أن عبد الرحمن السندى هو الذى أرسل هذه المجموعة من الإخوان إلى بيت الأستاذ الهضيبى لإرغامه على الاستقالة وعمل انقلاب (!) ينصب فيه صالح عشماوى مرشدا .

وأقرر أن ذلك لم يحدث ، وإنما ذهب من ذهب باتفاقهم ومن تلقاء أنفسهم ، ومن شاء فليسأل من كان منهم هناك ومازالوا والحمد لله أحياء .. فليسأل من شاء محمد[1] مهدى عاكف وعلى صديق وصلاح العطار ومحمد أحمد وفتحى البوز وعبد الرحمن البنان وفوزى فارس وسامى البنا ومحمود زينهم .. الخ .. هل أرسلهم عبد الرحمن السندى ؟ فإذا كان لم يرسلهم أصلا فلا معنى للاسترسال انه أرسلهم لإرغام الأستاذ الهضيبى وتنصيب الأستاذ صالح عشماوى .. الخ .

ولم يكن عبد الرحمن ولاغيره من السذاجة بحيث يظن أن تعيين المرشد وتبديله يتم بانقلاب . ولكن الذى حدث أنه بعد أن ذهبوا باتفاقهم وكانت النفوس معبأة والأعصاب مشدودة حدث ما حدث فى بيت فضيلة المرشد ثم ذهبوا إلى دار المركز العام وبدءوا يتصلون بى وبعبد الرحمن .

أما أن عبد الناصر قد فرح بهذه الأحداث فمما لاشك فيه أن فرحه قد بدأ بصدور قرار الفصل ، وبطبيعة الحال استمر فرحه وتزايد ، وأى فرح كان له أكبر من ذلك ؟

وفى ذلك الوقت كان إخوان آخرون من الطرف المقابل يجمعهم نجيب[2] جويفل وصلاح شادى يتجمعون ويستعدون فى عربات لاقتحام الدار على الإخوان المحتجين والالتحام بهم ، كما أنهم أخذوا يتسلحون ببعض السلاح . كنت فى بيتى حين علمت بما يحدث فذهبت إلى عبد الرحمن السندى للتداول فيما يكون ،

---

(١) ذكرنا فى الطبعة الأولى اسم محمد مهدى عاطف ضمن الاسماء ولكنه نفى وجوده معها فلزم التصويب .
(٢) انتقل فجأة إلى رحمة الله ٣ / ٦ / ١٩٨٧ .

وأخذنا نتصل بالإخوان الذين انتفضوا للاحتجاج ورفض القرار . كنت متجها إلى تهدئتهم حتى لايضرب الإخوان وجوه بعض ولأن التوتر لايؤدى إلى حل الأزمة . وكان عبد الرحمن رحمه الله ميالا إلى عدم التراخى وإلى إجهاض ذلك القرار بكل مايمكن . ولمس الإخوان بالمركز العام تناقضنا فحضر وفد منهم لمقابلتنا حضر صلاح العطار وإبراهيم صلاح ود . عبد العزيز كامل وقد تعهد أن يسعى بكل جهده لحل الأزمة بصورة مرضية ، وأجاب على بعضهم بأنه سوف يستقيل من الإخوان إذا فشل فى أداء تلك المهمة . وعلى ذلك انصرف الإخوان المعتصمون من الدار . وعلى الأثر حضر الآخرون فاحتلوها . ووضح من سير الأمور بعد ذلك أن الطرف الآخر لن يحيد عن موقفه الذى تورطت فيه الجماعة بأسرها .

الفتنة تستمر

فريق يطالب بمناقشة الأمر وفريق يدعو إلى السمع والطاعة دون مناقشة . وأرسل السكرتير العام [الأستاذ عبد الحكيم عابدين رحمه الله] إلى جميع المكاتب الادارية للإخوان خطابا نصه :

حضرة الأخ الكريم رئيس مكتب إدارى ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أرجو أن تبلغوا جميع الإخوان فى محيط المكتب الإدارى أن مكتب الإرشاد العام قرر بجلسته العادية المنعقدة فى مساء يوم الأحد الموافق ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٣ والموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥٣ فصل السادة :

١ — أحمد زكى حسن .

٢ — أحمد عادل كمال .

٣ — عبد الرحمن السندى .

٤ — محمود الصباغ .

ولقد صدر هذا بعد الاستماع إلى البيانات العديدة التى عرضت على المكتب عن أخطائهم المتلاحقة فى حق الدعوة والجماعة خلال العامين الماضيين والتى ثبت منها أنهم سلكوا مسلكا لايتفق وأغراض الجماعة وانهم نقضوا البيعة وخرجوا على الدعوة .

ولما كان مكتب الإرشاد هو الجهة المهيمنة على دعوة الإخوان ويحمل أمانتها ، **فليس للإخوان أن يسترسلوا فى السؤال عن التفاصيل فى أسباب القرار** كما يأمل مكتب الإرشاد الذى اتخذ هذا القرار لصالح الدعوة المحض أن يكتفى الإخوان بالعلم به وتنفيذ مقتضاه بكل دقة ، وألا يجعلوا هذا القرار موضع بحث أو مناقشة بينهم بأية حالة من الأحوال ، وليعكفوا على دعوتهم وينشطوا فى أداء تبعاتهم فى مراقبة الله وإقبال على طاعته وحرص على الآخرة ، ولينصرن الله من ينصره . والله اكبر ولله الحمد .

السكرتير العام

ولم يكن المنطق مقنعا فتعالت الاعتراضات . ثم اجتمعت لجنة العضوية للهيئة التأسيسية بالجماعة وقررت إزالة صفة العضوية عن كل من صالح عشماوى ومحمد الغزالى وأحمد عبد العزيز جلال . وبعد ذلك صارت قرارات الفصل تصدر تباعا حتى منح ذلك الحق للمكاتب الإدارية فصارت تزاوله ضد إخوة بذلوا من حياتهم وأعصابهم فى سبيل الدعوة مابذلوا ..

وأصدر الإخوان الثلاثة بيانا جاء فيه :

– ان مكتب الإرشاد لم يستدع الإخوان الأربعة الذين فصلهم رغم إعلانه أنه تحرى صحة الأدلة دون أقل إخلال بواجب التبين والتحقيق . وأول ضرورات التحقيق مواجهة المتهم بالتهمة والأدلة وإعطائه فرصة الدفاع عن نفسه قبل الحكم عليه .

– ان مكتب الإرشاد كون لجنة من الشيخ محمد فرغلى والأستاذ عمر التلمسانى والأستاذ حامد أبو النصر للنظر فى تظلمات المفصولين . [وكنت قد قدمت اعتراضا مكتوبا أطلب فيه التحقيق معى حتى افتح الباب لفرصة إصلاح ماقد فسد . وكذلك فعل أحمد زكى] .

وأن اللجنة قد استدعتنا وعندما سألناها عن سبب فصلنا طلب الأستاذ عمر والأستاذ أبو النصر ان نتفاهم مع الشيخ فرغلى وحده لأنهما لايعرفان التفاصيل وأن من مصلحة الدعوة عدم معرفتها علما بأنهما من أعضاء المكتب الذى قرر فصلنا .. إلى آخر ماجاء فى البيان .

هذا وقد كان جمال عبد الناصر يتصل بطرفى الخلاف فى الجماعة بدعوى إصلاح ذات البين ، ولكنه كان يفسد ذات البين ويدبر لقرار حل الجماعة والتخلص

منها نهائيا ، ولا شك أنه كان مما يخدم اتجاهه حينذاك أن يزداد الخلاف تفاقما حتى إن بعض ضباطه – محمد عبد الرحمن نصير سكرتيره لشئون البوليس الحربى – طلب إلى عبد الرحمن السندى اغتيال المرشد وبعض أعضاء الجماعة واعدا إياه أن الحكومة سوف تغمض عينها ، ولكن إخوانا من المفصولين حينذاك يتصدرهم صالح عشماوى ، وأحمد عبد العزيز جلال حذروه من مجرد التفكير فى ذلك ولم يكن عبد الرحمن قد ذهب فى تفكيره قط هذا المذهب رغم شديد غضبه ، ولكنها كانت محاولة من عبد الناصر أو رجاله .

حدث عجيب

لقد اجتمعت الهيئة التأسيسية يوم الخميس ٣ ربيع الثانى ١٣٧٣ هـ ١٠ ديسمبر ١٩٥٣ ووافقت بعد مناقشات عاصفة على قرار لجنة العضوية بفصل الإخوان الثلاثة أعضاء الهيئة التأسيسية صالح عشماوى ومحمد الغزالى واحمد عبد العزيز جلال ، كما أيدت الهيئة جميع الخطوات التى اتخذها مكتب الإرشاد العام وعلى تجديد الثقة التامة بالمرشد العام . وأثناء انعقاد الهيئة كان عدد من الإخوان الغاضبين يزيد على الأربعين يجتمع فى مسكن أحد الإخوان قريبا من المركز العام ومعهم بعض الأسلحة لمهاجمة الهيئة فى اجتماعها إذا اتخذت مثل هذا القرار . ولم يكن لى علم سابق بذلك الاجتماع حتى أبلغنى به مشكورا واحد منهم انتابته الشكوك بشأنه ، وذهبت فورا إليهم وبعد بعض الجدل والمناقشة التى لم تطل استطعت أن أفض الاجتماع ، ولم أنصرف حتى انصرفوا جميعا فرادى إلى بيوتهم .

حدث عجيب ؟ نعم ..

وأعجب منه حدث فى جيل الصحابة والتابعين بين أصحاب على رضى الله عنه وأنصار معاوية بن أبى سفيان . وذلك من آثار الخصومة .

حسبت ذلك حدثا عابرا . ولكن مرت عشرون سنة وفى صيف ١٩٧٤ كنت فى مأتم أحد أقربائى وقدمنى ابنه إلى أحد الحاضرين باسمى ، فقال الرجل انه يعرفنى ، ولم أكن اعرفه . وسألته عن مصدر معرفته بى .

قال : ألم تكن من الإخوان المسلمين ؟

قلت : بلى

قال : ألم تفصل منها ؟

قلت : حدث .

قال : فلماذا اعتقلت ؟

قلت : أحسبه نوعا من الخطأ .

قال : أحمد عادل كمال لايعتقل خطأً .

قلت : إن كان عندك علم فهات ، وأخبرنى من أنت ؟

ضحك الرجل وقال : اختر إحدى اثنتين ، إما أن أخبرك بسبب اعتقالك ولاأخبرك من أنا ، أو أخبرك من أنا ولاأخبرك بسبب اعتقالك ، وأصر على ذلك .

وآثرت أن أسمع منه سبب اعتقالى ، وإذا به يذكر لى هذه الواقعة !

وقال إن جمال عبد الناصر كان ينتظر ليلتها هذا الهجوم على الهيئة التأسيسية ليتصرف من جانبه ، ولم تكن هذه المجموعة من الإخوان لمهاجمة الهيئة تدرى شيئا عن ذلك ، ولكنك ذهبت إليهم وصرفتهم فأفسدت التدبير كله ، فحنق عليك عبد الناصر ولم ينسها لك .

ويؤسفنى أن لم أعرف من كان الرجل .

محنة عابرة

وصدر قرار حل الإخوان واعتقالهم في يناير ١٩٥٤ ، وعاصر ذلك تنحية محمد نجيب عن رياسة الجمهورية ، وكان الأستاذ عبد القادر عودة ذا موقف معارض داخل مكتب الإرشاد العام من قرار فصلنا فلم يكن وافق عليه ، ولم يكن اعتقل مع الإخوان ربما سياسة من جمال عبد الناصر لإلقاء الشبهات عليه . وصار هو المتصدر باعتباره أكبر الإخوان مركزا فى الجماعة . وزرناه فى مكتبه نحن المفصولين وأعربنا له عن وضع أنفسنا تحت تصرفه حتى تنجلى المحنة ، وشكرنا الرجل وأصدر بيانا ذكر فيه ذلك للإخوان وجاء به أن ذلك الموقف من جانبنا سيكون له بلا شك أثره فى رأب الصدع وجمع الشمل حين تعود الجماعة .

وثار السودان لتنحية محمد نجيب ، كما حدثت بعض المظاهرات فى مصر فتراجع مجلس قيادة الثورة عن القرارين – حل الإخوان واعتقالهم ، وتنحية محمد نجيب – ولكن إلى حين ، وأفرج عن الإخوان . وذهب المفصولون – وأنا

معهم – إلى بيت الأستاذ الهضيبى لتحيته والتهنئة بعودة الجماعة والإفراج عن الإخوان ، وكان البيت يغص بالإخوان ولكننا استقبلنا استقبالا فاترا بصورة ظاهرة . لقد كان كل ماحدث فرصة متاحة بل ذهبية للإخوان لكى يصلحوا من موقفهم الداخلى .. ولكنهم لم يفعلوا .. وأضاعوها .

يوسف طلعت

عاد موقف التحدى بين الثورة والإخوان ، وكانت الثورة تعد لمعاهدة مع انجلترا اشتملت على كل مااعترض عليه الإخوان واعترضت عليه الأمة فى مشروع « صدقى – بيفن » وغيره . بل وأكثر . فقدت مصر الوحدة مع السودان كما كان الجلاء مشروطا بالعودة في حالة الحرب . وألقى الإخوان القفاز وأعلنوا أن هذه الاتفاقية لن تمر ، وهم بذلك قد وضعوا سمعتهم وكبرياءهم فى كفة الميزان . وفى ظل صفوفهم الممزقة نفسيا ومعنويا وروحيا وإدرايا بدءوا عملية إنشاء نظام خاص جديد أطلقوا عليه « التنظيم السرى » جربوا فيه أفكارهم التى لم نكن نقبلها من قبل ، فإخوان التنظيم فى نطاق الشعبة يتبعون شعبتهم وهكذا . وأسندت قيادة التنظيم إلى يوسف طلعت رحمه الله . ولقد كان يوسف مجاهدا قديما من جنود النظام الخاص واشترك فى عمليات فلسطين وعمليات الإخوان بالقنال عام ١٩٥١ .. الخ . ولكننا ، ونحن نضع النقط فوق الحروف ، نقررها فى أمانة أنه لم يكن مناسبا لتلك القيادة . لقد كان جنديا صالحا ولكنه لم يكن قائدا بالمرة ، ونذهب إلى أن اختياره إنما جاء لتلك الجندية .. لقد كان عبد الرحمن السندى يبدو غالبا بصورة القائد الذى يجعل نفسه ندا لقيادته ، ربما كان ذلك هو السبب في اختيار هذا الجندى المطيع . ولقد سألته يوما عن عدته فى مواجهة الثورة فى معركته التى يعدّ لها فكان جوابه « بنصر الله وبركة طاعة المرشد » .

كانت أخبار ذلك التنظيم كلها فى الشارع ! ولقد علمت أول ماعلمت بالمسئولين عن التنظيم السرى فى مناقشة مع أحمد صالح داود ضابط المباحث العامة وهو الذى أخبرنى بهم . واختفى المرشد فلم يعد أحد يعلم مكانه . وكانت الأوامر تصل إلى الإخوان باسم المرشد العام حتى غدا كثير منهم فى شك من صحة نسبتها إليه . لقد كان اختيار يوسف طلعت بترشيح من الشيخ فرغلى فقد

كان وثيق الصلة به باعتبارهما معا من إخوان الاسماعيلية . ولكن يوسف لم يلبث أن اختفى هو الآخر ، وأحس الشيخ فرغلى وكأنه قد ترك وحيدا!

إلغاء قرار الفصل

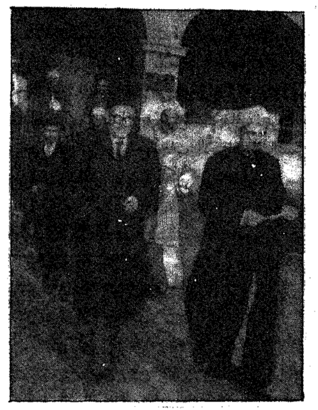
كنت – وأنا المفصول – أود الإخوان واتصل بهم . وكان بعضهم يرحب بذلك ترحيبا ظاهرا .. وكان بعضهم يرحب فى السر والخفاء خوفا من إخوانهم .. وكان بعضهم يعرض عنى . واتصل بى الأستاذ محمد حامد أبو النصر وأخبرنى أن الأستاذ المرشد – تقديرا منه لموقفى فى الفتنة ، وكذلك بالنسبة لأحمد زكى حسن قد قرر إلغاء الفصل واستبدل به قرارا بالإيقاف عن العمل فى صفوف الجماعة لمدة سنة حتى تهدأ الأمور . وأجاب الأستاذ أبو النصر بأنها بادرة خير وبداية سوف يتبعها إلغاء الفصل بالنسبة لكل من فصل .

حوار مع الشيخ فرغلى

وجاءتنى دعوة من الشيخ محمد فرغلى لمقابلته صباح أحد الأيام بدار المركز العام بالحلمية الجديدة ، وانفرد بى فى مكتب المرشد ، وبدأ حديثه بعرض لسوء الأوضاع الداخلية للإخوان وإلى أنها غدت مهلهلة ، وأن اختفاء الإخوان – بمعنى نزولهم تحت الأرض – جعل من غير المستطاع معرفة كل ما يجرى فى صفوفهم ، وانتهى من ذلك التسلسل إلى أن عرض علىّ العودة إلى العمل فى التنظيم السرى ..

واعتذرت ... وأوضحت له الأسباب . وأولها أنى مفصول ، أو موقوف ثم إن الخبرات التى كانت تصلح لهذا العمل قد فصلت أو على الأقل أوقفت . وهذا هو أهون الأسباب . ولكن الأشد من ذلك أن اعتمادنا فى نشاطنا الإخوانى كله كان قائما على الروح المعنوية العالية وعلى ذلك الرباط الوثيق من الحب العميق المتبادل بين الإخوان الذى يورث الثقة بينهم ... والذى لم يعد له وجود حينذاك . وأوضحت أن الأمر يحتاج من وجهة نظرى إلى بعض الوقت ، الذى قد يمتد إلى سنتين أو ثلاث لإعادة روابط المحبة بين الإخوان وللخروج تماما خلال تلك الفترة

من تحت الأضواء إلى دائرة الظل .. لاشأن لنا بالثورة وماتفعل ، حتى نضمد جراحنا التى جرّحناها بأنفسنا لأنفسنا . كان رأس مالنا من الحب والإخاء والثقة قد تبدد وصار الأخ فى شك من أخيه .. كنا بحاجة إلى أن نرى حقيقة مافعلنا بأنفسنا وأن نحس حجمه .. ومع موافقة الشيخ فرغلى على كل ماذكرت ، إلا أنه قال إنه لايستطيع ولايملك أن يتفق معى على ذلك . قلت « فاقبل عذرى » . وقبله رحمه الله .



الشيخ محمد فرغلى والدكتور خميس حميدة

كانت السلطة فى مصر تعد عدتها .. وكان الإخوان يهددون ويتوعدون . ثم اندلعت المحنة بحادث ميدان المنشية الذى قبض فيه على محمود عبد اللطيف من إخوان امبابة متهما بإطلاق النار على جمال عبد الناصر بقصد اغتياله وهو يخطب .

كان الإخوان قد أعلنوا أنهم سيعملون من تحت الأرض ، واختفى الأستاذ المرشد . وكانت هناك جبهة أخرى ذات عدد لم توافق على ذلك واتخذت وضعا آخر ، وصَعَّدت الموقف حتى عينت فيما بينها مكتب إرشاد عام آخر ، ودعت



الشيخ محمد فرغلى - جمال عبد الناصر - الأستاذ محمد حامد أبو النصر

إلى الحضور إلى المركز العام وأعادت لقاء الثلاثاء وألقيت بالفعل أول وآخر محاضرة من هذا النوع بدار المركز العام ، وامتلأ الفناء ولكن ليس كما كان يمتلىء من قبل .

وبعد المحاضرة اجتمع مكتب الإرشاد المذكور وأتذكر من أعضائه بهى الخولى ومحمود البراوى ومحمد الخضرى ومحمد جودة . ومنذ فصلى لم أنقطع عن التردد على الدار فكنت هناك ليلتها وكان هناك أيضا الدكتور محمد خميس حميدة والشيخ محمد فرغلى والأستاذ عبد الرحمن البنا . وانفض اجتماع المكتب فجأة وخرج الأعضاء يصرفون الإخوان الذين كانوا مايزالون بالدار ، ذلك أنهم بلغهم وهم فى الاجتماع نبأ حادث المنشية . ولم يبق بالدار إلا أفراد يعدون على الأصابع .. الشيخ محمد فرغلى والدكتور خميس وعثمان إبراهيم والأمجد صديق وأخ من الاسماعيلية قال انه على طنوبى وأنا .

وأخرج علوى حافظ مظاهرة من معسكر الحرس الوطنى بالدرب الأحمر القريب من المركز العام تهتف بحياة عبد الناصر والتنديد بالإخوان ، راحت وجاءت مرتين بميدان الحلمية الجديدة ، وفى الثالثة هاجمت الدار . ورأيت مفتش المباحث العامة أحمد صالح داود يقف مع بعض رجاله وسط الميدان حماية للمظاهرة ومراقبة للأحداث .

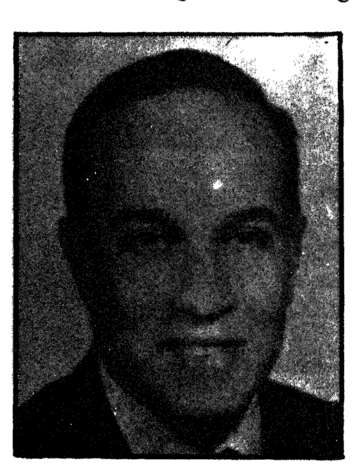
ثم اقتحمت المظاهرة الدار ، وراحت تحطم بالمقاعد المصابيح والزجاج والأثاث ، وكان مع أحدهم بلطة رفعها علىّ واسعفتنى بديهتى فصحت فيه أنى من المباحث العامة ، وإذ وجدت لذلك أثره وأخفض الرجل بلطته تماديت فى زعمى وأخرجت المظاهرة كلها من الدار وأطاعتنى بعد أن كادت تفتك بى .

وبحثت عن الإخوة الذين كانوا بالدار وقد أظلمت بتحطيم المصابيح فوجدتهم فى حجرة خلفية على سلم حديدى حلزونى كان الدكتور خميس يبيت فيها أحيانا .

وكانت مناقشة بين الأمجد صديق والشيخ فرغلى انتهى فيها الشيخ أنه منذ الصباح سيكون له موقف لإصلاح الأوضاع التى تردت .

كان الشيخ فرغلى مراقبا من المباحث العامة مراقبة علنية يتبعه المخبرون فى سيارة دون تخفٍّ . وكذلك كنت ، وكثيرا ماكان المخبرون الخاصون بى يحادثوننى فيعتذرون حينا بأنها الأوامر ويدعون حينا انهم حراسة لحمايتى من الإخوان ، وأحيانا كان أحدهم ينصرف لبعض شأنه فترة نتفق عليها مقابل وعد منى ألا أغادر بيتى حتى يعود . فما أن أجتزنا باب الدار حتى هرع المخبرون الموكلون بالشيخ فرغلى وبى فى فزع حيث اختفينا عنهم فلا يعرفون أين ذهبنا وسط الأحداث . وبدلاً من البحث عن سيارات تاكسى بعد منتصف الليل ثم يتعقبوننا ، أخذونا معهم فى سيارتهم وصحبت الشيخ فرغلى حتى مسكنه وطلب إلى أن أمرّ عليه فى الصباح وانصرفت مع المخبرين الموكلين بى إلى بيتى .

وفى الصباح عدت إلى مسكن الشيخ فرغلى فوجدته قبض عليه .



علوى حافظ

الفصل الرابع عشر

الإخوان وضباط الثورة

الصاغ محمود لبيب

امتدت دعوة الإخوان إلى جميع اتجاهات المجتمع فكان طبيعيا أن تمتد إلى محيط الضباط . ولقد ذكرنا أن قسم الوحدات الذى كان يرأسه ضابط البوليس صلاح شادى قد اختص بنشر الدعوة بين ضباط البوليس وعساكرهم وبين جنود وصف ضباط الجيش . أما ضباط الجيش فى مصر فقد كان لهم وضع آخر . كان الصاغ محمود لبيب من الإخوان ، ولمحمود لبيب رحمه الله جهاد بعيد ضد الاستعمار الإنجليزى والإيطالى للعالم الإسلامى ، وكان فى ذلك شريكا لعزيز المصرى وصالح حرب ، وله فى ذلك مؤلف صغير بعنوان « حماة السلوم » يتناول جانبا من كفاحه . ورغم كبر سن الرجل فقد ظل معروفا بين الإخوان بصفة « الصاغ » – يعنى رائد – لأنه خرج من الجيش على تلك الرتبة ، وبالرغم من شيخوخته فقد كان فى نشاط شاب فى عنفوانه يغدو ويروح بقميص بنصف كم ولم أر حول عنقه رباطا قط فى صيف أو شتاء .

الضباط فى الإخوان

كان الرجل هو سنارة الإخوان التى تدلت بين الضباط فى الجيش فاستطاع أن يجتذب بعضا منهم . وكانت أكبر الرتب التى أقبلت إلى الإخوان (عبد* المنعم عبد الرءوف ، وجمال* عبد الناصر ، وأبو المكارم عبد الحى ، وكمال الدين حسين ، وحسين حمودة .)

ونظرا لحساسية وضع الضباط فقد رئى ألا يكون نشاطهم فى شُعَب الإخوان بالمجال العام حتى لايكونوا عرضة للمحاكمات العسكرية والفصل والقوانين التى

(*) توفى إلى رحمة الله ٣١ يوليه ١٩٨٥ .
(*) مات ٢٩ ستمبر ١٩٧٠ .

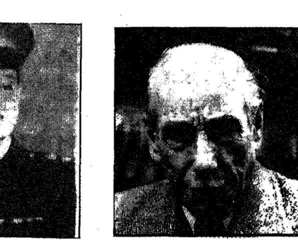
تحظر على الضباط الاشتغال بالسياسة أو الانتماء إلى منظمات سياسية ، ولذلك تقرر إلحاقهم - خلافا للمألوف - بالنظام الخاص ، وتم اتصالهم بعبد الرحمن السندى رحمه الله . وخصص الشيخ السيد سابق ليعطيهم دروسا فى الفقه ويثقفهم فى الإسلام عوضا لهم عن عدم حضورهم المحاضرات العامة . وكتب الشيخ سيد مذكرات فى الفقه لهذه المجموعة ثم عممت لإخوان النظام ، هى التى نقحت واستكملت وصدرت بعد ذلك مطبوعة فكانت كتاب « فقه السنة » .

واشتعلت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وحصرت قوة الفالوجا وفيها جمال عبد الناصر والكتيبة ١٣ مشاة . واستطاع جمال أثناء ذلك الحصار أن يستميل بعض الأنصار من العناصر الساخطة من المحصورين . ثم مالبثت قوة الفالوجا أن عادت إلى مصر بعد فك الحصار عنها فى ١٩٤٩ . واستدعى ابراهيم عبد الهادى وكان رئيسا للوزراء الضابط جمال عبد الناصر إلى رئاسة مجلس الوزراء وأخبره أنه نما إلى علمه أنه على علاقة بالإخوان ، وأنه سأل عنه فعلم أن له أولادا ولذلك فإنه يسامحه هذه المرة اكتفاء بإنذاره ، ولكنه أقسم وتوعد أن لو عاد جمال إلى نشاطه فسوف يشرده ويشرد عياله . وحلف جمال أن مابلغ الباشا ليس صحيحا .

كان عبد الرحمن السندى محبوسا حينذاك لاتهامه فى قضية السيارة الجيب ، ونظرا لإصابته بروماتزم القلب فقد كان يتنقل حينا فى السجن وحينا فى مستشفى قصر العينى ، وحين يكون بالمستشفى يكون من الميسور زيارته هناك . وفى يوم زاره جمال وعبد المنعم وأبو المكارم وكمال حسين وبينهم خلاف فى الرأى كبير .. جمال يقول إن منهج الإخوان طريق طويل ولايوصل إلى شىء ، فما جدوى أن نجمع الضباط فى مجموعات لحفظ القرآن والحديث ودراسة السيرة .. الخ ، وماضرنا لو انضم إلينا ضابط وطنى من غير دين الإسلام ، أفنرفضه لذلك فنحرم جهده معنا ؟ وكان عبد المنعم يناقض جمالا فيما ذهب إليه ، فنحن إخوان ومسلمون ونعمل لهذه الدعوة ونستهدف قيام دولة مسلمة ويتعين علينا ألا نزيغ عن أهدافنا ولا أن ننصرف عن التفقه فى ديننا . وكان كمال حسين من وجهة نظر جمال عبد الناصر ، كما كان أبو المكارم عبد الحى من وجهة نظر عبد المنعم عبد الرءوف . طلبوا عرض الخلاف على المرشد العام .

انفصال

وأجابهم عبد الرحمن بأن المرشد العام – الأستاذ الهضيبى – ولو أن الاختيار قد وقع عليه بصورة غير رسمية إلا أنه لم يعلن هذا الاختيار بعد ، ولم يُنَصَّب بصفة رسمية ولم يمارس بعد أى عمل فى الإخوان ، وحين يتم ذلك يمكن عرض الأمر عليه . وقد كان .. ويبدو أن الأستاذ الهضيبى قد وجد أنه أمام أمر واقع ، فهذه مجموعة تريد أن تتحلل من التزاماتها كإخوان وليس هناك بد من قبول ذلك ، وليس فى الإمكان إجبارهم على غير ذلك . وهنا يكثر هذا السؤال « هل كان جمال عبد الناصر من الإخوان ؟ » ولكى يكون الجواب بالإيجاب فلا بد أن يثبت أنه كان قد اقتنع سلفا بفكر الإخوان وعقيدتهم ، فهل حدث هذا ؟ أو أنه كان يقوم بتشكيله « الضباط الأحرار » وأنه كان يستكشف الأجواء الأخرى ؟ لا أستطيع أن أجزم برأى الآن إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى . ولكنه على أى حالٍ كان قد انضم إلى تشكيلات الإخوان ، وأقسم على المصحف أن يحترم مبادئها وأن يلتزم بخطها وكان ذلك قبل أن يبدأ تشكيله الخاص به بسنوات . قال الأستاذ الهضيبى إنه ربما كان من الأصلح عدم وضع البيض كله فى سلة واحدة ، فليستمر الإخوان فى طريقهم وليستمر جمال فى طريقه . وكان هذا هو ماأراده جمال فأجاب بأنه سوف يستمر صديقا للإخوان .



عزيز المصرى — عبد المنعم عبد الرءوف

ويتساءل البعض .. ألم يكن أنور السادات من الإخوان ؟ وللحقيقة أقرر أنه لم يكن . فقط أعلم أنه حين اتهم فى قضية اغتيال أمين عثمان وأوقف من عمله بالجيش وأوقف صرف مرتبه كان الاستاذ البنا يرسل قيمة مرتبه إلى أسرته ، رغم ضيق ذات اليد عند الإخوان حينذاك ، وأن الأستاذ البنا قد خوطب فى ذلك فقال إنه من العناصر الوطنية ولايجوز أن تشعر هذه العناصر أنها لا ظهر لها وأنها تضيع إذا بذلت من نفسها خدمة لوطنها . كما باعت الزوجة الأولى لعبد المنعم (عبد الرءوف) — رحمها الله — مصاغها وأعطى عبد المنعم قيمته لأنور . كذلك ذكر بعضهم أن عبد اللطيف البغدادى كان على صلة بقسم الوحدات بالإخوان ولاأدرى عن ذلك شيئا .

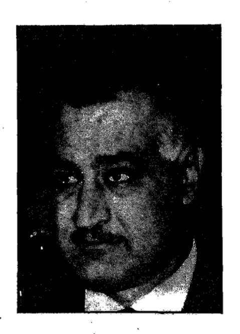
مع الإعداد لحركة الضباط

كان عبد المنعم عبد الرءوف طيارا حين قام بمغامرته المشهورة مع الفريق عزيز المصرى فى ١٧ / ٥ / ١٩٤١ لمحاولة الهروب بطائرة إلى خارج مصر ولكنها سقطت قريبا من قليوب . وكانت محاكمة لم تتم ، ثم عاد إلى الجيش ولكنه نقل من سلاح الطيران إلى سلاح المشاة ! وكان عبد المنعم يعمل فى العريش حين نزل إلى القاهرة فى أجازة فى بعض أيام شهر يولية ١٩٥٢ . وجاء عبد المنعم بصحبة أبى المكارم إلى عبد الرحمن السندى فأخبراه أن الضباط الأحرار كثيرو الحركة فى تلك الأيام وأنهم يعدون لشيء .

وذهب عبد الرحمن بصحبة عبد المنعم وأبى المكارم إلى جمال عبد الناصر فى بيته وأخبروه بمبلغ علمهم واستفسروه عن الأمر . ولم ينفِ جمال .. صارحهم بأنهم يعدون لحركة فى الجيش وأنه يطلب عون الإخوان . وأجاب عبد الرحمن بأن الضباط الأحرار تنظيم صغير والإخوان تنظيم كبير ، وإذا كانت المغامرة جائزة بتنظيم صغير فإنها لاتجوز بالتنظيم الكبير ، لأن فشلها يعنى تشريد آلاف الأسر . وأنه لكى يعطى الإخوان عونهم يلزمهم أمران ، الأول معرفة الخطوات والاتفاق عليها ، والثانى الاتفاق على الهدف والغاية ، ومن المعروف أن الإخوان غايتهم إقامة حكم الله وهم لايجازفون لغير هذه الغاية .



أول حكومة يتولاها رجل عسكرى منذ وزارة محمود سامى البارودى خلال الثورة العرابية



جمال عبد الناصر



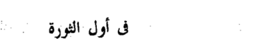
أحمد حسن الباقورى



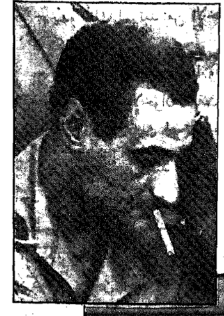
عبد الناصر فى أول الثورة



عبد الناصر فى عز الثورة



فى أول الثورة



فى عز الثورة



– يبدو أنك لم تعد من الإخوان ياعبد الرحمن ! قالها جمال عبد الناصر .
– كيف ؟
– لأن الإخوان اتفقوا معنا ولم يشترطوا ماتذكر .
– مع من من الإخوان اتفقت .
– ألم أقل لك إنك لم تعد من الإخوان !

وخرج الثلاثة من عند جمال وهم لايشكون فى صدق ماقال . لقد اتفق مع أحد من الإخوان ، فمن يكون ؟ وعلى أى شىء اتفق ؟ المرشد العام حسن الهضيبى كان فى الاسكندرية . السكرتير العام عبد الحكيم عابدين كان فى بلدته بالفيوم .. الوكيل العام عبد القادر عودة كان أيضا متغيبا فى مكان ما لست أذكره .. حسين كمال الدين رئيس مكتب ادارى القاهرة نفى معرفته بشىء وخرج معهم يطوف بالإخوان سائلا مستفسرا ، وكان فعلا لايعرف . بعد ذلك تبين أن صاحب الاتفاق كان صلاح شادى رئيس قسم الوحدات ، وذكر جمال عبد الناصر لعبد الرحمن فيما بعد أن صلاحا كان عنده فى بيته حين زاره ثلاثتهم مستفسرين . ولقد ظل صلاح شادى ينفى هذه الواقعة حتى ذكرها أخيرا فى حصاد[1] عمره . ولاشك ان سير الأمور على ذلك النحو كان من أكبر الأخطاء التى وقعت فى الإخوان . وأعطينا التعليمات لإخواننا بتنظيف بيوتهم اتقاء لما عسى أن يحدث . ومر اليوم المحدد دون أن يحدث شىء فسألت عبد الرحمن ، فقال إن الضباط أجلوا حركتهم يومين . كنت استفتح كل صباح بالانصات إلى الراديو ، حتى إذا كان صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ سمعت بيان الضباط الأحرار وعرفت أن الحركة بدأت ...

وقبل الملك المطالب الأولى للحركة بتطهير الجيش وإبعاد البطانة وتغيير الوزارة .

---

(١) ص ١٧٧ و ١٧٨

كيف خرج الملك

وعلمت أيضا أن الحركة لم تكن تستهدف خلع الملك وأن الذى أوحى بهذه الفكرة كان الفريق عزيز باشا المصرى ، قال لعبد المنعم عبد الرءوف قل لجمال إذا رجع الملك من الاسكندرية عاد ولاء الجيش إليه وشنقكم فى الطرقات .. قولوا له الآن اخرج . وقال لى محمد قطب إن الشيخ محمد الاودن أيضا أوحى إليهم بإخراج الملك . ونقل عبد المنعم الرسالة إلى جمال فعقد مجلس قيادة الثورة وناقشوا الأمر . وقيل بعد ذلك إن على صبرى كان سفير الضباط إلى السفارة الأمريكية فى القاهرة فى هذا الشأن ، وأن السفارة لم تعترض على إخراج الملك ولكنها طلبت ضمان سلامته . وطلب جمال إلى عبد المنعم أن يقود أكثر القوات الموجودة فى القاهرة إلى الاسكندرية لإخراج الملك واشترط عليه ألا يقع اشتباك . ولكن عبد المنعم أبى ، وقال إما أن نقول له أن يخرج فيخرج وإما أنه يتحتم إخراجه ولو بالقوة ولو اقتضى الأمر ضربه ، أما أن نطلب خروجه فيرفض فنتقاعس فهو أمر غير مقبول . وعاد جمال يجتمع بالمجلس ثم خرج إلى عبد المنعم بالموافقة على ماطلب . وذهب عبد المنعم مع القوة وكان فوقه فى قيادتها أحمد شوقى . وذهب محمد نجيب مع الضباط الأحرار وخرج الملك ، بعد أن أطلق عبد المنعم بعض الطلقات على سراى رأس التين حيث كان الملك .. هى التى وضعت حدا لتردده .

وكان الذى قام بالدور المماثل بالقاهرة هو الأخ المسلم أبو المكارم عبد الحى ، هو الذى قاد القوات التى زحفت الى قصر عابدين لحصاره ولإحباط أى مقاومة يقوم بها الحرس الملكى . يقول أبو المكارم إنه حين أمر بوضع المدافع حول القصر وضعها الجنود وظهرها إلى السراى وفوهاتها إلى الجماهير ، وحين أعطى الأمر بتوجيه المدافع إلى القصر بدا التردد على الضباط والجنود فعاد يصيح فيهم مؤكدا الأمر فاستدارت المدافع نحو القصر . واستسلم الحرس الملكى بالقاهرة . وهكذا ساهم ضباط الإخوان فى ثورة ٢٣ يوليو لا كإخوان ولكن كضباط فى الجيش !

وراح الناس يتساءلون عن صلة حركة الجيش بالإخوان ، بل إن الإخوان أنفسهم كانوا يتساءلون ، وكان بعضهم يظن أنها حركة إخوانية . وفى الحقيقة أن بعض المسئولين بالإخوان أراد أن يعطى ذلك الانطباع غير الصحيح . إلا أن الذى لاشك فيه أن شعب مصر قد استقبل سقوط الملك بفرح لامزيد عليه ، وكذلك كان الإخوان . كتب سيد قطب رحمه الله فى جريدة الدعوة فى عددها ٧٦ الصادر فى ٢٩ يولية ١٩٥٢ يقول :

الملك اليوم لله الواحد القهار

إنه شعور غريب يصعب تصويره فى الألفاظ .. ذلك الشعور الذى استولى على نفسى وأنا استمع إلى النبأ الأخير .. إنه مزيج من مشاعر كثيرة .. إنها هزة عميقة لايكاد يحتملها كيانى .. إنها دموع حبيسة تريد الانطلاق .. إنه فرح غامر وإنه وجوم مدهوش .. ثم وجدتنى ، وبشعور دافق قاهر ، أتوجه إلى القبلة أصلى .. ففى هذه الصلاة وجدت نفسى وفى هذه الصلاة وجدت أمنى ، وفى هذه الصلاة سكتت دموعى وسكن جأشى .. شكرا لك يارب شكرا لك ياالله ..

واليوم تلح على لسانى وجنانى تلك الكلمات الخوالد ، فما أجد لنفسى عنها حولا : الملك اليوم لله الواحد القهار . ويفد على الكثيرون ليقولوا : إن البطل محمد نجيب رجل مؤمن مسلم ، وإن أعوانه الأبطال كانوا يحملون المصاحف وهم يقومون بمخاطرتهم العظمى فى سبيل الوطن ..

وأقول ما كان لهذه الحركة أن ينهض بها إلا الإيمان . الإيمان بالله . الإيمان بقوة أكبر من قوة الأرض . قوة أكبر من الجبابرة والطغاة .. الخ .

الإخوان والملك

وبمناسبة خروج الملك وقبل أن نترك الموضوع نعرج إلى العلاقة بين الإخوان والملك . ماذا كانت ؟ وهل جرت مقابلة بين الأستاذ حسن البنا والملك فاروق ؟ الذى أؤكده أنه لم تتم مقابلة قط بين الأستاذ والملك . كان الأستاذ يتمنى لو تمت ، وكان يستهدف من ورائها وعظ ذلك الملك وإرشاده ، وكان يرجو أن

يكون لذلك أثره الإيجابى للفكرة الإسلامية وأن يقتنع الملك بفوائده له فى دنياه وآخرته ، ولا شك أن بطانة السوء التى أحاطت بفاروق وعاشت حوله فى رفاهية وخلاعة ومجون لم تكن تريد لمثل هذه المقابلة أن تتم بما يجعلنا نذهب إلى أنهم أخافوه كثيرا منها حيث كان احتمال أن يكسب الأستاذ البنا الجولة قائما ، ولو حدث لكان على هذه البطانة أن تهتدى أو تبتعد ، وفى هذا أو ذاك ضياع سهراتهم الحمراء فضلا عن - وهو الأهم - الأبعاد اليهودية التى كانت تعشش فى ذلك المناخ وتدس نساءها لتحقق أغراضها .

هل كان هناك احتمال حقا أن يهتدى فاروق ؟ !

هدى الله قريب من كل إنسان يهدى به الله من يشاء من عباده . وحين أفصح رسول الله ﷺ عن أمله أن يسلم عمر بن الخطاب قال أصحابه ، من منظورهم : « والله لايسلم عمر حتى يسلم حمار الخطاب » . وأسلم عمر ولم يسلم الحمار .

ساءت الأحوال بين الإخوان والثورة ، تفصيل ذلك يتسع لأن تكتب فيه الكتب . يقول ضباط الثورة إن الإخوان أرادوا أن يبسطوا وصايتهم على الثورة وهى لاتقبل وصاية من أحد . ويقول الإخوان إنهم إنما أرادوا تحقيق ماتم الاتفاق عليه قبل بدء الثورة ، ذلك الاتفاق الذى بناء عليه قدم الإخوان كل عون وتأييد إلى الثورة فى أيامها الأولى . ولسنا نقدم هنا بيانا بما كان بين الإخوان والثورة ولكننا فقط نشير إلى بعض ماكان بشكل منثور أو بصورة أقرب إلى النثر منها إلى النظم .

الإخوان والثورة

لقد أنشأت حكومة الثورة محكمة الثورة لمحاكمة رجال العهد البائد على إفساد الحكم فى مصر ، وكان من أوائل من قدم إلى تلك المحكمة إبراهيم عبد الهادى العدو اللدود للإخوان ، وقابل الإخوان ذلك بترحاب وألغت الثورة الدستور القائم وتجاوب الإخوان ، وحلت الثورة الأحزاب ولم يعترض الإخوان .. اثنان فقط هما اللذان ارتفع صوتاهما فى الهيئة التأسيسية للإخوان يعارضان ذلك الاتجاه ويقفان فى وجه السيل .. أحمد عبد العزيز جلال وتوفيق الشاوى .. قالا إنه اتجاه

خطير ينبغى على الإخوان أن يبصروا عواقبه .. وضاع الصوتان وسط الزحام فقال أحمد جلال متمثلا فى أسى بما جاء فى كليلة ودمنة أقولها لكم وستذكرونها بعد فوات الأوان « إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض » . فكانت بعد ذلك محكمة الشعب على غرار محكمة الثورة ، لمحاكمة الإخوان وإعدامهم وسجنهم ، وأهدرت الحريات وديست القوانين ، وكان الإخوان أول وأكثر من اكتوى بذلك



على قبر حسن البنا ١١ فبراير ١٩٥٤ جمال عبد الناصر - عبد الرحمن البنا
صلاح سالم وخلفهم صلاح دسوقى وجمال السنهورى

على نطاق واسع ، وحلت الإخوان كما حلت الأحزاب ، ولكن حل الأحزاب انتهى أمره بقرار الحل ، أما حل الإخوان فقد استتبعه تعذيبهم وسلخ جلودهم وسجنهم وبقى فى السجون منهم حتى عام ١٩٧١ من دخلها منذ عام ١٩٥٤ ،

بما يسجل للإخوان فى التاريخ - رغم أخطائهم فى تلك المرحلة - أنهم هم الذين قالوا « لا » حين أحنى الجميع رءوسهم وأنهم بذلوا من دمائهم وأرواحهم وأرزاقهم وأمنهم وأمن نسائهم وأطفالهم والشيوخ المسنين منهم من أمهاتهم وآبائهم ومن حرياتهم وأعصابهم ونفسياتهم مالم يقدمه سواهم ولامعشار معشاره .

ثم جاء حادث المنشية فى أكتوبر ١٩٥٤ .

ولقد كنت ضمن حشود الإخوان التى اعتقلت وحشرت إلى السجن الحربى حينذاك ، وشهدت همجية التحقيقات التى صاحبت هذا الحادث أو التحقيق فى سواه ، وقد أضافت تلك التحقيقات إلى الاتهامات من الباطل ما لو وزع على قضايا الدنيا لكفاها إدانة . وارتكبت سلطات الثورة من الأخطاء ما لو وزع على حكومات العالم - فى غير مصر - لأسقطها ، وحكم « جمال عبد الناصر » بمنطق « أنا أحيى وأميت » .

أبطال التعذيب

ومن عجيب أن قضاء الله وقدره قد تتبع أبطال التعذيب والتعذيبات التالية حتى ٦٥ - ١٩٧٠ . ونكاد لانجد منهم أحدا قد أفلت من انتقام الخالق ابتداء من جمال عبد الناصر ، إلى جمال سالم ، إلى صلاح سالم ، إلى شمس بدران ، إلى سعد عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية إلى حمزة البسيونى قائد السجن الحربى إلى على شفيق إلى محمد نصير إلى الباشجاويش أمين حسين السيد إلى العسكرى غنيم إلى صفوت الروبى ، وعلى زومة حافظ وزغلول وسنبو .. إلخ .

جمال سالم أصيب بمرض عصبى وتكاثرت عليه الأمراض حتى قالها فى صراحة: إنها ذنب الإخوان المسلمين ، وظل فى آلام المرض حتى مات .

وأخوه صلاح سالم احتبس بوله وتوقفت كليتاه عن العمل حتى أصيب بالتسمم ، وتذكر الإخوان حينذاك حبسهم عن قضاء حاجتهم فى السجن الحربى ، ومنعهم من أداء وظيفة الإخراج الطبيعية التى يزاولها كل الناس .. وسائر الحيوان .

وشمس بدران اتهم بمحاولة الانقلاب على جمال عبد الناصر لصالح عبد الحكيم عامر على أثر الهزيمة الشنعاء التى منيت بها مصر والعالم العربى كله فى ٥ يونيه ١٩٦٧ ، وقد حوكم شمس وحكم عليه بالسجن المؤبد .

أما سيده المشير عبد الحكيم عامر فقد انتحر أو قتلوه بالسم فى ١٣ سبتمبر ١٩٦٧ على أثر فشل تلك المحاولة ، ومازال فى أنفس الناس أشياء عن ذلك الانتحار ..

أما سعد عبد الكريم فقد كان يبغى السلطة والرفعة فرضى لنفسه ما لا يرضى به أى إنسان كريم ، وقالها لى عام ١٩٦٦ فى التحقيقات بصراحة « نحن نحكمكم بشريعة الغاب .. هل يعجبكم أو لايعجبكم ؟ » . سعد عبد الكريم هذا دالت سلطته حتى نقل إذلالا له إلى سلاح الحدود . وعند دخوله إلى مكتبه الجديد فى السلاح سقط فاقد الحياة من الغيظ .

وحمزة البسيونى .. ذلك الجاهل الجبار الجبان المغرور .. كان يفتل شاربين فى لون الفضة ويمر بين المعذبين يشبع عينيه بمنظر دمائهم وأذنيه بصراخهم وأناتهم ولفظ أنفاسهم ، ويوصى بتشديد العذاب على هذا وإحراق جلد هذا وضرب ذاك مائتى كرباج والذى يليه خمسمائة .. الخ . حمزة البسيونى هذا الذى كان يسير الشر والعذاب فى ركابه سمع معذبا يستغيث بالله ويقول يارب يارب فأجابه فى ثقة أن هذا الرب المستغاث به لو نزل إلى الأرض لحبسه « حمزة ! » فى زنزانة وضربه بالكرباج ! حمزة هذا كان عائدا مع بعض أقاربه من إجازة عيد فى الاسكندرية بعربته يقودها بنفسه ، وعند قويسنا حدث له حادث اصطدام يقال إن جثته تقطعت فيه وأن إخوانا من قويسنا هم الذين تعرفوا على جثته فقالوا هذا حمزة ! وجمعوا قطع لحمه إلى جانب الطريق وغطوها بفروع الشجر حتى حمل فى سيارة إسعاف إلى مشرحة مستشفى هليوبوليس ...

وعلى شفيق أحد مديرى مكتب المشير عبد الحكيم عامر اختلف مع شمس بدران واستطاع شمس أن يوقع به ويودعه السجن الحربى ثم سجن القلعة ويذله ويشبعه ضربا .

أما محمد نصير سكرتير الرئيس جمال لشئون البوليس الحربى ، فلا ندرى لماذا أبعد عن منصبه العسكرى وعين رئيس مجلس إدارة الشركة العقارية ، وإتهم باختلاس نصف مليون جنيه منها ، وحبس متهما فى سجن الاستئناف ، لقد برأته المحكمة ولكنه فصل من الشركة . ومات بعدها بقليل .

حتى العسكرى غنيم من إحدى قرى المنوفية .. عثر عليه قتيلا بين الحقول لايدرى من قاتله !

الصول يس من ابطال تعذيب ١٩٥٤ هاجمه جمل له وقضم رقبته فقتله . وغيرهم كثير لم يحصهم أحد .

الرائد رياض إبراهيم وصفوت الروبى والعسكرى سنبو والعسكرى زغلول والعسكرى على الأسود .. الخ حوكموا فى قضايا التعذيب فى أوائل السبعينيات وصدرت عليهم أحكام مختلفة بالسجن كل حسب نصيبه . وكان بعض الإخوان يذهب لمتابعة المحاكمات فكان أولئك المأفونون يسبونهم ويتوعدونهم !!

أقولها متمثلا

هل ثوّب الكفار ماكانوا يفعلون ؟

ذكرنا التعذيب على عهد فاروق

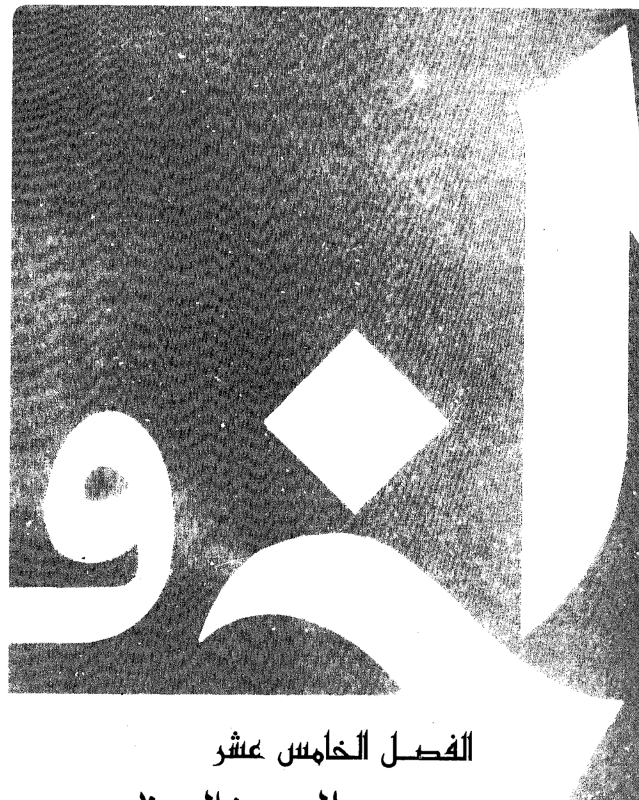
ونذكر الآن التعذيب على عهد عبد الناصر . ذاك تعذيب وهذا تعذيب فهل يستويان ، مهما اتسع التعذيب ايام الملك الفاسد فقد كان يقع على افراد معدودين ولو كثروا . كان الغرض منه الحصول على اعترافات تخلم القضايا وتصطنع لها الأدلة المفقودة ، وكان يتم فى استخفاء وعلى استحياء ثم كان الذين قارفوه ينكرونه .

أما فى عهد الثورة المباركة فقد اتسع نطاقه حتى شمل عشرات الألوف بصورة مباشرة فضلا عما كان يصيب أهليهم . وصار التعذيب علما وفنا تعلمه من مارسه عن بعض خبراء النازى السابقين وخبراء الروس الشيوعيين . ثم صار ضباطنا المواطنون يتوارثون خبرته طبقة عن طبقة . وصار لضباط المباحث العامة بمعتقل القلعة وغيره أسلوبهم وأدواتهم ، وكان لرجال المخابرات بمبناهم بكوبرى القبة أسلوبهم وأدواتهم ، كما كان للشرطة العسكرية أسلوبها وادواتها بالسجون الحربية . وكلها كانت أجهزة تتنافس فيما لم يصل إليه الانجليز أيام الاحتلال ، وتضاءلت دنشواى بشهرتها الواسعة أمام كرداسة وكمشيش . وظهر كتاب « الحرب النفسية » لصلاح نصر مدير المخابرات يشرح فيه أساليب التعذيب خاصة النفسية وعمليات غسيل المخ ... الخ .

كان إبراهيم عبد الهادى يحسب أن لم يره أحد .

أما جمال عبد الناصر فكان يحسب أن لن يقدر عليه أحد !





الفصل الخامس عشر

السجن الحزبى

اعتقال

كانت حركة اعتقال الإخوان على قدم وساق ، لا منذ حادث المنشية بل من قبلها ، وكان المعتقلون يحشرون إلى جميع الجهات ، سجن مصر وسجن الاستئناف وسجن القلعة وجميع أقسام البوليس والسجن الحربى . وفى منتصف ليل ٩ / ١١ / ١٩٥٤ حضرت إلى منزلنا قوة كبيرة من الشرطة فحاصرته من الخارج وملأته من الداخل لكى تصحبنى معها . صافحت والدى ووالدتى وهى تدعو لى . وسألت الوالدة الضابط الذى كان على رأس القوة إن كنت مطلوبا لتحقيق أو أنه مجرد اعتقال فأجاب بأنه ليس أكثر من خمس دقائق وأن كل شىء يدعو إلى الاطمئنان ، ولكن كبر حجم القوة وكثرة عددها لم يكونا يدعوان إلى الاطمئنان .

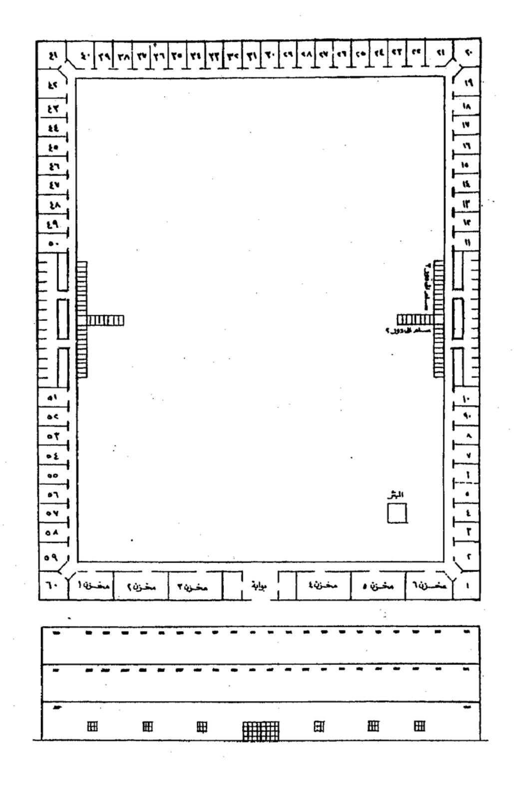
وصلنا قسم شرطة الوايلى قبل الفجر . ومن هناك أعطى الضابط إشارة تليفونية إلى رؤسائه بالمباحث العامة أن القبض علىّ تم بنجاح وهدوء ! وفى غرفة الحجز بالقسم وجدت عددا من الإخوان كانت تغص بهم . وصلينا الفجر جميعا وأصبح الصباح وقد عزمت على الصوم وواصلت الصيام فامتد أكثر من شهرين استقبلت بهما تلك المحنة العاتية . ومن حين لآخر كان ينادى بعض منا فيذهبون ... ومع أذان المغرب نوديت مع اثنين فخرجنا معا مقيدين بالحديد فى سيارة لورى إلى إدارة المباحث العامة ومنها إلى البوليس الحربى بعابدين ، ومازلنا تحت مسئولية نفس الضابط الذى اصطحبنا من القسم ، وكان يحذر العساكر الذين معنا بأنى سوف أهرب لأنى خطر !! ومن البوليس الحربى أحضر خطابا لإدخالنا إلى السجن الحربى ، ثم واصلنا الرحلة .

وقفت بنا السيارة أمام الباب الخارجى للسجن الحربى بصحراء العباسية (مدينة نصر حاليا) وأنزلنا منها فوجدنا الأسلاك الشائكة تحوطنا من كل جانب وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساء . وتقدم نحونا من جهة الباب جندى شاهرا بندقيته وقد رشق فيها السونكى ورفع عقيرته فى حماسة بالغة يقول « قف من أنت ؟.. كلمة سر الليل ؟ » وأجابه الضابط فى سرية تامة إجابة لم نسمعها ، ثم دخلنا .

كان يدهشنى أن أحضر إلى هذا السجن .. فقد كنا نسمع عنه أنه مخصص للتعذيب وأن من يؤخذ إلى السجن الحربى فسوف يدعو ثبورا و يصلى سعيرا !! ومفهوم التعذيب أن يكون بقصد الوصول إلى معلومات فى قضايا ، ولم يكن لى صلة بشىء أظن أن يكون محل تحقيق فقد كنت مفصولا ثم موقوفا . سرنا داخل السجن وقد لفنا سكون شامل ، ثلاثتنا خلف الضابط ، كل يحمل حقائبه . إنه ليس سجنا .. يسمونه السجون الحربية ، وهى فعلا سجون وإن تبعت إدارة واحدة وأحاط بها سور واحد . وكل من تلك السجون يحمل رقما أو صفة .. فهذه الشفخانة (يعنى المستشفى) وهذا سجن رقم ١ ، ثم رقم ٢ ، ثم سجن رقم ٣ وسجن رقم ٤ وأخيرا « السجن الكبير » .. هكذا كان يسمى ، وهكذا كان فعلا .

السجن الكبير

وحتى أقترب بالقارىء إلى معايشة الوضع أقدم وصفا لأهم معالم ذلك الباستيل وهو السجن الكبير كان من ثلاثة طوابق مبنيا من الطوب الرملى ، فأول مايطالع الضيف وهو يقترب منه حائطه الذى يرتفع بذلك القدر والذى يبدو مصمتا إلا صفا من النوافذ الصغيرة تقترب من سقف الدور الثانى ومثلها للدور الثالث وكذلك الدور الأول ماعدا واجهته ، فنوافذها أكبر وأدنى إلى الأرض ، أما سائر أضلاع الدور الأرضى فمثل سائر السجن فى زنازينه وارتفاع نوافذه وجميعها عليها قضبان حديدية .

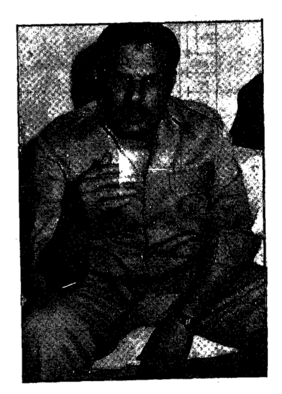


مخزن ١
مخزن ٢
مخزن ٣
بوابة
مخزن ٤
مخزن ٥
مخزن ٦
البئر



فى السجن الحربى الكبير





صفوت متهم بقتل العديد من المعتقلين

ويتجه الوافد إلى السجن الكبير بطبيعة الحال إلى بوابته ذات القضبان الحديدية التى تتوسط ضلع الواجهة ، وكانت دائما مقفلة لا تفتح إلا لدخول أو خروج ، وكانت حجرة عن يمين وأخرى عن يسار الداخل كانتا مستخدمتين كمكاتب ، اليمنى منهما كانت لباشجاويش السجن ، ولاتحسبن أخى القارىء أن الباشجاويش هناك كان وظيفة صغيرة أو قليلة أو مثل أى باشجاويش ممن تراهم فى الشارع ... أبدا ، تستطيع أن تقول إنه رئيس وزراء ذلك المكان أو أكثر ، فإن رئيس الوزراء ليس فى سلطته أن يقتل رعاياه ، ولكن ذلك الباشجاويش كان فى سلطته أن يفعل ، بل إن الرتب الأقل كانت تستطيع ذلك – يا مغيث .. كان من جنود إبليس – بعد ذلك يجد الوافد فناءً واسعا مربعا يبلغ ضلعه الداخلى حوالى ٤٠ مترا ، أكثر من ٥٠ مترا ويبعث المشهد الذى يرتفع أمام الرائى ثلاثة أدوار من بناء تحيط بفراغ مربع الشكل تقريبا ليس له إلا تلك البوابة الواحدة ، يبعث فى النفس الشعور بالسجن ، فأنت الآن فى سجن لامخرج منه ولا نفاذ ، لاتنفذون إلا بسلطان . هناك فى وسط اليمين سلم من الخرسانة المسلحة يصعد إلى الدور الثالث ، ومثل ذلك فى الجانب الأيسر أيضا . من أقصى اليمين يبدأ الرقم المسلسل للزنازين ، رقم ١ رقم ٢ وهكذا ولكن هناك خلف السلم توجد دورة المياه ثم يستمر تسلسل أرقام الزنازين بعدها حتى آخر الضلع ثم الضلع المواجه ثم الأيسر ، وهناك أيضا دورة مياه أخرى خلف السلم الأيسر ، أما ضلع البوابة فبه مخازن بدلا من الزنازين وهى أكثر اتساعا وبعضها كان يستعمل أيضا فى « تخزين » المعتقلين ، كانت ستة مخازن ثلاثة عن يمين ومثلها عن شمال .

أما الدور الثانى وكذا الثالث فكلهما زنازين ، لامخازن ولا دورات مياه وأرقام زنازينها مسلسلة بعد أرقام الدور الأول . وكان اتساع كل زنزانة ٢×٣ والوحدات هنا بالياردة وليس بالمتر ، والسر فى ذلك أن الانجليز هم الذين بنوه للأسرى الإيطاليين أيام الحرب العالمية الثانية فكان ضمن الوحدات العسكرية التى عرفت باسم « القُرْنص » ، ثم آلت إلى الجيش المصرى بعد خروج الانجليز من القاهرة إلى القنال فى الأربعينيات ، والآن يستخدمه جيش الثورة للأسرى المصريين !

كان سقف الزنازين يرتفع إلى أكثر من ثلاث ياردات ربما إلى أربعة بكل زنزانة نافذة تقترب من السقف عليها قضبان الحديد . قال المهندس الأديب أنور رياض فى كتابه [القابضون على الجمر] . « فى السجن » ،: ومن خلال

القضبان .. كانت السماء تبدو دائما مقسمة إلى مربعات وكانت أبوابها من ألواح الحديد ركبت على أطر من الخشب السميك ، لها ترابيس من الخارج ولا يمكن فتحها من الداخل ويمر أمامها دهليز من الخرسانة المسلحة فى الأدوار الثلاثة وللدورين العلويين سور من الحديد مثبت فى أعمدة من الأسمنت يكشف عما وراءه وفوق باب كل زنزانة رقمها . وعلى الجدران كتبت بخط كبير بعض العبارات التى فاه بها جمال عبدالناصر مثل قوله « ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد » ! هذا السجن الكبير كان به ٢٥٢ زنزانة و٦ مخازن .

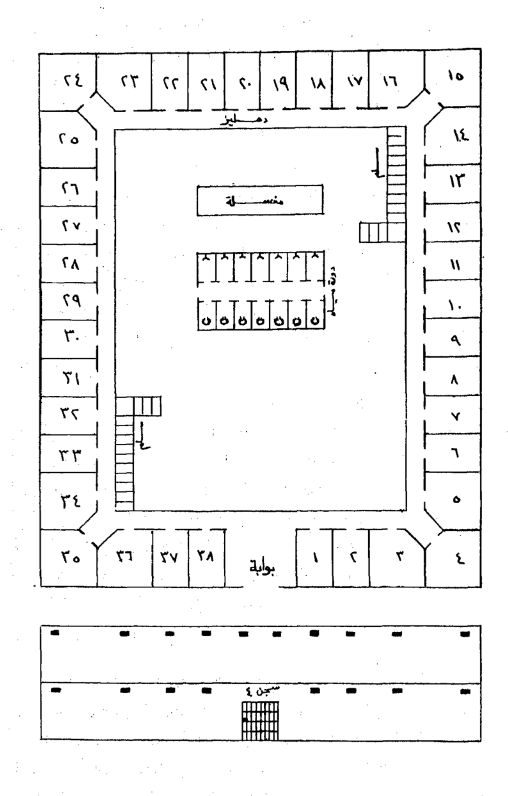
والرسم الذى نضعه مع هذا الوصف هو كروكى لذلك السجن من الذاكرة ، وهو صحيح إلى حد بعيد . أما الصورة فى لقطة داخل السجن الكبير بعد إخلائه من الاخوان وشغله بالعسكريين .

أما سجن ٤ فهو أصغر حجماً بكثير من السنجن الكبير وهو من دورين فقط ، الأرضى وآخر يعلوه بهما معا تسع وسبعون زنزانة من ذات المساحة ويغنينا رسمه عن وصفه .

وفى محنة ١٩٥٤ خصصوا سجن ٣ لأصحابه العسكريين أما باقى السجون الحربية فكانت للإخوان المسلمين ، أما فى محنة ١٩٦٥ فقد جعلوا سجن ٢ وسجن ٤ للعسكريين والباقى لنا .

استقبال

وصلنا مكاتب إدارة السجن فخرج لنا ضابط طويل القامة .. عرفته اليوزباشى (نقيب) صلاح الدسوقى .. صار بعد ذلك محافظا للقاهرة ثم سفيرا لمصر فى هلسنكى ثم رئيسنا لمجلس ادارة شركة سينا للفنادق ونوادى الغوص . سأل عن أسمائنا فأخبره الضابط المرافق فنظر إلىّ من دون صاحبىّ وقال متهكما « أهذا أنت ؟ أهلا وسهلا ! » ثم أدخلنا إلى مكتب الصاغ أركان حرب السجن ، وكان معه « الشربينى » ضابط الأمانات فأخذ ما معنا من نقود وقيدها فى دفتر وفتشوا حقائبنا . ثم حدد الأركان حرب رقم الزنزانة التى يوضع بها كل منا . ومشى خلفنا من المكاتب إلى السجن الكبير – مسافة لعلها تبلغ ثلثمائة متر – جندى يحمل بندقية بسونكى لم ينقطع عن السباب البذىء طوال المسافة .



٢٤
٢٣
٢٢
٢١
٢٠
١٩
١٨
١٧
١٦
١٥
دهليز
٢٥
١٤
٢٦
١٣
مغسلة
٢٧
١٢
٢٨
١١
دورة مياه
٢٩
١٠
٣٠
٩
٣١
٨
٣٢
٧
٣٣
٦
٣٤
٥
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
بوابة
١
٢
٣
٤
سجن ٤

وفتحت لنا البوابة الحديدية الضخمة ودخلنا فأعيد تفتيش حقائبنا بحضور باشجاويش السجن أمين حسين السيد ، فأخذوا منى رزمة ورق قالوا إنهم يحتاجون إليها ودواة حبر . ثم فتشوا جيوبى ونشلوا قلمى الحبر . وسألنى الباشجاويش عن اسمى فذكرته له . فقال للجند « علموه كيف يجيب » وانهالت علىّ سياط طويلة غليظة كثيرة وموجعة من كل جانب .. لم يكن هناك أى فرصة للمقاومة فوقفت ساكنا أنظر إليهم وهم يشتدون فى ضربى ، وقال قائل منهم « تقول اسمى كذا وكذا ياأفندم ! » واستمروا يضربوننى بالسياط ، وبألسنتهم القذرة ذكروا لى آراءهم فى شخصى وفى أمى وأبى وأجدادى .. والهضيبى !! فى شرفنا وديننا وأصلنا ، ذكروا ذلك كله بطلاقة وإفاضة واطّراد وبلاغة فذة من أدب السوقة وأخلاق الرعاع . ثم سألوا واحدا ممن معى عن اسمه فأجاب بسرعة « اسمى كذا كذا ياأفندم » وظننت أنه ينجو مما أصابنى ولكن السياط تناولته أيضا وهم يقولون له « نعم هكذا . أنت أحسن من زميلك . تعلمت منه ياابن الكلب ! » ثم كان أمر ثالثنا مثلنا .

وعبروا بنا ساحة السجن فصعدوا بنا إلى الدور الثانى والسياط لاتهدأ عن ظهورنا وأدخلونا الزنازين ، واحداً فى زنزانة والآخر وأنا فى زنزانة ثانية . وقال قائلهم « هنا السجن الحربى » . النوم ممنوع . إذا فتح الباب أقل رتبة فلا بد أن تعظموه والويل لمن نراه جالسا ، يامختلسين ياأولاد الكلب ، ياأولاد كذا وكذا وكيت وكيت » ثم اعادوا ضربنا وضرب أخوين آخرين كانا بالزنزانة من قبلنا وأغلقوا الباب فصرنا إلى ظلام دامس . ومر الليل كله بدون نوم فلم تكن تمر نصف ساعة دون أن يفتح الباب بعنف وسرعة ويقتحمه حملة السياط يلهبون بها اجسادنا لهيبا مؤلما فى الظلام ، وحين يذهبون عنا ويغلقون الباب كنا نسمع أصوات الضرب مستمرة فى الزنازين المجاورة . حتى يرجعوا إلينا .

فى تلك الليلة كثر الوافدون الجدد إلى السجن ، فما تمر لحظة حتى يطرق سمعنا صوت البوابة الحديدية تفتح ثم تُصْفَق ، ويختلط فى تقديرنا هذا الصوت بأصوات السياط . فكان أحدنا يقول : « هذا كرباج » فيقول الآخر « لاهذه البوابة » . كانت جماعاتهم تترى ونسمعهم يضربون فى الفناء .. وكنا ننظر من خلال ثقب صغير بالباب فلا نتبين منه إلا أشباحا غير واضحة يضربها الجند ،

كانوا يؤمرون فيقول الواحد منهم بأعلى صوته .. أنا وسخ ! وأبويا وسخ !! وحسن الهضيبى وسخ !!!

وفى الأيام التالية شهدنا ألوفا من الوافدين يفدون زرافات ووحدانا ، الآحاد والبضعة والعشرات والمائة والمائتين . كلهم يستقبلون بأكثر مما استقبلنا به مما تتفتق عنه أذهانهم يوما بعد يوم .. الكرباج والصفع والرفس والنطح وتمزيق الثياب وحلق الرءوس والشوارب واللحى .. كانوا يضربون بالسياط على رءوسهم الحليقة وعلى وجوهم وظهورهم وصدروهم . حتى إذا فنيت كرابيجهم أخرجوا لنا « فلنكات » من الخشب يضربوننا بها لايبالون تكسر منا ماتكسر وتقتل منا من تقتل حتى قال قائلنا متهكما رغم ماكنا فيه « الخشب بُلى ونحن لم بُلينا » .

وكثر نشل المال والساعات وأقلام الحبر وركل العمائم والطرابيش واللعب بها وملئها بالماء ووضع أصحابها فى برك من الطين بملابسهم التى جاءوا بها .. كان على أصحاب اللحى أن ينتفوها بأيديهم وإلا فالكرباج ينتزعها من على وجوههم ، كذلك أراد حمزة البسيونى قائد السجن وكان يسميها « الوساخة » . هذا بخلاف الأعمال الشاقة كالجرى الكثير تحت السياط ، وجر « الزحافة » وهى بساط كبير ثقيل من صنف البرش زعموا أنه يسوى الأرض ، وجمع الحصى من الأرض . كل هذا فضلا عن الأدب الرفيع المتدفق من أفواه الجند كأنه بحر زاخر فى سباب الأوائل والأواخر وسيل طام ينضح بسب الناس والحط من آبائهم ودينهم . كان الصراخ لا ينقطع لحظة من ليل أو نهار .. لامراعاة لحرمة إنسان ولا لمرض مريض ولا لكبر كبير ولا لشيخوخة طاعن فى السن ، الكل سواء ابن السادسة عشرة ومن جاوز الستين أو السبعين . وكان ذلك الصراخ يقابل بضحكات الجند واستهزاءاتهم ، وصدق الله العظيم « **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون . وماأرسلوا عليهم حافظين !** » .

صلاة

كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر أو استشكل عليه معضل نادى بلالا رضى الله عنه « أرحنا بها يابلال » فيقيم بلال للصلاة يفزع بها الرسول ﷺ وصحبه رضوان الله عليهم إلى ربهم يستروحون بصلاتهم من عنائهم .

وهنا فى سجننا هذا أحس أننا أحوج مانكون إلى مثل تلك الصلاة . وماذا بقى للعبد بعد أن أهدرت أمام باصريه كل القيم السامية والمثل العليا وكل مايمت إلى الإنسانية من صلة وإلى الآدمية من معان ، وأقيمت للخسة والهمجية أنصاب وأصنام . لم تعد لشيء حرمة .. على الاطلاق . حتى هذه أرادوا أن يحرمونا منها ، فهذا صارخ لايعرف الله الباشجاويش أمين حسين السيد ينعق مقسما بالله أن أحدا منا لن يدخل الجنة ! كأنه ورثها أو استولى عليها ، أو كأنه سكرتير الله فى أرضه ! ويحلف أننا لسنا مسلمين بل نحن شر من يهود !! .. وتأسيسا على ذلك ، أنه لايحق لأحدنا أن يحتفظ معه بمصحفه وأن كل من يحوز مصحفا عليه أن يسلمه . وأن الصلاة من المحرمات فى هذا السجن ، والويل والثبور وعظائم الأمور لمن يضبط معه نسخة من كتاب الله ، أو لمن يضبط متلبسا بالصلاة ، أو لمن يرى يبسمل أو يهلل أو يكبر أو يسبح أو يسترجع أو يحوقل أو يستغفر أو يتمتم بأى تمتمة تمت إلى دينه بنسب ! ولقد احتفظ بعضهم بصفحات انتزعها من مصحفه حين سلمه .. عز عليه أن يبقى بلا قرآن ، وضبطت معه هذه الصفحات .. فجزاه الله خيرا على مانكلوا به فى سبيله .

نوديت ليلا إلى مكاتب السجن حيث يدور « التحقيق » فكنت أُسأل ثم أعاد لأقف تحت الحراسة فترات تطول أو تقصر مواجها جدارا من الجدران ، لا يسمح لى بالالتفات يمنة أو يسرة أو أن أحرك قدما أو يدا .. رأسى حليق والكرابيج وفلنكات الخشب تتشوق من حولى لتفلق هامتى . ومر الليل بين سؤال وسوط وركل وصفع وضرب بالخُشُب .. كم نخسنى غبى منهم بالسونكى فى غيظ وغل لأنى أتسبب بإصرارى على الإنكار فى سهره ليعذبنى !

وقارب الوقت الفجر ولما أصلِّ العشاء . ليس مشروعا أن أسقط الفريضة .. ولعله لمثل هذا شرع بعض فقه الصلاة . لم أكن متوضئا ولاأستطيع أن أتوضأ والماء منى قيد خطوات ، ولاأستطيع أن أتيمم وتراب الأرض تحت قدمىّ بل وفوق رأسى والجدار أمامى ، ولكن غير مسموح ولامستطاع أن أمسه كيلا أستند إليه ولو قليلا ، فأنال من الراحة ولو ماقلّ ، فالوقوف نفسه جزء من التعذيب . لم أكن مستقبل القبلة ، فوجهى إلى الغرب أقرب ولاأستطيع أن أستدير نحو القبلة ، فلتكن صلاتى إلى حيث لاأستطيع إلا أن أتجه ﴿ **فأينما تولوا فثمَّ وجه الله** ﴾

ولن أثق إذا نويت الصلاة أن أتمكن من إتمامها أربعا فلأصل قصرا ... صلاة كلها خوف بلا وضوء ولا تيمم ولااستقبال قبلة ولاركوع ولاسجودولارفع يدين .. ! فقط إيماء بالعين لاأذكر فى حياتى كلها أنى أديت صلاة مماثلة إلا فى السجن الحربى . ولا أزعم أنى هدأ بها بالى أو أنى تجردت لها عما حولى .. ولكننى أزعم أنى أديت بها الفريضة وجاهدت نفسى مااستطعت أن استحضر لها قلبى بين أصوات السياط وصراخ المعذبين ولوثات الدماء تملأ كل ما فى المكان .. على الوجوه وعلى الرءوس والثياب والجدران والأرض والتراب ، ثم كنت لأكاد أسمع بأذنى ذلك الصوت الندى المشهور فى السيرة ، صوت بلال بن رباح رضى الله عنه يقيم الصلاة لنبى الله محمد ﷺ إذ يقول « أرحنا بها يابلال » .

ثياب وملابس

كثير من هذا الحشد الكبير حُشر من بيوته ، وكثير جىء به من عمله أو من عرض الطريق . وأكثر من جاء من بيته استطاع أن يحتمل معه ماتيسر من الإزار والدثار وبعضهم أحضر بعنف وعلى عجل أو أحضر خطفا فجاء فردا . لذلك كانت كمية الثياب قليلة جدا خلف هذه الجدران . أكثر من هنا يرتدون الحلة الافرنجية ولاشىء غيرها . هذه الثياب وكيفما كانت .. جبة أو حلة أو جلبابا أو بيجاما كانت تشاركنا محنتنا . ففى الاستقبال كان جنود جيشنا البواسل يحبون اللعب بالطرابيش والعمائم ، وكان من المناظر المفضلة عندهم منظر عمامة الشيخ يطاح بها فى الهواء إلى ارتفاع الطابق الثالث ثم تهوى إلى الأرض – أقصد إلى الطين . وكان مما يحبون من المزاح أن يضرب أحدهم الطربوش بيده ليسقط من فوق رأس صاحبه إلى الأرض فيتسابق قرناؤه إلى ركله ويظلون يركلونه ماشاءوا ، كأنه كرة فى مباراة حتى يصل قادم جديد بطربوش أو عمامة جديدة . كانوا يرغمون صاحبه على الوقوف فوقه ووطئه بقدميه ثم يصدر الأمر العسكرى « خطوة تنظيم » فإلى أن يفرغوا من تخطيط وجهه بالكرباج يكون قد عجن الطربوش أو العمامة بقدميه .

وكلما كان الثوب جديدا ومنظره أبهى وأجمل كلما زاد ذلك من حماس الجنود لكى يمرمطوها فى الطين ، فيلزمون الضحية أن ينام على الأرض وأن يتقلب فى

الطين بحلته سروالها وسترتها ، بينما تنهال السياط فيختلط على الثوب طين الأرض ودماء صاحبه .. فترى على الوجوه وعلى الرءوس وعلى الأرض وعلى الجدران أضغاث من الدماء والطين .

استمر التعذيب والسياط تمزق ثيابنا تماما كما تمزق جلودنا . قضيت ليلة من تلك الليالى معلقا من القدمين بحبل إلى السقف والرأس إلى أسفل مع تمزيق الساقين والقدمين بالسياط . ولم أستطع أن أجنب بيجامتى الصوف الجديدة والوحيدة التى كنت أمتلكها حينذاك – والبرد قارس – ماحل بها . لقد استحال نصف سروالها الأسفل خرقا بالية طينها تراب قد عجن بالدم . كما منست بعض السياط الأكمام والظهر والصدر والكتفين فأحدثت بها شقوقا وتمزقات . وكما استحال علينا أن نعالج جروحنا ، كذلك كان محالا أن نرمم ثيابنا ، فلم يكن معنا خيط ولاخِيَاط .

ومرت الأيام نقاسى المحنة ونعانى من العذاب وثيابنا تشاركنا تلك القسوة حتى مضت شهور ثلاثة أو أربعة جاءت بعدها دفعة من الطرود على غفلة من كثير منا ومن أهالينا ثم عاد الحظر ففرض نحوا من أربعة أشهر أخرى . فى هذه الفترة ظهرت أنواع من الثياب لم يكن يخطر على بال بشر أن يراها فضلا عن أن يلبسها . وكانت بعض الإبر قد تسربت إلينا . وفك بعض الإخوان فانلاتهم للانتفاع بغزلها كخيط ، ولقد نقضت نسج فوطة وجهى للحصول على خيط . كان أول مايتآكل من البنطلون ركبتاه ، فتنتقل جيوب السترة لتسد هذه الثغرات . ثم تتآكل مقعدة السروال فتسدها أى قطعة قماش من أى صنف ومن أى لون . ثم تهلك الياقة فيستغنى عنها صاحبها تماما . ثم تتآكل الرقع التى تسد الثغور فترقع الرقع برقاع أخرى . وقبل أن تعود هذه الرقاع الجديدة إلى التآكل يتفتق الذهن عن فكرة تدوير السروال فيلبس بحيث يكون خلفه من أمام وأمامه من خلف فترى ثغرات الخلف جاءت كلها من قُبُل وثغرات الأمام قد استدارت كلها إلى دُبُر ، وبذلك تحمل الضغوط على مناطق أكثر احتمالا وأقل ذوبانا من تلك التى هلكت أو على وشك الهلاك .

كل هذا وقع تحت طائلة تحقيق طويل وعريض من حثالة الجند ... سين وجيم عن كيف رقعنا ثيابنا ومن أين لنا بالخيط وأين نخفى الإبر ؟ ! ولقد كان فقدان

إبرة يعنى العرى لأكثر من واحد ، فلقد كان ينتفع بالإبرة الواحدة الثلاثون والأربعون حتى لقد كان يتهامس بيننا أن زنزانة رقم كذا فيها إبرة . واستعار أحدهم إبرة ففقدت منه فى طوابير العذاب فكان موقفه حرجا للغاية وهو يعتذر لصاحبها عن فقدها .

ربما يتبادر إلى ذهن من لم يشهد أن هذا التصوير مبالغ فيه . ولكن مر الواقع يجعل المبالغة أمرا محالا ، فقد كان الواقع ذاته مبالغا فيه أكثر من أى مبالغة ، وكثيرا ما يعجز التصوير أن يساير مبالغة الواقع . ولربما لايصدق إلا من رأى أن رجلا أحضر من حجرته فى بيته إلى السجن الحربى كما ولدته أمه . كان رقيق الحال يسكن غرفة ضعيفة فوق سطح ، اقتحموها عليه وهو مع زوجته ، ثم راق لهم أن يجيئوا به كما وجدوه .. فأى مبالغة يستطاع اضافتها ؟ كان الأخ إبراهيم مصطفى يقوم وقتها بأعمال النظافة – يعنى يكنس أمام الزنازين فكان يطوف يسأل من عنده مايستطيع أن يستغنى عنه من الثياب لكسوة هذا الوافد .

لقد بلغ ببعضهم اليأس بطربوشه أن عالج به أزمة أخرى فملأه ماء على حافة البئر الذى كنا نكرع منه لينقله إلى الزنزانة ليرتشف منه من لم تبلغ به شجاعته أن يجازف بضلوعه أو عظام رأسه ليصل إلى البئر .

رأينا كيف يكون المعطف الشتوى الصوف الثقيل « جابونيز » بدون أكمام إلى الإبطين يلبسه صاحبه يروح به ويغدو لايملك له بديلا . يقارب ذلك مرارة « أوفرول » تآكلت ركبتاه وأعيى صاحبه ترقيعه فبتره من ركبتيه ثم ظل يرتديه « شورت » . الروب دى شامبر ينطق بالعز القديم مرقع من أمام ومن خلف ومن أعلى ومن أسفل ، لاتراه هكذا إلا هنا فى السجن الحربى . رأينا بيجامات وجلابيب يكاد شبر منها أن يكون من لون وثوب ، وصنف يغاير سائر الأشبار مثل بدلة مهرج السيرك .

ثم لم يكن هذا شيئا مضحكا ولامخزيا ولافاضحا .. فكهذا كانت ثياب الجميع .

وذهبت شهور الشتاء على تلك الحال ، وجاءت شهور الصيف بشمسها الحارقة وهجيرها اللافح وأشعتها التى لايخفف من وطأتها ساتر تصيب رءوسنا الحليقة ،

ففك أحدهم جواربه وصنع من خيوطها بيريها يقى رأسه وهج الشمس ، وقلده آخرون حتى أمتلأ السجن بهذا الصنف من القلانس صنعوها بإبر اصطنعوها من المسامير وقطع السلك . ولاحظ الباشجاويش أمين حسين السيد كثرة البيريهات ، هو يقينا كان جاهلا لم يسمع عن نيرون ، ولكن كان لديه من شره الذاتى مثل ماكان لنيرون ، فأمر بجمع البيريهات من جميع المعتقل ووضعها ركاما وسط فناء السجن فقدرناها حينذاك بأكثر من ثلاثة آلاف ، وسكب عليها البنزين وأضرمها نارا وقف يمتع نظره بلهبها ويؤرج أنفه بدخانها ورائحة شياطها .

طعام

لاندرى ماذا كان ... ولكنه ظل « الطعام » الوحيد الذى يقدم لنا على مدار السنة إذا صح لنا أن نسميه طعاما . لونه أخضر داكن أدهم يميل إلى السواد .. سائل فى قوام الشوربة تسبح فيه بعض العروق من شجر لانعرفه .. عروقه قليلة قد يصادفنا ساقها أو ورقها إذا تصادف أن كان له ورق ، وأحيانا الجذر ، ولم يكن هناك أى فارق بين أىٍّ من هذه الأجزاء فكلها عند المذاق سواء .. لاطعم لها البتة . لاأعرف نباتا ينبت فى جميع فصول السنة وإذ كان لابد لنا أن نسميه اسما .. أى اسم نعبر به عنه ، فقد اسميناه « الحمبلوط » . لاأدرى من الذى سماه ، ولكن الكلمة صارت عَلَما على هذا الطعام يعرفه به ألوف المعتقلين فى السجن الحربى . يأتينا مسلوقا بطينه « ولاغسيل البرك » كان ماسخا ليس فى طعمه مايفيد إضافة أى ملح إليه .

كذلك كان يقدم لنا الأرز والشاى السادة بدون سكر ، أو بسكر قليل لايكتشفه صاحب الحاسة العادية فى المذاق . وسلطة عبارة عن ورق الخس بعد أن أكل الجنود البواسل كل عروقه وقد أضيف إليه بعض « فصوص » الملح الرشيدى الخام . والعدس أو الفاصوليا أو البسلة . هذه الأنواع توزع على وجبات اليوم حيثما اتفق . فيوم نفطر فاصوليا ونتغدى عدسا ونتعشى حمبلوطا ويوم نفطر عدسا ونتغدى حمبلوطا وأرزا ونتعشى فاصوليا أو نفطر حمبلوطا ونتغدى بسلة ونتعشى فاصوليا .. هذه التباديل والتوافيق كانت هى التنويع الوحيد فى أصناف المأكولات .

أما عن الكميات فكان فى كل زنزانة من فئة السبعة أو الثمانية معتقلين طبقان من الحجم العادى من صاج أو نحاس ، طبق للحمبلوط وآخر للصنف الآخر الذى غالبا ماكان أرزا أو سلطة . وعلى ذكر السلطة .. أعطونا الحمبلوط والسلطة للإفطار ولم نكن قد اعتدنا بعد شرب الحمبلوط ، فأكلنا السلطة وشربنا ماءها . وفتح باب الزنزانة وقال لنا أحد الجنود « خدوا الشاى ياأولاد الكلب » . لم يكن عندنا أى وعاء نأخذ فيه « الشاى السادة » . وأجبت بأن ليس عندنا مانأخذ فيه الشاى . ونظر ذلك الجندى الجنرال فى أنحاء الزنزانة وأشار إلى طبق السلطة الذى فرغنا منه توا وقال « إمال ده إيه ؟ » قلت « مازال مملحا من أثر السلطة » قال « وماله ! خد فيه شاى » وبكل براءة قلت له « مش عاوزين شاى » . قال « تعالى هنا .. أنت تعصى أمرى ؟ .. أنت تتمرد على الأوامر ؟! » وكان ثمنها أن جلدت عشرين كرباجا على ظهرى فى الحال بيد الشاويش عطية . ورجعنا معا أنا والجندى موزع الشاى . وعاد يقول « خد الشاى » فقدمت له طبق السلطة فملأه شايا ، ثم قال « إشربه » قلت « وحدى ؟ » قال « أيوه .. وكل الزنزانة ولاد الكلب دول محرومين من الشاى النهاردة ! » ورفعت الطبق إلى فمى فشربت الشاى بملح السلطة وحدى .. وسائر إخوان الزنزانة محرومون !!

واللحم .. كان يقدم مع العشاء ستة أيام فى الأسبوع . ثلاثة أرباعها أو يزيد من العظم والباقى من الشغت والعروق وماشاكل ذلك مما لايؤكل عادة . والأصل فيما كان يقدم إلينا من طعام انه كان مثل تعيين العساكر ، ولكن إلى أن يصل إلينا كان يتعرض إلى سرقات ابتداء من مورد الأغذية إلى الجندى الذى يوزعه علينا فلا يصل إلينا إلا على الصورة الموضحة . لم نستطع يوما أن نأكل اللحم رغم مابنا من جوع ، ومر ركس أمام باب الزنزانة .. وركس كلب آرمنت أسود من كلاب السجن الضخمة ، وأردنا أن نتودد إليه ، فألقينا إليه بنصيبنا من اللحم ، واقترب ركس فشم اللحم ثم نظر إلينا شذرا وفى كبرياء يحسد عليه استدار وانصرف دون أن يقربه . كان ذلك اللحم يمضغ مثل اللبان دون أن يمتضغ أو يبلع .

قابلت الشيخ على عبد الحليم البجاوى ذات يوم فى دورة المياه فقلت له « رأيتك منذ أيام تخطف شيئا لم أتبينه من تحت السلم (حيث كان ملقى القمامة)

وتجرى به إلى زنزانتك .. ماذا كان ذلك الشيء ؟ » قال « دى كانت قشرة بطيخ » فحسدته فى نفسى ، وحكيت ذلك لزملاء الزنزانة فكان أحدنا كلما مر أمام السلم نظر تحته لعله يجد قشرة بطيخ .

مثال

تلك صور من « الحياة » داخل ذلك الباستيل الرهيب وأسوق هذه الواقعة كمثال للإجراءات .

مهندس صوت باستوديو مصر لم يكن له أى اتصال بالإخوان وجد نفسه مقبوضا عليه ومودعا فى السجن الحربى . وفى يوم سمع اسمه ينادى به فى فناء السجن فلبى النداء فساقوه إلى مكاتب السجن حيث أسلموه « ادعاء » يعنى اتهاما جاء فيه أنه أتى أفعالا ضد نظام الحكم دون أى إيضاح أو تفسير ، فما ان شرع يفتح فمه ليقول شيئا حتى هوى السوط علي وجهه ليسكته . وسكت الرجل وعاد إلى زنزانته بالإدعاء وهو يبكى وقد حددوا له يوما للمحاكمة .

ونظرا لانهيار الرجل فقد ذهب زملاؤه بالزنزانة يطمئنونه بأن موقفه سليم وأن « القضية مضمونة » وراحوا يحفظونه مايقول للمحكمة .. إنه لم يكن من الإخوان على الإطلاق ، ولابد أن هناك خطأ ما أو تشابها فى الأسماء ، فإذا ماأخبروه بالأفعال المنسوبة إليه فإنه سيكون من الميسور أن يوضح أنه ليس هو المقصود بالإدعاء .. الخ . وجاء اليوم الموعود فأخذ الرجل إلى المحكمة وظل طوال الطريق يردد على نفسه ذلك الدفاع . كانت المحكمة تعقد فى سينما بالقوات المسلحة . وهو يجتاز الباب الخارجى داخلا إلى السينما بين حراسه قابله صول خارجا وسأله هذا الأخير « من أنت ؟» قال « فلان » . قال « لقد حكم عليك بخمسة عشر عاما ! » وأعاده مع حرسه إلى السجن .

وكان المتبع أن يُنادى كل بضعة أيام على من « صدرت ضده أحكام » دون تحديد أسمائهم فينزلون إلى فناء السجن فيؤخذون إلى سجن الواحات حيث تنفذ « الأحكام » وأشرت ألا ينزل حين يسمع ذلك النداء ، فخاف صاحبنا من ذلك

وعدت أشير عليه أن ينكر صدور أى أحكام ضده إذا ما حدث فى الأمر أى مواجهة . وظل صاحبنا مترددا حتى تم الأمر ونودى الذين صدرت ضدهم أحكام وأخذوا خارجا ولم يخرج معهم . ومر اليوم ولم يكلمه أحد ، وتوالت الأيام ولم يكتشف أحد ذلك الهروب داخل السجن حتى قاربت المحنة من نهايتها وجاء ضباط المباحث العامة يجردون المعتقلين ويصنفونهم ويرتبونهم فى دفعات للإفراج . فتم الإفراج عنه فى إحدى تلك الدفعات .



الفصل السادس عشر
محنة ١٩٥٤
ومحنة ١٩٦٥

نماذج من المعاملة

فتح السجن الحربى أفواه العذاب على الإخوان بغير حساب . كثيرون لقوا ربهم شهداء تحت العذاب . قتلوا صبرا . كثيرون قتلوا ضربا بالكرباج أو نقعا فى الماء المثلج والملح فى زمهرير الشتاء . يوسف طلعت نفخ بمنفاخ كهربائى لإطارات السيارات حتى صار بطنه كالبالون . إبراهيم الطيب فسخ مفصل كوعه بثنيه عكس الاتجاه على ركبة محمود عبد الجواد الجاويش المدلل لحمزة البسيونى ، فكان ذراعه مدلى وقد استطال كثيرا بسبب انفصال عظام الساعد عن عظمة العضد ، الشيخ محمد فرغلى مكثت أياما أراه فى طوابير العذاب ويشتبه علىّ دون أن أعرفه فقد تغير شكله وتضاءل حجمه .. الخ .

وأتى سفاح السجن حمزة البسيونى إلى الأستاذ الهضيبى أمام الألوف المعذبة تحت حراسة السلاح وقال له « حسن ، هؤلاء يعذبون بسببك ! » وطلب إليه أن يلقى فيهم كلمة . لم نسمع بماذا أجاب ولكننا رأيناه يهز رأسه سلبا فعلمنا أنه رفض . فتركه وأخرج الدكتور توفيق الشاوى أمام الصفوف وقال له « شاوى . اخطب فيهم كما كنت تخطب بالخارج » . ولم يكن الدكتور الشاوى خطيبا بالخارج ، ومازلت أذكر ماقال الدكتور الشاوى يومذاك . كان مضمونه ان كل من هنا من المعذبين واحد من اثنين ، إما محسن فما يلقاه الآن مِن العذاب بلاء من الله له ثوابه ، أو مسيء فهذا كفارة له . وكأنه يذكر الإخوان بحديث رسول الله ﷺ بما معناه عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، إن اصابه خير شكر فكان خيرا له وإن اصابه شر صبر فكان خيرا له . وكان الشاوى من أشد الناس جاذبية عند حمزة البسيونى لعنه الله .



سفاح السجن الحربى حمزة البسيونى

أمر حمزة أن يكون الدكتور الشاوى وحده هو الذى يغسل قراوانات وأوانى الطعام لجميع سجن ٤ وكان بوسط فناء ذلك السجن مغسلة طويلة من الخرسانة تمر فوقها ماسورة بها ١٤ حنفية . وتكوم كم كبير من القراوانات على المغسلة ، ووقف الدكتور الشاوى يغسلها وجاءت توسكا الكلبة المحظية عند حمزة ، كانت من أشد كلاب السجن شراسة ، وانطلقت مسرعة نحو قدم الدكتور الشاوى فقبض

قدمه ، وضبطه حمزة ففتل شاربه وقال له « شاوى . أنت تخاف من الكلبة أن تنجسك ؟ أنت الذى تنجسها ! يامحمود (لمحمود عبد الجواد جاويشه المفضل) أضربه مائتى كرباج ! » وقد كان . كان ينطق « كرباج » بالباء الشديدة . CORPAG

ذهب حمزة فى إجازة إلى بلدته ولقيه أبوه فأوصاه « ياحمزة لاتقصر رقبتنا . عندك ناس هم أسياد الناس . الحاج حامد الطحان رجل صالح ومن أعيان البلد ، كثيرون يعيشون من خيره .. الخ . » فطمأنه حمزة . وما إن عاد حتى دخل السجن الكبير منتفخا وأمر مناديه فنادى « أين حامد الطحان ؟ » وجاء إليه الحاج حامد . « أبى يوصينى عليك . هل أنا ممن تجدى عندهم الوساطات ؟! تعال يامحمود (عبد الجواد) اضربه مائتى كرباج » . وقد كان .

يعجب الانسان أن تبلغ الهمجية بمخلوق هذا المبلغ . حدثتنى إحدى قريباته أن تلك الطباع فى حمزة كانت منذ طفولته . كان يمسك بالهرة الصغيرة ويكتف أرجلها ثم يلقيها فى الماء لتغرق أمامه وهى تحاول الرفس حتى تموت ، ويكتف أرجل قطة ثم يضعها على قضيب السكة الحديد حتى يدوسها القطار بعجلاته وهو يمتع ناظريه بهذه الدموية . ذلك حمزة البسيونى طفلا ، وشب الطفل على ذلك فشاب عليه .

كنا نخرج من الزنازين فى الصباح الباكر ونصف طوابير تخرج من السجن الكبير ومن سجن ٤ ومن كل السجون الحربية فنصطف فى الفناء الكبير الذى يتوسط تلك السجون ومكاتب التحقيق . كانت تحيط بذلك الفناء بعض المبانى مثل المطبخ والمخازن وورش الترزية وماشاكل ذلك فاتخذوا من اسطحها منصات وضعوا فوقها المدافع الرشاشة من البرن والفيكرز ووضعوا حولها أكياس الرمل ! فكانت حولنا من جميع الاتجاهات تصوب إلينا . وكانت أيضا مكبرات صوت موضوعة فوق تلك الأسطح وموجهة إلينا .

وكان عندهم تسجيل يذيعونه باستمرار كلما انتهى إلى آخره أعادوه من أوله هو أغنية غنتها أم كلثوم فى حفل لضباط الجيش بمناسبة حادث المنشية . تقول

أم كلثوم :

ياجمال يامثال الوطنية
أجمل أعيادنا المصرية
بنجاتك يوم المنشية
ردّوا علّى

فيرد ضباط الجيش البواسل عليها :

ياجمال يامثال الوطنية
أجمل أعيادنا المصرية
بنجاتك يوم المنشية
[ويكررونها] .

ويأمر حمزة أن نرد عليها نحن أيضا ويأتى من خلفنا متلصصا هو وجنوده يتنصتون عند بعضنا ليسمعوا هل يردد أو لايردد الأغنية . وكانوا من حين لآخر يضبطون بعضنا بتهمة أنه لايرد أو أنه كان يقول أوسخ أعيادنا بدلا من أجمل أعيادنا أو ما شاكل ذلك فيجعلونهم عبرة ضربا بالكرابيج أمام الطابور .

قبل ضيافتى على السجن الحربى كنت أحسب الكرباج أداة ضرب تؤلم وحسب ، ولكن بعد أن عاينته على جسمى وأجسام إخوانى رأيته يقطع اللحم ويترك أثرا يبقى من ١٩٥٤ حتى ١٩٨٨ وما بعدها .

كان ينزل على الرأس فيشق جلدها ويتفجر الدم فتتضلع وتتورم ، ثم يتقيح الجرح ويمتلىء صديداً ويعوده الكرباج من جديد فيتفجر دما أحمر وقيحا أبيض . حمزة البسيونى -لعنه الله- الذى لم يكن مهيأ لأى تفكير كان مفكرا مبتكرا فى التعذيب ، أمر بأحدهم فألبس أوفرولاً بدون ملابس داخلية ، ثم وضعت داخله قطة وأغلق عليها ، ثم أمر حمزة بضربه بالكرباج والقطة فى عبه داخل ثوبه تصيبها الكرابيج أيضا وهى حبيسة ، وللقارىء أن يتصور مايمكن أن تضيفه القطة من عض وخرشة وإزعاج وحركة وسقوط إلى أسفل وشعبطة إلى أعلى ومواء ... مبتكرات البسيونى !

شيء طويل عريض من السخف والتفاهة فى ابتداع ألوان من العذاب يطول شرحها ويسمج . والأرض لاتخلو أبدا من جبار يعذب الناس ويقتلهم إشباعا لدمويته . ولكن هؤلاء الجبابرة من بينهم من بزهم وسبقهم وتفوق عليهم . من هؤلاء جمال عبد الناصر . وجميعهم جلبوا لأممهم وشعوبهم الخراب والدمار لأنهم قتلوا الإنسان داخل الإنسان . الضرب بالرصاص ينهى الحياة ، ولايهم فحياة جميع من خلق الخلاق إلى نهاية ، أما الضرب بالكرباج فشيء آخر لايقدر عليه إلا الهمج والبرابرة من الحكام المتسلطين ، وكان عمر بن الخطاب يقولها لعماله فى بساطة متفهمة « لاتضربوا المسلمين فتذلوهم » . وتلك الكلمة الأسطورة التى نسبت إليه عن معاملة غير المسلمين « متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟! » .

تحقيقات

حدث هذا الانتشار العريض الذى حدث لأول مرة فى تاريخ مصر لتعذيب عشرات الألوف فى السجن الحربى بذريعة حادث المنشية . وبطبيعة الحال تناول « التحقيق » ذلك الحادث كيف شاءوا ليصير قضية تنظرها « محكمة الشعب » برئاسة جمال سالم أحد الضباط « الأحرار » وعضو مجلس قيادة الثورة . ولكن الأمر اتسع فلم يقف عند حدود المنشية فكانت محاكمات إخوان التنظيم السرى ، وماكان سِرِّيا . فقد أنشأه الإخوان بعد حل النظام الخاص وفقا لتفكير الذين أنشئوه بدعوى منع الازدواجية ، فكان إخوان التنظيم فى كل شعبة تابعين للشعبة ويرأسهم نائب الشعبة ، فما عاد سريا . ولذلك ماكان أيسر جمعهم ، وكان سقوط هذا التنظيم من فوق إلى تحت ، الرئيس هو الذى يجيء بمرءوسيه .

وأيضا لم تقف التحقيقات عند حدود التنظيم وإنما شمل أى شيء . كانت عقوبة من يدفع خمسة قروش السجن ٥ سنوات ومن يدفع عشرة السجن عشر سنوات !

سألونى وعذبونى عذابا شديدا لأكثر من موضوع . أولها موضوع حادث السيد فايز رحمه الله الذى أراد بعضهم الزج بى إليه وقد سبق ذكره . الثانى أحداث مقاومة الإنجليز فى القناة عام ١٩٥١ وكان أكثر مايهمهم فى هذا السلاح أين يذهب . وقد ضبطوا كل ماكان فى حوزة الإخوان من سلاح وكانت إجاباتى أن السلاح تم ضبطه جميعه .

شيء آخر جرى على لسان سيد عيد كان محل استجواب وتعذيب شديد لى . فقد ذكر أنه بعد محنة ١٩٤٨ وخروجنا من السجون كان من رأيى تأديب ضباط البوليس السياسى الذين عذبوا الإخوان فى المحنة ولفقوا لهم الاتهامات . ولكن المرشد لم يوافق . وللقارىء أن يدرك صدى ذلك إذا قيل لقوم يعذبون الإخوان ويلفقون لهم الاتهامات .

لقد كان ماذكره سيد عيد صحيحا وكان ذلك رأيى ولكننا لم ننفذه . والتقيت بسيد عيد فى طوابير العذاب وناقشته فيما قال بدون مبرر . قال انه لم يذكر سوى الحقيقة . نعم ياسيد انها الحقيقة ولكن لماذا تذكر هذه الحقيقة الآن وأنت تعرف مغبتها ؟ قال : لتعود إلى الصف !

نفيت ذلك وتمسكت بإنكاره ، ومن جانبهم اكتفوا بالعذاب الذى صبوه علىّ .

ثم كان أشد مااهتموا به التحقيق حول النظام الخاص فى سوريا .

فما إن صدر قرار الثورة بحل جماعة الإخوان فى مصر حتى ثار الإخوان بالخارج على هذا القرار وكان لهم فى سوريا شوكة ، وتجاوبت الحكومة السورية مع إخوان سوريا فى هذا الشأن . وذكر لهم بعض الإخوان الأفاضل تحت التعذيب أنى ذهبت فى رحلة إلى سوريا لتنظيم النظام الخاص هناك ودعمه . فكان يهم حكومة الثورة فى مصر أن تكشف ذلك لحكومة سوريا لتظهر أن هناك تنظيمات إخوانية مسلحة داخل سوريا . واستمر اهتمامهم بذلك الموضوع إلى نهاية التحقيقات فى السجن الحربى ، كل يوم أسأل وأضرب .. وكانت الزنزانة رقم ٢٤ (على ماأتذكر) من سجن ٤ بها أدوات تعليق إلى السقف وكانت مخصصة للحالات الشديدة من وجهة نظرهم . وكانت تلك الزنزانة مشغولة بتعذيب رجل اتهم بأنه تاجر سلاح فكان يسأل عن السلاح من أين جاء به وأين أخفاه ، وحتى

ينتهي ذلك التحقيق أودعت الزنزانة المجاورة رقم ٢٣ بمفردي . وكان الذى يقوم « بالتحقيق » جاويش السجن محمود عبد الجواد ومعه أحد الجنود . وأخرجوني من زنزانتى رقم ٢٣ وأوقفوني بينها وبين رقم ٢٤ ولمحت الرجل . وإذا لم تخنى الذاكرة كان اسمه غباشي – ربما رشاد الغباشي – من الفيوم . لمحته معلقا من يديه ورجليه إلى عرق خشب وضع بين نافذتين في جدارين متجاورين إذ كانت في الركن من السجن ، وتحته بركة من دمائه تملأ أرض الزنزانة . وخفت صراخ الرجل بالتدريج حتى صار صمتا ولم أعد اسمع إلا صوت الكرباج ، ثم سمعت محمود عبد الجواد يقول لقرينه « توقف .. لقد مات » . وقاما بفك قيوده ووضعاه ممدا على الأرض . ونادى محمود عبد الجواد على أحد الجنود وقال له « اذهب إلى حضرة الضابط وقل له ان هذا الرجل مات » . ثم قال لقرينه « أما نحن فتعال نتناول عشاءنا حتى يحضروا لأخذه » . هكذا ببساطة شديدة .

وجلسا على دكة خشبية بغير مسند ركباها متقابلين وقد وضعا طعامهما بينهما يتناولانه والجثة ممددة إلى جوار أقدامهما على الأرض . وجاء صوت محمود عبد الجواد يقول لصاحبه وهو يؤاكله « يبدو أن هذا الرجل لم يكن يعرف شيئا ! » .

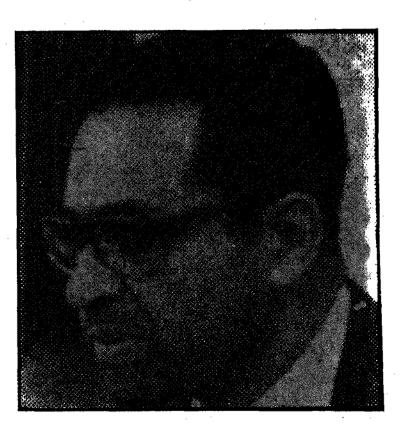


حمزة البسيوني مع شقيقه الذى قتل معه وأقاربه

ألا يظن أولئك أنهم مبعثون ليوم عظيم ؟!

مصائب قوم عند قوم فوائد . فقد كانت وفاة ذلك الرجل هى رحمة الله التى ساقها إنقاذا لى ، انشغلوا به فأعادونى إلى زنزانتى المجاورة ، ووضعوا الجثة فى إحدى سيارات السجن وركب معه محمود عبد الجواد وقرينه الذى قتله معه وأخذوا معهم أدوات الحفر وانطلقوا به ليدفنوه ، كما كانت العادة فى صحراء العباسية ، حيث أقيم بعد ذلك الاستاد الرياضى بمدينة نصر . أقيم هذا الاستاد بعد ذلك على جثث شهداء السجن الحربى .

بقيت أياما فى الزنزانة المجاورة حتى جاءنى الدكتور عبد العزيز كامل يوما . كم هو كيّس ولبق ويخشى الله الدكتور عبد العزيز . كان جنود السجن الحربى من الأميين المتخلفين بجميع المقاييس ، وكان ذلك مقصودا حتى يفعلوا مايؤمرون دون تفكير ، فكان الدكتور عبد العزيز – تطوعا أو تكليفا لاأذكر – هو الذى



الدكتور عبد العزيز كامل

يمسك السجل الذى يقيد به أسماء نزلاء كل زنزانة . جاءنى ومعه ذلك السجل ، وقال لى « هل ستظل فى هذه الزنزانة ملطشة لهؤلاء الناس ؟ » قلت « وماذا أستطيع أن أفعل » ؟ قال « تعال » . وهربنى اكرمه الله إلى زنزانة فى الدور الثانى نزلت بها مع بعض الإخوان وقام بالتعديل المناسب فى السجل . وللفوضى الشديدة التى كانت تعالج بها الأمور فقد ضعت منهم وعمرت الزنزانة التى تركتها بنزلاء جدد حظوا بالعناية المركزة فى التعذيب بدلا منى ، ونسينى المحققون فى زحمة ماكانوا فيه ، وكان معروف الحضرى رحمه الله يقول لى « ياأخى استخبى (اختفى) ولاتجعل حمزة البسيونى يراك أبدا » . وقد كان .

محاكمات

كان الإخوان يقدمون إلى محكمة الشعب التى كان يرأسها قائد الجناح وعضو مجلس قيادة الثورة « البيضاء المباركة » جمال سالم . ثم كثرت القضايا فتعددت دوائر المحكمة .

وكانت محاكمات ليس كمثلها محاكمات. فهموا منها أنها محاكمات ثورية بمعنى أن الادعاء والشهود والمحكمة وحتى المحامين الذين جاءوا بهم للدفاع عن المتهمين ، هؤلاء جميعا كانوا ضد المتهم وجميعهم كانوا يسبونه .

لم يكن من المهم عندهم تحديد وقائع الاتهام وإنما كان يكفى أن يقال إن المتهم أتى أفعالا ضد نظام الحكم أو أى عبارة بديلة مشابهة .

كان جميع هؤلاء يرون المتهمين أمامهم يلفظون أنفاسهم من التعذيب ويقبلون ذلك بل ويطلبون تشديده إذا ماخيل للمتهم أنه فى محكمة يستطيع الدفاع أمامها عن نفسه .

كان الشهود مصنوعين وأحيانا ماكانت تجرى بروفات للمحاكمة فى السجن الحربى بمعرفة سفاحه حمزة البسيونى . وكان رئيس المحكمة جمال سالم يرغم المتهمين على أقوالهم التى تدينهم ، وإذا خرج المتهم أو الشاهد عن هذا الإطار كان يواجه بالتهديد والسب من جانب المحكمة ومعاودة التعذيب فى السجن

الحربى . حتى المتفرجون الذين جىء بهم كانوا استكمالا للديكور المناسب لذلك السيناريو ، فكانت تهيأ لهم الفرصة للضحك والسخرية من متهم فى أقسى وأقصى محنته . ولم يكن ذلك الحوار كله يدور حول القضية وإنما كان كثيرا مايخرج عن ذلك ، فيطلب رئيس المحكمة إلى المتهم أن يقرأ الفاتحة بالمقلوب من آخرها إلى أولها . طلب ذلك إلى يوسف طلعت فأجابه بأن الله أنزل الفاتحة لتقرأ بالمعدول من أولها إلى آخرها وليس لتقرأ بالعكس . وتكرر أن يوضع الطربوش على رأس صاحبه وزره من أمام بدلا من الخلف للسخرية به والتقاط الصور التذكارية له . وإذا اختلف شاهد مع متهم كان يطلب إلى كل منهما أن يقول للآخر « أنت كذاب » ينطلق بعدها جمال سالم فى خطاب عن الاخلاقيات التى تلابس هذه « الحشرات » . كل ذلك كانت تنشره الصحف وتذيعه الاذاعة وتهلل له وتعلق عليه . فلما جئنا إلى محنة ١٩٦٥ وكان التليفزيون قد أنشىء . أضيف إلى أجهزة الأعلام ، وخصص مذيع ثقيل الظل إلى أبعد الحدود اسمه قنديل ليعرض « قرف » الإخوان المسلمين على حد تعبيره كل يوم .

طبعت الدولة محاضر هذه المحكمة فى أجزاء وكانت تحث الناس على اقتنائها وقد جاء فى خاتمة لبعضها « اقرأ هذه المحاكمات واحتفظ بها فى مكتبتك المنزلية ليرجع إليها أبناؤك وأحفادك ، وقد جعلنا سعرها ثلاثة قروش فقط ، ليسهل على الجميع اقتناؤها . اتصل بإدارة النشر والتوزيع (٦٨) شارع قصر العينى واطلب النسخ التى لم تستطع الحصول عليها » .

ولكن لأنها صارت سجل خزى لهذه المحكمة ، فقد عمدت أجهزة الأمن بعد ذلك إلى مصادرتها وإعادة جمعها وكانت تستولى عليها كلما وجدتها فى تفتيش البيوت حتى كادت أن تنقرض . لا أود لكتابى هذا أن يكون مقززا ، ولكن ونحن نضع النقط فوق الحروف ننقل لقطات قليلة من محاضر جلسات هذه « المحكمة » .

جمال سالم – إكراما للتاريخ علشان خاطر اللى ماسمعش اسمك فى الأول يسمعه فى الآخر .. اسمك إيه ؟

إبراهيم الطيب – إبراهيم الطيب .

جمال سالم – بتشتغل إيه ؟

إبراهيم – محامى .

جمال – سنك كام ؟

ابراهيم – ٣٢ سنة .

جمال سالم – طيب اتفضل .. مع السلامة . اتفرجوا يا إخوان .. اتفرجوا يا مواطنين .. اتفرجوا عليه وهو خارج [!] [جـ ٣ ص ٢٥٥]

وفى مناقشته الدكتور محمد خميس حميدة عن اتفاقية الجلاء ، اتجه رئيس المحكمة إلى المتفرجين الذين جاءوا بهم .

جمال سالم – فيه ناس كتير هنا ، نختار واحد ، السيد أحمد الصاوى .

أحمد الصاوى محمد (صحفى) – أفندم .

جمال سالم – هل تقبل هذا شرحا للموضوع ؟

أحمد الصاوى – ده كلام ضعيف وغير معقول .

جمال سالم – نسأل واحد من اللى ما نعرفوش .. (ووجه سيادته كلامه إلى أحد الحاضرين.) الأخ اللى ورا .. أبو نضارة ، هل تقبل هذا الكلام شرحا للموضوع ؟

المتفرج المجهول – لا أقبله ولا أفهمه .

جمال سالم – واحدة من السيدات ، هل تقبلى هذا الكلام ؟

إحدى الصحفيات – عمال يلف يلف كده (وأشارت بيدها حركة دائرية) .

جمال سالم –بلاش انتى عشان انتى صحفية ، واحدة تانية .

متفرجة مجهولة – هذا كلام عايم .

جمال سالم – والا مش صح يا سيد صاوى ، أصل أنا ضعيف فى الجغرافيا شوية . [ضحك] .

أحمد الصاوى محمد [متفرج] – صح يا أفندم . [ج ٣ ص ٦٠٩]

جمال سالم – [مخاطبا أحد المتفرجين]والله الأستاذ اللى فى الصف الثالث اللى قاعد جنب حضرة الصول .

المتفرج – أيوه يا أفندم [وهم أن يترك مكانه ليقترب من المنصة]

جمال سالم – لا ، خليك مطرحك ، هل الالتفات إلى الشعب ومعارضة الاتفاقية يعتبر تقوية لظهر المفاوض المصرى ؟

المتفرج المجهول – يعتبر خيانة .

جمال سالم – الأستاذ اللى بعد منه .. رأيه إيه ؟

متفرج ثان – أى معارضة لأى خطوة يتخذها إنسان قطعا تبقى ضد الخطوة اللى بيتخذها



محمود عبد اللطيف فى محكمة الشعب



مثال الوطنية .. يوم المنشية

جمال سالم – [مخاطبا شخصا ثالثا] وسيادتك رأيك إيه ؟
المتفرج الثالث – نفاق .
جمال سالم – [مخاطبا شخصا رابعا] وسيادتك رأيك إيه ؟
المتفرج الرابع – ...
جمال سالم – [مخاطبا شخصا خامسا] وسيادتك ؟
المتفرج الخامس – هذه تعتبر جريمة فى حق البلاد .
جمال سالم – [مخاطبا إحدى السيدات] والست اللى ورا الأستاذ اللى لابس نضارة سودة رأيها إيه ؟
السيدة المذكورة – خداع . ... الخ [ج ٣ ص ٦١١]

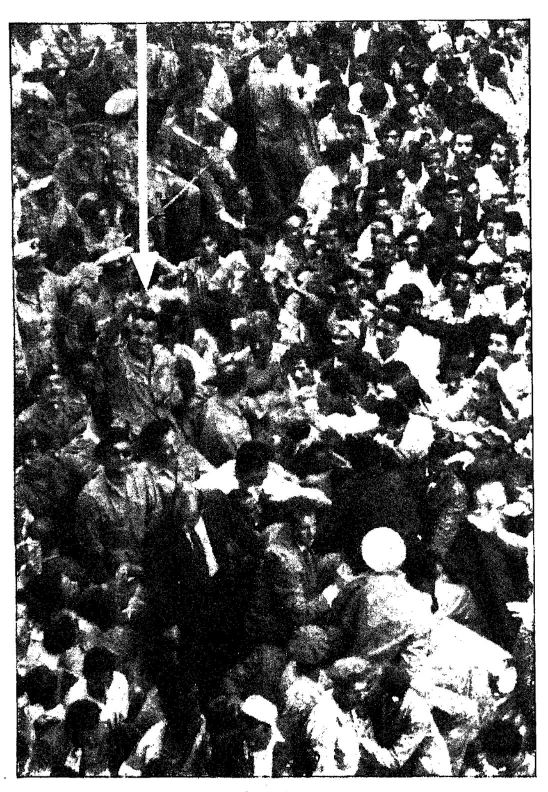
وفى محاكمة الأستاذ الهضيبى

الدفاع [سامى مازن] – أخطرت من الأستاذ حسن الهضيبى بأن أحضر معه هذه الجلسة فى وقت متأخر ، وبذلت ما وسعنى الجهد أمس لأحضر مستعدا ولكن لم أستطع ؛ لأنى أمضيت إلى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر فى السجن الحربى ، والوقت لم يتسع لى للاطلاع حتى على ملف الدعوى ، فإذا سمحتم لى بالأجل الذى يسمح به أمر تشكيل المحكمة فإنى أكون شاكرا .

[مداولة قصيرة بين أفراد هيئة المحكمة]

جمال سالم – المحكمة تأسف لعدم إجابة الدفاع على هذا الطلب وخاصة بأن هناك فيه شهود كثيرين ويمكن فى خلال المدة التى يقول فيها الشهود أقوالهم ممكن الدفاع يستعد [!] [ج ٥ ص ١٠٢٦]

جمال سالم – اسمك ايه ؟
د . خميس – محمد خميس حميدة .
جمال سالم – زعّق .
د . خميس – محمد خميس حميدة .
جمال سالم – كمان مرة .
د . خميس – محمد خميس حميدة .
جمال سالم – اوعى حد يسمى ابنه محمد خميس حميدة . [ضحك] [ج ٥ ص ١١٩]
وكفى .



استقبال جمال عبد الناصر بميدان باب الحديد بالقاهرة بعد عودته من حادث المنشية

استمعت بعد ذلك من إذاعة العراق لبعض محاكمات محكمة فاضل المهداوى التى جرت أيام عبد الكريم قاسم ، فكانت تقليدا لمحكمة الشعب تلك ولم تخرج عن إطارها .

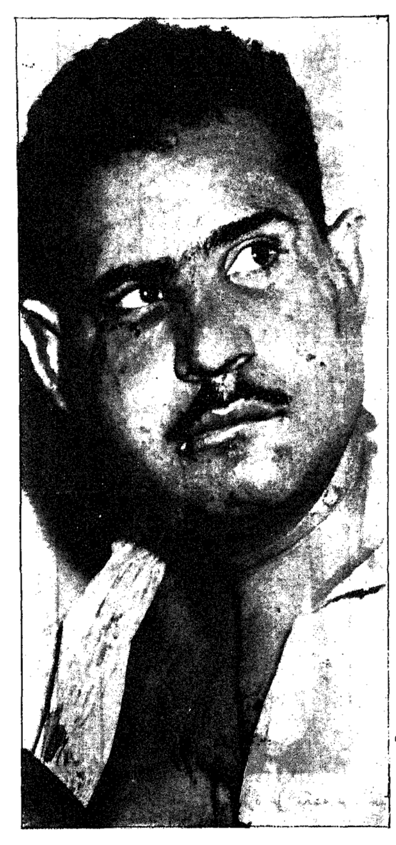
كان حادث المنشية هو الذريعة التى تذرع بها جمال عبد الناصر لتحويل تاريخ مصر ، فقادها إلى خراب شامل ولقد حصلنا على هذه المجموعة من الصور النادرة لما تلا الحادث من قتل ستة من الإخوان بزعم أنها أحكام بالإعدام صدرت ، مما يستحيل على أى مقياس اعتباره محكمة .

وقد التقط هذه الصور « مَصَرَّف » مصور جريدة الأهرام المصرية ولكنها لم تظهر فى الأهرام ولا فى أى جريدة عربية أو غير عربية ، سوى مجلة « بارى ماتش PARIS MATCH » الفرنسية ولعله كان مراسلا أو مصورا لها أيضا ، ولابد أنه التقط صورا أكثر .

ما أطلق عليه اسم « محكمة الشعب » كان ثلاثة أعضاء هم قائد الجناح جمال سالم رئيسا والقائمقام [عقيد]أنور السادات عضو يمين والبكباشى [مقدم] حسين الشافعى عضو يسار ، ولا شك أن هذه الأسماء قد تلطخت بما اقترفته باسم تلك « المحكمة » .

كان حادث المنشية يوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ وأصدر هذا الشىء حكما يوم ٤ ديسمبر ١٩٥٤ بقتل سبعة من الإخوان ، وبعد يومين تم تنفيذ القتل شنقا فى ستة منهم فى غرفة الإعدام بسجن الاستئناف بباب الخلق بالقاهرة يوم ٦ ديسمبر ١٩٥٤ .

بدأ التنفيذ الساعة السادسة صباحا ورفعت الراية السوداء على مبنى السجن ، وكان الإخوان الستة يرتدون طاقية وسروالا حمراوين وكوميزول أسود . وكان أول من شنقوه محمود عبد اللطيف ، ثم هنداوى دوير ، ثم سائر الاخوان ،وانتهى التنفيذ الساعة التاسعة بعبد القادر عودة . وتذكر المجلة أنهم جميعا قد واجهوا التنفيد بشجاعة نادرة وابتهالات إلى الله أن يقبل استشهادهم ، كما ذكرت أن ذلك التنفيذ قد قوبل باحتجاجات صارخة فى العالم العربى ، وأن حكومات سوريا والعراق وباكستان كانت قد تدخلت لدى جمال عبد الناصر ، لوقف هذا التنفيذ فلم يستجب .



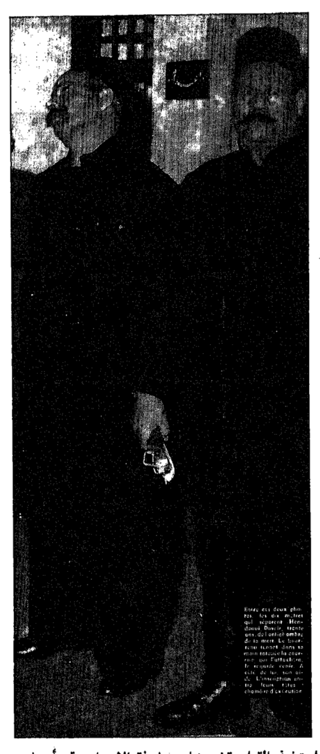
محمود عبد اللطيف
بعد القبض عليه وقد
تورم وجهه ووضحت
عليه آثار التعذيب



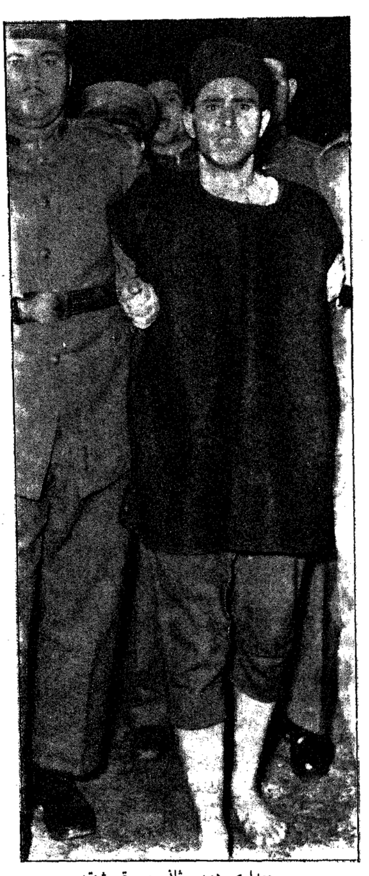
محمد نجيب يلقى آخر نظرة على مكتبه عند تحديد إقامته .



يوسف طلعت فى طريقه إلى التحقيق مكبلة يداه وراء ظهره بقيد حديدى .



صورة لعشماوى قبل تنفيذ القتل يقف خارج غرفة الإعدام وقد أمسك بيمينه الحزام الجلدى الذى يقيد به يدى من يشنقه خلف ظهره ، وقد وقف مساعده إلى جانبه .



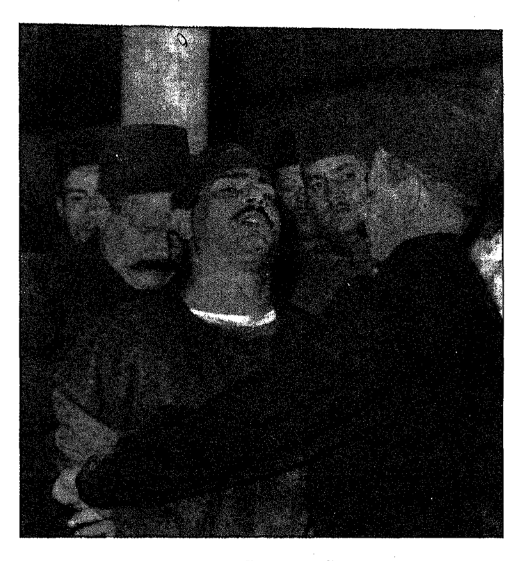
هنداوى دوير ثانى من تم شنقه



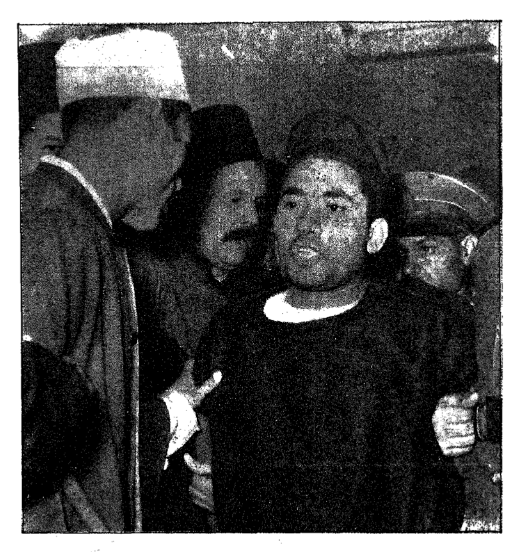
مأمور سجن الاستئناف يشرف على التنفيذ ، وقد كان بين كل واحد والذى يليه نصف ساعة يتم فيها الشنق ثم يفك من حبل المشنقة ويعاد تجهيزها ويجهز الشهيد التالى لها . وفى الصورتين ينظر المأمور فى ساعته ليضبط توقيت نصف الساعة .



مأمور سجن الاستئناف يرفع يده إشارة للتنفيذ ، رفعها ست مرات ، وحوله اثنا عشر شخصا بدت الغبطة والرضا على وجوه بعضهم !



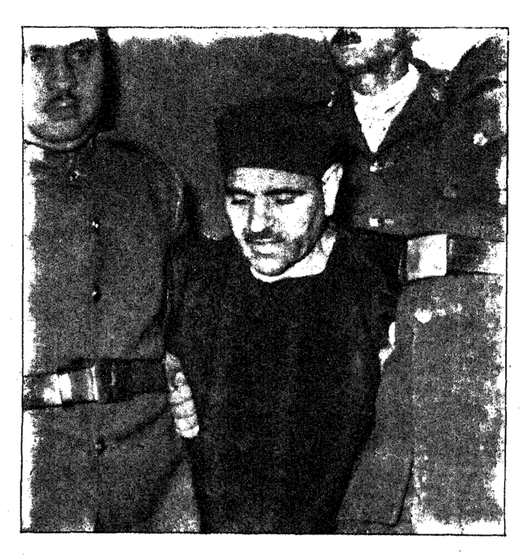
محمود عبد اللطيف يتلو آيات من القرآن الكريم ، وهم يقيدون يديه خلف ظهره . .



ابراهيم الطيب وهو يقول : خصومنا كانوا قضاتنا .



يوسف طلعت طلب من الله المغفرة .



الشيخ محمد فرغلي : أرحب بلقاء الله .



عبد القادر عودة آخر من تم شنقه : سيكون دمى لعنة على أعضاء مجلس قيادة الثورة . [وقد كان] .

إفراج

وفى النهاية أفرجوا عن الذين لم يقدموا إلى محاكمات فلما جاء يوم الإفراج عنى كنت آخر اسم فى آخر فوج ، وأذكر من ذلك الفوج أنور العزب رحمه الله وعبد الغنى عابدين والدكتور عبد العزيز كامل .

ونحن وقوف صفا أمام بوابة السجن الحربى فى انتظار السيارات التى تنقلنا إلى معتقل القلعة لنمضى أياما قبل الافراج النهائى عنا ، جاء حمزة البسيونى يتفرس وجوهنا وينظر إلينا واحدا واحدا . كانت المحاكمات قد انتهت منذ زمن طويل وأغلقت المحاكم الخاصة التى كانت تقارفها لانتهاء مهمتها ، وكان السجن الحربى يقفل فى وجوه المدنيين بخروجنا ذاك فى شهر يونية ١٩٥٦ . حتى إذا وقع نظر حمزة على وجهى صاح :

مَنْ ؟ عادل ؟!

– نعم .

بماذا حكم عليك ؟

لم أحاكم .

مدهش !

وانصرف لمن بعدى وقد لوى عنقه ناحيتى وهو يردد « مدهش .. مدهش » .

قبل هذا الإفراج ببضعة أشهر جاءت بعثة من المباحث العامة فقاموا بعملية جرد للباقين من المعتقلين ، وكأنما كانوا لايعرفون أسماءنا . ثم صنفونا إلى ثلاث فئات ا ، ب ، جـ طبقا لدرجة خطورتنا ! حتى يبدأ الإفراج عن الأقل خطورة أولا ثم الأخطر وهكذا . واستغرقت هذه العملية أشهرا على دفعات ، وجىء لنا بالشيخ محمد عثمان مدير إدارة المساجد بوزارة الأوقاف ليحاضرنا محاضرات من نوع « التوعية » . وكانت محاضراته تتجه إلى وعظنا بالأ نتدخل فيما لايخصنا . ماالذى يجعلنا نتدخل فى السياسة ولسنا من الحكام ؟ ولقد كان سيدنا معاوية بى أبى سفيان يقول :

شجاع إذا ماأمكنتنى فرصة فإذا لم تكن لى فرصة فجبان ! .. الخ . كان الشيخ محمد عثمان رجلا طيبا وكان فى تقديرنا لايستطيع ان يمتنع عما طلب إليه ، أما من جانبنا فكنا نحب هذه المحاضرات لسبب واحد . كانت تلقى فى ليالى الصيف الحار فكانت أبواب الزنازين المغلقة تفتح علينا فنخرج إلى فناء السجن ونجلس أرضا أمامه إلى أن يفرغ من محاضرته فكنا نحظى بنسمة هواء .

فى معتقل القلعة مكثنا أسبوعين لتمهيدنا للخروج . كانت هناك محاضرات أيضا . وكان الطعام أفضل نوعية وكذلك النوم ، بعد أن كنا ننام أرضا على البرش . وعلمونا الجلوس على السرير . وبصفة عامة كانت المعاملة لائقة بالمقارنة بمعاملة السجن الحربى .

ثم أفرج عنا فى يولية ١٩٥٦ قبل أعياد الثورة .

العدوان الثالث

بعد الإفراج عنى ، وفى شهر أغسطس أو سبتمبر(١٩٥٦) ، اتصل بى محمود كامل السيد وطلبنى لمقابلة « شخصية هامة » فى موعد حدده بميدان العتبة . وفى الموعد وجدت شفيق أنس وسيف البنا وأحمد أنس الحجاجى ، قد دعوا معى لذات المقابلة . واتجهنا معا فى سيارة محمود كامل وقد انحشرنا بها حشرا إلى وزارة الداخلية ، وفى بهوها تذكر شفيق ومحمود اغتيال النقراشى قبل سنوات ثمان ، فكانت محل تعليق ونحن نجتاز البهو . وسبقنا محمود ، ثم أدخلنا إلى مكتب أركان حرب وزارة الداخلية ، كما نقش على اللافتة التى علقت على بابه .

كان صاحب الوظيفة هو اليوزباشى [نقيب] صلاح دسوقى الششتاوى . لم أكن أعرفه من قبل إلا شكلا ، وكان هو الذى استقبلنى فى السجن الحربى ، وفهمت من محمود كامل أنه أحد اثنين من ضباط البوليس ، كانا ضمن تشكيل الضباط الأحرار الذين كانوا جميعهم من ضباط الجيش ، أما الثانى فكان اسمه عبد الفتاح ابراهيم[إذا أسعفتنى الذاكرة] وقد حضر هذه المقابلة . وكان وصلاح دسوقى من ضباط السجون ، ومن هنا كانت معرفتهما بالإخوان الذين حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، الذين كانوا فى ليمان أبى زعبل .

كان موضوع المقابلة أنه بعد تأميم قنال السويس أصاب الإنجليز الحقد والسعار على الثورة ، فشرعوا يحشدون قواتهم فى قبرص بما يعنى عزمهم على غزو مصر ، وفى هذه الحالة سوف يتمكنون من ذلك ، وباعتبارهم الأقوى فسوف يهزمون جيشنا ويعودون إلى احتلال بلادنا . وعلى ذلك علينا أن نعد من الآن للمقاومة الشعبية التى لابد أن تعقب ذلك . إننا الآن [وهم فى السلطة]نستطيع أن نحصل على الأموال التى سوف تلزمنا بعد ذلك وعلى السلاح والذخيرة ، كما نستطيع تدبير المنازل التى ندير منها المقاومة السرية والمخازن ، وجميع لوازم المعركة ، وأن هذا الأمر لا يعرفه إلا الرئيس جمال عبد الناصر وهذه المجموعة التى التقت فى مكتبه ، وأنه – صلاح دسوقى – يثق بنا ويطمئن إلينا ويريد أن يعتمد علينا لأنه ثبتت له رجولتنا وصلاحيتنا ، بعد أن عرف بعضنا عن كثب ، ودرس ملفاتنا فضلا عن ترشيح محمود كامل وتزكيته لنا ... واستمر يتحدث .

كان يتحدث وكنت أتذكر ...

فى عام ١٩٥٥ ، وبعد أن انتهت الدفعة الأولى من محاكات محكمة الشعب ، قام أحدهم بتشكيل جهاز جديد لجمع تبرعات لمعاونة أسر المحكوم عليهم ، عرف بجهاز مارس ، لأن الذى قام بتشكيله وشى به إلى صلاح دسوقى هذا فى شهر مارس ١٩٥٥ ، فكانت قضايا جديدة وأحكام جديدة وأفواج جديدة تساق إلى السجون . فهل كان صلاح دسوقى جادا فيما يقول لنا ، أو كان يعد لقضية جديدة تسوقنا إلى الليمان أو إلى المشنقة متلبسين بحيازة مخازن أسلحة ، مع مزاعم بمؤامرة إخوانية جديدة ؛ لقلب نظام الحكم ، أو إتيان أفعال ضد الثورة ، أو محاولة اغتيال أمل مصر ورئيسها ... إلى آخر تلك الاتهامات التى حفظناها عن ظهر قلب .

الأمر خطير جدا . إن مقاومة غزو بلادنا أمر نقره ونبادر إليه عن إيمان ، وقد تطوع له إخواننا فى السجون بعد أن حدث بالفعل . ولكن هل كان الأمر كذلك ؟ أم كان تدبيرا لقضية جديدة ؟ ذلك ما كان يدور فى ذهنى ولا أفصح عنه . قلت لصلاح دسوقى أنه سبق مساءلتى فى السجن الحربى تحت سياط التعذيب عن جهادنا السابق ضد الانجليز بمنطقة القنال والشرقية عام ١٩٥١ ، إذا حدث هذا من الإنجليز فلا غرابة وهو أمر منطقى بل ومقبول ، أما أن يحدث من السلطة

المصرية فكم كان ذلك مر المذاق ، قال « هذه صفحة أرجو أن نطويها وننساها ونحن الآن إخوان سلاح وكفاح مشترك فى مواجهة غزو متوقع ، ووطنيتنا تجمعنا وتحتم علينا أن نضع أيدينا فى أيدى بعض لمواجهة ذلك الخطر ، ولا يعقل أن نترك ذلك ونتحدث عن الماضى الذى ذهب وانقضى ! » .

وأردت أن أجرى اختبارا للنوايا فأبديت له موافقتى — وقد كان قلبى بالفعل موافقا — ثم ذكرت له سلاحا كان مرخصا لى بحمله ، ثم أخذ منى وسحبت رخصته عند اعتقالى عام ١٩٥٤ ، وقلت إنه : مادامت الثقة تحل فيما بيننا وسوف نحتاج إلى سلاح ، فلعله أن يكون من المناسب تسليمى السلاح ورخصته مرة أخرى ... واستاء صلاح من كلامى ورفضه معتذرا بأن ذلك سوف يلفت أنظار الداخلية ، وهى جهاز لايؤمن جانبه !! فهو ذراع السلطة كيفما كانت ، فإن كانت يومذاك للثورة فهى بعد ذلك للانجليز وسوف يكون جهاز البوليس معهم . وما حاجتنا إلى تراخيص سلاح ، فإن المجاهد الجاد لا تهمه الرخصة ، بل ويعمل دون ترخيص ، وسوف تكون بأيدينا أسلحة كثيرة بل مخازن أسلحة بغير ترخيص .... واستمر يتكلم .

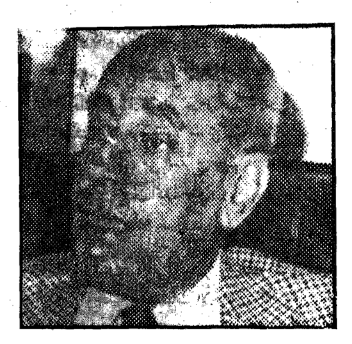
ربما لم تكن شكوكى فى محلها ولكنها رجحت عندى فآثرت السكوت . وانصرفنا على أن محمود كامل سوف يكون هو حلقة الاتصال بنا لتنظيم العملية . ووجدت نفس شعورى عند إخوانى ، وصارت المشكلة كيف نفلت من هذه الورطة . وبالنسبة لى جاء ذلك بالاختفاء من القاهرة والعمل خارجها حيث لا يعرف أحد مكانى . ثم حدث الغزو الثلاثى وأنا أعمل بالسويس ، ومرت الأيام ولم يفاتحنى أحد فى الموضوع مرة أخرى .

لا أدرى كيف جاء ذكر هذه الواقعة فى استجوابات محنة (١٩٦٥) ، ولكننى سئلت عنها ، وكان صلاح دسوقى معتقلا حينذاك فى السجن رقم (٢) من السجون الحربية ، وكنت أسمع اسمه فى مكاتب السجن أثناء استجوابى تكوى له ثيابه وتأتيه مأكولات من بيته ، كان معتقلا من فصيلة ممتازة . وعلمت أنه كان محل مساءلة أن اتصل بنا . قال لى سعد عبد الكريم ، « كيف يخبركم بسر مثل هذا ؟ .. أنا شخصيا لم اكن أعرفه » قلت ، « ليس ذنبى ومن جانبنا كنا جادين » .

قال : « على كل حال فإن صلاح دسوقى محبوس هنا مثلكم الآن » . قالها فى شماتة لأحقاد بينهما .

وعجبت لقضاء الله وتصاريف القدر ، صلاح دسوقى كان من المتحكمين فى السجن الحربى عام ١٩٥٤ الذين يوجهون التعذيب به ، ثم هو الآن سجين فى ذات السجن يستجوب أمام زملائه بعد أن فقد سلطته .

فهل من مدكر ؟ ... أبدا !!



صلاح دسوقى

عود إلى البنك الأهلى

لاعمل . منذ فصلنى البنك الأهلى المصرى على أثر الحكم فى قضية السيارة الجيب عام ١٩٥١ ، أردت أن أمارس عملى كمحاسب فى مكتب خاص ، ولكن البوليس السياسى لم يسمح إذ ذاك . لم يتعرض للمكتب فى حد ذاته ولكنه تعرض لعملائه وكان يأخذهم فى استجوابات ... لماذا هذا المكتب بالذات ؟ وما علاقتك بفلان صاحب المكتب ؟ الخ .. وكان ذلك فى حد ذاته كافيا لقفل المكتب وحاول عبد الرحمن السندى انشاء شركة تجارية اشركنى معه فيها ولكنها فشلت ، فاستضافنى الأستاذ صالح عشماوى ، رحمه الله وشكر له ، لأعمل معه فى مجلة الدعوة فترة من الوقت وكان ذلك يوفر لى فى العمل نوعا من المعاونة .

واعتقلت فى نوفمبر ١٩٥٤ وأنا أعمل بالدعوة . والآن أخرج من المعتقل عام ١٩٥٦ ولادعوة ولا مجلة دعوة . وكان جمال عبد الناصر قد ضرب حول مصر والمصريين ستاره الحديدى فلا خروج ولا جواز سفر ، وليس فقط ، بل ولا عمل فى الداخل . كان ممنوعا على أى من المفرج عنهم أن يلتحق بعمل ، وكان يتعين استطلاع رأى المباحث العامة لتعيين أى إنسان ، ولم تكن المباحث توافق للإخوان على العمل . ولكن كانت لله إرادة .

فى عام ١٩٥٥ فصل البنك الأهلى المصرى جميع الذين ليست لهم جنسية مصرية ، فخرج الإنجليز وجميع الجنسيات الأخرى وكان عددا كبيرا ، من بينهم جميع الرئاسات تقريبا . ثم أعقب ذلك بفصل جميع اليهود . إذ ذاك حدث تفريغ داخل البنك وصار المستقبل به للمصريين ولكن نقص عدد العاملين كثيرا عن حاجة العمل . ووقع ملف خدمتى فى يد محام بالشئون القانونية بالبنك ووجد أنى فصلت بسبب الحكم علىّ فى قضية سياسية فى العهد الملكى ونحن الآن فى عهد الثورة ، وكان ذلك الفصل أيام تسلط الإنجليز على البنك ، ولم يكن فى الملف ذكر لكلمة « إخوان ». لذلك بدا ملفا ورديا ، فاتصل بى ذلك المحامى وعرض علىّ الرجوع إلى البنك . وقبلت بطبيعة الحال . وأشر الدكتور محمد أبو شادى بإعادة تعيينى بالبنك . وهكذا تم ذلك الرجوع دون الرجوع إلى المباحث العامة .

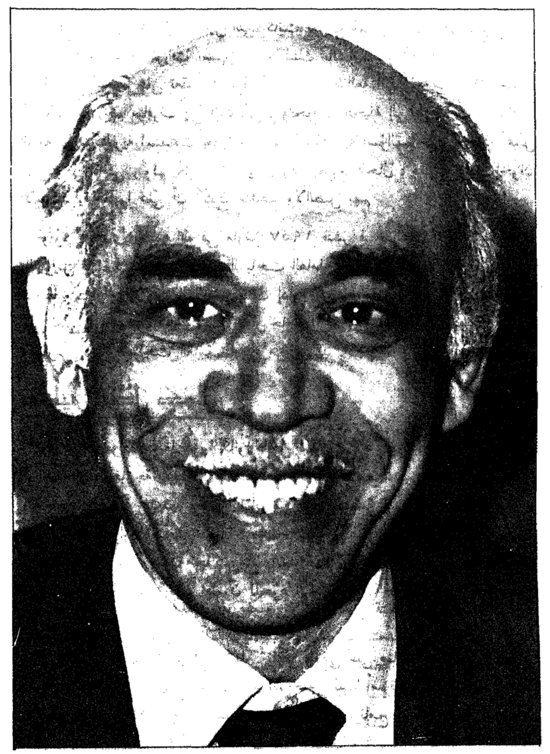
ورفضت إدارة شئون العاملين التى كانت تعرف عنى أكثر ، رفضت أن أعود إلى العمل بالقاهرة فقررت تعيينى بفرع البنك بالسويس وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٥٦ . وللتعتيم على تعقب السلطة لى أطلقت شائعة أنى وجدت عملا بمدينة الاسكندرية . ثم سافرت إلى السويس . ونجحت الحيلة إلى درجة أن المباحث العامة بالاسكندرية استدعت بعض إخوان الاسكندرية لسؤالهم عنى .. ماذا أعمل وأين محل إقامتى . ولم يكن أحد منهم يعرف بطبيعة الحال ، ولقينى بعض إخوان الاسكندرية فعتبوا علىّ أن أكون عندهم ولااتصل بهم .

وتوفى والدى رحمه الله فى مارس ١٩٥٧ فنشر فرع البنك الأهلى المصرى بالسويس عزاء لى ، ومنه عرفت المباحث العامة مكانى ، ولكن كنت قد صرت موظفا مثبتا . وبعد وفاة الوالد خفضت إدارة شئون العاملين من غلوائها فوافقت على نقلى إلى القاهرة آخذة فى الاعتبار حاجة الأسرة الشديدة إلى وجودى بينها . وصارت إدارة المباحث العامة تتابعنى من جديد .

تنظيم عادل كمال

رءوس الإخوان جميعا تقريبا كانوا داخل السجون وجمهور كبير منهم . ونقلوا إلى الواحات الخارجة بعيدا فى جوف الصحراء من صعيد مصر . فماذا نفعل نحن بالخارج ؟ القبضة حديدية وقد رأينا أن من يدفع خمسة قروش ولو معونة لأسرة غاب عائلها فجزاؤه السجن خمس سنوات . لم يكن ذلك هو القانون ولكن كانت المحاكم الخاصة . وبدون محاكم كان باب الاعتقال مفتوحا وقد تصدر اليساريون وصاروا سمة العصر ، فهم نهمون للحوم الإسلاميين . فصاروا من أكلة لحوم البشر .

إذ ذاك رأيت أن نرتبط وألا نرتبط . نلتقى ونبقى على صلاتنا وعلاقاتنا ونتعاون على أمر ديننا دون أن يذكر ذلك أحد لصاحبه . لسنا أسرة ولامجموعة ولاخلية ولاشيئا من هذه الأسماء والمسميات . وليس لنا برنامج دراسى نلتقى عليه . وليست لنا اشتراكات نؤديها . ولكننا نحتفظ بلقاءاتنا وسمرنا ورحلاتنا وكافة حبنا ومودتنا فلا ننفرط ، ولانتعرض للسلطة فى شىء . واستمر ذلك تسع سنوات تنظيما هلاميا إذا صح التعبير .



أحمد عادل كمال

وتحددت المجموعة بأحدنا اشتد عليه التعذيب فزعم اننا تنظيم اسمه « الطليعة ! » يهدف إلى قلب نظام الحكم وأتزعمه لهذه الغاية . وعاش جهاز الشرطة العسكرية شهورا متفرغا لهذا التنظيم المزعوم نصبح ونمسى فى تعذيبهم لنا . بدأ من سبتمبر ١٩٦٥ حتى أبريل ١٩٦٦ . وذكر أخونا هذا نحوا من مائتى اسم جيء بهم جميعا وصب عليهم العذاب صبا.

أى دليل أقوى من أن يقر الجانى بجنايته على نفسه ، فالاعتراف سيد الأدلة . عبارة تجرى على ألسنة القانونيين وغيرهم حتى صارت مثلا

ولكن .. هل صحيح أن الاعتراف سيد الأدلة ؟

كان ذلك صحيحا إلى حد كبير فى العهد البائد أيام الملك الفاسد قبل الثورة المباركة . أما بعد الثورة فقد ألغى ذلك المثل ! صار الحصول على اعتراف بجرم لم يحدث جزاؤه الإعدام له أدواته ، وصار السؤال هو إلى أى مدى يستطيع الإنسان الصمود أمام أساليب السجن الحربى وغيره فى عهد عبد الناصر :

الضرب بالعصى على الظهور والأقدام

الجلد بالكرباج .

الضرب على الدماغ .

تكتيف الأيدى والأرجل بالحديد أو بالحبال .

التعليق من الأيدى أو من الأرجل أو منهما جميعا .

الكلاب المتوحشة المدربة .

اللسع بالسجائر المشتعلة وإطفاؤها داخل الآذان .

اعتصار الجمجمة بطوق من سلك أو حبل معقد .

النفخ بمنفاخ كهربائى لإطارات السيارات .

خلع الأظافر وسلخ الجلود .

تفسيخ المفاصل وتفصيصها .

العدوان على النساء أمهات وأخوات وزوجات وبنات ، وسوقهن إلى السجن الحربى .

العدوان على البيوت وانتهاك حرماتها وتدمير محتوياتها .

العدوان على المعتقلين وضربهم فى بيوتهم أمام أولادهم وزوجاتهم وجيرانهم .
التجويع والتعطيش .
النقع فى الماء المثلج المملح .
النقع فى البول والبراز .
منع قضاء الحاجة .
الفصل من العمل ومصادرة الأموال والأعمال .
الحبس الانفرادى .
الحبس الجماعى المزدحم جدا .
طوابير العذاب والجرى طول اليوم تحت السياط ولشهور طويلة .
المنع من النوم أياما متعاقبة .
الوقوف الجامد ساعات طويلة .
الصفع والرفس واللكم والنطح .
الإجبار على النظر إلى الشمس .
الإجبار على اللف حول النفس للتدويخ .
الحبس فى زنزانة مع كلبة وجرائها .
مبتكرات حمزة البسيونى ، وسعد عبد الكريم ، وشمس بدران وغيرهم تحت الشعار الذى جأر به عبد الناصر « ارفع رأسك يا أخى، فقد مضى عهد الاستبداد !!! »

تلك هى قائمة الشرف التى جاءتنا بها ثورة ٢٣ يوليه وأساليبها للحصول على سيد الأدلة ، حتى صار الاعتراف هو سيد الأدلة على حدوث التعذيب ، وقست قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة . أولئك الذين أحسب كتابهم فى سجين وما أدراك ما سجين ، كتاب مرقوم .

كان ما أسموه بالتحقيقات يوزع على ضباط الشرطة العسكرية المنتدبين للعمل بالسجن الحربى ، وكان كل موضوع منوطا ببعضهم يختصون به ، فرياض إبراهيم يلفق قضايا وحسن خليل يلفق غيرها ... وعصمت مصطفى و ... الخ .
وكلهم يشرف عليهم العميد سعد زغلول عبدالكريم ، قائد « الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية العسكرية » ، كذلك أطلقوا عليها فى حينها . وبالرغم من أنه كان

عميدا ، فقد قبل بكل رضا أن يخضع ويكون فوقه عقيد [وهو الرتبة الأقل من رتبة العميد] ، ويزول العجب حين نعرف اسمه ، كان هو العقيد شمس بدران مدير مكتب « السيد المشير » ، وكان شمس بدران يستطيع بما أعطى من سلطة أن يقبض على أى لواء فى الجيش ، وما هو دون ذلك وكثيرا ما كان يفعل ، تجيء السيارة الفاخرة ترفرف عليها البيارق تحمل السيد اللواء ويقودها سائقه ، وتجتاز البوابة السوداء الكبيرة للسجن الحربى ، فيؤدى حرس البوابة التحية ويرد السيد اللواء فى كبرياء بإشارة من يده ، ثم تتجه يسارا إلى مكاتب السجن وأمامها النافورة الشهيرة مليئة بالماء . وتتوقف السيارة أمام المكاتب ، ويكون هناك بعض الجنود يفتحون الباب للسيد اللواء فينزل ولا أحسبه يتوقع حينذاك إلا التحية العسكرية ، وتجيء فجأة فى شكل صفعات ولكمات وشلاليت ، ودحرجة للكاب من على رأسه إلى الأرض ، ثم شيلة (هيلة بيلة) وإلقائه بالبدلة الرسمية إلى الفسقية مع السباب المناسب للموقف ، ثم يُخرج من الفسقية ويوقف مدة كافية ليشر الماء وكان الفصل شتاء باردا ويؤخذ بعدها إلى مكتب شمس بدران ، لا يدرى أحد مايدور بينهما من حديث يخرج بعده إلى سيارته حافى القدمين ويقذف بحذائه من ورائه ؛ ليجد سائقه فاغرا فاه من الذهول والدهشة ، فيركب السيد اللواء ويذهب كما جاء . هذا إذا كان الغرض مجرد التأديب أما إذا كان المطلوب اتهامه فى قضية فيكون له شأن آخر ، ولا يخرج .

كان للعقيد شمس بدران بالسجن الحربى مكتب فرش بالسجاد والموبيليات ، وجهز بجهاز لتكييف الهواء ، بينما كان مكتب العميد سعد عبد الكريم – حتى فى زمهرير الشتاء – على البلاط الملوث بالدماء وبدون تكييف . وكان سعد لعنه الله يدخل مكتب شمس – لعنه الله – فيخبط كعبا بكعب ويرفع يمناه إلى جبهته تحية وتعظيما فلا يرد عليه ويكتفى بنظرة الرضا والاغتباط . رأينا ذلك وعايناه . أما حمزة البسيونى – لعنه الله – أيضا فلم يسمحوا له أن يتدخل فى استجواب أحد فى محنة (١٩٦٥) بعكس ما كان فى محنة (١٩٥٤) ، ولكنه كان قائدا للسجن الحربى ، ويديره بكل ما فيه من تعذيب . قرأت مرة للأستاذ مصطفى أمين أن عبد الناصر قرر نقل حمزة من السجن الحربى إلى عمل آخر ، فذهب إليه وجثا أمامه على ركبتيه يستعطفه أن يلغى ذلك القرار فقد ارتبطت حياته بالسجن وصار له بيت داخله ويخاف إن عاش خارجه أن يصير هدفا لانتقام أحد ضحاياه ، واستجاب له عبد الناصر .



محمد عصمت مصطفى

شاء حظنا العاثر أن يتولى « تحقيق » موضوعنا واحد اسمه الرائد محمد عصمت مصطفى تحت إشراف العميد سعد زغلول عبد الكريم . وعثرة حظنا جاءت من أن الرائد عصمت المذكور كان مخلوقا غبيا بإفراط ، فلم يكن يعرف حين أسند إليه « التحقيق » ما يجب عليه عمله ولا كيف يفعل للاقتراب والوصول . كان كل ما يدركه أن تحت يده عددا لا يحصى من الجنود الأميين الأجلاف بيد كل منهم كرباج إذا بلى زودوه بغيره ، وسجن كبير يمتلىء بالمعتقلين وحبال كثيرة لتكتيفهم وتعليقهم ، وهكذا تتكون فى ذهنه عناصر القضية . والأهم من ذلك وأبعد أثرا أنه كان خرب الذمة غير ذى نصيب من التربية ، كان من النوع الذى نقول عنه بالتعبير الدارج على الألسنة:إن أهله لم يربوه . لم يكن يهمه أن الذى يصل إلى إثباته يكون حقا ، بل لقد كان يعرف أنه من ألفه إلى يائه ليس صحيحا . المهم عنده أن يحصل على أقوال تذهب بصاحبها والآخرين إلى أفظع داهية وأكبر طامة ، فيفرح بذلك فرح الأم البلهاء بولدها العبيط الأبله ، فإذا جاءت النتيجة فى النهاية سخيفة غير مستساغة ولا مسبوكة ، عاد على بدء من جديد بالجند والحبل والكرباج ، وهكذا دواليه . كان عصمت هذا مادة لسخرية زملائه من الوحوش الذين كانوا يحبكون تلفيقاتهم وتهكمهم عليه ، وكان لا يستطيع أن يفتح عينيه أمامهم ولكنه كان يستعيض عن ذلك بفتحهما معنا .

لم يكن « المركز الأدبى » الذى يحصل عليه الضابط من هؤلاء هو مكافأته الوحيدة ، بل كانت لهم حوافز مادية بلا شك ، هى التى جعلت منهم وحوشا تعذب وتقتل وتصل بضحاياهم إلى السجن والليمان والمشنقة . كان يومهم يبدأ من الضحا إلى قبيل الفجر ، ثم ينصرفون أو يبيتون فى السجن ، فلكل منهم حجرته الخاصة ، وكانوا يقضون اليوم فى التعذيب والتلفيق وتوفيق أقوال هذا مع ذاك بما يدين الجميع ، وكتابة تلك الأقوال وتحفيظها لأصحابها ليقولوها فى محكمة الدجوى ، ووسيلتهم فى ذلك ، هى الكرباج والنقع فى الماء وسائر مفردات القائمة التى ذكرنا .

وإذا كان اليوم عند هؤلاء يبدأ من الضحا فإنه لم يكن كذلك بالنسبة لنا . كان السجن يصحو قبل الفجر فيمر عدة ألوف من المعتقلين – مجرد مرور – على دورتين للمياه بكل منهما سبعة مراحيض ، وعدد (٧) دش يوزعون بينهما أفواجا تترى بعضها فى إثر بعض لمدة ساعة ونصف ، يدخلون إليها ثم يجهضون عنها

بالكرابيج قبل أن يقضى أحد حاجته فى أغلب الأحيان كانت الطريقة الوحيدة أن يقعد المعتقل فيضع ما يضع من فوره ويقوم ، وإلا فلا وغالبا ما كانت دورة المياه بلا مياه حتى قلنا عن صنابيرها إنها للتيمم . وأصيب أكثرنا بالبواسير والناصور وأمراض القولون والبروستاتا وما شاكل ذلك .

بعد ذلك يأتى طعام الإفطار مع الشروق أو قبله ، ثم تبدأ طوابير العذاب الجماعى . وقبل الضحا يؤخذ منها إلى التعذيب الخاص من يطلب إلى « التحقيق » كذلك كان المألوف . وعلى ذلك كان « يوم العمل » بالنسبة لنا أربعا وعشرين ساعة لمن يجرى معه « تحقيق » ، وبالنسبة لنا — تنظيم عادل كمال — استمر ذلك من شهر اكتوبر (١٩٦٥ حتى شهر ابريل ١٩٦٦) . قلت يوما للدكتور ماجد حمادة طبيب السجن « لم أنم منذ أربعة عشر يوما » ، قال : « أعرف ذلك وأراه ، ولكن ماذا أصنع لك ؟ عندى عقاقير منومة ، ولكن متى أعطيها لك ؟ إنهم لا يتركونك من ليل أو نهار » .

كان من حظنا « تنظيم عادل كمال » ذلك (العصمت المصطفى) . كاد يموت من الغيظ وهو لا يصل إلى شيء ، فى حين وصل زملاؤه إلى قضايا يحكم فيها بالإعدام ، وكان يترجم ذلك الغيظ تعذيبا بالكرباج وسبا قبيحا وأصواتا منكرة تخرج من فمه وأنفه ، وحركات غير مهذبة بأصبعه تعبر عن مقدار تربيته وتهذيبه .

من سنوات سابقة دعانا أخونا عبد الفتاح ضرغام لمناسبة لست أذكرها ، وجلسنا أرضا فوق سطح منزله بحلمية الزيتون وتناولنا العشاء وانصرفنا . وجاء ذكر ذلك العشاء فى « التحقيق » . وكم من الليالى الطوال بذلها عصمت فى تعذيب الذين تعشوا عند عبد الفتاح ليعترفوا عما تناولوه فى ذلك العشاء الذى كان منذ سنوات ، منهم من قال تناولنا أرزا ولم يذكر البامية ، ومنهم من ذكر لحما ولم يذكر التمر ، أو ذكر الجرجير ولم يذكر الكوسة ! وهات يا تعذيب بالكرابيج ليالى غير ذات عدد ، ويملأ عصمت أوراق « التحقيق » بهذه الأقوال عن تلك المأكولات التى هددت أمن الدولة ، حتى صار ذلك العشاء فى شهرة « العشاء الأخير » .

فى استجواب عصمت مصطفى ، سأل سليم عفيفى عن آخر مرة رآنى فيها ، فقال : إنه صعد مرة إلى أتوبيس مزدحم من آخره فرآنى فى أوله ، ولشدة الزحام

رآنى ولكنى لم أره . هكذا أجاب . وعلقت من قدمىّ وجلدت بالكرابيج لأعترف بذلك ... أن سليما رآنى فى أتوبيس ولم أره !!

كان ذلك هو مستوى الصبيانية ومستوى الذكاء الذى مارس به عصمت مصطفى « تحقيقاته » وكان معجبا جدا بنفسه فيكرر أنه كمحقق له حاسة يعرف بها الصدق من الكذب فى الأقوال فلا داعى للإنكار وكانت له أوسع السلطات وبغير حدود أن يعذب وأن يفرط فى التعذيب فى استجوابات من ذلك المستوى . لابد أنه كان من محاسيب شخصية كبيرة جدا .

حقا إنه غابة المجتمع الذى لا يسوده القانون ، دعك أن تكون به من القوانين كيت وكيت ، المهم أن تسود وألا يجرى التحقيقات إلا رجال القانون ولا ينظر القضايا ويصدر الأحكام إلا رجال القانون . أما حين لا يسود القانون إلا فى الخطب الرنانة فقد عدنا إلى الغابة بل أضل .

ومن عجب أن تلك التصرفات التى من شأنها أن تعكر أكثر القلوب صفاء ، وأشدها نقاء ، وأنصعها بياضا ، يريدون منا نسيانها ونسيان جلودنا الممزقة ويتهموننا بالحقد . قال لى سعد عبد الكريم « هذا الحقد الذى فى قلوبكم منذ عام ١٩٥٤ . سوف أنتزعه بالكرباج » . وفى هذه الأيام من الثمانينيات نسمع من حين لآخر من رجال السياسة والرؤساء فى مصر من يستنكر الوقوف عند الماضى ويقصد بذلك ذكر تلك الأيام السوداء فى حين لايدرك أنه يدعو إلى ذكرها وتذكرها وعدم نسيانها كلما ذكر جمال عبد الناصر . أقولها ليعيها من لم يفهمها بعد ، كل من يذكر جمال عبد الناصر إنما يحيى هذه الذكريات البغيضة فى النفوس ويبعثها من مرقدها كلما خمدت فى خلفيات النسيان ، عند عشرات ومئات الألوف من الأسر .

من فطرة المعذَّبين أن يتتبعوا أخبار الجلادين الذين ارتكبوا معهم أبشع جرائم التعذيب ، ويجتذبهم أى خبر عن أحدهم .. هذه فطرة . وعن عصمت مصطفى هذا جاء ذكره فى القبض على المشير عبد الحكيم عامر فى سبتمبر ١٩٦٧ ، فكان هو والعميد سعد زغلول عبد الكريم تحت رئاسة عبدالمنعم رياض ، هما اللذان نقلا عبد الحكيم إلى معتقله الذى مات به فى منطقة الهرم ، وكان يصيح ويقاوم فألقياه فى دواسة السيارة وداساه بأقدامهما وركبا فوقه حتى يسكتاه وليعرف « قيمته

ومقامه » وكان عصمت من الحرس على المشير فى الفيللا المعتقل التى حبسوه بها حتى مات وأحسبه يعرف كل شيء عما قيل عن قتل المشير، بعد ذلك انتقل عصمت إلى المخابرات العامة ثم بلغنا أنه أخرج منها وانقطعت عنا أخباره ، فلم يعد يعثر عليه من يبحث عنه طلبا لحقه عنده .

ذلك مااشتهر فى السجن الحربى فى محنة ١٩٦٥ باسم تنظيم عادل كمال . وكان إخوان هذه المجموعة أشد عذابا من سواها كرد فعل لغيظ « المحقق » الذى يرى شيئا لايستطيع أن يمسك به .

كانوا قد جاءوا للقبض عليّ من عملى بالبنك الأهلى المصرى . دخل الضابط إلى مكتبى فحسبته أحد العملاء ، وطلبت له القهوة واستمهلته قليلا حتى أفرغ من عمل كان فى يدى ، فشربها ثم قال لى إنه من ضباط المباحث العامة وأنى مطلوب لمدة خمس دقائق فقط . طبعا الدقائق الخمس المعروفة المباركات ، الدقيقة عندهم بسنة مما تعدون ، وزادت نصف دقيقة .. يعنى ستة أشهر . وماإن خرجت معه حتى انبرى بعض الزملاء من التنظيم الطليعى لعبد الناصر يجمعون من كل زميل ٢٥ قرشا لإرسال برقية إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر لتأييده فى الضرب على أيدى المتآمرين الذين أنا منهم ، وتأثر زميل منهم فأغمى عليه وسقط على الأرض وبكى بعضهم فى تشنج ولكن خاف أى منهم أن يبدى أى اعتراض ماعدا واحدة ... بالتعبير العامى « ردحت » لهم ونعت فيهم النخوة والرجولة والعيش والملح ، ورفضت برجولة أن تدفع مليما .

وفى السجن الحربى أخذوا كل ماكان معى ومن بينه مفتاح مسكنى . وذهبوا بحملة حربية من الجند ومعها معدات الحصار والاقتحام ، ولم يكن بالبيت أحد ، فقد انتقلت زوجتى بالأولاد إلى بيت والدتها وبقيت هناك . ففتحوا ودخلوا وتبروا ماعلوا تتبيرا ... قيشانى الحمام وخشب الأبواب وزجاج دواليب السفرة وشق المراتب ومقاعد الصالون .. الخ .. أخبرتنى شقيقة زوجتى أنها حين ذهبت بعد ذلك وجدت المسكن اكواما من هشيم الزجاج والخشب . وكانت والدتى قد صنعت مفرشا لسرير ابنى أيمن بمناسبة عيد ميلاده فجمعوا الغنائم والأنفال فى هذا المفرش ولفوها وعادوا بها إلى السجن الحربى . وظلت المفاتيح معهم ،

ورفعوا الكلفة فاعتبروا البيت بيتهم يمرون عليه كل حين فيفتحون ويدخلون ويخرجون ، ولأحد من الأسرة بالبيت فقد هجرته لهم . وفى ليلة جاءوا بزوجتى من بيت والدتها للضغط للحصول على اعترافات عن التنظيم وسلاح التنظيم والمؤامرة على حياة السيد الرئيس وعلى قلب نظام الحكم .. الخ .

وقد استمر ذلك التحقيق من سبتمبر ١٩٦٥ حتى مارس أو أبريل ١٩٦٦ حين أفرج عنا من السجن الحربى إلى معتقل أبى زعبل . الحياة فى السجن الحربى والعذاب فى السجن الحربى فى ١٩٦٥ لم يختلفا عما كانا عليه ١٩٥٤ ، ربما تغيرت بعض الوجوه ... أمين حسين السيد باشجاويش السجن صار اسمه صفوت الروبى . وجه آخر ولكن بذات الصفات الهمجية الوحشية . جميع المجندين صاروا غير الأوائل . ولكن وجه حمزة البسيونى الكالح كان مايزال . وزاد عليه وجه شمس بدران ووجه سعد عبد الكريم ووجوه عصمت مصطفى ورياض إبراهيم وحسن خليل .. الخ .

أما المتهمون والمعذبون فقليل من الوجوه القديمة مع أعداد كبيرة من الوجوه الجديدة ، وصارت لهم قضايا جديدة وأحكام جديدة ... بالإعدام .. وبالأشغال الشاقة المؤبدة .. والمؤقتة .. والسجن . لم يكن عبد الناصر يعرف لغة أخرى غير هذه .. والنتيجة ٥ يونية ١٩٦٧ . ومن العجيب المؤكد تلك الارتباطات بين الأحداث والاستبداد .

يضرب فاروق الإخوان ١٩٤٨ فيهزم اليهود جيشه ويقيمون إسرائيل ، ثم يعزل ١٩٥٢ . ليموت فى المنفى ١٧ مارس ١٩٦٥ .

ويضرب عبد الناصر الإخوان ١٩٥٤ فتضربه إسرائيل ١٩٥٦ بما عرف بالغزو الثلاثى وتحتل سيناء وبورسعيد .

ثم لايتعلم فيضربهم مرة أخرى فى ١٩٦٥ فتكون نكسته وطامته الكبرى فى ١٩٦٧ ويموت فى ١٩٧٠ من بعد موت عبد الحكيم عامر فى سبتمبر ١٩٦٧ نحرا أو انتحارا .

مساومة

لاأجد عذرا أن أكتب عن السجن الحربى فى هذه الفترة أكثر من ذلك ، ولاعن معتقل أبى زعبل حتى إبريل ١٩٦٨ ثم معتقل طرة اللذين نقلنا إليهما الواحد تلو الآخر مرورا بمعتقل القلعة ، فقد سبقنى إلى ذلك الأخ أحمد رائف فى كتابه « البوابة السوداء » الذى ملأ فراغا فى المكتبة ، والبوابة السوداء تاريخ صادق لتلك الفترة السوداء من تاريخ مصر ، ولكن قد يكون من المناسب أن أذكر حوارا حدث مع شمس بدران فى مكتبه بالسجن الحربى قبل أن ننتقل إلى معتقل أبى زعبل . استدعانى وكان معه سعد عبد الكريم وعصمت مصطفى والجنزورى . أدخلت عليه وكان ينظر فى ملف كبير فأغلقه بحركة مسرحية وهو يرفع بصره نحوى ويقول « نحن نغلق ملفك عندنا ، ولن تقدم إلى المحكمة . ولكننا ننظر فى أمركم جميعا لنضع قرارا بشأن كل منكم . يمكننا الإفراج عنك وعودتك إلى عملك وتتقلد من المناصب ماتشاء ! ويمكننا أن نبقيك فى المعتقل بقاء مفتوحا . هل تدرى معنى الاعتقال المفتوح ؟ قلت : « الله ورسوله أعلم » . قال « هناك من نقرر اعتقاله خمس سنوات أو عشرا أو خمس عشرة وهناك أيضا اعتقال مدى الحياة وهو الاعتقال المفتوح » .

قلت : « فهمت » .

قال : « فماذا تختار ؟ » .

قلت : طبعا اختار أن يفرج عنى وأعود إلى بيتى وعملى .

قال : لقد قلت إنك فهمت وطبعا تفهم ثمن ذلك . المطلوب التجاوب التام .

قلت : لى ماض فى الإخوان ولن تصفو نفوسكم أبدا من هذه الناحية بعد كل مافعلتم ، ولذلك فأفضل تجاوب فى هذا الشأن أن أكون رب أسرة فى بيتى وصاحب وظيفة أخدمها بإخلاص فى عملى وليس لى أى نشاط آخر وأحسب أن هذا يرضيكم .

قال : لا . أنت تفهم جيدا معنى التجاوب الذى نطلبه . (يقصد أن أعمل لحسابهم وفى ذلك أقصى درجات الخطورة على الناس الذين ينظرون عادة للخارج من المعتقل على أنه ساخط على السلطة فيطلقون ألسنتهم بما تجيش به أنفسهم . هؤلاء مطلوب أن أوقع بهم وأبلغ عنهم) .

قلت : سيادة العقيد أفهم الذى تعنيه لقد فكرت واخترت ماقلت لك .

قال : إذن الاعتقال مدى الحياة : وسوف يأتى عليك اليوم الذى تدرك فيه أنك لم تندم على شىء ندمك على موقفك هذا . والآن تستطيع أن تعود إلى زنزانتك .

وأضاف سعد عبد الكريم « لن تخرج إلا إلى قبرك » .

ولم أندم والحمد لله . وكان مدى الحياة الذى ذكر هو مدى حياة عهدهم وحياتهم فى السلطة . ودارت الأيام ووجدنا شمس بدران متهما ومسجونا ثم هاربا إلى الخارج فى خوف دائم أن تمتد إليه يد انتقام فى أى لحظة ، وهو فى هذا محق ، فليس مثله من يعرف كم أوقع من مظالم على أبرياء وكم أزهق من أرواح المسلمين وسفك من دمائهم ، الأمر الذى يجعله يعيش مابقى من حياته جبانا خائفا يحسب كل صيحة عليه وكل ظل شبحا .

ولكن بعد هذا الحوار مع شمس بدران أدركت شيئا لم أكن أدركه . لقد حدث بعد ذلك مااشتهر باسم ١٥ مايو (سنة ١٩٧١) . فى هذا اليوم الذى صار عيدا فى مصر تخلص أنور السادات مما أسماه مراكز القوى وهم الصنف الذى مثل شمس بدران هذا وقبض عليهم وأودعهم السجون وكشف مخازيهم . ومهما كان من أنور بعد ذلك فقد بقيت له هذه مفخرة . فى قضية مراكز القوى هذه وجدنا اسماء معتقلين سابقين كانوا معنا فى السجن الحربى عام ٥٤ - ١٩٥٦ ، ولم يكن معنى لهذا إلا أنهم استجابوا وتجاوبوا ... فكان نصيبهم قضية جديدة ولكن بالمقلوب ... صاروا من مراكز القوى ... ثم من مراكز الضعف .

وفى ٢٠ سبتمبر ١٩٨٦ نشرت أخبار اليوم الفقرة التالية :

● ٢٠ / ٩ / ١٩٨٦ ●

● زوجة شمس بدران تطالب بالنفقة !

شمس بدران

اقامت زوجة شمس بدران دعوى نفقة ضده فى محكمة عابدين للاحوال الشخصية . قالت على لسان محاميها محمد نبيه فرحات انها زوجة لشمس بدران بصحيح العقد الشرعى .. وانه دخل بها وعاشرها معاشرة الازواج وانجبت منه بنتا وولدا .. لكنه هرب من مصر ولم يترك لها نفقة .

وقالت زوجة شمس بدران انه مازال يحصل على معاشه كما يمتلك مصنعا للجبنة فى لندن . وشقة بالاسكندرية يؤجرها مفروشة ب ٥٠٠ دولار فى الشهر .

وكانت زوجة شمس بدران قد اقامت دعوى امام محكمة القاهرة للاحوال الشخصية طالبت فيها بالحكم بطلاقها منه . حيث انه هرب واختفى منذ سنوات ولا تعلم عنه شيئا . وتاجل نظر قضية الطلاق الى شهر ديسمبر القادم .

وجدوا فى مكتبتى نسخة من الكتاب المقدس ، واستدعانى عصمت وقد وضعه أمامه وقال : سنخصص الليلة لهذا !! وبالفعل قضى الليل بطوله يستجوبنى عن سبب حيازتى الكتاب المقدس ؟ وماذا أفعل به ؟ وهل فعلا أقرؤه ؟ ولماذا أقرؤه ؟ وكيف حصلت عليه ؟ وهل يباع فى المكتبات ؟ وكيف عرفت المكتبة التى تبيعه ؟ ... الخ . وكان الموضوع على بساطته أكبر بكثير من مستواه الثقافى والإدراكى فلقيت منه عنتا . لم يستطع أن يدرك أنه يمكن قراءته للثقافة ولمعرفة عقائد غير المسلمين وأن ملايين الناس يقرءون روايات الجيب وأن الكتاب المقدس أولى بالقراءة لأنه مناط عقائد ملايين البشر لعشرات من القرون .
وبلغ بى التعذيب أن صار جسمى كله جروحا فلم أعد استطيع النوم أو الارتكاز على أى جزء منه ، ولم أعد أستطيع المشى أو الوقوف حتى حسبت أن يدى لن تستطيع إمساك قلم والكتابة بعد أو أن استطيع الوقوف على قدمين فكنت أؤخذ من الزنزانة محمولا إلى المكاتب لأتلقى مزيدا من التعذيب ثم يعيدوننى محمولا أيضا وكان الذين يحملوننى إخوانا لم يبلغ عذابهم مبلغ ما عندى . حملنى على أكتافهم معروف الخضرى ، وكمال عبد العزيز سلام ، وسيد النزيلى وغيرهم .

وفى ليلة أحسست — وأحسوا معى — أنى ألفظ أنفاسى ، فألقونى ممدداً على الأرض بجوار جدار سور السجن جهة مكاتب التحقيق ووضعوا معى أحد الجنود فى انتظار قضاء الله ، كنت أنظر إلى سقف العالم .. إلى السماء وكانت صافية تماما تتلألأ نجومها ، ورغم أنها كانت بلا قمر فقد كان صوت الجندى المعين علىّ يرتفع بالغناء يكرره :

آه ياليل يا قمر
والمنجة طابت ع الشجر

وجاءته صيحة من بعيد :

— ماذا تفعل عندك ؟

ونظر فوجد صفوت الروبى باشجاويش السجن فانتفض واقفا وقال : انتظر وفاة هذا .

فتركه صفوت ومضى ، وجلس الجندى من جديد يردد : والمنجة طابت ع الشجر .



صفوت الروبى

الباشجاويش صفوت الروبى .. جلاد السجن الحربى من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٧ . تم تجنيده عام ١٩٥٧ حتى ١٩٦٠ ثم تطوع عريفا بالجيش المصرى ثم رقى إلى رتبة شاويش وبقى بالسجن الحربى حتى جاءت محنة ١٩٦٥ فظهر نبوغه فى التعذيب وتجرده من أى إنسانية . قدروا عدد من ضربهم صفوت بنفسه بأكثر من ٢٠٠٠ منهم لواءات ووزراء .

من قضايا التعذيب

بعد أن مات جمال عبد الناصر وخرج من سلطانه إلى حساب الله ، بدأ الإفراج عن المعتقلين على دفعات متباعدة ، حتى أفرغت المعتقلات فى حوالى سنة . ثم أفرج عن المسجونين الذين كانوا مازالوا بالسجون منذ (١٩٥٤) . واتسم عهد أنور السادات بالاتجاه نحو الحرية السياسية والانفتاح الاقتصادى والتحرر من التبعية لموسكو .

كانت مصر حتى مات جمال خلف ستار حديدى كثيف . كانت حفنة من الضباط والمحاسيب يباح لهم كل شىء وتجبى إليهم ثمرات كل شىء وشعب مصر محروم من كل شىء . بدأ الأمر بالاستيلاء على القصور الملكية والخاصة الملكية وكافة الكنوز الملكية ثم اتسع الأمر إلى أموال أسرة محمد على ، ثم فتحت « محكمة الغدر » للغدر بأصحاب الأموال من أثرياء مصر والاستيلاء على أموالهم ثم صدر قانون الإصلاح الزراعى وبموجبه تحدد الحد الأقصى للملكية بخمسين فدانا للأسرة [الرجل وزوجته وأولاده] فلما جاء عام (١٩٦١) جرت حركة التأميمات الكبرى وإنشاء القطاع العام ، شركات مساهمة أممت بالكامل وشركات أممت بنسبة (٧٥ ٪ وشركات أممت بنسبة ٥٠ ٪) . ثم استمرت الحركة بشركات جديدة تضم من حين إلى آخر إلى تلك التأميمات وشركات ترفع مرتبة تأميمها من (٧٥ ٪ إلى ١٠٠ ٪ أو من ٥٠ ٪) إلى إحدى الفئتين الأعلى . وفقد جمهرة الناس الذين لهم مال أموالهم وصارت أسهمهم فى تلك الشركات سندات على الدولة لا تساوى شيئا . واشتقاقا من اسم عبد الناصر انتشر اسم « النصر » على كثير من الشركات ... شركة النصر للتصدير والاستيراد ... شركة النصر للمقاولات ... شركة النصر للدخان والسجاير ... شركة النصر لصناعة السيارات ... شركة النصر للكاوتشوك ... وغيرها وغيرها ، وكثير منها من نوع « شركة النصر لسرقة مصر » .. وظهرت بعض الكنوز الملكية فى أسواق أوروبا ، وعم الخراب . حتى الجمعيات الخيرية التى كانت تنتعش فى كنف الأثرياء ويعيش على خيراتها اعداد لا حصر لها من المعوزين ذوت وخربت حيث لم يعد فى مصر أثرياء ، أما افراد الطبقة الجديدة من أثرياء الثورة التى تدفقت إليهم كثير من هذه الأموال بشكل أو بآخر فكانوا من أهل الجوع والجشع فلم

يكونوا من أهل الخير والصلاح حتى ينفقوا على جمعيات خيرية ، وكان للشيخ الغزالى تعبير بليغ حين قال عن أحدهم: « هذا من هيئة المنتفعين بهذه الثورة » .

ولم تكن الصحافة بطبيعة الحال تنشر سوى الصورة الوردية حتى إن السلطة كانت تحرص على جمع صحفها القديمة التى مضت عليه سنوات ومصادرتها كلما وجدتها حتى لا يتذكر الناس الوعود الذهبية بالرخاء نتيجة مصادرة تلك الأموال « لمصلحة الشعب » . ولكن مع هذا التعتيم الإعلامى إذا قلبت الجريدة الرسمية فى ذلك العهد تجد عجبا ، تجد عديدا من القرارات الجمهورية بالتصريح للسيد فلان الفلانى بالسفر إلى الخارج ، وقرارات جمهورية بالتصريح للسيد (علان العلانى) باستيراد سيارة ... الخ . تعابير بليغة لذلك العصر ، حيث كان استيراد سيارة أو سفر شخص يحتاج إلى قرار جمهورى !

للذين يعيبون على أنور السادات أن سياسة الانفتاح الاقتصادى فى عهده كانت يجب أن تكون إنتاجية فقط بدلا من أن يكون كثير منها استهلاكيا ، أقول : لقد بلغ السيل بالناس الزبا ، وبدءوا يخرجون إلى بيروت وإلى جدة ، ويرون التليفزيون الملون والفيديو وكان الذى يستقبل أحدا بمطار القاهرة يرى العائدين بهذه الأجهزة ، ويرى الطبقات الأدنى ماديا من الفلاحين والعمال يعودون بأجهزة الراديو والكاسيت ومراوح الكهرباء ، ومراتب السفنج الصناعى ، بما يعكس مرارة حرمان الإنسان المصرى ، فالذى يغترب سنوات ليتنفس ، كما رأى غيره بالخارج يتنفس ماذا يعاب عليه ؟ وكان لابد لأنور أن يفعل ذلك حتى لا ينفجر الإنسان وينفجر المجتمع من طول الكبت فى كل شىء .

لذلك بدأت بعض الحريات وصار متاحا للمعذبين سابقا فى السجون والمعتقلات ، أن يتخذوا إجراءات قانونية ضد من عذبوهم ، وسار ذلك فى خطين أحدهما جنائى لمؤاخذة من ثبت فى حقهم مقارفة التعذيب ، والثانى مدنى للمطالبة بتعويضات عما أصابهم فى السجون من أضرار التعذيب . رفعت بعض القضايا الجنائية وحكم على بعض أولئك السفاحين مثل المقدم رياض إبراهيم والصول صفوت الروبى ، ثم خصص رئيس النيابة الأستاذ وفيق الدهشان لتحقيق هذه القضايا وتجمع لديه عديد منها وكمٌّ كبير من الشهود ، وتناولها بحماس حقيقى وانفعل معها ، ولكنها بقيت فى الأدراج بعد ذلك .

أما الخط الثانى المدنى فقد بدأه المستشار على جريشة وطلب تعويضا مقداره ثلاثين ألف جنيه مصرى ، وحكمت له به المحكمة . وأقيم عديد من الدعاوى المماثلة حكم فيهابأحكام متنوعة . وأقمت والأخ عثمان أحمد إبراهيم دعوى ضد كل من وزير الداخلية ووزير الحربية فى (٣ /١٩٧٧٦/٤) بإلزامهما بأن يدفعا متضامنين لكل منا خمسين ألف جنيه كتعويض ، وقلنا فى شرح الدعوى أنه فى ٤ سبتمبر ١٩٦٥ ومن مدينة موسكو أعلن الرئيس السابق جمال عبد الناصر الحرب على جماعة الاخوان المسلمون ، وعلى الأثر انطلق رجال المباحث والشرطة العسكرية يعتقلون كل من انتمى فى الماضى إلى الجماعة أو غيرها من الجماعات الإسلامية وكنا ممن شملتهم تلك الاعتقالات .

ثم عرضت للوقائع حتى نقلت من معتقل أبو زعبل إلى السجن الحربى ليلة ٩ أكتوبر ١٩٦٥ وما كان من اتهامات وجهت إلىّ ومن تعذيب بغرض الاعتراف بها ذكرنا وقائعه ، وأن الأمر استمر على هذه الحال حتى شهر مايو (١٩٦٦) فنقلت إلى معتقل أبو زعبل حتى شهر إبريل (١٩٦٨) ثم نقلت الى معتقل طرة حتى أفرج عنى فى (٥ فبراير ١٩٧١) .

وأن المعاملة فى معتقل أبى زعبل اتسمت بالضغوط النفسية مثل إجبار المعتقل أن يقف أمام باقى المعتقلين وينتقد نفسه فيها نقدا ذاتيا فى الميكرفون كما ينتقد سواه من المعتقلين ، الأمر الذى أحدث شقاقا وبلبلة بين المعتقلين ، فضلا عن حشد أعداد كبيرة فى حجرات لا تتسع لربع من فيها .

وقدمت فيما قدمت صورة رسمية من محضر تحقيق النيابة وصورة رسمية من تقرير الطب الشرعى فى البلاغ رقم (١٦٤ لسنة ١٩٧٥) حصر تعذيب عما بى من آثار باقية من التعذيب ، وصور من القرارات الوزارية والجمهورية المتكررة باعتقالى فى عهد الثورة .

واستشهدنا ببعض شهود الوقائع من شهدها من الإخوان وجاء بحيثيات الحكم أن المحكمة تطمئن لما جاء بأقوال الشهود كما استندت إلى ما جاء بتقرير الطب الشرعى من تشوه بظفر إبهام القدم اليسرى وجميع أظافر القدم اليمنى نتيجة انتزاعها والآثار الباقية بالجلد من اختلاف اللون وسماكته وفقد الشعر فى مواضع عديدة ، كما أثبت ضعف سمع الأذن اليسرى بسبب عدم سلامة جهاز التوصيل بالعظيمات الصغيرة وأنه لا يوجد فينا ماينفى احتمال حصولها بالتصور الوارد بأقوالى بمذكرة النيابة .

ثم جاء بحيثيات الحكم :

« ومن حيث إنه لما كان ما تقدم ، فإنه يكون من الثابت لدى المحكمة من أقوال الشهود وسالفى الذكر ، وما أيدها من تقرير طبى أنه قد وقع على المدعيين أثناء وجودهما بالسجن الحربى ابتداء من شهر أكتوبر ١٩٦٥ بسبب اعتقالهما ، أعمال تعذيب تمثلت فى الضرب بالعصى والسياط ، والتعليق من الأرجل والأيدى والكى بالنار وتقريب الكلاب المتوحشة والوضع فى زنازين المياه وتعرية الأجسام من الملابس مدة طويلة والطوابير التى تبدأ من الخامسة صباحا حتى زوال الشمس والجرى السريع والأعمال الشاقة بالسجن ، فضلا عن السباب بألفاظ تمس الشرف والاعتبار ، وأنه بلغ من جسامة هذا الاعتداء أن أصبح المدعى أحمد عادل كمال لا يقوى على الوقوف وأصيب فى جميع أجزاء جسمه وأصبح ينزف دما ، كما لم يكن يقوى على الاستمرار فى الطابور بسبب ما به من جروح ، وأن ذلك استمر لمدة متصلة بلغت الشهور . كما أنهما وقعت عليهما أعمال تعذيب أثناء وجودهما بسجن أبى زعبل بعد نقلهما إليه ، تختلف فى الوضع فى عنابر ضيقة لا تسمح بالحركة العادية ومنع الطعام والكتب الأمر الذى ترتب عليه اصابتهما بأضرار تختلف فى الآلام البدنية والنفسية بنتيجة التعذيب وما خلفه من جروح ، وأن ذلك قد حدث واستمر فى ظروف اعتقال لا تبدو لها نهاية ، ودون أن يمكنوا من المثول أمام قاضيهم العادى ليعرضوا عليه ما وقع عليهم من اعتداء فى حينه وعندما كانت آثاره حية ... الخ .

فلهذه الأسباب حكمت المحكمة :

أولا وثانيا وثالثا — [برفض دعوى الدفوع]

رابعا — بإلزام المدعى عليهما متضامنين بأن يؤديا للمدعى الأول [عثمان أحمد إبراهيم] مبلغ ألفى جنيه ، وللمدعى الثانى [أحمد عادل كمال] مبلغ ثلاثة آلاف جنيه ، وألزمتهما بالمصاريف المناسبة ومبلغ خمسة جنيهات مقابلا لأتعاب المحاماة ، ورفضت ما عدا ذلك من الطلبات » . أ . هـ

كلفتنى هذه القضية حوالى ٧٠٠ جنيه مصرى ، بما يعنى أن التعويض الفعلى كان حوالى ٢٣٠٠ جنيه . ولما كانت مدة ذلك الاعتقال قد امتدت ١٩٧١ يوما فإن هذا يعنى أن التعويض المحكوم به كان حوالى ١١٦ قرشا مصريا عن اليوم الواحد من ذلك العذاب . ولكن فى الحقيقة ، تكفينا تلك الحيثيات .

طريفة

ورغم هذا فقد كانت تلك المحنة الطاحنة لاتخلو من طرائف . عذبوا الشيخ عارف ، علقوه من رجليه وجلدوه بالكرابيج فصار يصيح « فى عرض الريس .. فى عرض السيد الرئيس .. » ولامن مجيب « فى عرض الست فهيمة .. فى عرضك ياست فهيمة .. » وطلب مشرف التعذيب إلى زبانيته أن يتوقفوا عن الضرب وأنزلوه ليسألوا « من الست فهيمة ؟ » قال : « هذه أم السيد الرئيس » قالوا له « ليس هذا جيش الرئيس إنه جيش المشير » وأعادوا تعليقه وضربه وعاد يصيح « فى عرض المشير .. فى عرض السيد المشير » ولاجدوى « فى عرض الست فكيهة .. أنا فى عرض الست فكيهة .. حيموتونى ياست فكيهة .. إلحقينى ياست فكيهة » وتوقفوا ليسألوه « من الست فكيهة ؟ » قال : « هى أم السيد المشير » .

طريفة

كان الشيخ عارف رجلا طريفا فكاهيا ، لاأعرف إن كان من الإخوان ولكنه كان واعظا فكان لايكف عن سب الرئيس ولذلك اعتقل . وكان الإخوان يقولون له فى المعتقل « ياشيخ عارف دعك من هذا السباب ، إنه لن يقدم أو يؤخر ، لعلك لو كففت أن يفرج عنك .. الخ » . فكان يقول « ياناس حرام عليكم .. مش قادر » . وأخيرا وبعد اعتقال طويل استجاب ، وسعى أولاد الحلال إلى قائد المعتقل عبد العال سلومة فأخبروه أن الشيخ عارف لن يسب الرئيس بعد ذلك ، وكان ضباط المباحث يزورون المعتقل من حين لآخر فقدم القائد لهم الشيخ عارف التائب عن ذنبه ، وسألوه فأقر بتوبته . قال قائل منهم « إذن تدعو للسيد الرئيس دعوة خير حتى نصدقك » . فرفع يديه إلى السماء – وكان جهورى الصوت – وقال « ربنا يجزيه بعمله » .

قالوا : « يجزيه بعمله ياابن الكلب ؟ وتقول إنك تبت وتريد أن تخرج من المعتقل ؟ » وأمروا به فأعيد إلى زنزانته .

طريفة

أحمد رائف رجل أديب يقرأ التاريخ والأدب والثقافة بفروعها ويكتب . وظهر الشعر المنثور أو الشعر الحديث كما أطلق عليه . وكان ينقد ذلك الشعر الحديث ، وكنت أقول إن الكلام إذا فقد الوزن والقافية فضلا عن المعنى لم يعد شعرا . فكنت آجاريه ورغم أنى لست شاعرا ولا أقول الشعر أبدا ولا أعرف أوزانه فقد قلت أربعة أبيات من التهكم على الكلام الذى لامعنى له احتفظت له بالقافية .

بلا بَرطٍ عن ذى رمال وفُلْفُل … يلُفّ الرحا فوق البطاح وفرملِ
فلا بُلَقٍ ترمى فراخا بشَرْدهِ … تَرُدُّ خَبَال البرد حُطَّتْ بِخَرْدَلِ
ولابَلْسَم الأحراش بَرْطَعَ فَلْتكا … عليك تلاميح الخراشة تنخل
مِدَسٌ فَمَعْلوس تَفَردٌ فى البَلاَ … فَرُغْطُون بَحْرٍ فَرَقَدُ الفَهد فِسْكَلَ

فعلت تلك الحرب النفسية وضغوطها فعلها فى بعض النفوس فصارت شيئا آخر جعلهم يحرصون على حياة خارج المعتقل بأى ثمن ولو بالتسلق على سلالم من عظام إخوانهم ! فراحوا يكتبون عنهم تقارير بما يقولون وما لا يقولون يتقربون بها إلى قائد المعتقل عبد العال سلومة الذى كان يشجع ذلك ويسعى إليه . عمل غير أخلاقى لا يرضى الله عنه ولايبارك فيه . وشاع عن هذا الصنف اسم الخباصين ، وكثروا حتى كان معتقل أبى زعبل شيمته الخبص . بعضهم ظل مستورا وبعضهم كشف الله سترهم وعرف عنهم ماكانوا يفعلون ، فكانوا يدفعون عن أنفسهم بأنهم صهرتهم التجربة أما الآخرون فلم يتعلموا من التجربة . وضقت بترداد هذه الحجة فقلت :

أسود الشمع تصهرها التجارب … تعيد الصب فى شتى القوالب
فلا عجب لشمع إن رأيتم … أسود الأمس قد صبت أرانب

طريفة

التعيين لفظ « حربى » يطلق على التغذية فى الجيش . وحيث كنا فى السجن الحربى فقد كانت مثل تلك الألفاظ مستعملة . وكان المفروض نظريا أن للمسجون تعيينا مثل تعيين العسكرى المجند ، فكان خبزا ولحما وجبنا وحلاوة ... الخ . ولكن ذلك التعيين كان يسرق على مراحل بدءا من متعهد التوريد إلى إدارة السجن حتى آخر الصف وهو العسكرى الذى يوزع على المعتقلين تعيينهم ، كان هؤلاء العساكر يغترفون من اللحم والحلاوة وغيرها وما تبقى من الثفل والشغت والحشف هو الذى يوزع علينا ، وكما يقول المثل « حشف وسوء كيلة » . كذلك كانوا يكلفون بعض الإخوان لكنس ومسح وتنظيف غرف هؤلاء العساكر .

وكان أخونا المستشار حسين عبد العال يوما من أولئك « الطُّلبة » الذين كلفوا بتنظيف حجرات العساكر . والطُّلبة تعبير حربى أيضا يطلق على أولئك الذين يكلفون بمثل هذه الاعمال ، فهناك طُّلبة النظافة وطُّلبة الطبيخ .. الخ . ووجد الأخ حسين بعض أرغفة الخبز المُنتقاة وهى فى حقيقتها مسروقة من نصيب المعتقلين فغافل الجند وحشا ملابسه ببعضها ليعود بها إلى إخوانه بالزنزانة . ولكن الجند ضبطوه وضربوه ضربا مبرحا ، وجمعوا المعتقلين صفوفا متراصة ليقولوا لنا انتا نقول إننا إخوان ومسلمون ولكننا – نحن – لصوص ، وهذا واحد منا سرق . ووقف المستشار حسين موقف اللص حتى تطوع بعض الإخوان فأفهموا الجند أنه ليس من الإخوان ولكنه مظلوم ومعتقل معنا وتعهدوا بأن إخوانه بالزنزانة سوف يعلمونه الأمانة وأن السرقة حرام . فتركوه يذهب إلى زنزانته بعد أن نال مانال ، ولأن الواقع أنهم كانوا هم اللصوص الذين يسرقون تعييننا وتمتلىء حجراتهم بطعامنا فلم يجدوا أن استمرار القضية فى صالحهم .

طريفة

أوقفونى مرة خارج مكتب « التحقيق » بالسجن الحربى ووجهى نحو الحائط حتى يجىء دورى ، فكان يصل إلى سمعى بعض مايجرى داخلها . قال العميد سعد عبد الكريم بصوت عال لواحد من الضحايا المعذبين « أنت فاكر نفسك مهم ؟ » قال : « أبدا ياأفندم أبدا » وعاد العميد يقول « أنت تافه » وجاء صوت أخونا بسرعة وطلاقة « ذبابة ياأفندم ذبابة ! » فصرنا نتفكه بها بعد ذلك .

طريفة

قبض على أحد إخواننا وكان يعد لزواج ابنته ، ولبث فى السجن بضع سنين . وتذكر ذلك يوما فتأثرت عواطفه ، قلنا نخفف عنه :

– الظلم وخيم العواقب فلن يذهب مايحدث سدى ، وحتما فإن الله سينتقم من الظالم .

قال – وماذا أفيد أنا من انتقام الله من الظالم ؟

قلنا : لا عليك يا أخ سيد ، وليكن لنا فى الانبياء أسوة فقد تعرضوا للاضطهاد العذاب ...

قال فى أسى وهو يسرح ببصره : وهل نُفِخَ الأنبياء بالمنافيخ ؟

فرج وإفراج

أما فرج الله لنا وعلينا فكان الوفاة الفجائية لجمال عبد الناصر . لقد أصر عمره كله أن يلقى الله بوزر حبسنا بلا سبب . ألوف وراء القضبان لكل منا أسرة وأولاد وبيت ومصالح وأرزاق أراد أن يقطعها . قبلها بيومين أو ثلاثة سألنى الأخ عبد الفتاح ضرغام عن رأيى ورؤيتى « أما لهذا الليل الأسود من آخر ؟ » . وكنت قد وطنت نفسى على إقامة لايعلم مداها إلا الله . قلت : لقد مكث فرعون موسى خمسين عاما أو نحو ذلك ، أما فرعوننا هذا فلم يمض عليه سوى سبعة عشر عاما » . امرأة ادخلها الله النار فى هرة حبستها ، فما بال هذا حبس ألوف البشر بعد أن لم يجد لهم ذريعة يحبسهم بها .

فى بعض تورطاته وبعد أن باخت بما لا بعدها بواخة ، أعلن فى إحدى خطبه انه شكل محكمة للتظلمات تنظر فى أى تظلم يقدم من معتقل ، فإذا لم تجد سببا لاعتقاله فلها أن تفرج عنه . وكنت من السذج الذين تقدموا بتظلم . وتشكلت محكمة يرأسها ضابط بوليس سابق تم تعيينه قاضيا . ونظرت تلك المحكمة التظلم ورفضته . وأردت أن أفهم ، فطلبت إلى زوجتى فى إحدى الزيارات أن تذهب إلى هذه المحكمة وتطلب حيثيات الحكم . فقالوا لها « ممنوع » . وكان هناك رجل لأعرف اسمه ولاصفته لم يعجبه الحال ، فهمس لها أنه سوف ينظر ويذكر لها . وبعد دقائق قال إن رفض التظلم كما جاء فى الحكم هو بسبب اعتراض إدارة المباحث العامة !

عشية مات عبد الناصر

الحياة كما درجت منذ شهور داخل معتقل طرة السياسى رتيبة كئيبة . وقبل المغرب كما كانت العادة أغلقت البوابات الحديدية للعنابر ، فلا خروج إلى الفناء حتى اليوم التالى ، فقط أولئك الذين كانت توكل إليهم أعمال من الأعمال الإدارية بالمعتقل ، بعضهم بالمطابخ يعدون لطعام اليوم الباكر ، وبعضهم بمكاتب الإدارة كنت وأحمد رائف نزلاء عنبر واحد مع غيرنا ، وكان ليلتها فى حجرات المكاتب ، لم يكن من « طُلْبة » المكاتب ، ولكن الضباط الذين كان عليهم البيات بالمعتقل كانوا يحبون أن يتجاذبوا معه – ومع غيره – أطراف الحديث فى السياسة وفى مشكلة المعتقلين . وجاء من وراء الحجرات فنادانى من خلف نافذة العنبر وكانت مرتفعة عليها مربعات الحديد ، فتسلقت إليها حتى رأيته يقف تحتها .

قال : شيء غير عادى قد حدث .

قلت : ماذا ؟

قال : لا أدرى ، ولكن الإذاعة والتليفزيون قطعت برامجها المعتادة ، ولاتبث غير القرآن .

قلت : ماذا تظن ؟

قال : لا أدرى ، وحين أعرف شيئا سوف أعود إليك .

قالها وانصرف عائدا إلى المكاتب .

كانت أجهزة الراديو ممنوعة إلا الجهاز الرسمى للمعتقل ، فكانوا يختارون لنا مانسمع – وغالبا ما كان خطابات الرئيس عبد الناصر وهو يسبنا – أو يغلقونه ، وفى تلك الليلة أغلقوه ، ولكن بعضنا كان قد استطاع تهريب راديو ترانزستور صغير . وقلت ما سمعت للأخ محمد عبد المنعم حسن ، وكان من أصحاب الترانزستور ، فتظاهر بالنوم وتغطى ببطانية ووضع سماعة الأذن فى أذنه ، وراح يحرك مؤشر الراديو على كل الإذاعات الداخلية والخارجية ونحن ننتظر ، ثم خرج من تحت بطانيته ليقول « لا شيء ألبتة » . وانتشرت الهمهمة بين المعتقلين . إن الاقتصار على إذاعة القرآن الكريم لايعنى إلا شيئا واحدا ، أن كبيرا قد مات ، ولم يكن فى هذا الزمن الفرعونى كبير سوى فرعون واحد ، حتى عصر ذلك اليوم

رأوه على شاشة التلفزيون يودع الملوك والرؤساء الذين حضروا مؤتمر القمة ، ولا أحد يفسر هذا الغموض .

أحسبها كانت قد جاوزت الحادية عشرة مساء حين عاد أحمد رائف ينادينى ، وتسلقت إليه النافذة الحديدية مرة أخرى ، فهمس لى : « الشخص مات » .

قلت : أى شخص ؟

قال : عبد الناصر .

قالها وانصرف . ورحت أهمس بها لمن يهمس بها حتى شاعت فى العنبر المغلق علينا ، ورأيت مسعد خليل – وكان شابا حدثا من جماعة التبليغ – رأيته يقفز فرحا ويصفق ، فطلبت منه أن يضبط أعصابه ، فمازلنا لا نعرف كيف مات ولا ماذا يكون بعد ، فاستجاب .

وكان رجل من معتقلى قطاع « النشاط المعادى » وهم من غير الإخوان قد خرج عن طوره من طول مالقى من ظلم ، فأقسم ألا يصلى لله ركعة مادام عبد الناصر حيا !! وكان نائما ساعة ذهب إليه من أيقظه وقال له :

« قم فَصَلِّ » .

قال : والله ؟

قال : والله .

فقام يجرى إلى دورة المياه ليتوضأ يتطاير نعلاه من قدميه من تعجله . وكنت أرى من وضع وجهه فى الحائط وقد انتابته نوبة من الضحك يحاول كتمانها ، ورأيت من يتظاهر بأنه لم يسمع شيئا كأنما يتنصل مبكرا من مسئولية فرحه بموت الرئيس ، إذا ما وجهت اليه تلك التهمة ، وفى اليوم التالى وفى موجة المنافقة المعتادة دخل عنبرنا – وكان كله من الإخوان – رجل من « النشاط المعادى » وقال : ياإخوان .. بعد صلاة المغرب سوف يصلى النشاط المعادى صلاة الغائب على روح السيد الرئيس رحمه الله ، فمن شاء أن يشاركنا الصلاة فليحضرها معنا » .

وضقت به ذرعا فقلت « ياأخى .. الرئيس مات منذ الأمس ، وأنتم لم تصلوا

عليه حتى الآن ؟ ! وتتركونه يوما بأكمله دون صلاة ؟ » وارتبك الرجل ولم يدر مايقول فأرتج عليه ، وأشفقت عليه فسكت عنه .

كانت عند المعتقلين فرحة مشوبة بالتوجس والحذر . أما قائد المعتقل عبد العال سلومة ، فقد حدث له اكتئاب واغتم فأغلق بابه على نفسه . وذهب أثر المفاجأة ، فاكتسى المعتقل بالبهجة والفرح ، وصارت زيارات الأهالى للمعتقلين كلها مرح وضحك — بعد أن كانت هموما وغموما ، وصار المعتقلون يستمعون فيها إلى حكايات من الخارج . منها ذلك الخبر الذى اشتهر وتواتر عن طفح المجارى بشارع الخليفة المأمون بمنشية البكرى ، بمنطقة القبر الذى قُبر به الرئيس وأن الطفح أغرق المقبرة والجثة ، ولذلك فقد أعيد فتح المقبرة لنزحها وتجفيف السيد الرئيس . ورأى فيها بعضهم آية من آيات الله وقرنها بنقع بعض المعتقلين بالسجن الحربى فى فضلات المجارى ، ولعل أحدهم حينذاك دعا الله دعوة مظلوم مستجابة ، ولهج بعض الشعراء فى ذلك بما جادت قرائحهم .

جاءت تلك الوفاة الفجائية كمائدة من السماء تكون لنا عيدا .

ذهب عبد الناصر بشروره وأوزاره فتنفسنا الصعداء وخلفه أنور السادات فأوقف أن يعتقل إنسان بعد ذلك ، ثم بدأت بعد ثلاثة أو أربعة أشهر إفراجات لأفواج بالقطاعى . كنت معتقلا هذه المرة من سبتمبر ١٩٦٥ فأفرج عنى فى فبراير ١٩٧١ . كان أيمن أكبر أولادى فى الخامسة حين اعتقلت وكان أصغرهم شريف قد تجاوز السنة ، فصارا يوم أفرج عنى ١١ سنة و٧ سنوات وبينهما عمرو ٩ سنوات . سنوات هامة جدا فى نشأة الطفل قضوها فى غيبة أبيهم ضيفا على السلطان . وبعد عودتى صاروا يقفون لمشاهدتى حين أحلق ذقنى فلم يكونوا رأوا رجلا يحلق من قبل . وكان أيمن يحرص أن أصحبه معى فى المترو وهو ذاهب إلى المدرسة ويطلب أن أشير إليه بيدى بعد أن ينزل إلى الرصيف حتى يرى زملاؤه بالمدرسة أن له أبا وإن اختفى سنوات ، وهذا هو أبوه يشير إليه بيده من نافذة المترو .

كان تطبيع الأولاد مع الوضع الجديد مليئا بالأزمات وإن كان بهيجا مفرحا . وحين زارنى شريف فى المعتقل لأول مرة سمح فيها بذلك مع أخويه ووالدته عام

١٩٦٧ – وكان ذلك فى معتقل أبى زعبل – كان ذلك فى حضور أحد الضباط يجلس بيننا يسمع ويرى تحسبا أن يقول أحدنا شيئا عن الرئيس أو الحكومة ، سألت شريف « هل تعرفنى ؟ » .

قال : « نعم أنت بابا » .

قلت : « كيف عرفت ذلك » .

قال : « من صورتك التى بالبيت ، كما أخبرتنى ماما أننا نحضر لزيارة بابا » .

كان طفلا فى الثالثة وكانت الزيارة تبدأ فرحا وتنتهى حزنا حين يبكى ويصرخ ويصر أن أعود معهم إلى البيت . وحين تعلم اليأس بعد ذلك من هذا المطلب كان يصر أن يبقى معى بالمعتقل ، وطبعا لاهذا ولاذاك كان متاحا . إذا كانت هذه الآثار النفسية نتجت عن اعتقال تجاوز السنوات الخمس فما بالنا بمن بقى بالسجون من ١٩٥٤ حتى السبعينيات ؟ .

كانت اعتقالات الإخوان الشاملة فى سنوات ١٩٤٨ و١٩٥٤ و١٩٦٥ وكانت إفراجاتهم أيضا متقاربة ، ولذلك كان أبناؤهم يولدون أيضا فى مواسم وينقطع إنجابهم فى مواسم ، وكانت أعمار أبناء الإخوان لذلك متقاربة وعلى شرائح .

تلك الآثار الاجتماعية والنفسية لم تكن عفوية أو عشوائية وإنما كانت أيضا مستهدفة ومخططا لها ، ومن أراد فليقرأ الجزء الثانى من كتاب صلاح نصر مدير المخابرات العامة لعبد الناصر « الحرب النفسية » وليقرأ أيضا الفصل التالى .

الحرب النفسية

فى الفصل الثانى من كتاب الحرب النفسية شرح الاصطلاح الجديد « غسيل المخ » وهو مايعبر به عن توجيه الفكر وذكر أنه أسلوب شيوعى ، صينى وروسى وقال :

« ومهما كان الوضع الذى طبق فيه توجيه الفكر الشيوعى فإنه يتكون من عنصرين أساسيين :

١ – الاعتراف : وذلك بالكشف والتصريح عن كل شر ارتكب فى الماضى والحاضر .

٢ – إعادة التعليم والتثقيف : أو بمعنى أدق اعادة تشكيل الفرد فى الطابع الشيوعى الصحيح .

هذان العنصران يترابطان بل يتداخلان معا ، إذ إن كلا منهما يبرز على المسرح سلسلة من الضغوط والعوامل الثقافية والعاطفية والبدنية التى تهدف كلها إلى السيطرة الاجتماعية وإلى تغيير الفرد .

ويمضى يشرح مقصوده إلى أن قال : وعلى سبيل المثال استخدمت الأساليب التالية فى السجون السياسية المختلفة :

[هذه الأساليب الخمسة استخدمتها أجهزة جمال عبد الناصر فى سجون مصر-خاصة السجن الحربى-بإفراط]

أ – عزل الشخص عن الحياة العامة :

وذلك بأن يزج بالفرد فى زنزانة ذات أبواب حديدية وفى داخل أسوار حديدية بعيدا جدا عن كل معارفه القدامى وعن كل مصادر المعلومات وصور الحياة العادية ، وهو فى هذه الحالة يصبح نهبا للتعليقات والتحذيرات المفزعة وتغشى عقله غيوم تحجب عنه مايدور خارج سور زنزانته . ولم يختلف التكنيك الذى يستخدم اليوم عن ذلك الذى استخدم أيام محاكم التفتيش أو الذى استخدمه النازيون مع أسراهم فى معسكرات الاعتقال .

لقد كان يترك الأسير لمدة طويلة دون أن توجه إليه أى اتهامات ، ودون السماح بتسرب أى أخبار إليه عن أسرته أو عن العالم الخارجى ، فيشعر الفرد بأنه أصبح وحيدا فى هذا العالم ، ولا يوجد بجواره من يستطيع أن يعاونه فى محنته . يشجع على ذلك أن أخلص أصدقائه وأحبائه عادة لا تواتيهم الجرأة ليسألوا عن مكانه أو يشيروا إلى أنهم على معرفة به خشية التعرض للاعتقال والاستجواب ، ومن ثم يتم عزله .

وبعد فترة من القلق المستمر ، وبتطبيق بعض الأساليب الأخرى التى سنذكرها بعد ذلك يبدأ الاستجواب . ومن المحتمل أن يتحطم الإنسان تلقائيا وبدرجة ملموسة نتيجة القلق والتفكير الطويل فيما يعترف به ، ويصبح فى حالة يأس وتعاسة .

وغالبا ما يناله الضعف والوهن نتيجة هذه الآلام الطويلة وما يصاحبها من ضغط فسيولوجى بحيث يصبح عقله ملبدا بالغيوم ، فلا يستطيع أن يميز أى شىء ويهبط إلى قرارة نفسه أى إيحاء يقدم إليه بواسطة الإجبار أو الحيلة .

وهناك وسيلة معروفة استخدمت فى السجون السياسية وهى أن يوحى إلى السجين بأن بلاده لم تعد ترفع صوتا واحدا من أجله ، وأن محبيه وأصدقاءه تخلوا عنه ، مما يجعله يشعر بأنه أصبح وحيدا تماما فينقاد إلى المحاكمة المحزنة مسلوب الإرادة تحت أشد الظروف وطأة وعنفا .

٢ - الضغط الجسمانى :

وهذا يتفاوت من الحرمان من الطعام ومن النوم ، إلى التصفيد بالأغلال كعقوبة لعدم التعاون مع المستجوب ، والهدف من هذا كله هو الوصول بالفرد إلى درجة من الإعياء والانهيار ، بحيث يكون عقله قابلا لتقبل أى توجيه من المستجوب .

والواقع أن الجوع يلعب دوراً أساسيا فى عملية غسيل المخ ، لأن الإنسان لايستطيع أن يستمر فى حياته العادية دون أحوال بيولوجية معينة ، منها الغذاء اللازم لبناء خلايا الجسم وتجديدها .

والتغذية السليمة هنا ليست بكمية الغذاء الذى تمتلىء به المعدة ، فإننا نعرف أن الجسم يحتاج إلى نسبة معينة من المواد العضوية والفيتامينات التى تمكنه من تأدية وظيفته ، والوجبات الغذائية غير المتوازنة تخلق فى الإنسان نوعا من الجوع ، فالعبرة هنا ليست بالبطون المنتفخة ذات البنية الضعيفة والذهن المشتت ، ولكن التغذية الجيدة هى التى تعمل على توازن الوجبات التى تعطى الجسم طاقته اللازمة . ولقد استخدم التجويع بهذا المعنى كعنصر من عناصر عملية غسيل المخ ، إذ كان يعطى للسجين مايكفيه من أطعمة تمكنه من البقاء على قيد الحياة وليس بالكمية التى يتطلبها الجسم لجعل ذهنه يؤدى وظائفه بدرجة كافية ، إذ كانت نسب الطعام توضع تبعا لصفات المقاومة التى يتصف بها الفرد ، فكلما ازدادت مقاومته تعمد المستجوبون تجويعه .

إن الجوع يجعل الإنسان يسير نحو حتفه بمحض إرادته ، بل قد يدفعه إذا وصل إلى درجة مفزعة إلى أن يتخلى عن معتقداته وقيمة ، وخاصة إذا عاون ذلك ظروف مضنية أخرى .

والإجهاد لايقل تأثيرا على الإنسان عن الجوع بل قد يبزه ، إذا إن الجسم يحتاج يوميا لعدد معين من الساعات للراحة والنوم ، وقد يظل بعض الناس فى فترة من الفترات دون نوم لمدة يوم كامل ، وظل الكثيرون على قيد الحياة بقسط لا يذكر من النوم ، إلا أن الاستمرار فى ذلك من شأنه أن يقضى على صفاء الذهن ، ويؤدى بأقوى الأشخاص إلى الجنون والانتحار ، لأن الإنسان يصل فى النهاية إلى درجة من الانهيار وتشويش ملكاته العقلية ، وفقدانه كل إحساس .... والفرد الذى عان الحرمام من النوم يصبح أكثر قابلية لتقبل الإيحاء وأكثر استعدادا لتنفيذ تعليمات الذين يطلبون منه أن يسلك سلوكا معينا ، كما يقل احتمال مقاومته لمطلب أى إنسان من ذوى السلطة .

ويستغل المستجوبون فى السجون السياسية هذا كله مهيئين بيئة يصبح فيها النوم شبه مستحيل ، إذ يوقظون الفرد فى ساعة غير عادية ، أو يجبرونه على الاستيقاظ كلما نام ، أو يوقظ فى غلظة وخشونة ثم يستجوب لفترة قصيرة ويعاد ثانية لزنزانته . والهدف من هذا كله هو إجهاد المتهم أو الأسير حتى يصل فى النهاية إلى درجة من الانهيار تمكن المستجوب من الايحاء إليه بما يريد .

ويمضى صلاح نصر مدير مخابرات عبد الناصر فيتناول فى رقم (٣) التهديدات وأعمال العنف فيذكر الضرب والركل حتى الموت والنقع فى الماء وغير ذلك ، ثم رقم (٤) الإذلال فى اسلوب تناول الطعام والنوم والاغتسال وما إلى هذا طبقا لنظم محددة ، مع عدم القيام بأى عمل دون الحصول على إذن من الحارس ، وإحناء الرأس ، وإبقاء الأعين موجهة الى الأرض اثناء التحدث الي الحراس . كما تستخدم الضغوط مثل الاستجواب لمدد طويلة ... » وانتقل فى رقم (٥) إلى استخدام الدروس الجماعية ... الخ ويمضى الكتاب فى تفصيل ذلك وشرحه . حتى إذا جاء إلى آخر الكتاب قال :

« لقد أكدت التجارب صعوبة إحداث الانهيار العصبى فى الحيوان الذى لا يتعاون مع من يجرى عليه التجربة ، وذلك بمقارنتها بالسهولة التى يتم بها الانهيار العصبى فى أولئك الذين يحاولون تقبل تنفيذ هذه المهام التى توكل إليهم ... فكل من يرفض التعاون مع أى وسيلة من وسائل التحول الدينى أو غسيل المخ نجده بدلا من الانتباه إلى المحقق أو الواعظ يحاول أن يركز ذهنه على مشكلة أخرى مختلفة تماما ومن ثم يثبت أطول من الجميع .

« ... إن الصعوبة تكون أعظم بكثير فى إدانة أى إنسان لايمكن إقناعه بالكلام ، ومع ذلك فإن عددا كبيرا بل أكبر مما ينبغى ومن الذين يلتزمون بالقانون حتى عندما يكونون مذنبين يقومون بسهولة بتوقيع أكثر الاعترافات ضررا لهم وبمحض اختيارهم بسبب وجود لهفة مبدئية على التعاون مع رجل الشرطة » .   أ .هـ

هذه خلاصة خبرة صلاح نصر وحصيلة تجاربه وضعها فى كتاب .

●●●

بين الناصرية والإخوان

نشر الإخوان خارج مصر وثيقة خطيرة نضعها أمام القارىء بنصها . والوثيقة – رغم أهميتها البالغة – ينقصها أمر جوهرى وهو إسنادها . فلا نعلم من الذى أذاع الوثيقة ولاكيف حصل عليها ، ولاحتى من الذى نشرها وطبعها ولا المطبعة التى طبعتها ولاتاريخ ذلك . وعلى هذا فمن الجائز – من وجهة نظر التحقيق العلمى لأى مستند – الطعن فيها أو إنكارها غير أن هناك ما يمكن أن يقال فى الرد على ذلك وهو الإرهاب الذى شاع وذاع ضد كل مايمت إلى الإخوان المسلمين بصلة فى العهد الناصرى بحيث كان يخشى على أى كائن يظهر فى هذا المجال لاداخل مصر وحدها بل وفى خارجها أيضا مادام النظام القائم فى مصر اعتمد على عسكرية تغتال أعداءها وتختطفهم حتى من الخارج . وإذا قام هذا عذرا لعدم إسناد الوثيقة فهو مازال لايقيم الدليل على صحتها . ومع ذلك فسواء كانت الوثيقة صحيحة أو مصطنعة فإن ماجاء بها يطابق تمام التطابق مانفذته سياسة جمال عبد الناصر بالفعل مع الإخوان المسلمين ، بحيث يصعب علينا أن ننفيها وننكرها ، كما يصعب تصور إمكان صنعها شأنها فى ذلك شأن بروتوكلات حكماء صهيون ، ينكرها اليهود ولكن واقعهم يعترف بها .

نص الوثيقة

بناء على أمر السيد رئيس الجمهورية بتشكيل لجنة عليا لدراسة واستعراض الوسائل التى استعملت والنتائج التى تم الوصول إليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين المنحلة ، ولوضع برنامج لأفضل الطرق التى يجب استعمالها فى قسمى مكافحة الإخوان بالمخابرات والمباحث العامة لبلوغ هدفين :

١ – غسل مخ الإخوان من أفكارهم .

٢ – منع عدوى أفكارهم من الانتقال لغيرهم .

اجتمعت اللجنة المشكلة[١] من :

---

١ – الأسماء المذكورة هنا مضافة من عندنا على النص للإيضاح ، أما الوثيقة ذاتها فتقتصر على الصفات .



جمال عبد الناصر

١ – سيادة رئيس مجلس الوزراء (زكريا محيى الدين) .
٢ – السيد – قائد المخابرات (صلاح نصر) .
٣ – السيد ، قائد المباحث الجنائية العسكرية (العميد سعد زغلول عبد الكريم) .
٤ – السيد مدير المباحث العامة (لواء حسن طلعت) .
٥ – السيد مدير مكتب السيد المشير (عقيد شمس بدران) .

وذلك فى مبنى المخابرات العامة بكوبرى القبة . وعقدت عشرة اجتماعات متتالية . وبعد دراسة كل التقارير والبيانات والاحصائيات السابقة أمكن تلخيص المعلومات المجتمعة فى الآتى :

١ – تبين أن تدريس التاريخ الإسلامى فى المدارس للنشء بحالته القديمة يربط السياسة بالدين فى لاشعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ويسهل تتابع ظهور معتنقى الأفكار الإخوانية وسهولة فجائية تحول الفئة الأولى إلى الثانية بتطرف أكبر .

٣ – غالبية أفراد جماعة الإخوان عاش على وهم الطهارة ولم يمارس الحياة الاجتماعية الحديثة ويمكن اعتبارهم من هذه الناحية « خام » .

٤ – غالبيتهم ذوو طاقة فكرية وقدرة تحمل ومثابرة كبيرة على العمل وقد أدى ذلك إلى اطراد دائم وملموس فى تفوقهم فى المجالات العلمية والعملية التى يعيشون فيها وفى مستواهم العلمى والفكرى والاجتماعى بالنسبة لأندادهم رغم أن جزءا غير بسيط من وقتهم موجه لنشاطهم الخاص بدعوتهم المشئومة .

٥ – هناك انعكاسات إيجابية سريعة تظهر عند تحرك كل منهم للعمل فى المحيط الذى يقتنع به .

٦ – تداخلهم فى بعض ودوام اتصالهم الفردى ببعض وتزاورهم والتعارف بين بعضهم البعض يؤدى إلى ثقة كل منهم فى الآخر ثقة كبيرة .

٧ – هناك توافق روحى وتقارب فكرى وسلوكى يجمع بينهم فى كل مكان حتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم .

٨ – رغم كل المحاولات التى بذلت منذ سنة ١٩٣٦ لإفهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون خلف الدين لبلوغ أهداف سياسية إلا أن احتكاكهم الفردى بالشعب يؤدى إلى محو هذه الفكرة عنهم رغم أنها بقيت بالنسبة لبعض زعمائهم .

٩ – تزعمهم حروب العصابات فى فلسطين سنة ١٩٤٨ والقنال ١٩٥١ رسب فى أفكار الناس صورهم كأصحاب بطولات وطنية عملية وليست دعائية فقط ، بجوار أن الأطماع الإسرائيلية والاستعمارية والشيوعية فى المنطقة لاتخفى أغراضها فى القضاء عليهم .

١٠ – نفورهم من كل من يعادى فكرتهم جعلهم لايرتبطون بأى سياسة خارجية سواء عربية أو شيوعية أو استعمارية وهذا يوحى لمن ينظر لماضيهم بأنهم

ليسوا عملاء ، وبناء على ذلك رأت اللجنة أن الأسلوب الجديد فى المكافحة يجب أن يشمل أساسا بندين متداخلين وهما :

١ – محو فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامى .

٢ – إبادة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلا والموجود من معتنقى الفكرة . ويمكن تلخيص أسس الأسلوب الذى يجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين فى الآتى :

أولا : سياسة وقائية عامة :

١ – تغيير مناهج تدريس التاريخ الإسلامى والدين فى المدارس وربطهما بالمعتقدات الاشتراكية كأوضاع اجتماعية واقتصادية وليست سياسية مع إبراز مفاسد الخلافة وخاصة زمن العثمانيين وتقدم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة .

٢ – التحرى الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الإخوان فى كل مكان ثم مصادرتها وإعدامها .

٣ – يحرم بتاتا قبول ذوى الإخوان وأقربائهم حتى الدرجة الثالثة من القرابة من الانخراط فى السلك العسكرى أو البوليسى أو السياسى مع سرعة عزل الموجودين من هؤلاء الأقرباء من هذه الأماكن أو نقلهم إلى أماكن أخرى فى حالة ثبوت ولائهم .

٤– مضاعفة الجهود المبذولة فى سياسة العمل الدائم على فقدان الثقة بينهم وتحطيم وحدتهم بشتى الوسائل وخاصة عن طريق إكراه البعض على كتابة تقارير عن زملائهم بخطهم ثم مواجهة الآخرين بها مع العمل على منع كل من الطرفين من لقاء الآخر أطول فترة ممكنة لتزيد شقة انعدام الثقة بينهم .

٥ – بعد دراسة عميقة لموضوع المتدينين من غير الإخوان وهم الذين يمثلون الاحتياطى لهم وجد أن هناك حتمية طبيعية عملية لالتقاء الصنفين فى المدى الطويل .. ووجد أن الأفضل أن يبدأ بتوحيد معاملتهم بمعاملة الإخوان قبل أن يفاجئونا كالعادة باتحادهم معهم علينا .

ومع افتراض احتمال كبير لوجود أبرياء كثيرين منهم فإن التضحية بهم خير من التضحية بالثورة فى يوم ما على أيديهم ولصعوبة واستحالة التمييز بين الإخوان والمتدينين بوجه عام فلا بد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة ومراعاة مايلى معهم :

ا – تضييق فرص الظهور والعمل أمام المتدينين عموما فى المجالات العلمية والعملية .
ب – محاسبتهم بشدة وباستمرار على أى لقاء فردى أو زيارات أو اجتماعات تحدث بينهم .
جـ – عزل المتدينين عموما عن أى تنظيم أو اتحاد شعبى أو حكومى أو اجتماعى أو طلابى أو عمالى أو إعلامى .

د – التوقف عن السياسة السابقة فى السماح لأى متدين بالسفر للخارج للدراسة أو العمل حيث فشلت هذه السياسة فى تطوير معتقداتهم وسلوكهم وعدد بسيط جدا منهم هو الذى تجاوب مع الحياة الأوربية فى البلاد التى سافروا إليها . أما غالبيتهم فإن من هبط منهم فى مكان بدأ ينظم فيه الاتصالات والصلوات الجماعية أو المحاضرات لنشر أفكارهم .

و – التوقف عن سياسة استعمال المتدينين فى حرب الشيوعيين واستعمال الشيوعيين فى حربهم بغرض القضاء على الفئتين حيث ثبت تفوق الدينيين فى هذا المجال ولذلك يجب أن تعطى الفرصة للشيوعيين لحربهم وحرب أفكارهم ومعتقداتهم مع حرمان المتدينين من الأماكن الإعلامية .

٦ – تشويش الفكرة الموجودة عن الإخوان فى حرب فلسطين والقنال وتكرار النشر بالتلميح والتصريح عن اتصال الإنجليز بالهضيبى وقيادة الإخوان حتى يمكن غرس فكرة أنهم عملاء للاستعمار فى ذهن الجميع .

٧ – الاستمرار فى سياسة محاولة الإيقاع بين الإخوان المقيمين فى الخارج وبين الحكومات العربية المختلفة وخاصة فى الدول الرجعية الإسلامية المرتبطة بالغرب وذلك بأن يروج عنهم فى تلك الدول أنهم عناصر مخربة ومعادية لهم وبأنهم يضرون بمصالحها . وبهذا تسهل محاصرتهم فى الخارج أيضا .

ثانيا : سياسة استئصال السرطان الموجود الآن :

بالنسبة للإخوان الذين اعتقلوا أو سجنوا فى أى عهد من العهود يعتبرون جميعا قد تمكنت منهم الفكرة كما يتمكن السرطان من الجسم ولايرجى شفاؤه ولذا تجرى عملية استئصالهم كالآتى :

المرحلة الأولى - إدخالهم فى سلسلة متصلة متداخلة من المتاعب تبدأ بالاستيلاء أو وضع الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم ويتبع ذلك اعتقالهم . وأثناء الاعتقال يستعمل معهم أشد أنواع الإهانة والعنف والتعذيب على مستوى فردى ودورى حتى يصيب الدور الجميع ثم يعاد وهكذا وفى نفس الوقت لايتوقف التكدير على المستوى الجماعى بل يكون ملازما للتأديب الفردى .

وهذه المرحلة إن نفذت بدقة ستؤدى إلى مايأتى :

بالنسبة للمعتقلين : اهتزاز المثل والأفكار فى عقولهم وانتشار الاضطرابات العصبية والنفسية والعاهات والأمراض فيهم .

بالنسبة لنسائهم : سواء كن زوجات أو أخوات أو بنات فسوف يتحررن ويتمردن بغياب عائلهن وحاجتهن المادية قد تؤدى إلى انزلاقهن .

بالنسبة للأولاد : تضطر العائلات لغياب العائل وحاجتهم المادية إلى توقيف الأبناء عن الدراسة وتوجيههم للحرف والمهن وبذلك يخلو جيل الموجهين المتعلم القادم ممن فى نفوسهم حقد أو ثأر أو آثار من أفكار آبائهم .

المرحلة [1]الثالثة : إعدام كل من ينظر إليه بينهم كداعية ، ومن تظهر عليه الصلابة سواء داخل السجون والمعتقلات أو بالمحاكمات ، ثم الإفراج عن الباقى

---

(١) هكذا دون أن نجد المرحلة الثانية فهى إما أن تكون قد سقطت من النص وإما أن يكون هناك خطأ مطبعى ويكون المقصود هنا : الثانية .

على دفعات مع عمل الدعاية اللازمة لانتشار أنباء العفو عنهم حتى يكون ذلك سلاحا يمكن استعماله ضدهم من جديد فى حالة الرغبة فى العودة إلى اعتقالهم حيث يتهمون بأى تدبير ويوصفون حين ذلك بالجحود المتكرر لفضل العفو عنهم .

وهذه المرحلة إن أحسن تنفيذها باشتراكها مع المرحلة السابقة ستكون النتائج كمايلى :

١- يخرج المعفو عنه إلى الحياة فإن كان طالبا فقد تأخر عن أقرانه . ويمكن أن يفصل من دراسته ويحرم من متابعة تعليمه .
٢ – إن كان موظفا أو عاملا فقد تقدم زملاؤه وترقوا وهو قابع مكانه . ويمكن أيضا أن يحرم من العودة إلى وظيفته أو عمله .
٣ – إن كان تاجرا فقد أفلست تجارته ويمكن أن يحرم من مزاولة تجارته .
٤ – إن كان مزارعا فلن يجد أرضا يزرعها حيث وضعت تحت الحراسة أو صدر بها قرار استيلاء .

وسوف تشترك جميع الفئات المعفو عنها فى الآتى :

١ – الضعف الجسمانى والصحى والسعى المستمر خلف العلاج والشعور المستمر بالضعف المانع من أية مقاومة .
٢ – الشعور العميق بالنكبات التى جرتها عليهم دعوة الإخوان وكراهية الفكرة والنقمة عليها .
٣ – عدم ثقة كل منهم فى الآخر وهى نقطة لها أهميتها فى انعزالهم عن المجتمع وانطوائهم على أنفسهم .
٤ – خروجهم بعائلاتهم من مستوى اجتماعى إلى مستوى أقل نتيجة لعوامل الإفقار التى أحيطت بهم .
٥ – تمرد نسائهم وثورتهن على تقاليدهم وفى هذا إذلال فكرى ومعنوى لكون النساء فى بيوتهن سلوكهن يخالف أفكارهم ، وتبعا للضعف الجسمانى والمادى لايمكنهم الاعتراض .
٦ – كثرة الديون عليهم نتيجة لتوقف إيراداتهم واستمرار مصروفات عائلاتهم .

النتائج الجانبية لهذه السياسة هى :

١ – الضباط والجنود الذين يقومون بتنفيذ هذه السياسة سواء من الجيش أو البوليس سيعتبرون فئة جديدة ارتبط مصيرها بمصير هذا الحكم القائم ، حيث عقب التنفيذ سيشعر كل منهم أنه فى حاجة إلى هذا الحكم ؛ ليحميه من أى عمل انتقامى قد يقوم به الإخوان كثأر .

٢ – إثارة الرعب فى نفس كل من تسول له نفسه القيام بمعارضة فكرية للحكم القائم .

٣ – وجود الشعور الدائم بأن المخابرات تشعر بكل صغيرة وكبيرة وأن المعارضين لن يتستروا وسيكون مصيرهم أسوأ مصير .

٤ – محو فكرة ارتباط السياسة بالدين الإسلامى .

انتهى ويعرض على السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

إمضاء – السيد رئيس مجلس الوزراء .
إمضاء – السيد قائد المخابرات .
إمضاء – السيد قائد المباحث الجنائية العسكرية .
إمضاء – السيد مدير المباحث العامة .
إمضاء – السيد شمس بدران .

•••

خاتمة

وبعد . فهذه صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين .

كما أسلفنا فى المقدمة ليست هى تاريخ الإخوان المسلمين ، فتاريخهم أكبر من أن يحتويه مجلد ، وأشق فى جمعه وتدوينه من أن يستطيعه فرد أو مجموعة أفراد . إنما هى صفحات أردت أن أجمع بها ما لم ينشره أحد ، وجوانب قد لايراها كاتب هامة .. كيف كانت تدعو الجماعة الناس ؟ كيف نفذت إلى شغاف القلوب ؟ ماذا كانت شعبة الإخوان المسلمين ؟ أثر هذه الشعب على الناس عامة وعلى الشباب خاصة ؟ ماذا كان المركز العام للإخوان المسلمين ؟ ماذا كانت نظم الإخوان وتنظيماتهم ؟ ماذا كانت أخلاقهم وتقاليدهم ؟ رؤية للنظام الخاص من داخله . أسرار لم تنشر لبعض الأحداث التى ارتبطت بحركة الإخوان المسلمين سياسيا وحركيا .. الخ .

وتجاوزت عن كثير ، فما كان بمقدورى أن أجمع كل شىء . وأكثر ماتجاوزت عنه إما ذكره غيرى فى كتابات سبقت ، وإما يستطيعه غيرى ، وإما لم استطعه وإما تجنبته .

وفى كل يوم تتطلع أجيال جديدة من الشباب تهفو قلوبها نحو الإسلام ، وترغب فى التقرب إلى الله بأعظم القربات ... أقصد العمل للإسلام والجهاد فى سبيل الله ، تنظر إلى هذه الحركة الرائدة التى فاتها أن تعاصرها فتفتقد الأثر ، ولاتجد ما يلقى عليها الأضواء قدر ما تجد مايلقى عليها الظلال . وإنى كواحد من أفراد هذه الحركة يحق لى أن أفخر بكل ماقدم الإخوان فى وقت انصرف غيرهم إلى متع الحياة وملذات الدنيا ، ليس هذا قصدى من هذه الصفحات ... لست أكتبها لأفخر ، ولكنى أقدمها للدارسين والمحققين ، أقدمها للمسلمين للانتفاع بها . وأسأل من لديه تعقيب أو تصويب أو استدراك أن يوافينى به لطبعات تالية إن شاء الله .

لقد كانت حركة الإخوان المسلمين نورا يستضاء به ، ولكن ماكتب أعداء لله وأعداؤها عنها أكثر كثيرا كثيرا مما كتب أصحابها . والآن لنا أن نتساءل :

هل الإخوان مهملون فى تدوين هذا التاريخ ؟
هل لهم عذرهم فى هذا الإهمال ؟

الحقيقة أنهم كانوا عاملين أكثر منهم كاتبين .. كانوا يخلصون العمل ولم يكونوا يستعرضون . كان همهم أن يرى الله ولايهمهم أن يرى الناس !

ولقد مر على أول حل للجماعة حتى صدور هذا قرابة أربعين عاما اتصلت فيها المحن والإحن ، فما يكاد يفيق الإخوان حتى تدهمهم داهمة من جديد .

تحالفت على الإخوان المسلمين جميع قوى الباطل وإخوان الشياطين ، وإليكم ماظهر من هذه القائمة ولعل هناك ماخفى :

السراى ، وهو مانعبر به عن ملك مصر فاروق الأول والأخير .
الوزارات الحزبية المتعاقبة ، وغير الحزبية .
الأحزاب الفاسدة فى عهد فاروق .
الإنجليز فى مصر وكل محتل فى غير مصر من أرض العروبة والإسلام .
الصهيونية العالمية واليهودية الخبيثة الماكرة .
الشيوعية المخربة والإلحادية الفاسدة .
النزعات القومية التى ماظهرت إلا لتحل محل الإسلام فى الميدان .
الولايات المتحدة الأمريكية ، وروسيا السوفييتية على حد سواء .
حركة جمال عبد الناصر التى استباحت كل شىء وتعرت من كل ستر .
أموال وإذاعات وصحافة وسجون وسلاح وأذناب هؤلاء جميعا ..

كل هذا .. فمن كان لكم أيها الإخوان ؟
لكم الله ...

قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون لكم دار السلام عند ربكم وسلام على من اتبع الهدى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ربيع الأول ١٤٠٧
نوفمـــبر ١٩٨٦

المحتويـــــات

رقم الايداع : ٥٥٣٦ / ٨٦
الترقيم الدولى : ٧ - ٣٣ - ١٤٧٠ - ٩٧٧

مطابع الزهراء للإعلام العربي
١٤ شارع الطيران - رابعة العدوية
مدينة نصر - ت ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦
القاهرة

النقط فوق الحروف

أثار هذا الكتاب مشاكل عديدة عند صدور طبعته الأولى وقالوا : ما كان ينبغى للمؤلف أن يذكر ما ذكر من أسرار وخبايا ، وإنه يؤكد التهمة التى لحقت بالإخوان المسلمين وهى الإرهاب والاغتيال .

ونحن لا ندافع عن الاغتيال ولكننا نتساءل : ماذا يفعل الشعب حيال المستعمر وأعوانه من الحكام المصريين ؟ هل من المناسب أن نتركهم أو من الواجب أن نقوّمهم ؟ وهذه وجهات نظر اختلف فيها الكثير ، ولعل « أحمد عادل كمال » قد كتب كتابه هذا بأمانة وصدق وتعرض لكل المشكلات كواحد من الذين اشتركوا فيها . وهو من أهم الكتب التى صدرت حول هذا الموضوع .

أحمد رائف

